

الدكتور
عبد الحليم محمود

فضيلة التصوف

المدرسية الشاذلية

في كل مكان ولكن الظروف لم تكن قد أتاحت لي بعد أن أتصل به اتصالاً يزيد على سماع الاسم إلا قليلاً .

وسألت الصديق عما إذا كان عنده من المراجع ما يعطيني صورة موجزة صادقة عن الشيخ تزيل بعض الجهل به .

وقدم لي الصديق كتاب الأستاذ السندي عن أبي العباس الرسي . وذلك لأن المؤلف كتب فيه عن أبي الحسن الشافلي صفحات عدة . ولم يكن عند الصديق غيره للتعريف بأبي الحسن .

وأخذت في قراءة ما كتبه الأستاذ السندي فوجدت في نفسي رغبة ملحة في أن أزداد معرفة بالشافلي . وفي إذ أكتب عنه إذا يسر الله ذلك .

وأخذت أسأل عن المراجع هنا وهناك . ووجدت في دار المشيرة الهمدية كتاب « الفخر العلية » لابن عباد عطفوا بقلم الشيخ الرومي نفسه . بخط جميل . على ورق جميل فاخر . وقد راجعه الشيخ بعد كتابته وأثبت ما نسي .

وصحح ما أنخطأ في نقله . ولم يدخل فضيلة رائد المشيرة الهمدية عليّ به . ووجدت في الدار أيضاً الكتاب النادر كتاب (درة الأسرار) وهو من أنفس المراجع عن أبي الحسن الشافلي . استقى فيه مؤلفه أخبار أبي الحسن عن العقرب مباشرة . وعن أصحاب أصحابه .

ولقد سافر من أجل ذلك إلى عدة أقطار . وبرز في مقدمة كتابه كيفية جمعه إذ يقول : « وكان من جملة من الله سبحانه عليّ . وعلى من سلف لي . هو شيخنا السيدنا الشيخ الولي الصديق العارف المحقق الفوثن القطب الشريف الحسين أبي الحسن على المروف بالشافلي من الآثار . وتقييد ما له من الدعوات والأذكار . وكنت أطلبها وأجهد في جمعها . وأصرف الرغبة في التوجه إلى من عرف بها .

فإنها ما أخذته تلقياً بتونس من سيدنا الشيخ الصالح أبي العزائم ماضي بن سلطان . تلميذ سيدنا الشيخ أبي الحسن وخادمه .

ومنها ما أخذته بأرض الشرق . من سيدنا الشيخ أبي عبد الله محمد . المدعو بشرف الدين . ولد سيدنا الشيخ الصالح الفوثن الحبشي . رضي الله عنه .

ومنها ما أخذته عن غيرهم من معضدي طريق الشيخ . وأصحاب أصحابه من أهل المشرق والمغرب . حتى اجتمع عندي من ذلك ما يهيج سماعه . ويبرز اجتماعه . اهـ .

ولم تبخل على المشيرة الهمدية أيضاً بهذا الكتاب النادر .

وأخذت - مع الزمن - أفتكل المراجع . فكان من أهمها كتاب « لطائف النور » في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن . تأليف ابن عطاء الله السكندري . وهو تلميذ أبي العباس الرسي أكبر تلاميذ أبي الحسن والخليفة بعده .

وقد حصلت على الطبعة المصرية حيثئذ .

واستقرت في القراءة والدراسة فترة من الزمن . وكتبت في مجلة الأزهر مقالاً بعنوان « أبو الحسن الشافلي ومركبة التصورة » .

ثم صرفت الصوارف . وطويت صحف أبي الحسن . وشغلت بأمر آخرى . ونصت الأيام والسنون وصحف أبي الحسن مطوية . . .

حتى إذا كانت سنة ١٩٦٢ ذهبت إلى تونس أستاذاً زائراً . لمدة شهر - بجامعة الزيتونة . فوجدت عندي الذكريات عن أبي الحسن . وأخذت أتسم عميره في تونس . لقد سعدت إلى الجبل الذي كان يجعد به . ودخلت المغارة التي كان يتكف بها . وهي مغارة تتسع في البداية لجموعة من الناس . ثم ينزل بها الإنسان فيصل إلى مكان يسع لأفراد قليلين . وينزل فيها من جديد حتى يصل إلى المكان الأخير الذي لا يسع إلا لشخص واحد . ونزلت إلى نهايتها . وجلست عاشقاً

متعباً حيث كان يعتمد أبو الحسن ، وحيث كان يقضي الساعات الطوال ليلاً ونهاراً ، وحيث كان يجلو - فريداً - بره متضرعاً ، يلبه الشوق ، وغمره الحبه ، ويعمر قلبه اليقين .

وشمرت في المغارة بطمأنينة النفس ، وبالسكينة مخلوق ، ويتجمع شواطئ بصوره صجيبة ، وبالتزكر الذهني الذي يندر ويتر وهو .

وترددت على المغارة في أعلى الجبل .
وفي كل مرة أزور فيها المغارة ، تزداد ذكريات الكتاب على ذهني ، والصف

التي طويت ، وتشجده مع ذلك الرغبة في الكتابة عن أبي الحسن .
ومع ذلك بقيت الصحف مطوية . بيد أن المراجع عن أبي الحسن قد ازدادت

فهاأنذا أجد طبعة تونسية لكتاب « لطاقف الفز » .
وها هو ذا شيخ الجامع الذي في أعلى الجبل عند المغارة يزودني بأحزاب

أبي الحسن التي طبعوها في تونس .
وهأنذا أحضر المحاضرات الشاذلية في المكان نفسه الذي كان يقيها فيه

أبو الحسن رضي الله عنه .
وفي هذه الفترة كان الأستاذ على سالم عمار ينشر دراسة مستفيضة مرواة في

جزائر عن أبي الحسن .
كل ذلك جعل عدلي للكتابة عن أبي الحسن تزداد عنافاً ، وتزداد قوة .

ولكن الصحف ما تزال مطوية .
ثم كانت ملاسيات عديدة ، وظروف متناسقة ، جعلني آخذ الطريق

الشاذلي ، وأنلمج في جو المريدين ، وأواظب على الأوراد والأدكار الشاذلية .
ومكنت كذلك إلى أن كان شهر مارس سنة ١٩٦٤ .

كنت في ليبيا أستاذاً زائراً للجامعة الإسلامية هناك ، وكنت قد انتهيت من الفاء

المحاضرات في الدار البيضاء ، وبنى غازي ، وزليطن ، وطرابلس ، وكنت قد

اتخذت الإجراءات للسفر حاجلاً إلى بيت الله الحرام .
وبينا أنا في طرابلس أنتظر أن أبحر منها إلى الأراضي المقدسة إذا بي أرى - فيما

براه التام - شخصاً أعرفه ، اسمه « توفيق » ، أراه في ملابس غير ملايه العادية .
أراه بلبس ملابس شرطي ، ويمسك بيده قيباً ويقول لي آمراً :

« اكتب عن أبي الحسن الشاذلي » .
وتلكأت في الاستجابة ، وأردت أن أهمل الموضوع ، وأن أتحدث معه في شيء

آخر . فإذا به يهدد بوضع القيد في يدي ، وإذا به يندب ويتوعد ، فقلت له :

« هل معنى ذلك أن أترك ما بيدي من أعمال لأكتب عن أبي الحسن الشاذلي ؟ »
فقال : نعم : اترك ما بيديك من أعمال واكتب عن أبي الحسن ، ورضي

« توفيق » حينما وعدت بالكتابة . . . واستيقظت . ويسر الله أمر الحج والحمد لله .
وحيثما عدت إلى القاهرة حاولت - مع وضوح الرؤيا في ذهني ومع تذكري

فما - أن أرجع أمر الكتاب عن أبي الحسن . لماذا ؟ لست أدري .
وأخذت في دراسة سهل بن عبد الله التستري ، فقد كنت موثماً النفس على أن

أعطي طلبة كلية أصول الدين محاضرات عن التفسير الصوفي ، وأن آخذ الأمثلة من

سهل بن عبد الله ، ورأيت أن من الخير أن يكون بين يدي الطلبة كتاب عن هذا

الصوفي الذي لم يزل يحظه من الدراسة .
وبينا أنا سائر في البدايات الأولى من الدراسة والكتابة ، إذا بماصفة من هذه

المواصف التي تمر بالإنسانية من آن لآخر ، تيمدني عن التستري ، وعن التفسير

الصوفي ، تيمدني عنه في المكان ، وتيمدني عنه في الجو الروحي ، وطويت صحف

التستري بل زالت من نفسي - وأرجو أن يكون ذلك مؤقتاً - الطلاقة الدافعة التي

كانت تحفزني على الكتابة عنه وعند ذلك تذكرت الرؤيا ، وتذكرت « توفيق »

المراجع الأصلية . والمراجع الثانوية . وكب الطقات . وجدت المراجع القديمة والمراجع الحديثة .

لقد وجدت كل ما أحتاج إليه عن الشاذل في متناول يدي . ووجدت العمل يسراً سهلاً ووجدت المصدر منشراً والحمد لله .

منه نصي مع أبي الحسن رويتها كما حدثت دون زيادة أو نقص .
ولقد لمان لأبي الحسن أثر مائل في هداية الناس على مر الزمن . لقد كان له أثر يتغل أربح الزكي من شخص إلى شخص . ومن عصر إلى عصر حتى وقتنا الحاضر ، ولقد بدأ هذا الأثر بالهجرة الباصرة في العارف بالله ، القطب الكبير أبي العباس الرمي وقمين حول الشيخ من أصدقاء ومريدين وأسلم أبو العباس الشمل - شمل الهداية - إلى شيخ العلماء وشيخ الصوفية في عصره : ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم ، التي قال عنها أحد كبار العلماء : كاد الحكم أن يكون قرآناً ، رضي الله عنه .

لقد حصل ابن عطاء الله الشمل فأثار به من حوله واستناره من بعده . وثيق النور للآن في كتبه يضيء الطريق للساكنين . وثيق متقلا من جبل إلى جبل يشير بسنانه إلى أبي الحسن كمنبع من منابع الهدى . وكعلم من الأعلام الذين اتبعوا هدى الله في كتابه العزيز ، واقتضوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً ، واقتدوه أسوة في سلوكهم في السير من الأمور والمعظم منها .

لقد تبق نور أبي الحسن للآن . وإن المدرسة الشاذلية الحديثة في عصرنا الراهن فإذاتها وهم كالنجوم وبميريتها يسيرون في ضوئهم لخبر دليل على الأثر الفختم الذي تركه أبو الحسن رضي الله عنه .

يقول الله تعالى : (سنكتب ما قلدتموا وآثارهم) .
وإمن شك في أن آثار أبي الحسن متلاً سجلات وسجلات بمن هداهم الله

وهو يقول : « اترك كل شيء ، واكتب عن أبي الحسن الشاذل » .
ومضت أسابيع لم أشتغل فيها إلا بالقراءة السهلة في مختلف الموضوعات كيثا اتفق . وفي خلال هذه الأسابيع أخذ الانتمال الذي سببه تذكر الرؤيا ، والرؤيا نفسها ، يزول من نفسي شيئاً فشيئاً . ويجزر الزمن لم تعد الرؤيا في بؤرة الشعور وأصبحت في الهامش البعيد .

ثم رأيت - ولست أدري الآن كيف جاءت الفكرة حينئذ - أنني كتبت فيما مضى . في فترات متباعدة ، عن موضوع « الإيمان » وأن هذا الموضوع - وقد فكرت فيه فيما مضى وكتبت في زوايا منه . وتحدثت عنه في الإذاعة والتلفزيون - يسهل على تناوله بالبحث والدراسة . ويتيسر أن أعود فيه إلى المراجع من جديد . وإلى ما كتبت ، فأنسق وأضيف ، وأحذف وأزيد آملاً أن أنشر دراسة لها لها فقيدي في العصر الحاضر .

وإذات يوم أخذت بعض المراجع عن موضوع الإيمان في رحلة إلى الريف . آمل أن أجد في هدوء الريف وصفاته ما يساعد على التركيز الذهني والسرعة في إنجاز الموضوع . وكنت مع بعض الأصدقاء . . . وثرنا من السيارة - سيارة أجرة - أمام القرية . وعادت السيارة من حيث أنت . عادت وبدخلها المراجع . ولم تذكرها إلا بعد أن أصبحت السيارة بحيث لا أثر لها من رقم أو عنوان . أو غير ذلك من آثار ؛ وكما تذكرت الرؤيا عند عاصفة التسرى . تذكرتها عندما أصبحت السيارة لا عيناً ولا أثراً ؛ « اترك ما بيدك واكتب عن الشاذل » .

وقلت في نفسي لتكف بهذه اللروس ولينبدأ - والله المستعان وبه التوفيق - بالشاذل ثم يكون ما يريد الله بعد ذلك من مؤلفات ، وعدت إلى الشاذل ووجدت المراجع مستكلة :

وهو برهان واضح على قوله عليه الصلاة والسلام : « الحيرة في روق أمي إلى يوم القيامة ، وعلى قوله ﷺ فيما رواه البخاري بإسناده عن معاوية : « لا يزال من أمي أمة تأتة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » .

لقد استمسك الشيخ عبد الفتاح القاضي بالحق منذ سنه المبكرة ، استمسك به في الصورة القرآنية التي أتقنها حفظاً وعلماً وعملاً ، واستمسك به في الصورة النبوية التي أحياها روحاً وسلوكاً ، ونأشأ بها حقاً ومعنى ، واستمسك به في صور الصالحين وسلوكهم .

لقد جاهد . واختل وذكر ، وصل على رسول الله ﷺ ، وصام ، وصل ، واستمر على ذلك مواصلاً ليله بنهاره حتى استوت سفيتة على الجودي ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، ثم اتبسط في الخلق هادياً ومرشداً ، وفق الريدين مهدياً ومعلماً وقائداً إلى الله سبحانه .

لقد جاهد في الحياة هادياً إلى الله فكان كوكباً نائق في سماه الروح . وانعكس ضوءه على أتباعه ومريديه .

إنه باق بروحه في هؤلاء الدعاة إلى الله الذين يحممهم كل يوم مسجد القاضي شبلنجة . هذا المسجد الرابع الذي وضع الشيخ رسمه . فاشترى أرضه وتم المسجد بعد وفاته . وبقي أثراً من آثاره . ونرجو من الله التوفيق فيما نكتب عن إمامنا الشاذل وعن تربيته .

ولقد اقتصرنا في أحزاب الشاذل - معتدلين - على ما أورده ابن الصباغ في درة الأسرار . وما أورده ابن عطاء الله في لطائف المنن . بيد أن بعض إخواننا طلب في إلحاح أن نضع ضمن الأحزاب حزب اللطف على الأقل .
وواقع أن هذا الحزب الجليل يدل بأسلوبه وبروحه على أنه للإمام الجليل .

إلى سلوك طريقتي الحق على يديه ، وعلى يدي أتباعه سلسلة بعد سلسلة إلى ما شاء الله . ولقد رأينا بمشيئة الله أن نبين في وضوح أثر الإمام الشاذل في العصر الحديث ، خاصة ، فخطبنا القرون ، منذ أن دعا الشاذل إلى الله ، حتى وصلنا إلى القرن الرابع عشر الهجري .

والقرن الرابع عشر الهجري مليء بالقرنين من أعلام الشاذلية ، الذين أرضوا الله ورسوله فخطبوا بأخلاق الله وأتبعوا سنة رسوله . ولكننا نحزنا ، بتوفيق الله ، من بين أولياء الله المقربين شيخون جليلين : لاتصالنا بهما عن قرب ، وكان هذا الاتصال هو السبب في اختارهما . .

أحدهما من أوربا : فرنسي ، من أعتاق فرنسا ، عاش شبيهه في باريس ثم تابع حياته في القاهرة يعرفه القرب كله : أمريكا وأوربا ، لأنه من تابعي قادة الاتجاه الصوفي الأصلي ، يذكره المؤرخون للأديان ، ويذكره المتصلون بالروحية ، ويذكره أئمة الدعوة إلى إصلاح الحضارة الحديثة ، والسمر بها إلى المستوى المثالي . إنه العارف بالله الشيخ عبد الواحد يحيى .

وهو من الذين أخذوا المعهد الشاذل ، أخذوه على يد العارف بالله المرحوم الشيخ سلامة الراضي . إن الكبار في السن من أتباع الشيخ سلامة الراضي عليه رضوان الله ، لا يزالون يذكرون ذلك والشيخ الأوربي ، يجتبه الحضراء ، وعلمته البيضاء ، وقامت الفارعة الأقرب إلى الصحابة منها إلى السنة ، ولا يزالون يذكرون وجهه المشرق بالنور ، وسنته الملائكي ، وشيئته الوقورة . وجلسه بين يدي الشيخ متواضعاً مهذباً محاولاً أن يسكت كل سائل في تلتفت ظاهر . حتى يستمر الشيخ في حديثه مطلقاً مع اللدد لاتحده حدود الأسئلة ولا يتزل به مستوى الأفهام البشرية ، إنه شاذل من القرب .

والثاني شاذل من الشرق : إنه العارف بالله ، الشيخ عبد الفتاح القاضي .

ومن أجل ذلك - ودون أن نخل بما التزمناه عمداً - فإننا نلبي في سرور وغبغات الأصداقاء ، وسبجد القراء حزب اللطف باعتباراه من أوزاد الشيخ القاضى .
ونعتمد إلى الأصداقاء إذ فعلنا ذلك ، رعاية لا التزمناه .

وسبجد القراء مجموعة من تصانح الإمام الشافلى : نورها بعد أجزاءه ، وهذه الوصايا ذكرها الكمال الدبيرى عند الكلام على الإنسان ، وقد نقلناها عن الكتاب المبارك : « المختصر فى معانى أسماء الله الحسى ، للأستاذ محمود سامى بك ، الذى قال عنها : إنها جمعت خيرى الدنيا والآخرة .

ونحن لا نعتقد أن هذه الوصايا قد ألفها الإمام الشافلى مجموعة مرتبة على وضعها فى الكتاب ، بل قد جمعها - فيما نرى - أحد أتباع الإمام من درره المتأثرة هنا وهناك ، أو جمعها الكمال الدبيرى نفسه ، وهى على كل حال من نقيس كلام أبى الحسن .

والله نسأل أن يهدينا جميعاً سواء السبيل ، وأن يفتح بهذا الكتاب كما نفع بأبى الحسن ، وأن يهدى له ويهدى به إنه قريب مجيب . وصلّى الله على سيدنا محمد النبى الأسمى وعلى آله وصحبه ومن اتبع هدبه إلى يوم الدين .

عبد الحليم محمود

الفصل الأول

المعارف بالله (أبو الحسن الشافلى)

١ - حياته

يقول الشيخ أبو العباس ، رضى الله عنه : كنت مع الشيخ أبى الحسن بالقيروان ، وكان شهر رمضان ، وكانت ليلة جمعة ، وكانت ليلة سبع وعشرين . فذهب الشيخ إلى الجامع ، وذهبت معه . فلما دخل الجامع ، وأحرم ، رأيت الأولياء ينساقطون عليه ، كما ينساقط الذباب على العسل . فلما أصبحنا وخرجنا من الجامع قال الشيخ :

ما كانت البارحة إلا ليلة عظيمة ، وكانت ليلة القدر ورأيت الرسول ﷺ وهو يقول : يا على طهر ثيابك من الدنس ، تحفظ بمدد الله فى كل نفس .

قلت يا رسول الله : وما ثيابى ؟

قال : اعلم أن الله قد خلق عليك خمس خلق : خلقه الحية ، وخلقه المعرفة ، وخلقه التوحيد ، وخلقه الإيمان ، وخلقه الإسلام .

فمن أحب الله مان عليه كل شىء .

ومن عرف الله ، صغر لديه كل شىء .

ومن وحد الله لم يشرك به شيئاً .

ومن آمن بالله آمن من كل شىء .

حضرت بالنصورة في عيمة فيها الشيخ الإمام مفتي الأمام : عز الدين بن عبد السلام - والشيخ مجد الدين بن تقي الدين علي بن وهب القشيري المدرس ، والشيخ عجي الدين بن سراقه ، والشيخ مجد الدين الإخميمي ، والشيخ أبو الحسن الشافلي ، رضى الله عنهم . ورسالة القشيري نقرأ عليهم ، وهم يتكلمون ، والشيخ أبو الحسن صامت إلى أن فرغ كلامهم ، فقالوا :

ياسيدى زريد أن نسبح منك ، فقال :
 أنتم سادات الوقت وكبرائه ، وقد تكلمتم - فقالوا : لايد أن نسبح منك .
 قال : فسكت الشيخ ساعة ، ثم تكلم بالأسرار المعجبة ، والعلوم الجليلة ،
 قام الشيخ عز الدين ، وخرج من صدر الحيمة ، وطارق موضعه ، وقال : اصموا هذا الكلام الغرب القريب العهد من الله . اهـ :

إن كلام أبي الحسن قريب العهد من الله على حد تعبير العز بن عبد السلام .
 أتى أن كلامه إمام من الله ، إنه ليس معلماً مكتسباً من الكتب ، إنه ليس تقليداً ولا توليداً ، إنه ليس نتيجة دراسة وبحث - وإن كان الشيخ قد أطال الدرس والبحث - وليس ثمرة كتب ومنطق - وإن كان الشيخ قد أطال النظر في الكتب ، وأنتم الروية فيها ، وإنما هو إمام وبصيرة ونور من الله سبحانه .

ومن بلوغه هذه المنزلة أو بسبب بلوغه هذه المنزلة كان يقول :
 من لم يزدو بطمه وعمله افتقاراً إلى ربه ، ونواصباً لخلق ، فهو مالك .
 ويقول : لا تركز إلى علم ولا مدد وكن بالله ، واحذر أن تنشر علمك ليصدقك الناس ، وانشر علمك ليصدقك الله تعالى .

.....
 ولطنا جد هذا زريد أن تعرف شيئاً عن هذا الذي يقول عنه العز بن عبد السلام : إن كلامه قريب العهد من الله .

ومن أسلم لله قل ما يصيه ، وإن عصاه اعتر إليه ، وإن اعتر إليه قبل غيره . قهمت حينئذ معنى قوله عز وجل : (وَيَاكَ قَطْمَرٌ) (١) .

ويقول ابن عطاء الله عن أبي الحسن الشافلي :
 ولم يختلف في قطابته ذو قلب مستير ، ولا عارف بصير .

جاء في هذا الطريق بالمعجب المعجاب ، وشرع في علم الحقيقة الأطلاب ،
 ووسع للسالكين الرحاب ، حتى لقد سمعت الشيخ الإمام مفتي الإسلام تقي الدين محمد بن علي القشيري رحمه الله يقول :

«سارابت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشافلي ، ورضي الله عنه . اهـ .
 وإذا كان هنا هو رأي مفتي الإسلام تقي الدين القشيري ، فإن الشيخ مكين الدين الأسمري يقول :

مكنت أربعين سنة يشكل على الأمر في طريق القوم فلا أجد من يتكلم عليه ،
 ويريل عنى إشكاله حتى ورد الشيخ أبو الحسن فأزال كل شيء أشكل على (٢) .
 ولما قدم بعض الدالين على الله إلى الإسكندرية ، والتقى به الشيخ مكين الدين الأسمري قال : « هذا الرجل يدعو الناس إلى باب الله ، وكان الشيخ أبو الحسن يدخلهم على الله » .

على أن الشهادة التي يقدمها عن قدرها أهل الباطن ، وأهل الظاهر وأهل الحقيقة ، وأهل الشريعة ، إنما هي شهادة شيخ الإسلام العز بن عبد السلام ،
 يقول ابن عطاء الله في لطائف اللذني :

وأخبرني الشيخ العارف مكين الدين الأسمري رضى الله عنه قال :

(١) لطائف اللذني لابن عطاء الله ص ١٨ الطبعة التونسية .

(٢) لطائف اللذني لابن عطاء الله ص ٥٨ الطبعة التونسية .

أين يعد هذا الشيخ؟ ما السبيل إليه؟

ابن بغداد . عند عهد العباسيين . كانت دائماً حط أنظار طلاب الدنيا ،

بطلاب الدين .

لقد كانت تضم كبار الفقهاء وأعلام المحدثين . والقسم العوال من الصوفية ،

كـ تضم كبار الساسة والقادة . كان ذلك في عهدهما الزاهر . فهل با ترى هي كذلك

في القرن السابع الهجري؟

وإذا لم يكن فأكمل البريق المادى الأول فهل بها على الأقل من الصوفية من

تضم الطريق عن خيرة؟ ومن يملك بالمريد السبل دون أخطاء؟

وتحمل الرغبة الملحة أبا الحسن على السفر ، إنها هجرة إلى الله ، إنها هجرة

نفس الطلعة الشفافة .

وهي هجرة يسير بها الأمل . ويتخلها الإشفاق . ونصاحبها في كل الأوقات

سئلة لا جواب لها :

هل سيجد الشيخ؟ وكيف يكون؟ وهل سيتقبله الشيخ بقبول حسن؟ وم

ينصح؟ وإذا لم يعده في بغداد فإين يعده؟

وانتهى به المطاف إلى بغداد ، والتقى بالأولياء ، وكان قهتهم في نظره هو

أبو الفتح الواسطي ، يقول أبو الحسن :

لا دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح أبي الفتح الواسطي . فما رأيت

تفراق مثله .

ولكن همه أبا الحسن كانت تسور إلى البحث عن القطب ذاته ، إنه كان يريد

أن يكون قائده هو القطب نفسه ، أين يعد القطب؟

ههو ذا بالمرآة . وهاعم أولاء الصالحون : وأولياء الله يزيدو عليهم كل يوم .

وما هو ذا يرى النور على وجوههم . والصالح يرسم على سياهم . ولكنه لم

إنه على عبد الله بن عبد الجبار . وينتهي نسه إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب .

ولد ببلاد المغرب سنة ٣٩٥ هـ ، بقرية نسي ، حضارة (٣) .

وأخذ يدرس بها العلوم الدينية : وسائل وغايات ، وروع فيها براعة كبيرة .

يقول ابن عطاء الله السكندري عنه :

إنه لم يدخل طريق القوم حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة .

يبد أن هذه العلوم الظاهرة معها بلغت بها الدقة ، ومها بلغ بها العمق ،

لا تقتضى بالنفوس الطموحة إلى الكف عن التطلع نحو عالم الغيب ، واستتراف الآله وأنواره .

كيف يصل الإنسان إلى عالم الغيب؟ كيف يتفهم الإنسان في أموره؟

كيف يتم بحاله ، ويشعر بالروعة في محيط جلاله؟

إن النفوس الطموحة كلما ازدادت علماً ، ازدادت شعوراً بالنقص . والكمال

قه وحده ، ولقد أمر رسول الله ﷺ أن يقول : (رَبُّ زِدْنِي عِلْماً) .

وشعر أبو الحسن بالرغبة الملحة في القرب من الله ، وفي أن يستضيء قلبه بنور

المعرفة ، وفي أن يكشف الله له الحجب .

كيف يروى هذه الرغبة؟ كيف يسير في الطريق؟ من أين يبدأ؟

من أين يبدأ؟

لقد رسم الأول الطريق . إن البدء . البدء الميسر السهل . البدء الذي يأمن

الإنسان عواقبه . إنما يكون طريقه خبير سير الطرق ، ومحص السبل ، وكشف عن

المزائق والأخطار . واستار قلبه بالطريق القاصد إلى الله .

(٣) بلدة سفوية : قرية من مدينة نسي .

فأخلفني منه الدعش ، فأقمت عنده أياماً إلى أن فتح الله علي بصيرتي .

من هو ذلك العارف بالله ؟

من هو هذا القطب ؟

لا بد من قِيَمَاتٍ عَاطِقَةٍ مِنْ نُورِهِ ، وَغَسَّةٍ خَفِيَّةٍ فِي لَأَلَاهِ :

إنه الولي الكبير سيدنا عبد السلام بن مشيش : يقول عنه صاحب الدرر

النية : « هو القطب الأكبر ، والمعلم الأشهر ، والطود الأظهر العالي الشام :

وهو البدر الطالع الواضح البرهان ، الفقي عن التصريف والبيان ، المشتهر في

الدنيا قلده ، والذي لا يختلف في غويته اتقان .

وطريقته تزيان شاف لأدواء العباد ، وذكره رحمة نازلة في كل ناد .

سرى سره في الآفاق ، وسارت بمتابعه الزكيات والرفاق .

قضى عمره في العبادة ، وقصدته للاضطلاع به أهل السعادة :

وكان رضى الله عنه في العلم في الغاية ، وفي الزهد في النهاية ، جمع الله له

الشرفين : الطيب والدينى ، وأحرز الفضل المحقق اليقنى ، اهـ .

ولقد كان مقام ابن مشيش في المغرب كمكان الشافعى بمصر ، على حد تعبير

ابن عباد في المفاتيح العلية .

كان ابن مشيش متمسكاً بالكتاب والسنة ، عادلاً بهما ، ملتزماً لهما وهو

الدائل : أفضل الأخصال : أربعة بعد أربعة ، المحبة لله ، والرضا بقضاء الله ،

والزهد في الدنيا ، والتوكل على الله ، هذه أربعة .

وأما الأربعة الأخرى : فالقيام بفرائض الله ، والاجتناب لمحرم الله ، والصبر

عسا لا يخفى ، والورع من كل شيء ، بلهى ^(٥١) .

(٥١) عن كتاب : أبو الحسن هشام للأستاذ على سالم صدار :

يعد القطب وهو مطلوبه . وذات يوم ..

وذات يوم قال له أحد الأولياء :

إنك تبحث عن القطب بالبراق مع أن القطب ببلاك . ارجع إلى بلادك

من فينا نختمه ^(٥٢) .

وعاد أبو الحسن من حيث أتى . عاد يحدوه الأمل ، ويضروه الرجاء . لقد

صلى الولي الذي أنبأه بأن القطب في بلاده . وبأنه سيجده عند عودته ...

وعاد يسرع الخطا ويستحث الوصول .

ها هو ذا بخاره من جليد يسأل عن القطب القبل والمدير ، والراجل والمقيم :

أقول أكاد اليوم أن أبلغ المدى فيبعد عني ما أقول أكاد

أناقلكم عنها فهل من عبر لئلا ينم مد نأت دارها علم

قلو كنت أدري أين خيم أهلها وأرى بلاد الله - إذ ظنوا - أموا

اذن لسلكنا مسلك الريح عطفها ولو أصبحت تم ومن دونها النجم

وذات يوم .. يقول أبو الحسن :

لما قدمت عليه وهو ساكن بمغارة في رأس جبل ، اغتسلت في عين بأسفل

ذلك الجبل ، وخرجت من علمي وصل ، وطلعت إليه قتيلاً ، وإذا به حابط

إلى ، وعليه مرتقة ، وعلى رأسه قلنسوة من خوص ، فقال لى :

مرحباً بعل بن عبد الله بن عبد الجبار . وذكر نسبي إلى رسول الله ﷺ . ثم

قال لى :

يا على طلعت إلينا قتيلاً من علمك وصلك ، فأخذت منا غنى الدنيا والآخرة .

(٥٢) درة الأبرار ص ٢٢ .

وليتأمل القارئ في مدى انغماس سيدنا ابن مشيش في النور ، وما وصل إليه من الفضل الإلهي ، وذلك فيما يأتي من مرويات الإمام الشيرازي :

يقول أبو الحسن الشاذلي : أوصاني أستاذي ، رحمه الله تعالى ، فقال :
« حدد بصر الإيمان بحمد الله في كل شيء ، وعند كل شيء ، ومع كل شيء ،
وفوق كل شيء ، وقريباً من كل شيء ، ومحيطاً بكل شيء » .

يقرب هو وصفه ، وبإحاطة هي نعته ، وعد عن الظرفية والحدود ، وعن الأماكن والجهات ، وعن الصحبة والقرب بالمسافات ، وعن الدور بال مخلوقات .

والمحق الكل بوصفه : الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن . كان الله ولا شيء معه . اهـ .

أما صاحب لطائف المنن ، فإنه يروي عنه حديثاً جميلاً عن المحبة ، حديثاً يشعرك بأن المتحدث قد جال في ميدان المحبة جولة صادقة ، وسار في طرقاتها سيراً موفقاً ، ورتع في رياضها وشرب من حياضها فأطال الشرب ، يقول صاحب اللطائف :

وقال الشيخ القطب عبد السلام بن مشيش شيخ الشيخ أبي الحسن ، رضى الله عنهما : « الزم الطهارة من الشرك ، كلما أحدثت تطهرت من دنس حب الدنيا ، وكلما ملت إلى الشهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدت بالهوى أو كذبت .

وعليك بمحبة الله على التوقير والتزاهدة وأدمن الشرب بكأسها مع السكر والصحو ، كلما أفقت أو تيقظت شربت ، حتى يكون سكرك وصحوك به ، وحتى تنيب بجباله عن المحبة وعن الشراب والشرب والكأس ، بما يبدو لك من نور جلاله وقدس كمال جلاله » .

ولعل أحدث من لا يعرف المحبة ، ولا الشراب ، ولا الشرب ، ولا الكأس

ولا السكر . ولا الصحو . قال له القائل :

أجل . وكمن من غريق في شيء لا يعرف بفرقه . فعرفني وتبين عما أجهل .
أولما من به على وأنا عنه غافل ؟

قلت لك نعم . المحبة آخذة من الله تعالى . قلب من أحب بما يكشف من نور جلاله . وقدس كمال جلاله .

وشراب المحبة : مزج الأوصاف بالأوصاف . والأخلاق بالأخلاق . والأنوار بالأنوار . والأسماء بالأسماء . والنوعت بالنوعت . والأفعال بالأفعال . ويتسع فيه النظر لمن شاء الله عز وجل .

والشرب سقى القلوب والأوصال والعروق من هذا الشراب . حتى يسكر ويكون الشرب بالتدريج بعد التدبيب والتهديب . فيسقى كل على قدره .

فمنهم : من يسقى بغير واسطة . والله سبحانه . يتولى ذلك منه له .

ومنهم : من يسقى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء والأكابر من المقربين .

فمنهم : من يسكر بشهود الكأس ولم يذوق بعد شيئاً . فما ظنك بعد بالذوق . وبعد بالشرب . وبعد بالرؤى . وبعد بالسكر والمشروب ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى . كما أن السكر أيضاً كذلك .

والكأس مفرقة الحق . يعرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافي لمن شاء من عباده المخصوصين من خلقه .

فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة . وتارة يشهدا معنوية . وتارة يشهدا علمية .

فالصورة : حظ الأبدان والأنفس .

والمعنوية : حظ القلوب والعقول .

والعلمية : حظ الأرواح والأسرار .

ورأيت له خرق عادات كثيرة . فبما أنني كنت يوماً جالساً بين يديه ، وفي حجره اس له صعب يلاجه .. محطر بيالي أن أسأله عن اسم الله الأعظم . قال :

فقال لي الوليد . **يروه** بيديه في طرق . وهزني . وقال :

يا ابن الحس . أنت أرويت أن تسأل الشيخ عن اسم الله الأعظم . ليس الشأن أن تسأل عن اسم الله الأعظم . إنما لئلا أن تكون أنت هو اسم الله الأعظم .

يعني أن سر الله مودع في قلبك .

قال قيسم الشيخ وقال لي : « جاوبك فلان عنى » اهـ .
ورسم ابن مشيش حياة أبي الحسن فيما يستقبله من أيام . وذلك أنه حينما

انتهت مدة إقامة أبي الحسن قال له :

يا على ، ارتحل إلى إفريقية ، واسكن بها بلداً تسمى شاذة ، فإن الله عز وجل يسبك ، الشاذل . وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس ، ويؤذن عليك بها من قبل السلطنة .

وبعد ذلك تنتقل إلى أرض المشرق . وبها ترث القطاية .

وبعد ذلك أصبح ابدى رسمه ابن مشيش وهو ينظر إلى العيب سور الله قد تحقق حرفياً . وسنسير معه الآن خطوة خطوة

ولا ننسى . قبل أن نصاحب أبا الحسن إلى شاذة أن نذكر أنه لا حان موعد العراق حاطب أبو الحس شبحه قاتلا : يسيدى . أوصنى فقال له : « يا على . الله الله . والناس اسس . به لسات عن ذكروهم وقلبك عن الخليل من قيلهم وعلبك يحفظ الجوارح وأداء الفرائض . وقد تمت ولاية الله عندك .

ولا نذكرهم إلا بواجب حتى الله عليك ، وقد تم ودعك .
وقل : اللهم أرحنى من ذكروهم . ومن العوارض من قيلهم . وبنحى من

فبإله من شرب ! ما أعده ! فطوني لم شرب منه وداوم عليه ولم يقطع عنه معه . فقال الله عز وجل فضله . ذلك فضل الله يؤتية من يشاء . والله ذو الفضل العظيم

مكتوبة يجمع جماعة من المهين يسيئون من كأس واحدة .

وقد يسيئون من كأس كثيرة . وقد يسقى الواحد بكأس وكثوس .

وقد تختلف الأشربة بحسب عدد الكؤوس ، وقد يختلف الشرب من كأس واحدة وإن شرب منه الجيم الفير من الأجمة^(١) .

ويروى الشيخ أبو الحسن مايلي : « دخل رجل على أستاذي فقال له : وظف لي وظائف وأوراداً . فنضب الشيخ منه . وقال له :

أرسول أنا . أوحب الواجبات ؟

الفرائض مطومة . والمعاصي مشهورة . فكر للفرائض حاطلاً . وللمعاصي راضياً . واحفظ قلبك من إرادة الدنيا . وحب النساء . وحب الجاه . وإيثار الشهوات . واقنع من ذلك كله بما قسم الله لك . إذا خرج لك عرح الرضا فكر لله به شاكرأ . وإذا خرج لك عرح السخط فكر عن صابراً .

وحب الله قلب تمور عليه الخيرات . وأصل جامع لأتوار الكرامات . ومصلو ذلك كله أريمة :

صديق الورع . وحسن البية . وإخلاص المسئل . وعبية العلم .

ولا تم لك هذه الجملة إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح . اهـ .

واقف بهر ابن مشيش أبا الحسن الشاذل . بهر يعلمه السيد على الكتاب والسنة . وبهرو بولايه وكراماته . يقول أبو الحسن . كما يروى صاحب كتاب درة الأسرار :

شهرهم ، واعتنى بمجربك عن خيرهم ، وتروى بالخصوصية من بينهم ، إنك على كل شيء قدير .

و درود علی شیخ شیخه ، وسار وقد وضع أمامه الطريق .

إن سيوه لأن ليس كسيروه إلى العراق ، إنه الآل يسير على هدى من أمره ، وإدراكه شيخه قد أذره باطلا له في تونس فإنه بشره بالمعاقبة الحبيدة في أرض الشرق . أما الفترة التي يقضيها بشاذلة ، فإنها ، فيما يبدو ، فترة صقل لا بد منه ، إنها فترة عبادة وسك على الخصوص ، وذلك أساس ضروري لكل من أراد السام الخالد .

وما من شك في أن أما الحسن . وقد هيا الله له سل الهداية عابداً أو مهاجراً وساغناً في سبيل الله ، كان منار هداية وبموت نور أبنا حل ، خصوصاً بعد أن هداه الله إلى ابن مشيش ..

ولكنه لم يكن بعد قطعياً .. فالقطابة سيرتها في أرض الشرق . ولقد كان الشيخ نفسه يشعر بحاجة إلى المجاهدة . وذلك شيمة كل عخلص . إن المخلصين وإمامهم رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، يشعرون ، مهما لملوا ، أنهم في حاجة إلى مزيد من فضل الله :

(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) .

وطريق زيادة العلم بالنسبة لأولياء الله ، إنما هو الجهاد في الله .
(وَالَّذِينَ جَاءَهُمْ بَيِّنَاتُ فَهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ) .
وقد مع ذلك منح وموابح لا تتعلق بسبب ولا تنزيب على عمل .
ومن أجل ذلك فإنه بمجرد أن وصل شيخنا إل شاذلة ، ورأى الضائف الناس ولقد كان بعضهم يتربح حضوره قبل عجيته دون أن تكون هناك أخبار عن حضوره - وطن العزم على أن يكون في محيط شاذلة لا في المدينة نفسها .

فصار إلى جبل زغوان وصحبته في رحلته هذه ، أبو محمد عبد الله بن سلامة الحبيبي من أهل شاذلة ، وكان رجلاً نقياً صالحاً مكاتباً .

أما رحمة أبي الحسن إلى جبل زغوان فإن لها عائدتين :
الأولى : هي تفرعه للعبادة ، ولا بد من هذا التفرغ مدام الإنسان لم يأته الإذن بعد بالدعوة ، لأنه من التفرغ لاستكمال نقص ، أو للبعد عن الفتنة ، أو للتغلب على آثار هوى .

ولابد من هد الصرع استجماً روحياً . وعلاجاً فسيماً ، وبعثاً لكوا من من الفضائل .

ولا بد من هذا الصرخ ، ليرق في مدارج السالكين ، وليحقق العروج في مدارج القدس ، وليسرع الخطا متخرجاً في منازل الأرواح .
ولا بد من هذا الصرخ مراراً إلى الله . (صبروا إلى الله) . (وَعَجِبْتَ إِلَيْكَ رَبِّ

بِرُحْمَى) .

أما القائمة الثانية من الذهاب إلى جبل زغوان فإنها منع اللاهية المنطة الخلو من على مائدة الشيخ الروحية ، ذلك أنه لن يذهب إلى جبل الشيخ إلا عجب للمعرفة ، جاذ في طلبها .
وما كان الشيخ على الجبل محجوراً عمن يريد لقاءه ،

لنفسه الفرصة للتعبد والمجاهدة .
وأخذ الشيخ يتبهد على هذا الجبل دهرأ طو
الصالح أبو محمد الحبيبي ، الولي المكاب
شاذلة ، وهو الذي روى من كوا

(٢٧) دوة الأسرار .

من
بعض
الشيخ
الذي
روى
هذا
المرور
في
تاريخ
الشيخ
الحبيبي
ص ١٠٤

إن اللامكة تنزل على كل إنسان في هذه الحياة الدنيا بشرطين :

١ - الإيمان .
٢ - الاستقامة (٥٧)

ويقول الإمام الغزالي عن خبرة وبجربة عما يشاهده المرید الصادق في أول

طريقه إلى الله :

« ومن أول الطريق تبدئ الكاشفات والشهدات ، حتى أنهم لا يتخطهم

بشاهدون اللامكة ، وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتاً ، ويتسرون منهم

بوائده » .

ثم يتوق الحال إلى (٥٨)

وانتهت المدة التي قدر الله أن يقضيا الشيخ شاذلة ، وما كانت هذه المدة إلا

نقرة استمداد وتدريب وصقل روحي ، فلما تم ذلك كان لا مناص من الانتقال من

الاستمداد إلى الصل .

وأمر الشيخ بأن ينيط في الأثني بمد أن ارتفع إلى السماء ..

وإن حياة الأولياء الكمل لسير على هذا النسق : ارتفاع إلى الله أولاً ، ثم

هجرة إلى الله : « وَقَالَ أَيُّ شَهِيجٍ لِي رُبِّي » ، فهاب إليه سبحانه :

(وَقَالَ أَيُّ ذَائِبٍ لِي رُبِّي) ، فرار إليه تعالى : (فَخَرُّوا إِلَى اللَّهِ) .

إنها فرار إلى الله بالنسب والنسك ، بالصلاة والصيام ، بالقرأة والتسبيح حتى

يخلو القلب عما سوى الله ، ويحظى بالله .

إنها فترة العار والنحت ، حتى إذا امتلأ القلب بالله ، وتطهرت النفس من

الرحس أجمع ، وورث الشيطان بالجمرات ، فأصبحت خيراً بئناً ، ونوراً يستضاء

به ، كانت المرحلة الثانية : مرحلة الرجوع إلى عبدة الله للهداية والإرشاد ، فيؤمر

(٥٨) مرة الأسرار ص ٢٨ .

(٥٩) لفظ من الضلال ص ١٢٩ كلمة الخسة : دار الكعب الحبية .

ويقول صاحب كتاب حرة الأسرار :

لما حكى عنه قال : قرأ الشيخ يوماً على جبل زخوان سورة الأنعام إلى أن بلغ

إلى قوله تعالى : (وَإِنَّ لَكُم لَعَذَابًا لَّا يُوْعَدُ بِهَا) .

أصاه حال عظيم ، وجعل يكررها ويتحرك ، فكلما مال إلى جهة مال الحبل

عمرها حتى سكن الجبل .

« وقد كان أبو محمد الحلي يتحدث عن كرامات الشيخ في هذه الفقرة . فإذا

ماسكت سأله الناس واستزادوه

وما كانت حياتها على الجبل إلا على نباتات الأرض وأعشابها . حتى أنه لقد

كانت أشدق أبي محمد الحلي تفرح أحياناً ويشفق عليه أبو الحسن ويرل معه إلى

شاذلة ليجد الفداء الذي لا يصر به

وإن حياة جهاد في الله كهله . لاند لها من تمارها من الكرامات . ومن شفاية

النفس . ومن القرب من الله . ومن رضوانه سبحانه .

وليس بغريب إذن أن نعرف أن الله سبحانه أبلغ لما عينا تجري بهاء عذب

وإن كانت اللامكة - يراها الحلي - تحف بأبي الحسن بعضها بسأله فيجيبه ،

وبعضها يسير معه .

وليس بغريب أن تأتي أرواح الأولياء زرافات ووحداً - يراها الحلي أيضاً -

تحف بأبي الحسن وتترك به .

وما كان الحلي وإماماً في ذلك ، وما كان ما يراه سراياً لا حقيقة له . ولا هما

تجسد ، أو عيالاً تبلور ، كلا . فإن الله سبحانه وتعالى يقول :

(إِنْ أَلِدْكُمْ فَأَلِدُوا رَبَّنَا ثُمَّ اسْقُوا تِلْكَ عَنُقَهُمْ اللَّامِكَةَ أَلا تَتَّقُوا

وَلَا تَحْزَنُوا وَاتَّبِعُوا بِالْحَيَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . تمنن أوليائكم في الحياة الدنيا

وفي الآخرة)

الولى أن يترك الحلوة والرزلة ، ويتزل إلى الميدان مؤعباً من الله ، يدعوه إليه على صبرة ، ويرشد مأذوناً مأثوراً .

وعنكى أبو الحسن كيفية نزوله من جبل زخوان ومغادرة النزلة فيقول :

فيل لى : يا على : اميط إلى الناس يتصموا بك .

فقلت : يارب ألقني من الناس فلا طاقه لى بمخاطبتهم .

فيل لى : أنزل فقد أصبحاك السلامة ، وفضنا عنك اللامة .

فقلت : تكلفنى إلى الناس أكل من درهمائهم .

فيل لى : أتفق يا على ، وأنا للملئ . إن شئت من الجيب وإن شئت من

الغيب .

ورول الشاذلى رضى الله عنه من على الجبل ليعاثر شاذلة ، ويستقبل مرحلة

جديدة ، فقد انتهت المرحلة الأولى التى رسمها له شيخه .

وقيل أن مغامر معه شاذلة إلى رحلته الجديدة تذكر الحكاه رضى الله عنه فيما

يتعلق بنسبته إلى شاذلة ، قال :

قلت : يارب لم سميتنى بالشاذلى . ولست بشاذلى .

فيل لى : يا على ، ما سميتك بالشاذلى وإنما قلت الشاذلى ، بشديد الدال

المسجمة ، يعنى : المرود لحسنى ومعنى

سافر الشيخ من شاذلة إلى تونس موطناً النفس على تحمل الابتلاء الذى

ميصادفه فى تونس ، والذى أنبره به شيخه بقوله :

وويؤتى عليك بها من قبل السلطنة .

وما كان الشيخ يجهل مدينة تونس ، فقد ذهب إليها من قبل ، ومكث فيها ،

وهاله ما كان بها من فقر ومسغبة ، وحاول ما استطاع أن يخفف من لوعات الجوع

بى الجياح . وتقول الروايات : إنه قال بها الحضر عليه السلام . وأن الحضر

نقده فيها من مازق كان فيه بسبب أريجته وكرمه .

لقد ذهب إلى تونس من قبل غير موجه ، ذهب كما يذهب الناس ، ولكنه

لأن قاصته بالأمر ، ثم هو ذاهب الآن للدعوة ، وقد أذن بها ، فقد سمع النداء :

يا على اميط إلى الناس يتصموا بك .

ومن للملوم - فى الأعراف الدينية - أن الدعاء على قسرين :

١ - دعاء إلى الله قد أذن الله لهم فى نطاق الإذن العام ، أو الواجب العام ،

ل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهؤلاء يتفاوت تأثيرهم بتفاوتهم فى صفاء

النفس ، وفى طلاقة اللسان ، وفى العلم بالكتاب الكرم والسنة الشريفة ،

وبعضهم لا تأثير له قط ، لأنه لم تصف نفسه ، أو لأن به لكفة ، أو لجهله الكتاب

والسنة ، أو لتغير ذلك من الأسباب .

٢ - والقسم الثانى : من الدعاء هم الذين يدعون على بصيرة ، وهم الذين قد

نوا ياذن خاص ، وأمرؤا بأمر خاص : إسم هؤلاء الذين سموا النداء ، وهم لم

يسموا النداء مصادقة وانفاقاً ، كلا ، إنهم جاهلوا أنفسهم حتى أطاعت ، وغلبوا

فطوهم بالطاعات حتى استتارت ، وأصبح سرحم مع الله فأضحوا من أولياته .

وهم يتظنون الإذن فى كل شىء من الأمور ، حتى المباح منها فضلاً عن الإذن

خاص بالدعوة .

يقول أبو الحسن مفسراً معنى الإذن فى المباح ومعنى الإذن فى حتى الول : نور

يسط على القلب يحلقه الله فيه وعليه ، فيمتد ذلك النور على الشىء الذى يريد

يلزكه نور مع نور ، أو ظللة تحت نور .

فذلك النور يبينك أن تأخذ إن شئت ، أو تترك أو تقبل أو تدبر ، أو تعطى أو

تنتج ، أو تقوم أو تجلس ، أو تسافر أو تقيم .

هذا باب المباح المأذون فيه بالتخيير .
 فإذا قارنه القول تأكد الفصل المباح بمراء الله تعالى .
 فإن قارته نية صحيحة لقليل ، يبرز عن حكم المباح وطاقه متصوفاً .
 وإن ظهرت الظلمة تحت النور الممتد من القلب ، فلا يتخلو أن يلوح عليها لائح
 القبض بانقباض القلب فاحذر ذلك وتجنبه ، فإنه الملهور أو يكاد .
 ولا تقطع ذلك إلا بيئة من كتاب الله عز وجل أو سنة أو إجماع ..
 فإن تلك الظلمة شبه غيم لا يصدع معه القلب ، ولا يضرع به الدهن حديد
 عنه فإنه يكاد يكون مكروماً .

ولا تحكم بعقلك ودأبك فقد ضل من هنا خلق كثير . اهـ .
 وأصحاب هذا النور ، يدهون إلى الله بكياتهم كله .
 إن صمتهم دعوة إلى الله ، وإن سيرهم دعوة إلى الله ، وإن جلوسهم دعوة إلى
 الله ، وإن عملهم دعوة إلى الله ، وإن حديثهم دعوة إلى الله .

ويستجيب لهم الناس سراحاً بمقدار ما في قلوبهم من خير ، وما في أقدتهم من
 إيذان ، وينأى عنهم من ليس له في الخير نصيب ، وعارهم من حقت عليه كلمة
 المطالب .

لقد أمر أبو الحسن بالدعوة ، ويعبر أن دخل تونس لخص حوله مباشرة
 جماعة من الفضلاء ، منهم الشيخ أبو الحسن علي بن عثوف الصقل ، وأبو عبد الله
 الصائون ، وأبو محمد عبد العزيز الزينوني ، وأبو عبد الله البجالي الحياطي ،
 وأبو عبد الله الجارحي .

كلهم أصحاب كرامات ، على حد تصبير صاحب درة الأسرار . وكان من بينهم
 الشيخ الصالح أبو الزائم ماضي تلميذ الشيخ وخادمه .

ثم كثر المریدون ، وأخذوا يزادون يوماً عن يوم ، إلى أن اجتمع عليه خلق
 كبير ، ثم ...

ثم بدأت الفتنة تدب في قلب ابن البراء ، قاضي القضاة . وكلما ازداد إقبال
 الناس على أبي الحسن اشتدت العيرة في قلب هذا الرجل إلى أن أصبحت تنهشه
 بشاً ، فضصف أمامها ، وأعلن الحرب على أبي الحسن .

كان ابن البراء قديماً وكان إذ ذلك ، قاضي الجماعة ، وكان يعد نفسه الزعيم غير
 منازع ، وكان منصبه الرسمي يعطى أنه الزعيم الديني الأكبر . وكان يتم بهذه الزعامة
 التي أتته عن طريق الدين . والتي كانت في حقيقة الأمر زعامة أشبه بالدينية منها
 بالدينية . وكان ابن البراء يتخيل أو يتوهم أن له شعبية مع ماله من منصب رسمي ،
 ظملاً رأى الصفاف الناس تأتي الحسن صوّراً له تخياله أن الشاذلي انتزع منه الزعامة
 الشعبية . ولما كان الشاذلي من العلماء في الفقه والتفسير والحديث ، ولما كان يفتي
 ويشرح ويفسر فقد خيل إلى ابن البراء أن ليس هناك ما يمنع من ناحية الشخصية
 أو من ناحية العلم من أن يتولى أبو الحسن منصب ، قاضي الجماعة ، وما المانع ؟
 وما الذي يحول دون ذلك ؟

وأخذ الوسواس مأخذه ، وسولت النفس الأتارة بالسوء ماسرولت ، فأظن
 ابن البراء الحرب على أبي الحسن .

ولم تتخذ الحرب سبيلاً شريفاً ، فإن ابن البراء حينما رأى أنه لا يمكنه القضاء
 على أبي الحسن علمياً أخذ يدس له عند السلطان ، لقد صوّر للسلطان أنه في طريقه
 إلى أن يصبح زعيماً شعبياً خطيراً . والأمر ليس إلا أمر زمن فكلمنا من الزمن ازداد
 تنكراً وشعبية !

وإنه يدعى الشرف . وقد اجتمع عليه خلق كثير ، ويدعى أنه الفاطمي .
 ويشوش عليك بلادك . ومعنى هذا أن الملك في خطر

ثم دخل على الشيخ وأخذ يفتخر إليه ويبرضاه ، فأعلم الشيخ موقفه من مثل هذه الأمور ، وبين لأسي السلطان أن الكون وما فيه ومن فيه في قبضة الله الكبير المتعال وقال له : « والله ما يملك أخوك لنفسه نعماً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، فكيف يملكها للغير ، كان ذلك في الكتاب مسطوراً » .

وخرج الشيخ إلى داره في اليوم نفسه ، واستمر كعادته في الإرشاد والنصح والتدريس . ولكن ابن البراء لم يكف عن الإيذاء فكان الشيخ يقابله دائماً بما جبهه الله عليه من التسامح ، وكان يلقى عليه السلام إذا صادفه في مكان ما ، فلا يرد ابن البراء عليه السلام .

وعزم الشيخ على الحج فأمر أصحابه بالنقل إلى المشرق قبل موعد الحج برهن طويل وذلك ليكث بمصر فترة من الزمن قبل الذهاب إلى الديار المقدسة . وبدأ الركب يتحرك . ونهضت تونس مودعة . وكانت حركة . وكان ضجيج . وعلت تونس كلها أن أبا الحسن راحل . وعلم السلطان فيمن علم . وطس أن أبا الحسن يريد الخروج هائثاً من تونس موقع الرعب في قلبه وأسرع توجيه وفد يريجه في العودة . فقال الشيخ : « ماخرجت إلا نية الحج إن شاء الله تعالى . ولكن إذا قضى الله حاجتي أعود إن شاء الله » .

يقول صاحب درة الأسرار :
« لما توجهنا إلى المشرق . وودعنا الإسكندرية . وصل ابن البراء عقداً بالشهادة أن هذا الواصل إليكم شوش علينا ملاداً وكذلك يفعل في بلادكم »
فأمر السلطان أن يعقل بالإسكندرية . فأقنا بها أياماً .

وكان السلطان رضى رية على أشياخ في البلاد يقال لهم : القبائل . فلما صحروا بالشيخ أتوا إليه بطلبونه في الدعاء فقال لهم :
عداً إن شاء الله نساقر إلى القاهرة ونحدث مع السلطان فيكم

لأرب أيضاً في أن المقادير ربت هذا ساعة أن مع الشيخ من الخروج . معناه موتها وكأنه عقاب للسلطان على ستمه الشيخ من الخروج .

أهي كرامة ؟ وماذا تكون الكرامة غير ترتيب مقادير . أو تصرف مقادير . أو تدبير مقادير ؟

(أنا كل شيء خلقاً بقتري) . أتري للمصادفة دخل مع هذه الآية العامة ؟ لقد جاء أجل الجارية . فانت من حينها . فأصيب من أجلها . ففعلت وبيت سكناه . واشتغلوا بفسلها وتكفيها . وأخرجوها للصلاة .
وأغفلوا مجسراً في البيت (١١٠) .

لقد كان تدبيراً منذ الأزل أيضاً . حدث في اللحظة التي قدرنا العناية الإلهية . وكانت هذه اللحظة هي التي يجلس فيها الشيخ مصلياً مبتلاً وكأنه يحب الظاهر - في سجن وإن كان في قصر الملك .

يقول صاحب درة الأسرار : « وأغفلوا مجسراً في البيت : فالتبت النار . لم يشعروا حتى احترق كل مافي البيت من الفرش والياب وغير ذلك من الذخائر فعلم السلطان أنه أصيب من قبل هذا الولي » (١١١) هـ .

وكان للسلطان أخ عاقل صالح حدين يحب أولياء الله ويسمى إليهم . وكان يحب الشيخ . ويتبرك به . ويؤزوه سرشداً . ومستصحباً . وكان في هذا اليوم في خارج المدينة . يتفقد بساينه . ويتزه فيها . فبلغه خبر ما جرى في قصر السلطان من مناقشات ومن حوادث فحضر مسرعاً والتقى بأخيه وقال له :
« ما هذا الأمر الذي أوقعت فيه ابن البراء . أوقعت والله في الهلاك أنت وكل من معك » .

(١١٠) درة الأسرار ص ٣٠

(١١١) درة الأسرار ص ٣٠

قال : ضارنا ، وخرجنا من باب السيرة والجماعة فيه والوال ، ولا يدخل أحد ولا يخرج حتى يُقتش . فلا كَلَمْنَا أحد ولا علم بنا .
 لما وصلنا إلى القاهرة أيا القلعة فاستأذن على السلطان . قال كيف وقد أُرما
 أن يعقل بالإسكندرية .

فأدخل على السلطان والقضاة والأمراء ، فجلس معهم ونحن ننظر إليه قال له
 الملك : ما تقول أيها الشيخ :

فقال له : حفت أشنع إليك في القتال

فقال له : أشنع في نفسك ، هذا عقد بالشهادة نيك ، وجهه ابن البراء من
 تونس بعلامته فيه ، ثم ناواه إياه .

فقال له الشيخ : أنا وأنت والقبائل في قبضة الله .
 وقام الشيخ !

ولما مشى قدر المشرين خطوة حركوا السلطان فلم يتحرك ولم ينطق ، فبادروا
 إلى الشيخ وجعلوا يقبلون يديه ويرضونه في الرجوع إليه ، قال : فرجع إليه ،
 وحركه يده ، فحرك . ونزل عن سريره ، وجعل يتخطه ويرغب منه في الدعاء ،
 ثم كسب إلى الوالى بالإسكندرية أن يرفع الطلب عن القبائل ورود جميع
 ما أخذته منهم ، وألغنا عنده في القلعة أياماً
 واهتزت بنا الديار المصرية ، إلى أن طلعت إلى الحج .

ورجعنا إلى مدينة تونس (١١٢) .

رجع الشيخ إلى مدينة تونس واستمر بها هادياً . مرشداً . داعياً إلى الله
 ورسوله . ولكن ثورة ابن البراء لم تهدأ بل على العكس . زادت بنسبة زيادة أنوار

الشيخ وزيادة أتباعه . وفي هذه الأثناء قدم إلى تونس الشيخ الولي أبو العباس
 الرضى فلما اجتمع الشيخ به ورآه . قال

« ما روى لتونس إلا هذا الشاب ، هذا الشاب الذي لازمه ظم بفارقه منذ لقائه
 إلى أن انتهت بالحياة فكان الخليفة بعده ، واستمر الشيخ بتونس لا يزال
 يكاتد ابن البراء ، وكان يعلم أن مقامه مؤقت بناء على ما ذكروه له شيخه
 كما سبق . ولكنه كان مقبلاً بتظار الإذن بالسفر ، وما كان له ، وقد حضر إلى
 تونس من الحج ، واستقر به للمقام بها ، أن يسافر إلا بإذن .

وأق له الإذن ، يقول رضى الله عنه : رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي :

« يا عجل انتقل إلى الديار المصرية ترى فيها أربعين صديقاً .

ويرضم أنه كان في زمن الصيف وشدة الحر فإنه أمر أصحابه بالاستعداد للسفر ،
 طمأن ذلك في سرعة سريعة ، سافر الشيخ إلى الديار المصرية .

•••••

وصل الشيخ إلى الإسكندرية ، يقول صاحب درو الأسرار :

« وكان مسكنه رضى الله عنه بالإسكندرية يهيج من أبراج السور ، حبه
 السلطان عليه وعلى ذريته ، دخلته عام خمسة عشر وثمانمائة ، في أسفله ما جل كبير
 ورباط لليائم ، وفي الوسط منه مساكن للفقراء وجامع كبير وفي أعلاه أطلية
 لسكناه ولعياله ، وتزوج هناك وولد له أولاد .

منهم الشيخ شهاب الدين أحمد ، وأبو الحسن علي ، وأبو عبد الله محمد
 شرف الدين أدركه بلسنهور فاطماً بها . ومن البنات زينب ولها أولاد رأيت
 بعضهم ، وعمرية الخير أدركتها بالإسكندرية وما عرفت غير هؤلاء . اهـ .

أما نوع معيشته في الديار المصرية فإنه يصفها في إحدى رسائله إلى بعض
 أصدقائه بتونس ، وهي رسالة طويلة يقول فيها رضوان الله عليه :

والكتاب إليكم من النثر (١٣) . حرسه الله . ونحن في سوانح نعم الله نتقلب . وهو معصله ويوده إليا يتحجب . قد أتى علينا وعمل أحيانا كتفه . وجعلنا عنده فما ألقاه ! ندعوه فليينا ، وبالمطام قبل السؤال ينادينا ، فله الحمد كثيراً كما يبسبى لوجهه الكريم . وجلاله العظيم .

وأما الأهل والأولاد والأصحاب والأحباب ففي سوانح نعم الله يتقلبون وبالحنان ظاهراً وباطناً مغفورون ، نسال الله المزيد التام العام لكم ولهم أحسين . وأن ينوب عنا في شكره ، إنه أكرم الأكرمين (١٤) اهـ

ولقد كانت إقامته بمصر مصداقاً لما نودي به حينما دخلها . يقول رضى الله عنه : « لما قدمت الديار المصرية قيل لى :

يا على . ذهبت أيام الحزن . وأقبلت أيام الفرح . عشر معشر . اقتداء بمدك ^{عليه السلام} ، اهـ

ولقد كانت مصر حينئذ نعت بمجموعة من أكرم العلماء وأفضلهم علماء وحنفاً وصلاحاً ، مجموعة وهبت قسماً قد وأسلمت قيادها له . فأحاطها الله بعبائته . وتكفلها برعايته ، ووضع حينها في قلوب الناس ، ووضع مهايتها في أفئدتهم . فكانت محبوبة مهيبة .

ولقد استقبلت هذه المجموعة أبا الحسن أجمل استقبال وأحسه . ورافته متملذة ومتأخية : يقول صاحب المعاني العلية نقلاً عن ابن مقبرل :

« إن الشيخ رضى الله عنه . لما قدم من المغرب الأقصى إلى مصر صار يدعو الخلق إلى الله تعالى ، فتصاغر وخفض لدعوته أهل المشرق والمغرب قاطبة ، وكان يحصر مجلسه أكابر العلماء من أهل عصره مثل سيدى الشيخ عز الدين

(١٣) بنى : الإسكندرية
(١٤) مدة الأسرار .

عبد السلام ، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، والشيخ عبدالمعطي المدرى ، والشيخ نبيه الصلاح . وابن الحاجب . والشيخ جمال الدين عصفور . والشيخ نبيه عيسى بن عوف . وهؤلاء سلاطين علماء الدين شرقاً وغرباً في عصرهم . وأيضاً

شيخ محي الدين بن سراقه . والشم ياسين تلميذ ابن العزق رضى الله عنهم . وكانوا يحضرون مبعاده بالمدرسة الكاملة بالقاهرة - لازمين الأدب - مصيحين

، متلمذين بنى يديه . وأن الشيخ الإمام قاضي القضاء بدر الدين بن جماعة الولي بن لولى رحيمهم الله كان يرى أنه في ركة الشيخ أبى الحسن لى مصر وكان يعتمر

صحبت . ويحضور حازنه والصلاة عليه بحميرة (١٥) . ويقال للشيخ من الملح فيقاله أمير العلماء العز من عبد السلام في موضع يقال

، البركة يعد عن القاهرة بنة أميال . ولقد كانت إقامته بمصر فترة استقرار مادمى ومسمى . وكانت فترة حصبة من

حيث الدعوة . ومن حيث تربية الرجال .

استمر الشيخ يدعو إلى الله بمصر إلى أن كان شهر شوال سنة ٦٥٦ هـ . وفي هذا شهر أخذ الشيخ لى السفر إلى الأراضى المقدسة للحج فلما كان لى حميرة

صحراء عيذاب . وهى بين قما والقصير . جمع الشيخ أصحابه لى إحدى لأوسات . وأوصاهم بأشياء . وأوصاهم بحرب الحر . وقال لهم .

« حفظوه لأولادكم فإن به اسم الله الأعظم » . ثم حلا بأبى العباس المرسى . رضى الله عنها . وحده . وأوصاه بأشياء . واحتصه بما حصه الله به من البركات .

(١٥) المعاني العلية ص ١٥

يقول أبو العزائم باضى يصف الشيخ ، رضى الله عنه :
 ، كانت صمته رضى الله عنه ، آدم اللون ، نحيف الجسم ، طويل القامة ،
 خفيف المرصين ، طويل أصابع اليدين كأنه حمجازى . وكان صحيح اللسان ،
 عذب الكلام .

وكان رضى الله عنه ، يأخذ ريبته عند كل مسجد . وإدا كان رسول الله ﷺ
 يقول : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » .

أى أن الأرض - أيها كان الإنسان عليها - كلها مسجد ، فإن أبا الحسن كان
 يتحلى دائماً بالنجاب الحسة !

دخل عليه مرة فقبر عليه لباس من شعر ، فلما فرغ الشيخ من كلامه ، دنا من
 الشيخ ، وأمسك بلبسه وقال :

يا سيدي ، ما غبذ الله بمثل هذا اللباس الذى عليك .

فأمسك الشيخ بلبسه فوجد فيه عخشوة فقال :

ولا غبذ الله بمثل هذا اللباس الذى عليك ، لباسى يقول : أنا غنى عنكم

فلا تهتموني ، ولما سمك يقول : أنا فقير إليكم فأعطوني^(١٧) .

ورحب ابن عطاء الله السكندرى على هذه القصة فيقول :

ومكدا طريق الشيخ أبا العباس ، وشيخه أبا الحسن ، رضى الله عنها

وطريقه أصحابهما : الإعراض عن لبس زى ينادى على من اللباس بالإهلاء .

ويعصح عن طريقه بالإبداء ، ومن لبس الزى فقد ادعى .

ثم بين ابن عطاء الله : أنه لا يتقذ زى الفقراء ، وأنه لا يخرج على اللباس

هذا الزى ، ولا على غير اللباس ، ما دامنا من الحسينين : (ما على المؤمنين من

سبيل » .

ثم وجه الحديث لأصحابه قائلاً :

« إدا أنا مات فعليكم بأبى العباس المرصى . فإنه الخليفة من بعدى . وسبكون

له بينكم مقام عظيم . وهو باب من أبواب الله سبحانه وتعالى » .

وبات تلك الليلة متوحهاً إلى الله تعالى داكراً يسمعه أصحابه وهو يقول

« لى . لى . » .

فلما كان السحر سكن . فظننا أنه نام . فحركناه فوجدناه ميتاً^(١٨) .

وجاء الشيخ أبو العباس فسكاه . وصل الجسج عليه ، ودفن حيث توفاه الله .

وقد كان للشيخ أولاد ذكور فلم يفكر فى أن يستخف أحدهم وإنما استخلف

من رآه أثنى بالخلافة ، ونزجو أن يصير به رجال الطرق فى العصر الزاهر فلا يضلوا

الطريقة مورد روى توريث كما يورث المقار ، ورحم الله أبا الحسن وطيب الله لراه

ونفعا ببركاته إنه نعم الجيب .

٧ - شخصيته

هو أبو الحسن على الشاذلى الحسى من عبد الله . من عبد الحار . من نعيم .

ابن هرمز . بن حاتم بن قصى . بن يوسف . بن يوشع . بن ورد . بن بطال

على . بن أحمد . بن محمد . بن عيسى بن محمد بن سيد شباب أهل الجنة وسبط

خير البرية أبا محمد الحسن . من أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه

وابن فاطمة الزهراء . بنت رسول الله ﷺ^(١٩) .

(١٦) مودة الأسرار

(١٧) عن عطاء الله . لا ير عطاء الله السكندرى

وإن يوم من الأيام دخل أبو العباس المرسى على الشيخ أبي الحسن . وإن يوم
 أن يأكل الخبز ، وأن يلبس الخشن . فقال له الشيخ :
 يا أبا العباس : أعرف الله ولكن كيف شئت .

ومن عرف الله . فلا عليه أيضاً إن أكل هنيئاً وشرب مريباً .
 وما كان أبو الحسن يعمد قط أن يأكل الخبز من الطعام . أو يقتصر على غير
 الزلال البارد من الشراب . إنه يقول : « يا بني برد الماء . فانك إذا شربت الماء
 الساخن فقلت الحمد لله ، تقولها بكرازة : وإذا شربت الماء البارد ، فقلت الحمد لله
 استجاب كل عضو منك بالحمد لله » .

والأصل في هذا قول الله سبحانه حكاية عن موسى عليه السلام :
 (فَسَقَى كَهَمًا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ، فَقَالَ : رَبِّ إِنِّي لَأَنْزَلْتُ إِلَى مِنْ خَيْرٍ
 فَغَيْرِ) (١١٩) .

ألا ترى كيف تولى إلى الظل قصداً لشكر الله تعالى على ما ناله من النعمة ؟
 وعن ذلك ، وبياناً لنهج الطريقة الشاذلية ، الذي رسمه أبو الحسن ، يقول

ابن عطاء الله :
 « وأما لبس اللباس اللين . ونكل الطعام الشهي . وشرب الماء البارد : فليس
 القصد إليه بالذي يوجب العجب من الله . إذا كان معه الشكر لله » اهـ .

وهذا كله طمأً يمشي مع قوله تعالى :
 (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ
 آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

ويقول الأستاذ على سالم عصار : « كان الشاذلي يلبس الفانغر من الثياب ،

ويركب الفانر من الدواب . ويتخذ الخيل الجياد » اهـ .
 ومهما يكن من شيء . فإن أبا الحسن كان يتصح دائماً بالاعتدال . ويطلب
 لمريضين قاتلاً : ولا تصرف بترك الدنيا . فتصانك ظللتها . أو تنحل أعضاءك لها .
 فربح لمناقتها . بعد الخروج منها . بالهبة أو بالمكوة أو بالإرادة أو بالمركة » اهـ .
 والقاعدة العامة على كل حال : « أعرف الله ولكن كيف شئت » . وذلك لأن

من عرف الله تعلق قلبه به وامتلاً بجه فلا يتأني منه إلا الفضيحة .
 أما في أيام المواسم الروحية الكبرى . وإن أيام الحملات الدينية العظمى . فقد
 كان يحاول ما أمكن أن يلفت أنظار الناس إليها حتى تستمر هذه المواسم حية في
 عوسهم بجيرتها بالذكر والميادة . ويحتملون ٣ متصدقين بجميع أنواع الصدقات .
 مكان دا ركب في هذه المواسم تمشي أكثر فقراء ، وأكار الدنيا حوله .

وتنشر الأعلام على رأسه وتضرب الكاسات بين يديه (١٢٠) .
 وما كان الشاذلي من الذين يسعون وراء الشهرة الزوففة أو عبر الرافعة . ولكن
 الس لا . لم دائماً من هزة قوية تلقفت أظفارهم وأرواحهم في المواسم الدينية
 وتذكرهم بها . من كل ذلك يرى أبا الحسن في الجانب المادي اشرى غير متزمت
 وهو الذي يقول : « ليس هذا الطريق بالرهبانية . ولا تأكل الشعير والمحالة :
 ولا يقيف الصناعة وإعما هو بالصبر على الأوامر ، واليقين في الهداية كما قال تعالى :
 (وَحَمَلْنَا بِهِمُ أَنْهَمُ يَهْتَبُونَ يَا تَرْنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بآيَاتِنَا يُوَفِّقُونَ) .

لقد كان أبو الحسن الشاذلي حميل الظهر . عبد الحديث . فصيح اللسان .
 غير متزمت في الأكل واشرب . يحب الخيل . ويقتنيا . ويرثها فارساً . ويركها
 في المواسم الدينية .

هذا هو أبو الحسن في صورته البشرية الشكية . ولو كان أبو الحسن هو هذا
محب لما ذكرته الدنيا . ولما خلد على التاريخ .

وتحدث الآن عن أبي الحسن العالم وعن أبي الحسن الصوفي :

يقول سيدي عبد الوهاب الشرنقبي :-

« بلقنا أن الشيخ الكامل أبا الحسن الشافلي لما فتح اختياره مع الله مكث سنة
أشهر لا يتحرى أن يسأل الله شيئاً في حصول شيء .

ثم نودي في سره : اسألنا عبيدية لاترجيح فيها للعطاء عن السبع

قال : فسألت الله ورجوته امتثالاً لا تخجيراً عليه . فإنه يخلق ما يشاء ويختار .

وليس معه اختيار . اهـ .

يقدر في اختيار أبي الحسن مع الله . وهذه المرتبة لا يتأتى للإنسان أن يتأقلا و

اتداء حياته السالوة إلى الله . لا بد أن يسبقها جهاد شاق . كيف وصل أبو الحسن

إلى أن يستسلم مع الله على ما يريد فظني إرادته في إرادته واختياره . وأن يكون
الله إراداً وإصداراً !

لقد كان الجانب العلمي من العناصر الأولى التي حددت شخصية الشافلي ،

لقد بدأ الدراسة والتحصيل صغيراً ، فتتف كأحسن ما يكون المصنف ، لقد تتف

عن الطريق المادى فصحت القرآن ، ودرس السنة ، ودرس العلوم الدينية . وسائل

وعايات ، ولم يدخل في علوم القوم حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة .

وكان « ذا علوم جمّة » وهو صاحب « العلوم النورية » (٢١١) .

ولقد تدرج في علمه العلوم سلماً فلسماً ، ثم أخذ بجنار الكتب التي يدرسها

ويشرحها ويتصح بقرائنها ، ويحب في أصحابها ، وكان منها :

(٢١١) لطائف اللذ من ٤٤ .

١ - كتاب ختم الأروياء للحكيم الترمذى ، وهو كتاب أقيم الجرافيق وأتمده

حين صدوره ، وكان سبباً في صعوبات كثيرة اعترضت المؤلف بسبب الآراء التي

استخوى عليها . وهو كتاب أثار اهتمام الإمام الأكبر محي الدين بن عربى إثاره

كبيرة ، فأفرد له كتاباً خاصاً ، ثم أفرد له صفحات وصفحات من كتاب

الفروعات ، وحاول أن يجيب عنها ورد فيه من أسئلة ، ووضع نفسه بهذا موضع

الاختيار وهو من هو فلسفة وحكمة وعلماً ونصواً .

وضع نفسه أيضاً بهذا موضع التحدى وكأنه يقول : فأنذا أجيب عن الأسئلة

تضلياً فيما يتعلق بصحة الإجابة .

لقد كان الشافلي يلقى دروساً في شرح هذا الكتاب ، ولقد بلغ من روعة هذه

الدروس أن كان أبو العباس المرسي يحرص كل الحرص على حضورها لما كان لها في

ظنوه من الأهمية ، وحينما يكون على سفر في شأن من شؤون الدعوة فإنه يلتبس كل

وسيلة تمكنه من حضورها .

ولقد كان كتاب ختم الأروياء مفقوداً على عهد قريب ، ثم عثر الأستاذ عثمان

بجى عليه فطلبه في بيروت طبعه محففة مع دراسة عن الترمذى .

ويقول ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه عن أبى العباس المرسي :

« وكان هو والشيخ أبو الحسن كل منهما يعظم الإمام الرباني محمد بن على الترمذى .

وكان لكلامه عندهما المحظوة التامة . وكان يقولان إنه أحد الأوتاد الأربعة » اهـ .

وقبل أن نتحدث عن كتاب آخر نذكر هنا ما رواه ابن عطاء الله السكندرى

قال : « أخبرني بعض أصحابنا قال : قال الشيخ ، قيل لى :

ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن

ميد السلام . ولا على وجه الأرض مجلس في علم الحديث أبهى من مجلس الشيخ

وكي الدين عبد العظيم ، ولا على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أسمى من علمك .

٦- وكتاب «المواقف والمصطبات» من تأليف الشيخ محمد بن عبد الحبار العمري وهو كتاب ليس بالسهل ، لأنه يمرر عن حالات روحية عالية لا يثنى لها أصحاب الأذواق العالية فهم الكثير منها . وهو كتاب للخاصة . وأراد أبو الحسن أن يسره لكل من عنده استعداد . وأن يفتح مغالقة لكل من يستشرف عالم الملكة .

يقول ابن عطاء الله عن الشيخ أبي الحسن :

« كان يوماً في القاهرة في دار الزكي السراج . وكتاب المواقف للشرفي يقرأ عليه . فقال : أين أبو العباس ؟ .. فلما حضر . قال الشيخ : تكلم يا بني . تكلم ببارك الله فيك . تكلم ولن تستكت بعدها أبداً . »

قال أبو العباس : فأعطيت لسان لشيخ من ذلك الوقت . اهـ .

ولقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة .

٣- كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي .

٤- كتاب الإحياء للإمام الغزالي .

وهذان الكتابان من واد واحد . ولقد تأثر الإمام الغزالي في كتابه الإحياء بأبي طالب المكي . وذكر أنه قرأ كتاب قوت القلوب كوسيلة من الوسائل التي تنمو بالتصوف . وذلك قبل أن يأخذ في الجانب المصلح والرياضة الصوفية

لقد صحح الإمام الشاذلي قراءتهما . فنادى عن قوت القلوب : عليكم بالنور فإنه قوت . وقال عن الكتابين : كتاب الإحياء يمدرك العلم . وكتاب القوت يمدرك النور .

ولقد كان الشيخ أبو الحسن يقول : إذا عرضت لكم إلى الله حاجة فوسلوا إليه بالإمام أبي حامد .

٥- ومن قبيل الكتابين السابقين كان الإمام الشاذلي يقرأ أيضاً الرسالة القشيرية ويشرحها ، وقد سبق شيء من الحديث في ذلك وسأق أيضاً حديث عنه .

٦- وكتاب الشفاء للقاضي عياض من الكتب المباركة التي نالت تقدير كبيراً في أوساط كثيرة . وكان يقرؤه أبو الحسن رينصح بقرائته .

٧- وكتاب أبي الحسن المفضل في التفسير هو كتاب «المرر الوجيز» لابن عطية وهو كتاب يشرحه عزوانه ، فهو محرر ، كلماته متقاة متخيرة ، محرورة وعباراته دقيقة . وهو وجيز وإن لم يكن في إيجاز تفسير الجلالين أو البيضاوي ، وقد بدأ طبعه الآن في المغرب ، فطبع منه الجزءان : الأول والثاني .

هذه هي الكتب التي ورد ذكرها فيما كتب من أبي الحسن في المصادر القديمة .

وهي كتب ممتازة في غاية النفاة . تدل على مشرب عال في التفسير والسيرة النبوية والتصوف . وليس بغير بعد ذلك أن ينقل الإمام الشمراني رضی الله عنه في الطبقات عن شيخه على الخراساني أنه قال :

« كانت القاعدة عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي . والشيخ أبي العباس . تآخ الذين بن عطاء الله ، والشيخ باقوت المرش . في قبول الطلاب : ألا يدخل أحد الطريق إلا بعد تبحره في علوم الشريعة وآلاتها ، بحيث يقطع العلماء في مجالس المناظرة بالحجج الواضحة . فإذا لم يتبحر كذلك لا يأخذون عليه العهد . اهـ . »

إن العلم عنصر من عناصر شخصية الإمام الشاذلي وهو عنصر من عناصر طريقته أيضاً وصلى الله وسلم على من أمر أن يقول : (رَبِّ زِدْنِي حِلْمًا) .

وسبحان القائل : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) .

تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) .

هذه الآية الكريمة كانت مثار خلاف شديد بين المفسرين من مختلف المذاهب .
وذلك أن كثيراً من المفسرين رأوا أن الآية إنما هي مهي عن البحث في الروح
بمعنى النفس الإنسانية . لأنها من أمر الله - فالفردانية - وهي من أمره .
وحده العالم بها .

وعارض هؤلاء كثيرون يرون أن الروح في الآية للكريمة . إنما هو القرآن
والقرآن يسمى روحاً . كما أن جبريل عليه السلام يسمى روحاً .
هل الآية هي من البحث في الروح . أم أن الروح في الآية شيء آخر غير

النفس الإنسانية ؟
ولم يأخذ أبو الحسن بهذا الرأي أو بذلك . وإنما أدلى برأى شهد بأصاحته وعمقه
ودقه . يقول رضي الله عنه :

« وس طر أن هد العلم : هي علم الروح وغيره . بما ذكر وما لم يذكر لم يحط
به الخاصة العليا . هل البدء الأعلى فقد وقع في عظيمي . جهل أولياء الله إذ
وصفهم بالقصور عن ذلك . وظن بوجه أنه منهم . وكيف يجوز أن يظن على
مخصوص ؟

وسرى به التكذيب إلى القدرة والشرع بقوله عن اليهود أو عن العرب كما نصص
الخلاف . (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) .

ما الدليل لك معها على جهل الصديقين وأهل حاشية الله العليا ؟
والكشف عن هذا السؤال يقع بأربعة أحرف : بل . وكيف . ولم . ومن .
مهل . يقع بها السؤال عن الشيء . أموجود هو أم معدوم ؟

وكيف يقع بها السؤال عن حال الشيء ؟

ونفدس الذي يقول . (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين آتوا العلم
دركات) .

ويصل أبو الحسن إلى الدرورة حينما يعتبر الجهل والرضا به من الكائنات . بل حينما
يعتبره من أكبر الكائنات ويقول : « ولا كبيرة عندنا أكبر من اثنين : حب الدنيا
بالإيثار . والقام على الجهل بالرضا » .
لأن حب الدنيا أساس كل خطيئة .

والقام على الجهل أصل كل معصية .
ولا يتأتى أن يجاوز الجانب العلمي دون أن تذكر مثلاً نبين به مدى ما وصل
إليه أبو الحسن من صق عميق . ومن فهم دقيق في المسائل العلمية .

وعن كلاماً رأياً بإشارات من علم أبي الحسن الذي أفس به العلم الرسمي سيم
الأرواح . وأبست فيه معارج الأرواح صورة العلم الرسمي . أقول كلما رأياً
ذلك : أسعنا كل الأسف على ما حصل من إهمال في تقييد دروس أبي الحسن .
ومع ذلك فإن أبا الحسن قد روى رجلاً مدلاً من أن يخرج كتباً . ولقد سئل رضي
الله عنه :

لِمَ لا تصنع الكتب في الدلالة على الله تعالى وعلوم القوم ؟
فقال رضي الله عنه : كتبى أصحابي (٢٢) .

ومع إيماننا بأنه روى رجلاً نشروا علمه . وأذاعوا طريقته . فقد كنا نتخفى أن لو
أهتم أحد مريديه بتقييد ففاهه ودرره .

والثال الذي نذكره الآن مأخوذ من رسالة طوية كتبها لأحد أصدقائه تنوّن
هو سيدي علي بن مخلوف . وهذا المثال عن الروح وقد ورد في القرآن الكريم قوله

والأبدان والقلوب والأرواح ، وقد قدم في الشركة وما خصصنا به ، فبيننا وبيننا ، وكذلك أيضاً من فهم هذا السردان لله مع عامة المؤمنين ومع أوساطهم ومع الأمينين ودارتهم فيما هو خاص لمختصين:

فإن تكن سهم طازد-مملك وعملك فقرأ إلى الله وتواصلاً لصاده . واعطف بالرحمة على عامة المؤمنين وإن كانوا ظالمين إلا حيث أمرك الله بالغلظة عليهم مع الدعاء الصالح والرفع عنهم يا هـ .

وأظن أنه لا غرامة بعد هذا في أن يروى ابن كثير - كما يذكر صاحب الفخر - أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام كان يحضر مجلس الأستاذ أبي الحسن ، فيسمع تقريره للحقائق ، ويشاهد حسن إفصاحه عن العلم اللدني ، عند ذلك يحصل له وارد من جانب الحق ، ويركض على قدميه طرباً مع المرئيين ، ويقول :

وتأملوا هذا التقرير فإنه قريب من ربه يا هـ .

ولقد لمس القورخون لأبي الحسن والشعراء المادحون له هذا الجانب العلمي عمده ، ورأوا ما به من أصالة وعمق ، فاشادوا به . ومن هؤلاء الإمام البوصري صاحب البردة الذي يصفه في قصيدة يمدحه بها بأنه : « بحر العلم » .

أما ابن الميثاق فيقول عن أبي الحسن :

لقد كان يجرأ في الشرائع راسماً ولاسيا علم الفرائض والسنة ومن مثل الترجيد صب وارزوى فلك كم روى قلوباً بها عن رحاز طولماً ليس تخصي لكاتب وهل تحصر الكتاب ما حاز من فن

وقد سبق أن ذكرنا ما قاله ابن عطاء الله الكنتري في وصف هذا الجانب

العلمي .

والمشك في أن أبا الحسن : كان عالماً عارفاً بالعلوم الظاهرة ، جامعاً

ولم يضع السؤال يا من العلة ؟ وليس في الآية شيء - من هذا . فإليك إن قلت فيما معنى هل . ومعنى هل

يقضي هل الروح موجود أم معدوم ؟ وقد عرفوا وجوده من قبل ، ولولا ذلك لا قال يوسف بن يحيى الروح ، فثبت أنهم عرفوا وجوده فيقبل هذا .

وليس فيما يسأل عن الحال كيف هو ؟ ولا سؤال عن العلة لم كنا وكذا ولو كان سؤالهم عن هلين لما قنعوا بقوله تعالى : (قل الروح من أمر ربي) ، ولشعرا وَرَدُّوا إِذْ ذَاكَ شَغْلَهُمْ وَعَادَتَهُمْ وَارْتِدَّتْهُمْ - فثبت أن السؤال إنما كان عن الشيء ، من أين هو ؟ بدليل الجواب والبيان الظاهر الشافي بقوله تعالى : (قل الروح من أمر ربي) إذ الرسول عالم بما سألوا عنه فأجاب عن الله بذلك . كما تقول آدم سألك عنه . وفهم المسؤل السؤال فقال : آدم من تراب ، فإذا رضى الجواب قنع ، وليس يرجع العدم إلا عنهم عظيم من الحق العظيم الذي لا مرد له ، فكيف يزعم الزاعم أنه لا يعرف ولا يجوز أن يعرف .

فقد أوجب الله علينا معرفة ولا مثل له ، ولو ضيقناها لكنا ككفاراً أو عصاة ، من له المثل والنظير وهو الروح ، ويوجب معرفة من لا شبيه له ولا نظير . فتعذ بالله من جهل الجاهلين وظلم الظالمين .

والذي أقول به إن الله أسراراً لا يسبح فيها الرسم ، ولا يليق بها الكتم . ألا ترسم في الدواوين لسمى البصائر وضضاء النجائر ولا يليق بها الكتم لوضوحها وشدته ظهورها . فلا تنبان بهم مع كثرة حججهم وذلك للحق ، وانضح له فيما هم به وأعرض عنهم فيما لا علم لهم به . وقد أمر الله سبحانه نبينا محمداً ﷺ بالاعتقاد بإبراهيم وسائر الأنبياء عليهم السلام ، وهو الفاضل الذي لا يصل إليه أحد ويقول قد شاركتم في النبوة والرسالة بالهداية والأمور الطاهرة على النفوس

وَيَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

شَيْءٍ مِثْلِهِ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِهِ وَيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ

إِذَا عَدَا إِلَى أُوْثَانِ النُّصُفِ الْأُولَى مِنَ الْقُرْنِ السَّابِعِ الْمِصْرِيِّ : وَدَعَبْنَا بِجَيْشِنَا

زَادَ أَرْجَاءَ مَدِينَةِ النَّصُورَةِ ، وَأَيُّهَا ظَاهِرَةٌ لَا عَيْدَ لِيَنَّ جَارِسُوَ الْجُيُوشِ الْحَدِيثَةِ

بِرُؤْيَيْهَا إِلَّا نَادَرًا ! تِلْكَ هِيَ ظَاهِرَةُ الْإِيمَانِ وَالْفَتْحِ الْمَطْلُوقَةِ ، وَهِيَ

إِنَّمَا مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَكُونَ مَدِينَةُ النَّصُورَةِ ، حَيْثُ ذَلِكَ ، فِي حَرَكَةِ لَا تَهْتَابُ :

إِنَّمَا الْحَرْبُ ، وَالْمِصْرِيُّونَ يَسْتَعِدُّونَ لِالِقَاءِ الْعَدُوِّ الْمُشْتَرِكِ الَّذِي أُحْتِلَ دِمْيَاطُ .

وَيُحَارِلُونَ التَّنْفِذَ فِي الْبِلَادِ بِالْإِسْتِيلَاءِ عَلَيْهِا .

الِاسْتِعْمَالُ كَمَا تَقَامُ ، وَالْمُؤَنُ نَزْدُ ، وَالْجُيُوشُ تَتَوَلَّى وَتَرْتَبُ . وَالْأَوَامِرُ تَقْتَصِرُ

لِ حَرْمِ وَثِيَّاتِ . وَالظَّاهِرُ بِيْرَسِ لِإِكْبَادِ يَضْمُنُّ لَهُ طَرَفُ . وَلَا يَدْرُفُ النَّوْمُ إِلَّا

عَرَارًا .

وَفِي جَانِبِ آخِرِ لُؤَيْسِ النَّاسِ ، مَلِكِ فَرَنْسَا ، يَتَوَدَّدُ الْجُيُوشَ الْجِرَارَةَ مِنْ

السُّلَيْبِيِّينَ يَرِيدُ أَنْ يَنْزِلَ الْإِسْلَامَ وَالْمَرْوَةَ فِي مَعْرَكَةٍ فَاصِلَةٍ حَاصِمَةٍ هِيَ مَعْرَكَةُ

الْمَنْصُورَةِ .

نَقَدَ وَقَفَ الْغَرْبُ كُلَّهُ مُسْتَعِدًّا لِلْهَجُومِ عَلَى مِصْرَ . يَرِيدُ أَنْ يَسِيرَ الْإِسْلَامَ

وَالْمَرْوَةَ بِالْقَضَاءِ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ ، كَمَا وَقَفَ الشُّرَكَاءُ كُلُّهُ مِنْ قَلْبٍ فِي غُرُورِ الْخُنْفَقِ .

يَرِيدُ أَنْ يَسِيرَ الْإِسْلَامَ بِالْقَضَاءِ عَلَى الْمَدِينَةِ النَّوْرَةِ وَمِنْ فَيْئَا مِنْ رِحَالِ الْإِسْلَامِ

الْأُولَى ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !

وَمِنْ مَوْقِعَةِ الْمَنْصُورَةِ وَغُرُورِ الْخُنْفَقِ تَشَابَهَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ :

عَفَى كُلِّ مَنِيهَا أَتَى الشُّرَكَاءُ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ ، وَبِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُ مِنْ عِتَادِ وَمِنْ عَدَدِ

لِيَقْبِضَ عَلَى التَّوْحِيدِ فِي عَفْرِ دَارِهِ .

فَقَدَ اتَّخَذَ الشُّرَكَاءُ الْأُولَى حَرَمَ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَجَمْعَهُ . نَمَا الشُّرَكَاءُ الثَّلَاثِ

لِلثَّلَاثِ فَنَوْنَهَا ، وَمُنْتَضًا لِأَفْكَارِ الْمَعَانِي وَهَيْوَتِهَا مِنْ : حَدِيثِ ، وَتَفْسِيرِ ، وَقَدِ ، وَأَصُولِ ، وَغَوِّ ، وَتَصْرِيفِ ، وَنَفَةِ ، وَمَقُولِ ، وَحِكْمَةِ ، وَأَدَابِ .

وَأَمَّا عُلُومُ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ : فَتَقْتَبُ رُحَاهَا ، وَتُسَمِّسُ ضَمَّاحَهَا (٣٣٦) .

وَتُخْتَمُ هَذَا الْجَانِبَ ، وَالطَّبِيعِيُّ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ يَقُولُ صَاحِبُ الْمَفَاخِرِ عَنْهُ :

« وَهُوَ صَاحِبُ الْإِشَارَاتِ الْعَلِيَّةِ وَالْمَعْبَرَاتِ السَّنِيَّةِ ، جَاءَ فِي طَرِيقِ الْقَوْمِ

بِالْأَسْلُوبِ الْمَجِيبِ ، وَالسَّجِّ الْغَرِيبِ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْحَالِ ، أَوْ لَمَمَةِ

وَالْمَقَالِ ، وَتُخْرِجُ بِصِحَّتِهِ جَمَاعَةً مِنَ الْأَكْبَابِ بِمِثْلِ أَبِي الْعَبَّاسِ الرَّوسِيِّ ، وَأَبِي الْعَرَاءِ

مَاضِي ، وَغَيْرِهِمْ ، وَظَلَمَ لَهُ أَعْيَانٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى » .

وَيَقُولُ شَارِحُ الْقَامُوسِ الْمُهَيْبِ ، السِّيدُ مَرْتَضَى الزَّيْدِيُّ صَاحِبُ نَاحِ الرَّوسِيِّ :

« وَمَنْ كَانَ يُخَضِّرُ بِجِلْسِهِ ، الْعَزِيزُ عَبْدُ السَّلَامِ ، وَابْنُ دَقِيقِ الْعَيْدِ ، وَنَاجِيكُ

بِهِمَا ، وَالْحَافِظُ الْمُنْتَرِي ، وَابْنُ الْحَاجِبِ ، وَابْنُ الصَّلَاحِ ، وَابْنُ عَصْفُورِ ،

وَغَيْرِهِمْ بِالْكَامِلِيَّةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، (٣٤١) أ . هـ .

الْمَنْصُورِ الثَّلَاثِي فِي عِلْمِهِ الشَّخْصِيَّةِ هُوَ عِنَصَرُ الْكِفَاحِ ، وَبِنَيْدًا مُبَاشِرَةٌ فِي هَذَا الْجِهَالِ

بِمَا سَبَقَ أَنْ كَتَبْنَاهُ تَحْتَ عُنْوَانِ : « أَبُو الْحَسَنِ الثَّلَاثِيُّ فِي مَعْرَكَةِ الْمَنْصُورَةِ » .

وَبِنَيْدًا بِهَذَا الْمَوْضُوعِ حِينَمَا تَتَحَدَّثُ عَنْ كِفَاحِ أَبِي الْحَسَنِ ، وَذَلِكَ لِأَيُّظَنَّهُ بَعْضُ

النَّاسِ مِنْ أَنْ الصُّورِيَّةُ قَوْمٌ كَسَالِي ، وَأَنَّ التَّصَوُّفَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الضَّعْفِ ،

وَالرَّوَاغِ أَنْ حَيَاةَ أَبِي الْحَسَنِ حِينَمَا يَرْتَمِيهَا الْإِنْسَانُ تَظْهَرُ وَكَأَنَّهَا مَعْرُوفٌ يَهْدِمُ مَا يَبِيبُ

أَعْدَاءَ التَّصَوُّفِ مِنْ شَبَاهَاتِ حَوْلِهِ ، وَلَيْتَبَدَأُ بِالْجِهَادِ بَعْدَ أَنْ صَوَّرْنَا الْجَانِبَ الْعِلْمِيَّ ،

وَإِذَا كَانَ التَّصَوُّفُ لَا يَأْتِي الْجَهْلُ كَمَا رَأَيْتُ ، فَإِنَّهُ حَلِيفٌ لِلْكَفَاحِ كَمَا سَرَى

عبر في وقع لي طل في حادثة الرؤيا أنها العتيق زكى الدين عبد العظيم

الحدث ، والشيخ مجد الدين لأحمسي ١١
أوردت أن أقدم لرسول الله ﷺ . فألذت نفسي التواضع والأدب مع

هذا من عبد السلام . وقلت لا يصلح لك التقدم نيل عالم الأمة في هذا

بناه ، فمما تقدم وتقدم الجميع برسول الله صلى الله عليه وسلم يشبه إليهم بين

سألا أن احسوا وتقدمت ، وأنا أنكى بهم وبالفرح أما الفرح . فمن أهل

برارسول الله ﷺ بالنسب ؛ وأنا لهم من أهل المسلمين والفرح ، وهم طلي

ع . قد يده حتى قبض على يدي ، وقال
لا تهم كل هذا المهم من أهل النمر . وعلبك بالصيحة لرس الأمر - يحي

لها - فإن ولي عليهم ظالم لا عسى ؛ رجح أصابع يده الحسة في يده

سرى كأنه يقاتل المدة .
وان ولي عليهم نقي في الله ولي المتقين ، ويط يده اليمنى واليسرى .

وما المسلمون محسبك الله ورسوله وهؤلاء المؤمنون - أي العلماء والفقهاء

الصالحون الذين يجلس - وقال :
(ومن يتوكل الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)

وأما السلطان بيد الله مسرطة عليه رحمة ما وال أهل ولايته ويصح المؤمنين
من عدده . فاصحبه واكتب له وقل في العالم عدو الله قولاً يبي

(وأضيرن وأخذ الله حتى . ولا يتخفك الدين لأيرقون) .
صحت بصره ورب الكعبة . وانثب وصبر الله المسمى بصر مؤزر .

وأمر الملك لويس . وأمر الكتيوب من قواعد . وأشاد الشعراء بهذا لصر
ومن قصيدة مشهورة لاس مطروح . فتتلف منها مايلي قال يحاطب لويس
وكيل أصحابك أودعتم عسر تدبيرك بطل الصريح

الطلب ، صكت الشيخ فزة . ثم تكلم . في انطلاق وث قوة . ولي ووطنه

لا يمكن التغير عن وصفها تأتي من كلمة الشيخ عز الدين من عبد السلام فهو

حال لأصدقائه ورملائه . حيث سمع أبا الحسن يتحدث .
واصموا هذا الكلام العريب . القريب العهد من الله .

ولا يقدر هذه الكلمة حتى قبلها إلا من يعرف من هو العرب من عبد السلام ؟
والكلام العريب . لأنه ليس مأخوذاً من الكتب . ولا عجزاً في الأسار ؛

والقريب العهد من الله ، لأنه إجماع الساعة . ووصي الرمس الرمس !
وشغل أبو الحسن بأمر المسلمين . فكان يله ونهاره مشغولاً بالله في أمرهم حتى

إذا ما أخذته سنة من النوم في ليلة من الليال . رأى فيها يراه السائم . رؤيا تتعلق بحاله
المسلمين في المنصورة . ومن ذلك . الرؤيا التي حكاهما صاحب كتاب ، دوه

الأسرار ، قال :
وقال الشيخ أبو الحسن : كنت بالمنصورة . فلما كانت ليلة الثامن من ذي

الحجة ، كنت مشغولاً بأمر المسلمين وأمر النمر . وقد كنت أدعو الله وأصبر إليه في
أمر السلطان والمسلمين .

فلما كان آخر الليل ، رأيت فسطاطاً واسع الأرجاء ، عالياً في السماء ، يلموه
مور ويزدحم عليه خلق من أهل السماء ، وأهل الأرض عنه مشغولون ، فقلت

لمن هذا الفسطاط ؟
فقالوا : لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأدبرت إليه بالفرح . ولقيت على يده عصاة من العلماء والصالحين عوام
السعي . أعرف منهم العتيق عز الدين من عبد السلام . والعتيق عبد الدين مدرس

فوحس . والعتيق الككار بن القاضي صدر الدين . والعتيق المحدث يحي الدين
ابن سراقه ، والعتيق عبد الحكيم من أبي الحوامر ، ومهم رجلا لم أعرف أحمل

هو يتحدث في خطاب له لأحد أصدقائه يحدثه فيه عن سبب تأخيره في السفر
يقول : « وسبب الإساءة - عن السفر في العادة - (٢٥) ذرع لنا بدرس قد حوِّث
في ثلاثة مواضع : ١. هـ .

وإن الذي يؤخر أبا الحسن عن السفر ليس هو زرع فدان أو عدنين . ولا حصد
ধান أو عدنين ، فالأرض قد حوِّثت في ثلاثة مواضع .

وكان الشاذل يتخذ للزراعة الوسائل التي تتيح نوعاً من الاكتفاء الذاتي فيرى
تيران مثلاً للحرث والدرس ، ويتحدث ، المعطة والاعتبار ، من نود من هذه
لتيران وقع في بحر . ولتذكر القصة كما رواها صاحب دورة الأسرار :

يقول أبو الحسن : جعل لي في ليلة دعاء قلت :

« اللهم اجعل قضاك ، وعبابك ، ولقائك ، وذات رسولك ، وسر
ناب رسولك - أحب إلي من نفسي ، وأهل وولدي ، ومالي ، والناس
أجمعين » . فكتبت أتولماً بوجد ، فأجد لما حللوة ، مكثر ذلك على قلت .
وشيء يتول ، وقضاء يحدث . فبينما أنا قاعد قيل لي :

« إن نورك كان لك فوقع في البحر . قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون .
ف قيل لي : لهذا كانت المقدمة » .

ولا تنتهي القصة عند هذا الحد ولكن هذا هو ما أردناه منها .
على أن أبا الحسن لا يقتصر على الحديث على العمل متحدثاً من نفسه قلوبة
ولا يقتصر على الثغور من المريد المتعطل ، وإنما يذهب مع أتباعه إلى أبعد من هذا
وله في ذلك - مع أبي العباس - قصة طريفة .

(٢٥) أي في الأسباب الظاهرة إذ سبب الخلق إما هو إرادة قد سبحانه وهداه . وهذه الكلمة تهيئ
الذي البيد في تأدب أبي الحسن مع الله

١٠٠ - أبا لا يوزن منهبر إلا قيل أو أسير أو جرح
١٠١ - علم إن أوزموا هوداً لأخذ تار أو لفعل قبي
١٠٢ - قسنان حل حاطا والقييد باق والطواشي صبح

١٠٣ - هنا يصعد تاريخ هذه الموقعة الحربية ، وما أوردنا حماسيق . إلا أن قر
١٠٤ - وصفاً على اشتراط أي الحسن الشاذل في الجهاد ، برعم أنه كان يظن
١٠٥ - يختلف لكبر سنه ، ولأنه قد كُف بصره .

١٠٦ - أبا الحسن لا يختلف عن فرض ، وما كان يتأق له أن يختلف م
١٠٧ - المسلمين . هذه الصورة تضمنها أمام أنظار علماء المسلمين في العصر
١٠٨ - وأمام رجال الصوف الإسلامي ، لعل فيها لهؤلاء وأولئك ذكرى كريمة
١٠٩ - محلى !

١١٠ - لا تأتي أن نختم الحديث عن مبدأ أبي الحسن في الجهاد دون أن نذكر قوله
١١١ - نسبه ولاية من الله لا يكره الموت ، ويظم ذلك من قوله تعالى :
١١٢ - فما يكفها الذين كانوا أن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس كتموا النور
١١٣ - نسبه ضارفين) .

١١٤ - الولي على حقيقة لا يكره الموت إن مرض عليه .
١١٥ - صورة أخرى من تكباح هي صورة : المصل .

١١٦ - من ابن عطاء الله . وكان الشيخ أبو الحسن يكره المريد المتعطل ، ويكره
١١٧ - سناً باسمه الناس . وقد كان جواداً با يملك ، وكريمًا يكره البخل . وبحث على
١١٨ - أبا الأسباب والسبل : هـ .

١١٩ - قول أبو الحسن بكل ولي حجاب ، أي متى ستر يحميه عن اعتقاد الناس
١٢٠ - وأنا حجابي الأرب : هـ .

١٢١ - لعل كان أبو الحسن يميل في الزراعة على تطلق واسع .

سكت ، وخشيت سوء الأدب ، فصجأت إلى ربي ، ورأيت في النوم . كان يجلس عليه لسلام جالس وحوله السكر ورفع لي عن قدمه وجفاه رأيت أمراً كما يصح : الله تعالى يقول :

(وَخَفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ)

فرويت : لا تخترع مع الله شيئاً ، وإن اخترت ، فانخر المودية له اقتداء برسول الله ﷺ حيث قال : عبداً رسولاً ، وإن كان ولاد فاختار الأختار ، ومر من ذلك عار إلى اختيار الله . فانتيت من نومي ، فرأيت بعد ما قائلاً يقول لي : إن الله خار لك أن تقول :

اللهم وسع على رزقي من دنياي ، ولا تحجبني بها عن آخرى ، واجعل علمي دائماً بين يديك ، وناظراً منك إليك ، وأرى وجهك ، ووارثي عن الزوية وعس كل شيء دونك ، وارفع اليه فيما بيني وبينك ، باسم هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

ثم صورة ثالثة من صور الكفاح اشتهر بها أبو الحسن وعُرف بها بين الناس ، وهي صورة تيمر عن تلميذه أبي العباس . تلك هي صورة السعي في مصالح الناس . ولقد رأينا أنه حينما نزل مصر في مروره العابر إلى الحج ذهب إلى السلطان لرفع الرمي التي رمى بها والده على الأعراب ، وتعرض بسبب ذلك إلى ما سبق أن ذكرناه آنفاً . وما يروى ابن عطاء في لطائف اللذات قال :

استمع طالب بالشيخ أبي الحسن إلى القاضي تاج الدين أن يزداد على مرتبه ذهب الشيخ إليه ، فأكبر القاضي تاج الدين مجيئه وقال 4 :
ياسيدي ، فم جئت ؟

فقال : من أجل فلان الطالب تزيمه في مرتبة عشرة دراهم .

فقال القاضي : ياسيدي ، هذا له في الكاد القلاني كدا ، وفي الكاد العلاني

يعود أبو العباس بما رواه ابن عطاء الله :
دخلت يوماً على الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه . فقال لي :
إن أردت أن تكون من أصحابي ، فلا تسأل أسئلاً شيئاً ، وإن أتاك شيء ، مر به مسألة فلا تقبله .

قلت لي نفسي : كان النبي ، صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية وقال :
« ما أتاك من غير مسألة فخذها » .

فقال الشيخ : كأذك تقول كان النبي ﷺ يقبل الهدية : وقال : ما أتاك من غير مسألة فخذها ؟

النبي ﷺ ، قال الله في حقه : (قُلْ إِنَّمَا أُتِرْتُكُمْ بِالرُّوحِيِّ)
بني أوحى الله إليك ؟

إن كنت مقتنياً به في الأخذ ، فكز مقتنياً به كيف يأخذ ؟ كان ﷺ لا يأخذ شيئاً إلا ليبس من عطيه ويروضه عيه .

(فإن نظرت نفسك وتقلست هكذا فاقبل ولا فلا) .

وهذه القصة غاية في العمق ونحن نقسمها على ما هي عليه إلى كل موظف وكل صاحب حاه ، وكل هؤلاء الذين يقبلون الرشوة في صورة هدية ، وكل من يلبس عليهم الشيطان في أكل أموال الناس بالباطل .

والنظرة الشاذية في الفنى والفقر تفضل الفنى الشاكر على الفقير الصابر .
وطال ذلك بأن الصبر فضيلة في الدنيا فقط ، أما الشكر : فإنه فضيلة في الدنيا والآخرة .

ونعم هذا الحديث عن العمل والكفاح والجزاء بالقصة التالية :

قال أبو الحسن : هممت مرة أن أخطر القلة من الدنيا على الكثرة ، ثم

مسي واجتنب من الفلحفين . واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل

ملوكاً على الذين آمنوا ربنا إياك ربوب رحيم .

هـ عن أولاد أبي الحسن عالماً مستتراً كأحسن ما يكون العالم المستتر

وعاهداً صادقاً كأفضل ما يكون المجاهد الصادق .

وعاملاً مكانةً في الحرث والقرى ، تتعدد مزارعه ، وتتعدد مواضع الحصاد

به ، وره راعياً وعادياً مستضعفاً وقاضياً للناس حاجاتهم .

وإذا كان ذلك يمثل جوارب أصيلة في شخصيتك ، فإن الأصل في شخصيتك لم

تحدث عنه بعد : يقول صاحب لطائف اللذنين عن أبي الحسن :

وله السياحات الكثيرة ، والنازلات الجليلة .

وهذه لكلمة الصادقة هي التي تصور لنا الحجاب الأصلى في شخصية الشاذلي :

تقد كان أبو الحسن عابداً متبلاً ، ومن أجل عبادته ساج سياحات كثيرة .

تقد ساج ليحلو إلى الله ، وساج لتصفو عنه ، وساج لتسكن من الذكر

والتجمع يلقى نفسه كلية وبكياه كنه ، في الرحاب الإلهي مستسلماً ، مسلماً ،

عده أسلم القبادات كلها جسماً ومهياً ، وعقلاً ، وروحاً ، وقلباً إلى من يديه

أمر ، أسلمها اختياراً راصياً ، أسلمها بسلام الهب المنبسط الذي يعانى دائماً في

سلام الكيان كله ، حتى لا يرى ولا يسمع ولا يلمس ولا يشم أو يذوق إلا من أسلم

ببه كياه . ولقد كان يسبح ليصل إلى ما يطلبه في حرمه الكبير قاتلاً

وإلى أسألك أن تغيبى فتورك منى حتى لا أرى ولا أحس بقرب منى ،

ولا أبعده عنى إياك على كل شىء قدير .

وإن أبا الحسن هو الذي يقول في تأكيد يزيد التاريخ كله :

اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا ، وحكمت عليهم بالعقد

حتى جعلوا ، فكل عزيزك دونك مسألك بده ذلاً تصعب لطائف رحمتك ،

لموضع الفلاني كتاباً ، وكذا .

الشيخ : باناج الذين لا تستكثر على مؤمن عشرة دراهم تزيد إياه

لم يقع للمؤمن بالجنة جزاء حتى راده النظر إلى وجهه الكريم

شعاعاً أتى الحسن بكثرة المظلومين والمساكين والذين لا جاء لهم

والصحة ، سوى الحاجات على مختلف ألوانهم ، وأخذ يزيد على ولاية الأمور شانه

ومداينه ، سبباً حتى لقد قال ابن حقيق العيد في ذلك :

جها . لآلة الأمور مقدر الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه لكثرة زود

الشعاعاً .

أما عطاء الله فقد قال في ذلك معلقاً على كلمة ابن حقيق العيد

إن هذا الأمر لا يقوى عليه إلا عبد متخلق بأخلاق الله ، بذل نفسه وألمار

مرصاه الله ، وعلم وسبح رحمة الله ، فاعمل عباد الله محلاً لقول رسول الله ﷺ

والإيمان بهم الله ، أرحمهم من في الأرض يرحمكم من في السماء ،

طال إلا أنزك هذا الموضوع دون أن تشير إلى أن أبا الحسن كان دائماً يدعو الله

هل أن إلى وساطة في الخير وأدبته في ذلك عليها طابع المبردية وبها عير

المشهور . واليك ليشعر هو ويشعر الناس أن الأمور كلها بيد الله ، وأنه ليس إلا

مهدوا . الله سبحانه ، وقد تفضل الله عليه فيمله سبباً في الصالحات .

وذلك : ماروي صاحب درة الأسرار قال : وقال رضي الله عنه

وهو : عشى للبيض في اللعق عن رحل من الصالحين :

وهو : سئل مشي إليه توامناً لوحك ، وابتهاف لفضلك . ونصرة لك

ورسولك . روي بزيئة الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم

... من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون

ومعهم . واليثار . ورفق الحجاب من الصدور في الليل والنهار . وفي شح

وإبراهيم وحده يحجب عنك فسألك هوامه قديماً تصحبه أنوار مجيك .

يمكن سياحات أبي الحسن تماماً بالحو ، ولا استمتاعاً بالهدائق والترهات ،
وإسماً في استجلاء الجهول من عوالم اللامه . حواجا كانت ههنا عن الخبز
وهو وجد الحق كانت سياحاته من أجل الخبز في مجالات الحق
طال تمكن في مجالات الحق استقر به المقام ميسراً وهادياً .

والشيخ يتحدث عن هذه السياحات ، ولا بد من ذكر أمثلة منها
يقول صاحب المفاخر الطيبة عن الشيخ : انتقل إلى مدينة تونس وموسم
صغير ، وتوجه إلى بلاد الشرق ، وسج حجج كثيرة ، ودخل العراق .
وعما رواه أبو الحسن ، وكان ذلك في أوائل سلوكة : « كنت أنا وصاحب لي قد
أوبنا إلى مغارة ، نطلب الوصول إلى الله ، فكنا نقول : عدأ يفتح لنا ، بعد عد
يفتح لنا . فدخل علينا رجل له هية ، فقلنا له : من أنت ؟
فقال : أنا عبد الملك .

علمنا أنه من أولياء الله ، فقلنا له : كيف حالك ؟
فقال : كيف حال من يقول : عدأ يفتح لي ، بعد عد يفتح لي ، فلا ولاية
ولا صلاح ، يا نفس ! لم لا تعبدن الله فده .

قال : مصطفاً من أين دخل علينا . فبنا إلى الله ، واستغفرتنا ، ففتح لنا ،
ويقول أبو الحسن أيضاً عن سياحاته في مبدأ أمره :
كنت في سياحتي في مبدأ أمرى ، حصل لي تردد ، هل ألزم البرارى والقمار ،
للتعمد للطاعة والأذكار ؟ أم أرحع إلى اللدائى والديار لصحة العشاء والأخبار ؟
وصف لي ولي هتالك ، وكان برأس حبل . فصعدت إليه . فما وصلت إليه
الإنزال ، فقلت في نفسي ، لا أدخل عليه في هذا الوقت ، فسمعه يقول : من
واحل المارة ؟ اللهم إن قوماً سألوك أن تسخر لهم خلقك ، فسخرت لهم

فك ، فرضوا منك بذلك . اللهم وإن أسألك اعوجاج الخلق على ، حتى
يكون ملجئى إلا إليك .

قال : فالتفت إلى نفسي وقلت : يا نفسى انظري من أى بحر يعرف هذا
شيخ ؟ فلما أصبحت دخلت إليه فأرضيت من هيبته .

فنت له : يا سيدي كيف حالك ؟
فقال : أشكر إلى الله من برد الرضا والتسليم . كما تشكرو أنت من حر التسيب .

(اختيار .

قلت يا سيدي أما شكواى من حر التدبير والاختيار ، فقد ذقته وأنا الآن ليه ،
أما شكواك من برد الرضا والتسليم فلماذا ؟

فقال : أعاف أن تشغلى حلاوتها عن الله .

قلت : يا سيدي سمعتك النارحة تقول . اللهم إن قوماً سألوك أن تسخر لهم
خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا منك بذلك ، اللهم وإن أسألك اعوجاج
الخلق على حتى لا يكون ملجئى إلا إليك ، فبسم ثم قال :

يا سي عروس ما تقول سخر لي خلقك قل : يا رب كن لي ، أنرى إذا كان لك
هونك شيء . فما هذه الجبابة ؟

وقال رضى الله عنه : اجتمعت برجل في سياحتي فقال : ليس شيء في
الأفوار أعون على الأفعال من : لا حول ولا قوة إلا بالله ، والاعتصام بالله . ففروا
إلى الله . واعتصموا بالله . ومن يتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .
ثم قال : بسم الله . هورت إلى الله . وعتصمت بالله . ولا حول ولا قوة إلا
بالله ومن يفتقر للتوكل إلا الله . وب إلى أعوذ بك من عمل الشيطان ، إنه علم
مصل سيب . باسم الله مول باللسان صدر عن القلب . ففروا إلى الله وصف للملك
والأمر . ثم تقول للشيطان : هذا علم الله فيك . وبالله آمنت . وعليه توكلت .

لقد كان يريد أن يرتبط بالحق فكان يروض نفسه على ذلك .
 كان يروض نفسه على أن يسيطر على نفسه ، على شهواته ، على إرادته ، على
 شيبته ، إنه يقول : لن يصل العبد إلى الله ويق معه شهوة من شهواته ، ولا مشيئة
 من مشيئاته (٢٦) ، وكان يقول : إن أردت أن تكون مرتبطاً بالحق فنبأ من نفسك
 بالخروج من حوذك وقوتك .

لقد كان يريد أن يشهد الله ، أن يشهده متجلياً على أنحاء شتى ، والله سبحانه
 يحل للإنسان على قدر صفاته ، وأراد أبو الحسن أن يصل إلى الصفاء إلى أقصى
 ما يصل إليه الساكنون .

لقد اعتكف في جبل زغوان .. وسافر من قبل ذلك بحثاً عن القطب ، وسهر
 ليلاً قائماً مبتلأ في البوادي والوهاد والأودية .
 وكَم شهدته للمارات والكهوف قائماً في جنح من الليل متصرفاً إلى الله داعياً
 سعيئاً محاولاً أن يقبى في الله بحيث يصبح صورة تامة بقدر الإمكان عما يجب الله
 ويبحث ويصح ربانياً .

يقول أبو الحسن : أتى المحققون أن يشهدوا غير الله تعالى ، لما حلقهم به من
 شهود القيومية وإحاطة الديمومية .
 هذه الكلمة الحق التي هي تفسير لما يقوله الصوفية في وحدة الوجود كانت
 هدف الذي أراد أن يصل إليه أبو الحسن . أراد أن يصل إليه معرفة ، وأن يشعر به
 دوقاً ، وأن يتحقق به حالاً .

ولما تم له ذلك من سياحاته ، وخلواته ، وتحنته عاد إلى الناس مستتراً هادياً
 مبشراً بالنور والرحمة والمعرفة .

(٢٦) الصفات الكبرى : للشيراز

وأعوذ بالله منك ، ولولا ما أمرني ما استعملت منك ، ومن أنت حتى أتعصم بالله
 منك .

وردى الشيخ أيضاً : قلت يوماً وأنا في مغارة في سياحتي :
 ألهي متى أكون لك عبداً شكراً ، يا ذا قائل يقول لي :
 إذا لم تر منصفاً عليه غيرك .

فقلت : إلهي كيف لأرى منصفاً عليه غيري وقد أنست على الأبياء ، وقد
 أنست على العلماء ، وقد أنست على الملوك . فإذا قائل يقول لي :
 لولا الأبياء لما اعتليت .

ولولا العلماء لما اعتليت .
 ولولا الملوك لما أنست ، فالكل نعمة من عليك .

هذه السياحات المتعددة المتكررة إنما كانت هجرة إلى الله ، وذهاياً إليه ،
 وهراراً نحوه ، وما كان لها من هدف إلا أن يخلو ورده ، وأن ينسى كل شيء ، يلا
 قلبه بالله ، لقد كانت سياحات للعبادة ، وما كانت العبادة العادية ، هي التي
 يعصد أبو الحسن بهذه السياحات . إن الفروض ، وإن سنتها الراتبية ، من السهل
 على أبي الحسن أن يؤديها في الحضر ، كما يؤديها الآخرون ، وما كان في حاجة إلى
 هجرة من أجلها ، لقد كان قصد أبي الحسن أن يفرغ قلبه لجملة بالله ، ولابد لهذا
 من هجرة .

ومن الناس من يهاجر إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر
 به . أما من كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله .
 فقد كانت هجرة أبي الحسن تحنناً ، ويخاف من الصفاء ، ومرآة على الاسترسال
 به في ما يريد .

ولا يريد أن يترك هذا المقام دون أن يضرب مثلاً لأثر عبادة أبي الحسن عليهم
إحسان ، وحشغ وتنظيم لله ولرسوله ، ومن يسيه كل قص وتقصير لسه وب
وصوله إلى درجة سامية من إيلام الوحه لله .

يقول صاحب درة الأسرار عن أبي الحسن :

لا أقدم المدينة . رادها الله تشريفاً وتنظيماً . وقف على باب الحرم من نور
الهار إلى عصمه عريان الرأس حاقاً القديم . يستأذن على رسول الله ﷺ تسليماً
مثل ذلك فقال : حتى يؤذن لي . فإن الله عز وجل يقول .

(يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُذْخِلُوا فِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يُدْخِلَ اللَّهُ فِيهِمُ الْمَنَافِقِينَ)

صمغ النداء من داخل الروض الشريفه على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
يا على . ادخل . فوقف تجاه الروضة الشريفه فقال :

والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . صلى الله عليك يا رسول الله
أفضل وأزكى وأسمى وأعلل صلاة صلاحها على أحد من أنبيائه وأصفياه . أشهد
يا رسول الله أنك لملمت ما أرسلت به . وصمحت أمتك . وعدت ربك حتى أتاك
البيت . كنت كما بعثك الله في كتابه :

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم فالأولئك
ركوبهم رجيم) .

مصلوات الله وملائكته وأتباعه ورسله وجميع خلقه من أهل سمواته وأرضه
عليك يا رسول الله .

السلام عليكما يا صاحبي رسول الله ﷺ . يا أبا بكر يا عمر . ورحمة الله

وبركاته . معزاً كما الله عن الإسلام وأهله أفضل ما حازى به وورثى بي ل

حياته . وعلى حشر خلقه في أمته بعد وفاته . فقد كنا لحمد ﷺ وورثى

صديق . وخلقنا بالعدل والإحسان في أمته بعد وفاته . معزاً كما الله عن ذلك

رفه في الجنة . وإيانا معكاً برحمته إبه أرحم الراحمين

اللهم إني أشهدك وأشهد رسلك ، وأشهد أبا بكر وعمر ، وأشهد ثلاثك
حبيب هذه الروضة الكريمة والمعالمين عليها . أني أشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ، وإمام المرسلين وأشهد

كل ما حده به من أمر وهمي عما كان أو ما هو كائن فهو صدق لاشك في

الإسراء . وأني مقر لك بحبائبي ومحبتي في الخطرة ولعكزة والإرادة والتملة .

بما سئلت به علياً إدا شئت أخذت وإدا شئت عصوت عنه . مما هو متضمن

بكرام والعاق أو البدعة أو الفلانة أو المعصية أو سوء الأدب معك ومع رسولك

بأنائك وأوليائك من الملائكة والانس والجن ، وما عصمت به من شيء في

حكك فقد ظلمت نفسي بجميع ذلك فامس على بالذي منت به على أوليائك ،

وأنت أنت الله الملك المدام الكرم العفور الرحيم

•••••

لقد كان أبو الحسن حبل الظهور جسماً وملماً ، وكان فارساً يركب الحبل

ونفتها ، وكان غير متفرح فيما يتعلق بالأكل والشرب من حيث النوع وإن كان

يخرج كل التفرح ميبساً من حيث الخلل والحلوة

وكان عالماً أجمل ما يكون العلم وأصفه .

وكان معاهداً يقف مع الجيوش في الميدان يعمل على إحرار النصر .

وكان مكافئاً يعمل في الحرث والغرس والحصد .

وكان عابداً أدت به عبادته إلى قرب . قال هو عن حقيقته . إبه العية بالقرب

من القرب لعظم القرب . هذا هو أبو الحسن .

إبه يمثل شخصية المسلم التي أحب الله لكل فرد من حبر أمية أفرحت للناس

ومن أسبل ذلك كتب عه عليه القوم مادحي معروفي بفضلهم . يقول صاحب

الفاخر العلية :

ومن ذكره من الأولياء والعلماء في زمنه ومن بعده :

والشيخ صفي الدين بن أبي التصور الشافلي في رسالته ، وأثنى عليه الله .

المطيع على حسب معرفته .

والشيخ عبد الله بن النعمان ، وشهد له بالقطابية .

والشيخ قطب الدين القسطلاني في جملة من لقيه من المشايخ .

والشيخ تاج الدين بن صطاء الله في لطائف المنن .

والشيخ سراج الدين الملقب في طبقات الأولياء .

والشيخ جلال الدين السيوطي في حسن المحاضرة .

وسيدى عبد الوهاب الشمراني في طقاته .

والماورى في الكواكب الدررية . وذكره غير هؤلاء من المشايخ ، كل واحد منهم

يشي عليه ويصفه بما عرف من قدره ، اهـ . وللشراء فيه الكثير من الشعر نكتل من

ذلك يعرض مايقوله الإمام البوصيري صاحب البردة للباركة رضى الله ع

وأرضاه :

أما الإمام الشافلي طريته في الفضل واضحة لعين المهتدي

ماقل ولو قدماً على آتاه فإذا فلت فذاك أخذ باله

قطب الزمان وغوته وإمامه عين الوجود لسان سر الموحده

ساد الرجال . فقصرت عن شأره مهم الآرب للملا واليزده

أو ماوردت على مكان ضربه وضمت ربح الند من زوب بدى

ووجدت تعظيماً بقلبك لو سرى في جسد مجد الورى للجلده

مقل السلام عليك يا بحر الندى الطامى وبخر العلم بل . والرشد

هذا ولعل خير ماثتم به حديثاً عن شخصية أبي الحسن هو ماكان له
شخصية من أثر روحى على طائفة من أكابر القوم الذين اتقوا به وعمموا منه :

يقول ابن عطاء الله : « ونشأ على يد الشيخ رضى الله عنه : جماعة كثيرة ،

هم من أقام بالمغرب كتابي الحسن الصقل . وكان من أكابر الصديقين ، وعد الله

لحسبى وكان من أكابر الأولياء ..

ومهم من تبعه وهاجر معه إلى مصر . منهم شيخنا وقدوتنا إلى الله أبو العباس

نهاب الدين أحمد بن عمر الأنصارى الرسى . رضى الله عنه ، ومنهم الحاج محمد

خرطبي ، وأبو الحسن البجالي المدفون بظاهر أشمون الرمان وأبو عبد الله البجالي

رؤحهاى والجزار .

ومهم من صحبه بديار مصر ، منهم الشيخ عبد الله بن منصور المروف بكرب

لمين الأسمر ، والشيخ عبد الحكيم ، والشرف البوفى ، والشيخ عبد الله اللقانى ،

والشيخ عثمان البورينى ، والشيخ أمين الدين جبريل .

ولكل هؤلاء علوم وأسرار وأصحاب أعفوا عنهم ، اهـ .

٣ - العمل بالكتاب والسنة

جاء الدين الإسلامى بشكاييف عديدة لصالح المجتمع ولصلاح الفرد . وهذه

شكاييف ينسب من اسمها أن فيها شيئاً من الشقة على هؤلاء الذين لم يتدبروا الصلة

الله . ولما فى التكالييف من مشقة حاول كثيرون التحلص منها بشقى الوسائل أو

التأويلات المنعرفة .

ومن أضل هذه الوسائل ما يؤمسه البعض من أنه وصل من الصلة بالله ، إلى

... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

... ..
... ..
... ..

وأرباب الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والبيان : لأن أهل الشهود والبيان قدسوا الحق في ظهوره أن يحتاج إلى دليل يدل عليه وكيف يحتاج إلى دليل من نصب الدليل ؟ وكيف يكون معروفاً به وهو المعروف له ١٢٠ هـ .
 إن أبا الحسن عاد فاضحه إلى السج الإسلامي الصادق فيما يطلق بوجود الله .
 إن وجوده سبحانه أوضح وأظهر من أن يحتاج إلى دليل . وإن تقديس الله سبحانه يتأى بالثؤمن عن أن يتخيل - مجرد تخيل - أن الله يحتاج إلى إثبات وجوده .
 وإن جلال الله - وهو جزء من عقيدة المؤمن - يسمو بالثؤمن عن أن يتزل إلى

هذا المستزى من الانحراف .

والواقع أن كل محاولة لإثبات وجود الله بما هي انحراف عن السج الإسلامي السليم . وإذا كان أبو الحسن قد وجه أتباعه إلى هذا النهج . فإما يتبع في ذلك سبج القرآني : وذلك أن القرآن الكريم . وجميع الرسل . صوات الله وسلامه عليهم . قد نزهوا الله عن أن يجاروا الاستدلال على وجوده . وقسموه عن أن يكون وجوده في حاجة إلى حجة وبرهان .

وقد سار الإمام الشاذلي على هذا النسق متبعاً ومقتدياً .

بيد أن فكرته أصبحت الآن غامضة كل الغموض . ذلك أن بدعة إثبات وجود الله شائعة حتى في الأوساط المستغرقة في التدبير . ومن أجل ذلك يضاهل الكثيرون : أكان أبو الحسن محققاً في رأيه هذا ؟

ومن أجل إيضاح فكرة أبي الحسن . ولأن الموضوع في نفسه جدير إلى حد بعيد بالاعتصام . فإننا نخفض هنا في شرح هذا الموضوع عسى أن يسود توجيهاً إلى الحسن فيرجع الناس من البدعة إلى التوجه السليم . على أن من سقى إلى الحسن علينا - ونحن نكتب عنه - أن نستفيض في شرح فكرة من أفكاره . كان للمادة والالاف . وكان للرسم والطروف دخل في أن أصبحت غير مفهومة فهماً

٤ - الاستدلال على وجود الله

يقول ابن عطاء الله الكنتري مبرراً عن رأي المدرسة الشاذلية :

« وإذا كان من الكائنات ما هو عسى بوصوحه عن إقامة دليل . فالكون أول

بشاه عن الدليل منها » (٢٧) هـ .

وهذه الفكرة إما هي عودة إلى الطريق الصواب فيما يتعلق بما سماه المتكلمون :

« إثبات وجود الله . . . وهي فكرة وجه إليها الشيخ أبو الحسن مريدبه أكثر من مرة .

وهو يقول : « كيف يعرف بالعارف من به عرفت للعارف . أم كيف يعرف بشيء

من سبق وجوده وجود كل شيء » (٢٨) .

ويقول أيضاً : « وأما لسطر إلى الله بصفات الإيمان فأغتنا ذلك عن الدليل

والبرهان . وإنما لا يرى أحداً من الخلق . هل في الوجود أحد سوى الملك الحق ؟

وإن كان ولا بد فكالمجاه في الهواء . إن فتنه لم تجده شيئاً » (٢٩) هـ .

ويتابع أبو الحسن الحديث فيقول : « ومن أعجب العجيب أن تكون الكائنات

موصلة إليه . فليت شعري هل لها وجود معه حتى توصل إليه . أو هل لها من

الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له ؟

ويقول : « وكيف تكون الكائنات مظهرة له . وهو الذي أظهرها . أو معرفة له

وهو الذي عرفها .

هذا الاتجاه الذي علمه أبو الحسن لتلاميذه ونشره بينهم . أخذ ابن عطاء الله

الكنتري في إضاعته وكتابه على أنحاء شتى . فمن ذلك قوله :

(٢٧) لطائف اللان ص ٢٧ طبعة التونسية

(٢٨) لطائف اللان ص ٢٦ طبعة التونسية

وأضحاً ، أو غير مقدرة تقديراً صحيحاً .

حين بدأ الرسول ﷺ الجهر بدعوته . بعد نحو ثلاث سنوات من الإصرار بها .
ففيه صلوات الله وسلامه عليه . لم يبدأ بإثبات وجود الله ، وإنما بدأ بالرهنة على صدقه هو ، وتحدى العرب بصدقه ، ومن قبل ذلك ، حين فاحاه الملك في العار ونزل الوحي ، ولم يبدأ الملك أو لم يبدأ الوحي ، بإثبات وجود الله ، وإنما بدأ بالامر بأن يقرأ الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، باسم ربه :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق) .

ومضى القرن الأول كله ولم يحاول إنسان قط ، أن يتحدث حديثاً عابراً أو مستفيضاً عن إثبات وجود الله ، تعالى ، ومضى أكثر القرن الثاني والثالثة - فيما يتعلق بوجود الله - لا توضع موضع البحث ، ذلك أن وجود الله ، إما هو أمر يدعى لا ينبغي أن يتحدث به المؤمنون نقياً أو إثباتاً ، ولا سلباً أو إنجافاً . بل وجود الله من القضايا المسلمة التي لا توضع ، في الأوساط الدينية ، موضع البحث : لأنها فطرية ، وأن كل شخص يحاول وتسمها موضع البحث إما هو شخص في إيمانه دخل ، وفي دية الحراف ، فاحى الله قط حتى يحتاج إلى أن يثبت البشر ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن المعروف أن الدين الإسلامي لم ينجح لإثبات وجود الله ، وإنما جاء توحيد الله ، وإذا تصفحت القرآن ، أو التوراة حتى على وضعها الخلل . أو الإنجيل حتى في وضعه الرامن ، فإنك لا تجد أن مسألة وجود الله قد اقتضت في سفر منها مكانة تجعلها هدفاً من الأهداف الدينية ، أو احتلت مكاناً يشر بأنها من مقاصد الرسالة السماوية .

والقرآن الكريم يتحدث عن بديهة وجود الله حتى عند ذرى العقائد النجسة : يقول سبحانه : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن : الله)

اسم يقولون . إن الخالق هو الله ، مع أنهم مشركون أو محزون ووجه من وجهه ، في إيمانهم بالله تعالى ، وما برلت الأديان قط لإثبات وجود الله ، وإنما برلت لتصحيح الاعتقاد في الله أو لتصحيح طريق التوجه

ما الآيات الكريمة التي يطن بعض الناس أنها نزلت لإثبات الوجود ، وليست من ذلك في قيس ولا في كثير ، إنها نبي عطمة الله وحلاله وكريامه وهيئة تكلمة على العلم ، ما عظم من أمره وما دق منه ، لا تنورت هيئته صغيره ولا كبيرة ولا يخرج عن سلطانه ما دق وما جل .

وقد أنت على هذا الوضع . لتعود الإنسان إلى إسلام وجهه لله . إسلاماً كاملاً . بحيث لا يصدر ولا يورد إلا باسمه سبحانه . ولا يأتي ما يأتي أو يدع ما يدع إلا في سبيله . تعالى .

ومضى القرن الأول على ذلك . ومضى القرن الثاني أو أكثره على المطرة . ثم ثم كانت الفلسفة اليونانية .
وعلمة اليونانية فلسفة وثنية . لأنها تصدر عن العقل لا عن الوحي . وكل فكرة تصدر عن العقل لا عن الوحي في عالم ما وراء الطبيعة ، أي في عالم العقيدة ، أي هي فكرة وثنية . أي أنها فكرة لا حتى ما في الوجود . لأن عالم العقيدة إما هو من خصائص الله . به على ساد رسه . وكل تدخل من الإنسان في هذا العالم . أي هو تدخل مما ليس للإنسان التدخل به . لأنه اقتحام لساحة محرمه مقدسة . لا يسمى . بدخلها الإنسان ، لا دخول الساحد الخاشع الخاضع المسلم لما حده ، به وحى إلهي

إن الفلسفة اليونانية في عالم العقيدة فلسفة وثنية . إنها وثنية حتى حيث تنسب وجود الله . ولا يخرجها إثبات وجود الله عن أن تكون وثنية . إنها وثنية مبدأ الذي

وحجرات الديانة النصرانية مصححة للوضع . فتزوت وكفر وتزويت عن تدبير
 ربيته . وصحته بالله جل جلاله عن أن تضع وجوده موضع بحث . ثم نسقت
 اليه كميكروب خبيث - وثنية اليونان ، فجمعت من وجوده - مجرد وجود
 بآنا مصححاً من أبواب البحث . أو من أبواب اللاهوت الكسبي . ونزلت
 بذلك الفكرة الدينية القنسة عن الله . إلى مستوى محرف عن الشئ البشري¹

وحجرات الاسلام تطهيراً كاملاً للمقيدة وثنية نامة للإيمان . وعلى مجرد النسبة
 والاسلام ، الحرب على التدخل البشري في حين الله ورسالته
 فإنا الاسلام ، والاسلام المطلق لله سبحانه وتعالى . إنه الاسلام مع الله
 على ما يرضيه . وهل للإنسان غير هذا بالنسبة لله . وهل سبغوس لا يصرف تصرفاً
 آخر؟ وهل إذا تصرف تصرفاً آخر يسمى مؤمناً؟

إن الاسترسال مع الله على ما يجب ، هو الإسلام . وهو الدين ولا دين غيره .
 يقول الله تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)

ويقول سبحانه : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) .
 وإن كل من لا يتسلم لله في وجهه استلاماً مطلقاً ، فإنه سبغوس . لا قليل أو

في كثيره حسب الخرافة - غير الإسلام ديناً .
 ولقد كان الإسلام توجيهاً . وكان مبادئ .
 ومن توجيه الإسلام : أن وجود الله لا ينبغي أن يوضع موضع البحث . وكل
 من وضع موضع البحث فإنه بذلك يعدل عن توجيه الله تعالى إلى توجيه بشري .

إنه ينبغي غير الإسلام موجهها ؟
 وانضى المسلمون الأول الإسلام توجيهاً . كما انضوه مبادئ . وسار الأمر على
 ذلك إلى أن تسلمت الفلسفة اليونانية - كميكروب خبيث . إلى الحو الإسلامي
 تسلمت في عهد الأمان . وتولى كبير هذا الضلل الأمان . وشجعه على ذلك معتزلة

أيت عليه ، وهو مبدأ تأليه العقل البشري . ويستوى بعد ذلك أن تكون قد أنشئت
 وجود الله أو أنكزته .

وهي حينما تثبت وجود الله عقلياً . يس في ذلك كبير فائدة . ولا يبرر ذلك
 وجودها . ولا قيمة لما نشأت . وإنشائها وحده سواء . ذلك أن العقل الذي أثبت

هو العقل الذي يمكنه أن ينكر . وهو العقل الذي ينكر بالفعل .
 ولا لزوم إذن للطئطة والتصديق الذي نجح به كل عقيرة فكرية في الشرو

لأولى الغرب لمحاول فكركم أن تثبت وجود الله .
 إننا لا نقيم عقيدتنا على فكر بشري مها كان هذا الفكر جعرياً . ويجب على

المؤمن الأقيم ورثاً - أي وزن - لأي نتج مكروى في علم ما وراء الطبيعة . سواء
 تخالف معتقده أم وافقه . إنه في معتقده بين الله وحده . وكفى بالله مصدراً .
 وكفى بالله هادياً . وكفى بالله مرشداً . ومن يتصمم بالله فقد هدى إلى صراط

مستقيم . ومن يتصمم بالله فهو حسب
 إن كل ما عدنا الهدى الإلهي في عالم الدين . إنفا هو وثنية وضلال .
 كانت الفلسفة اليونانية فلسفة وثنية بشرية ، وقد أرادت أن تجد لجأماً يصممها

من الخطأ فاختزعت فثاً وثنياً آخر . هو المطلق . لما أجدى ولا أغنى ، ولا تقدم
 بالفكر الوثني في عالم الصواب شرورى تغير .

وقيت هذه الفلسفة - غير القرون - على ما هي عليه . فيها كل سمات الوثنية
 من ضلال وخرافات

ولقد كانت الأمة اليونانية معذورة محض العذر . لما كان في ريوها دين منزل
 من السماء تلجأ إليه مهتبه مستشدة . وما كان مثلها في ذلك إلا اكتمل العصر
 الجاهل في الجزيرة العربية . فلجأت إلى العقل وألهه . وأخذت تثبت به وتنكر .
 فضلت وأضلت .

عصره ، وقابل المؤمنون ذلك بكثير من الشفور ، وحتى لم ذلك ، فما كان منظر الدين ولا منطق الفطرة السليمة يقضي بأن تكون راية المصممة ، أى راية الدين الإلهي مبروعة ، تزور على ربوع الأمة الإسلامية ويحيط العقيدة ، فسيل هذه الراية ، قلباً أو كثيراً ، لتزور يجرارها راية أرسطو - أو راية أبيقور .

ورفع المؤمنون راية الانحراف الوثنية وجرار راية الهداية المصومة . وعارض القوسوا واحتجوا وسوا أن الوثنية ، ولو وافقت الدين ، فهي وثنية . ولكن النجج الوثني أخذ يقوى شيئاً فشيئاً ، ثم طلب التصريح بالإقامة واستوطن . ومعاذ الله أن تكون عقائد الإسلام الكبرى - الإيمان بالله وبالرسالة وبالبيت - قد تلوث بالوثنية ، كلا ، وإنما الذي تلوث بالوثنية - وإلى حد كبير - إنما هو السج والتزعة والاتجاه في البحث ومسج البحث . وليس ذلك بالأمر الجير . أو الذي لا يؤبه له ، كلاً ، فذلك له خطورته في جانب قوة الإيمان وصفه ورفق بين أن تأخذ قضايا الوحي مأخذ المسلم للسردل معها على ماتريد ، وأن تأخذها مُحكماً فيها عقلك مؤولا ها ، أو عادلا بها إلى اتجاه خاص ، أو شارحاً لها على نزعة معينة

وتصير آخر : فرق بين أن تصدر عن الوحي متصهماً له عقلك ، وبين أن تصدر عن عقلك متصهماً للوحي ، ولعل بعض الناس لا يروى فرقاً في التعبيرين ، ولكن الفرق كبير إذا نظرنا إلى الوضع الإنساني ، فهو إما أن يطلق عن الوحي قائداً العقل إلى الحصر له ، وإما أن يطلق عن العقل محاولاً تأويل الوحي بما يوافق النتائج التي وصل إليها العقل .

والأول طريق المؤمنين المسلمين ، والثاني طريق الفلاسفة أو نتج الوثنيين . والنهج الوثني - نتج إثبات وجود الله - هو الذي تباح الانحراف الكامل ، أى إنكار وجود الله ، مما دام السج الوثني قد أعطى حق الوجود ، فإن الوثنية

- كسج - تأتي بالوثنية كنتائج .

إن وضع مسألة وجود الله موضع البحث هو الذي هيا لنورى الفطر المنعقدة أن لحدوا في دين الله ، وأن يكفروا به سبحانه . وهذه نتيجة أول .

لما النتيجة الثانية : فإنها ضعف الإيمان ، وإذا كنت تضع الوجود الإلهي - مجرد الوجود - موضع بحث ، فعلى ذلك أنك وصته موضع شك وريبة ، ولو لم يكن كذلك لما وضع موضع البحث .

وإذا كان الوجود الإلهي - مجرد الوجود - موضع شك وريبة فإذاً متى من أمور دين لا يوضع موضع شك وريبة ؟ إن الإيمان في هذه الأوضاع الوثنية لا يتأتى إلا أن يجبر شيئاً فشيئاً حتى يصبح كلا إيمان .

وهذا هو ما حدث في الأمة الإسلامية ، فقد وصل إيمانها إلى درجة يكاد معها أن يكون معدوماً . وما ذلك إلا لتفتن لسج الوثني في بحث قصايا الدين ومادته . لقد أصبحت قصايا الدين . كل قصاياهم . موضع بحث ، وهل يتأتى أن تنق قضية من قصايا الدين في مجال اليقين بعد أن وضع وجود الله - مجرد وجوده سبحانه - موضع البحث ؟ نستفرك اللهم وتوب إليك .

ويعود مقول . إن لدين في نفسه محفوظ يحفظ الله لكتابه العزيز .

(أنا نحن ربنا الذكر وأنا له كنعطون) .
ولكن الذي نشكو منه إنما هو النتج . أو المسج ، أو الرعة . أو الاتجاه في البحث ، إن الذي نشكو منه إنما هو : نتج البحث الوثني ، وإذا شئت قلت : إنما هو نتج البحث اليوناني .

سئل أحد العارفين عن الدليل على الله . فقال : الله .
مقيل له : فما العقل ؟ فقال : العقل عاجز لا يدل إلا على عاجز مثله .
أما الإمام الكبير العارف بالله ابن عملاء الله السكندري الذي جمع بين رسالة

إن أسرار القرآن الكريم لا يحصرها حاصر . ولا يحيط بها محيط . وكل إسان يهيم من أسرار القرآن على قدر استمداه .

وما من شك في أن المعنى المطلوب وجوباً اتباعه ، أو المطلوب وجوباً تركه .
واضح كل الوضوح ، لليس فيه ولا تنفيذ .

يد أن الإشارات الروحية والتوجيهات الإلهية للقلوب والبصائر من حلال الزمان الكريم لا يحيط بها عد ولا يأتي عليها الزمن .. ومن هنا كان صادقاً مايقوله أحد المفكرين وقد سُئل عن خير تفسير للقرآن فقال : الزمن .

هذه الإشارات للقلوب والبصائر تسع وتمييز وتردد بسبب زيادة الإيمان في تحقيق معنى المبودية فه سبحانه وتعالى .

وهي إشارات لانغمز حلالاً ولا تحلُ حراماً ، إنها ليست من نوع تأويلات لطينية ، هذه التأويلات المنحرفة ، والتي يهدمها من أساسها في سهولة ويسر عمل رسول الله ﷺ ، فقد طبق صلوات الله وسلامه عليه دين الله تطبيقاً هو الأسوة التي نتخذى ، والتي إذا فُرح الإنسان من دائرتها ، في الدين ، فإنه يكون عاظماً ضالاً ، لقد أخرج رسول الله ﷺ وصحابه البررة الأصفياء الأوامر الإلهية ولوامي الإلهية عن دائرة النظريات إلى دائرة العمل ، وتحدد ذلك المعنى المقصود من الأوامر والنواهي تحديداً لا نسب به ، وكل تأويل إذن للأوامر والنواهي يخرجها عن أن تكون مطابقة لعمل الرسول ﷺ ، وعمل الصحابة فإعاً هو تأويل باطلٍ صال .

أما الإشارات التي جنبها هنا فإنها إشارات روحية ترشد إلى معارج للروح تتسلى بازدياد الإنسان في القرب من الله عن طريق الاستقامة .

ولقد صمينا هذه الإشارات و أجواءه ، فإن لكل ولي جزء الذي لا يتعارض مع سحر الأولياء الأحرار ، وإن كان عبيره الركي قد يختلف عن العبير الركي الذي يشع من زميله . وما من شك في أن أريج الزهور المختلفة ، ذوات الروائح الجميلة ،

الشريفة ، ورواسة الحقيقة فإنه يقول :

إلى كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك . أيكون لتفكير من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى خبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟ ومتى بدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ؟

وكيف يتصور أن يحبه شيء ، وهو الذي أظهر كل شيء .

وكيف يتصور أن يحبه شيء ، وهو الذي ظهر بكل شيء .

وكيف يتصور أن يحبه شيء ، وهو الذي ظهر في كل شيء .

وكيف يتصور أن يحبه شيء ، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء .

وكيف يتصور أن يحبه شيء ، وهو أظهر من كل شيء .

وكيف يتصور أن يحبه شيء ، وهو الواسع الذي ليس معه شيء .

وكيف يتصور أن يحبه شيء ، وهو أقرب إليك من كل شيء .

وكيف يتصور أن يحبه شيء ، ولولاه ما كان وجود شيء .

إشنان بين من يستدل به أو يستدل عليه ، المستدل به عرف الحق لأهله .

فأثبت الأمر من وجود أصله . والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه ، وإلا فهي

عاب حتى يستدل عليه ، ومتى بدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه .

رسم الله أبا الحسن وجزاه الله ومدبرته خير الجزاء على هذا التوجيه السليم .

٥ - أجواء في القرآن الكريم

يقول الله تعالى في سورة لقمان :

(وَلَوْ أَنَّ نَأْمَى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ، وَالْبَيْعُ بِنُدَّةٍ مِنْ نَعْمَةٍ مِثْبَةٌ أُخْتِرُ

مَا نَقِذْتِ كَلِمَاتِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

مس كله ، مرغوب فيه جميعه . ولكن الإنسان قد يبذل بطبعه إلى نوع منها .
 كثير من ميله إلى نوع كثر : - - - - -
 زه يفسر أبو الحسن القرآن تفسيراً كاملاً ، ولم يشح صحيح البخارى أو
 صحيح مسلم ، ولم يرد مؤرخوه و تفسير القرآن وفي شرح الحديث أشياء كثيرة
 وقد حاولنا ، نقدر الاستطاعة ، أن نتخج من هنا وهناك ما تاتر من الدرر التي
 تمنح بالقرآن أو بالحديث
 وله ييسر لنا - نقلنا - أن نسقها باقائت ، أو أن نغدهها ، ملهبا ، أو أن
 نضمها نصولا ، أو أن نلتزم فيها التحديد الموضوعى المحدد ، ونزسلها دون أن
 يلتزم فيها أى ترتيب ، اللهم إلا ترتيب اللوق .
 ومى على كل حال بوضعها الذى هى عليه ، تعطى وى وضوح صورة عمى
 أن الحسن الروسى ، وتبعث فى النفس أسفاً شديداً على ما تطرق إلى مديلتها من
 إهمال أو نسيان .
 ١ - سئل رضى الله عنه عن تفسيره بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : النفس
 لا التهم .
 ٢ - وقال : إن أردت الصدق فى القول فأكثر من قراءة :
 (أَبَا أَرْكَأَهْ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ)
 وإن أردت الإخلاص فى جميع أحوالك فأكثر من قراءة :
 (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) .
 وإن أردت تيسير الرزق فأكثر من قراءة
 (قُلْ أَغُوذُ بِرَبِّىَ الْغَلِيِّ) .
 وإن أردت السلامة من الشر فأكثر من قراءة :
 (قُلْ أَغُوذُ بِرَبِّىَ النَّاسِ)

٣ - إذا كثرت عليك الخطاير والوسواس فقل سبحان الملك الحلاق :
 (إِنْ يَشَأْ يُدْهِمِكُمْ وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ، وَمَا ذَلِكْ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ) .
 ٤ - إذا ورد عليك مزيد من الدنيا أو الآخرة فقل : (حَسْبِيَ اللهُ يُبَيِّنُنَا اللهُ
 مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ) .
 ٥ - من أجل مواهب الله : الرضا بمواقع القضاء ، والصبر عند نزول البلاء ،
 ولتوكل على الله عند الشقاء ، والرجوع إليه عند التوب ، فمن خرجت له هذه
 الأربع من حزائن الأفعال على ساط المجاهدة ومناحة السنة والاعتداء بالأئمة ، فقد
 صحت ولايته لله ولرسوله وللؤمنين :
 (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْقَائِمُونَ) .
 ومن خرجت له من حزائن اللعن على ساط الهبة ، فقد تمت ولاية الله له
 بقوله . (وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) .
 وفروى بين الولايتين ، فبعد يتولى الله ، وبعد يتولاه الله ، فهما ولايتان :
 وصغرى وكبرى ، فولايك الله خرجت من المجاهدة ، رولايتك لرسوله خرجت من
 مايمتلك لسته ، وولايتك للمؤمنين خرجت من الاعتداء بالأئمة ، فافهم ذلك من
 قوله (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْقَائِمُونَ) (٢٤٩)
 ٦ - غصلة واحدة تحط بالأعمال ، ولا يتبها لماكثير من الناس ، وهى مخط
 البعد على قضاء الله تعالى ، قال تعالى :
 (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا آتَى اللهُ فَأَحْبَبَتْ أَعْمَالَهُمْ) .
 ٧ - إذا نقل الذكر على لسانك ، وكثر اللغو من مقالك ، وانبطت الجوارح
 وشهوائك ، وانسد باب الفكرة فى مصالحك ، فاعلم أن ذلك من عظيم
 أضرارك ، أو لكون إرادة النفاق فى قلبك .

بالتكليف ، لما تورث فيه المورثتان استحق أن يكون خليفة ، وأنت أيضاً لك قسط من آدم ، كانت بدايتك في سماه الروح في جنة لتعارف فأنزلت إلى أرض النفس لتعبده بالنكليف ، لما تورث فيك المورثتان استحققت أن تكون خليفة (٣١١)

٩- (تجاني جنوهم عن المتجاجع) .

أترامم منع جنوهم عن مضاجع النوم ، وترك قلوبهم مضجعة وساكنة لغيره ؟ بل رجع قلوبهم ، ولا يضاجعون بأسرارهم شيئاً فالفهم هذا المعنى :

(تجاني جنوهم) عن مضاجعة الأغيار ومنازعة الأقدار .

(يذهبون زيبهم خوفاً وظمناً) : فالخوف منه قتلهم من غيره ، وبالشوق إليه أطعمهم فيه .

(زيباً زرقانهم يفتقون) ولورسمى وسط الكلام مهما لكبت لك سحلات لكن الحق قهر القلوب بقدرته ، وأتمشها بحكته . وأغناها بمناجاته عن عظامه خلة |

١٠- من سوء الفطن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق قال تعالى : (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدين والآخرة لنبهنا الله بالبينات) (سورة الشورى آية ١١) ثم يتقطع قلبه من يذهب كينه ما يتعيط) .

١١- إذا عرض لك عارض يصدك عن الله فانت ، قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا نفيتم عنه قاتلوهم وأذكروا الله كثيراً لعلكم تقيون) (سورة البقرة آية ١٩٠) .

١٢- من الضفاق : التظاهر بفعل السنة ، والله يعلم منه غير ذلك .

(٣١١) لعلاف اللذ من ٥٣ ، ٥٤

وليس لك طريق إلا التوبة والإصلاح والاعتصام بالله ، والإخلاص في دين الله تعالى ، أو تسع قوله تعالى : (الذين آمنوا وأصلحوا وأخلصوا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك هم المفلحون) .

ولم يقل من المؤمنين ، فأصل هذا القول إن كنت فقيهاً والسلام (٣١٠) . وقال رضي الله عنه في قوله تعالى :

(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأمناء الذين آمنوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يبرقع قلوبهم ثم تاب عليهم) .

ذكر توبة من لا يذب لللا يستوحش من أذنب ، لأنه ذكر النبي ﷺ والمهاجرين والأمناء ولم يذسوا . ثم قال : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) . فذكر من لم يذب ليؤنس من قد أذنب . طر قال أولاً لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا لتعصرت أكبادهم .

٨- وقال الشيخ أبو العباس ، رضي الله عنه ، كنت مع الشيخ في سفر ونحن قاصدون إلى الإسكندرية حين مجئنا من المغرب ، فأخذني ضيق شديد حتى ضعفت عن حمله ، فأتيت إلى الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه ، فظا أحس بي قال : أحمد . قلت : نعم ياسيدي .

قال : آدم خلفه الله بيده ، وأسجد له ملائكته ، وأسكنه الجنة نصف يوم - خمسمائة عام - ثم نزل به إلى الأرض ، والله ما نزل الله بآدم إلى الأرض ليقصه ولكن برل به إلى الأرض ليكله ، ولقد أنزله إلى الأرض من قبل أن يخلق قوله تعالى : (إني جاعل في الأرض خليفة) .

وما قال في الجنة ولا في السماء ، فكان نزوله إلى الأرض نزول كرامة لا نزول إهانة ، فإنه كان يعبد الله في الجنة بالتعريف ، فأنزله إلى الأرض ليعده

(٣١٠) حرة الأسرار من ٥٠

١٩- سمعت الحبيب المروي عن رسول الله ﷺ :
 من سكن حوب الفجر قلبه قل ما يربح له عمل ، فكنت مئة أهل أنه
 لا يربح لي عمل . أقول : ومن يسلم من هذا ، وأبى رسول الله ﷺ في المنام
 وهو يقول لي : يا مبارك أهلكك فسبك مرق بين خطر وسكن .

٢٠- واعلم ، أليك الله سور الصيرة ، وصفاء السريرة ، أن رسول الله ﷺ
 قيل له : من أولياء الله يا رسول الله ؟ قال الذين إذا زكوا ذكروا الله . فافهم معنى قوله
 إذا زكوا . فاعدل عن رؤية الأجسام إلى رؤية المعاني والأهوام عدولا كاملا عن
 رؤية الصور العانية التي تقع الشركة بها مع الأنعام التي لا بصيرة لها . واعتد بنور الله
 لسوء في القلوب الذي به تطورا واعتبرا ووصوا وتحققوا ولا تكن مثل أولئك
 الذين قال الله تعالى فيهم : (وَتَرَاهُمْ يَتَّبِعُونَ آلِيكَ وَهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ) .

هدا صريح في أطيب الحلق وأبصرهم ، وه ويتوره ويطيه طالب كل شيء .
 وإنه لأمر عجيب في إيثاره الطيب ، لانفاق العلماء أن راعته أطيب من كل
 طيب . فافهم ودخل في ميدان معرفته ﷺ تسليماً .

ومالك لا تقول كما قال : « والله ما أكل إلا لنا ، ولا شرب إلا لنا ،
 ولا نكح إلا لنا . كذلك لا يطيب إلا لنا . فهو إذن أصل كل طيب ، وبهاء كل
 معدن . وهو معدن المعادن ، فاقبض من نوره ، واخترق من بخره ، واشرب من
 معرفته ، وترين طاعته تكن الأشياء طوع بيليك . »

٢١- العارف من عرف شدائد الرمان في الألفاظ الحاربه من الله عليه .
 يعرف بساءة نفسه في إحسان الله إليه : (فَذَكِّرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ)
 ٢٢ (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) .

مسهل ير عبد الله هذه التقوى من الحول والقوة ، وعدل عما تزين به
 البطالون من ظاهر التقوى مع دنس باطنه وهذا صحيح في هدا ظاهر المعاصي

قال الله تعالى : (مَا لَكُمْ مِنْ حُوقِهِ مِنْ ذَلِيٍّ وَلَا تُشْفِقُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)

١٣- مراكز النفس أربعة . مركز للشهوة في المحالقات ، ومركز للشهوة في
 الطلعات . ومركز في الليل إلى الراحة ، ومركز في الصبح عن أداء المروضات
 (فاقضوا المشركين حتى وكنتموهم وخيلوهم واخضروهم واقعدوا لهم كل
 حوزيد . فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم . إن الله عود

رحيم)

١٤- من الشهوة الحفية للول إرادته التصرة على من ظلمه ، وقال تعالى
 للمصوم الأكبر ﷺ : (فَاضْرِبْ كَمَا ضَرَبَ أَوْلُو التَّوَمِ مِنَ الرُّسُلِ) .
 أي فإن الله تعالى ، قد لا يشاء إعلاكمهم .

١٥- من أحسن المحصون من وقوع البلاء على المعاصي : الاستغفار . قال الله
 تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ . وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ
 يَسْتَغْفِرُونَ) .

١٦- لو علم نوح عليه السلام أن في أصلاب قومه من يأتي يوحد الله ، عز
 وحل ، ما دعا عليهم . ولكان قال . « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يتفكرون ، كما
 قال رسول الله ﷺ . فكل معها على علم وبيته من الله تعالى

١٧- قرأت ليلة قوله تعالى :
 (وَلَا تَجْعَلْ أَعْوَابَ الَّذِينَ لَا يُتَّقُونَ ، أَنْهُمْ كَانُوا يُشْرِكُوكَ بِرَبِّكَ) .
 فنت ، فأبى رسول الله ﷺ وهو يقول :
 « أنا ميتن يعلم ، ولا أغنى عتلك من الله شيئاً . »

١٨- سمعت الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ : « إبه ليكان على قلمي
 فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة ، فاشكل على معناه . فأبى رسول الله ﷺ ،
 وهو يقول لي : « يا مبارك ذلك حين الأوار لا حين الأخيار . »

ويستلهمي لما يريد منهم حكماً ، مهم في سعاقل عزه تحت سرادقات مجده يصومهم من كل شيء إلا من ذكره ، ويقطعهم عن كل شيء إلا عن حمد ، ويختارهم من كل شيء ، إلا من وجود قربه ، ألتهم بذكره لهجة ، وقلوبهم بأنواره بهجة ، وطلهم وطياً بين يديه ، فطوبهم جائزة في حضرته ، وأسراهم محقق بشهود أهديته .

٢٤ - رأيت كآني في علين مع اللامحة المقرين في معم لأبني عنه بدلا

فقالوا : سر إلى الريادة . مسرت معهم ، مدخلت في موطن كريم لا أقدر على

وصفه طامعاً في الشهود فإذا أنا بشهود لا أقدر على وصفه

فقيل : من كفت جوراحه عن معصيتي . وزيتته محفظ أماني . وقنحت قلبه

لشاهدي ، وأطلقت لسان سرو لجانجى ، ورضت الحجاب بينه وبين صفائي ،

وأشهدته معاني أرواح كلالتي . فقد زحزحه عن النار وأدخلته جنتي ، وفاز مقرى

وصحته ملاحتي . (من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) .

هذه حنة معجزة لأهل الإيمان البالغ يقيناً ، وسيدخلونها يوم الجراء بأبدانهم

ذوقاً وحساً وعياناً ، ثم أناديم بالمبارة والإشارة واللفظ والحقيقة :

(يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أوتوكم من الجنة) .

٢٥ - الكاملون : حاملون لأوصاف الحق ، وحاملون لأوصاف الخلق . فإن

رأيتهم من حيث الخلق رأيت أوصاف البشر .

وإن رأيتهم من حيث الحق رأيت الأوصاف التي زينهم بها .

فظاهرهم العفر . وباطنهم النقي . تخلفاً بأخلاق رسول الله ﷺ . قال

نعالى : (وَجَدْنَاكَ عَائِلاً قَائِماً) . أفترأه أفضاه بالمال ؟

كلا . وقد شد الحبر على بطنه من شدة الجوع . وأظلم الجيش كله من

صاع ، وخرج من مكة على قلبه ليس معه شيء ، يأكله دركيد إلا شيء . بواربه

إبط بلال .

والشهورات وتحمل نفسه على أنواع الطاعات ، وقد سد الألق بالدعاري ، وأضار المحول والقوة إلى نفسه ، فهلما عبد قد جاوز الحدود وأعظم القرية والمعجب ، ولا يقوم بخيره بشره ، والمحققون ينسبون له (٣٧) الأشياء ويظنون إلى البراءت والملاية ، فإذا فقدت الحار علموا أن علمه وصله مدخولان . وإذا فقدت البراءت الصحيحة في الأصول فلا يتكبرون بأعلمهم ، قال الله عز وجل :

(وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً) .

فيا مدعى التقوى أين المخرج ؟ فإذا رأيت المخرج ، ثمرة لتقواك وذلك ، بوعد

الله وصمائه ، فأنت على الصواب والخير ، وإذا لم تجد تقواك إلا تحميراً فمن الصادق

ومن الكاذب ؟

(وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ اللَّهِ قِيلاً) . (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)

ولا يصح التوكل إلا للفقير . ولا تتم لتقوى إلا لتوكل .

فدققوا النظر في البواعث والأصول والآثار ، والله يحب الصابرين .

٢٣ - جاء في الحديث :

« من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيت أفضل ما أعطى السائلين » .

فإذا كان الحق سبحانه قد رضى لم أن يشغلهم ذكره عن مسألته فكيف

يرضى لهم أن يشغلهم ذكره والثناء عليه عن الانتصار لتفوسهم .

ومن عرف الله سد عليه باب الانتصار لنفسه ، إذ العارف قد اقتضت له

معرفة الأيشهد صلاً لتغير معرفه ، فكيف يتصر من الخلق من يرى الله فهلاً

بهم . وكيف يدع أوليائهم من نصرته وهم قد ألقوا نفوسهم بين يديه مسلمين

٢٦ - من العاقب التطاهر بفعل السنة والله يعلم به غير ذلك ، ومن الشرك بالله
 أعاد الأولياء والشهداء من دون الله ، قال الله تعالى :
 (مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَيْعٍ ، أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) .

٢٧ - العلوم التي وقع التناء على أهلها وإن جلت ، فهي ظلمة في علوم خوي
 بالتحقيق وهم الذين غرغروا في نيار بحر الدعات ، وعروض الصفات ، فكانوا هداك
 بلاهم ، وهم الخاطئة العليا الذين شاركوا الأنبياء والرسل ، عليهم الصلاة
 والسلام في أسوأهم ، فلهم فيها نصيب على قدر إرتهم من مودتهم ، قال النبي
 ﷺ : الطماء ورتة الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام .

أي يقومون مقامهم على سبيل السم والحكمة لا على سبيل التحقيق بالقيام
 والحال ، فإن مقامات الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، قد جلت أن يلح
 صفاتها غيروهم

٢٨ - كل وارث في الميزة الموروثة لا يكون إلا بقدر مورثه فقط ، قال تعالى :

(وَقَدْ فَصَّلْنَا نَعْفَى السَّيِّئِينَ عَلَى نَعْفَى) كما فصل بمعصهم على بعض كذلك
 فصل ورتهم على بعض ، إذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعين للحق وكل غير
 نهج منها على قدرها ، وكل ولي له مادة محصورة .

٢٩ - لا تختر من الأمر شيئاً واختار الأبخار ، وفرق ذلك المختار فوارك من كل
 شيء ، إن الله تعالى : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) .
 وكل عتارات الشرع وترتيباته فهي عتار الله ، وليس لك منه شيء ، ولابد
 لك منه ، واسع وأطع ، وهذا موضع الفقه الرباني والعلم الإلهي ، وهي أرض لعلم
 حقيقة المأسودة عن الله تعالى ، لمن استوى ، فافهم !

٣٠ - وقال رضى الله عنه : همست أن أدمو على ظلام فنزلت في ذلك
 ورأيت أستاذي رضى الله عنه يقول لى : إن الله إن شأ إبلاك ظلام فلا تستعمل

له ، فالاستعمال بالهلاك للأعداء وإرادة النصر للأولياء من الشهوة الخفية ، ومن
 ظلم عم ينازع إرادة مولاه ، وتبع شهوة نفسه ومواه ، وقد أمر المعصوم الأكبر
 ﷺ ، ونهى بقوله تعالى :

(فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) .

وقوله تعالى : (فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُصْتَبِينَ) .

فالإيمان هو الصفات بالصفات ، والأسماء بالأسماء ، وتقريب الذوات
 بالذوات ، لتحقيق ما هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، فأى شيء كان معه
 أنراً حتى يكون معه أولاً ، وأى شيء كان معه ظاهراً حتى يكون معه باطناً ، فما
 ثبت من المخلوق فليأياته ، وما نضحى فمشيئته وإرادته ، وحذ ذلك من قوله تعالى :

(يَتَخَوَّأُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُؤْتِيهِمْ مِنْ أَمْحَى الْكُتَابِ) .

وهو العلم الأول وعنه صدر كل علم وكتاب .

٣١ - وقال رضى الله عنه : إن أردت أن تنظر بعصر الإيمان والإيمان دائماً
 لكن لنم الله شاكراً وبقضائه راضياً .

(وَمَا يَكُفُّ مِنْ رِغْمَةٍ قَبْرِ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَنَّكُمْ الْفُضْرُ فَإِلَى تَجَارُونَ) .

٣٢ - قرأت سورة الإحلام والمعدنين ذات ليلة ، فلما انتهت إلى قوله
 تعالى : (مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنََّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُكُورِ النَّاسِ) .
 رأيت بعد ذلك يقال لى : شر الوسواس ، وسواس يدخل بينك وبين
 حبيك ، وينسبك أفعالك الحسة ، ويكثر عندك ذات الشغال ، ويذكر كرك أفعالك
 السيئة ، ويقال عندك ذات البين ، ليدل بك عن حسن الفن بالله ورسوله إلى
 سوء الظن بالله ورسوله .

٣٣ - ألقى بنفسك على باب الرضا ، وانطلق عن عزائمك وإراداتك حتى من
 نوبك بوجه ، قال الله تعالى : (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيُتُوبُوا) .

الشرح وبين لهم أنهم إذا أسلموا رحمتهم به كانوا كفالك ورعايته . وكانوا ملك في أمر وسلام . (آل ابن أزياء) الله لا تخوف ظلمهم ولأنهم يمتحنون . الذين سؤوا وكانوا يشقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا يتبدل بالكلمات . ذلك هو الفوز العظيم .

وأراد أبو الحسن أن يسير بحسب استعداده للمخرج ، وهو يصف القصة وهم فعل الله وخاصة بهذه الكلمات الجميلة :

وأما أهل الله وخاصة . فهم قوم جديهم عن الشر وأصوله . واستعملهم في الخير وفروعه وجب إليهم الخلوقة . وضع لهم سبيل النجاة ، فنصف إليهم همومه . ونحب إليهم فأحبوه ، وهدهم السبيل إليه فسلكوه معهم به وله . لا يدعهم لغيره . ولا يجربون عنه . بل هم محببون به عن غيره . لا يبرفون سواء . ولا يجربون إلا إياه . أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب ، اهـ .

وليس كل الناس يستطيع ذلك ، ولا يطمع أبو الحسن أن يصل بهم جميعاً إلى مد ، ولكن إذا كانت طبيعة الأمور تأتي التسرية في الطباع لأنها لا تأتي إشاعة جو من النور والمهودية والإخلاص فيفس منه كل بحسب استعداده .

ويحسن بنا قبل رسم الطريق الصوفي أن نتحدث عن التصوف في رأي أبي الحسن ، يقول رضي الله عنه :

التصوف تعريف النفس على المهودية . وودعا لأحكام الربوبية .

وهذا التعريف يشبه التعريف الذي ذكره الطنطلي المتوفى سنة ٣٤٨ هـ للتصوف . وهو : طرح النفس في المهودية والمخرج من البشرية ، والظن إلى الحق بالكلية .

ويشبه التعريف الجميل للتصوف الذي ذكره روم ، المتوفى سنة ٣٠٣ هـ وهو : استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد .

٦- الطريق الصوفي

— إن كلمة الإسلام التي وضعت سماً للدين عند الله ، الدين الذي لا يقبده زمن ، ولا يحدده مكان ، تتضمن في مفهومها الكرم المعاني الأخلاقية السامية ، وهي نهي إسلام الوجه لله ، وتسيح لأقصى ما يتطلبه الذاهب الجهد في السير إلى الله ، نجد مثل رسول الله ﷺ - في حديث صحيح من مرويات الإمام مسلم - عن إرسال فقال صلوات الله وسلامه عليه : « أن يسلم لله قلبك ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويديك » .

وإسلام القلب لله إسلاماً كلياً على قدر الاستطاعة التي تناسب كل فرد . والتي تختلف في الأفراد لاختلاف طبائعهم . إنما هو هدف الصوفى .

ولقد كان إسلام القلب لله هدف أبي الحسن . هدفه لنفسه . وهدفه لآخرين ، وهو جيساً وصل في معاهدته إلى إسلام قلبه ، لمولاه حارون ما استطاع أن يصل بأقباؤه إلى ذلك ، فأخذ يشير بكل ما يؤدي إلى هذا المعنى .

والجو الذي يعيش فيه أبو الحسن إذن إنما هو جو :

عبودية : وهل المهودية إلا إسلام الوجه لله ؟

وتوكل : وهل التوكل إلا التصبر عن إسلام الوجه لله ؟

وإخلاص : وماذا يكون إسلام الوجه لله إن لم يكن على الإخلاص . وإن لم يشر الإخلاص ؟

وحبة : وهل يتلقى إسلام الوجه لله إلا من المحبة له تعالى ؟ ..

وإسلام الوجه لله يسبته ورافقه الذكر والمعبادة .

وأخذ أبو الحسن يقود الناس إلى إسلام الوجه لله بالثبات والقنوة ، وبالخلية

وهذه التعريفات للتصوف إنما هي تعريفات بالوسيلة ، أي أنها على الخصوص تعريف للطريق الذي يؤدي إلى الغاية ، وليست تعريفاً للغاية .

ومن أجل أنها تعريف للطريق ، أي تعريف ، والتصوف ، في رأي أبي الحسن متوافقاً لتعريفه للتصوف فهو يقول عنه : التصوف فيه أربعة أوصاف :

(أ) التخلص بأخلاق الله عز وجل .

(ب) المجاورة لأوامر الله .

(ج) ترك الانتصار للنفس جلاء من الله .

(د) ملازمة الباطن بصدق الإقناء مع الله .

وما من شك في أن هذه الأحاديث عن التصوف ، وبعبارة أدق عن الطريق الصوفي ، تتساوى وتتكامل مع ما نتحدث به أبو الحسن عن الصديقين ، ومن قرّهم من الحق سبحانه ومشاهداتهم في اللإ الأعلى ، وبذلك تكمل الصورة عن التصوف وهي :

١ - تصفية النفس كوسيلة .

٢ - وقرب ومشاهدة كغاية .

والتصوف يتضمن الوسيلة والغاية ، أو الطريقة والحقيقة .

لنأخذ الآن في رسم الطريق ، ونحن في رحلتنا هذا إنما نرسم على الخصوص أجواءً روحياً ، إننا نحاول نشر هدير ، ونحاول نقت أريج تأمل أن يبتسى الله لتنسّمه الكثيرين من عباده وأن يهدي له ، ويهدي به .

ومتداول - ما أمكن - رحمه بأسلوب أبي الحسن نفسه ونرسم من الله التوفيق :

١- الإخلاص :

يقول الله تعالى : (الَّذِينَ دَانُوا الدِّينَ المَخَالِصُ) ، وهو سبحانه يفتق الشركاء من شرك ومن أجل ذلك لابد من الإخلاص ، وهو في ذروته .

أحد من نور الله استودعه قلب عبده المؤمن قطعه به عن غيره ، فذلك هو لإخلاص الذي لا يطلع عليه ملك ميكب ، ولا شيطان يمتهد ، ولا قوتى يميله ، . وإلى ذلك الإشارة بقوله ، عز وجل ، فيما يحكى عنه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ : ، الإخلاص سر من سرى استودعه قلب من أحييت من عباده .

والإخلاص على ضربين :

(أ) إخلاص الصادقين .

(ب) إخلاص الصديقين .

لإخلاص الصادقين : لطلب الأجر والثواب ^(٣٣٦) .

وإخلاص الصديقين : وجود الحق مقصوداً به ، لاشيء غيره ، ولا شيء من غيره .

ويتحدث أبو الحسن عن صفات المخلصين فيقول :

رجال جهلهم على حسن عبوديته ، وأخلصهم لإخلاص توحيد ربوبيته ، وإتباع شريعته . فيما منع أسرارهم بأبواب حضرته ، وأند أرواحهم بمعاني المعارف ، وحاصلهم عنائه ، وأجال عقولهم في عظمته . وركى نفوسهم فأمرها وأخرجها من ظلمة الجهل ، وهادم بنجوم العلم وشمس معرفته ، وأيد عقائدكم ببرهان

كتابه وستة . وعما عزائمهم بتحقيق غلبة مشيئته . وطوى لوداتهم بيتقن وقها على إرادته . ورسهم بربة الرهد . وحبية التوكل . وشريف الودع . ونور العلم . وضياء المعرفة . وألمهم لفضله وطوله . وتولاهم فأغماهم به عن غيره .

وحصل منهم منافع لقلوب الرزي . وبإيحاء الحكمة الكبرى يتلقوها شرفاً . وتلقوها لأهلها سرّاً وجهرّاً . وسم من سزته الأقدار . وحببته عن الأعباء . ليعدوا بالمكن في حقيقة الأسرار . تعرف كلاً بسياهم . ياطمئن مع الحق وظاهرهم مع الخلق . هم هم . ولا هم هم في الوجود . بوصف الغناء ظاهرين . صفوا وتعزفوا في سيرهم سنناً . طاهرهم لغير رباطهم لئلا ينخفقوا بأحلاق سيم **ﷺ** كما قال المولى الأعلى : (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى)

أفغراه أعتاه بالمال ؟ كلا ، وقد شد الحبير على قواده ، وأطمع الجيش من صاع ، وشرح من مكة على قديمه **ﷺ** ، وركب فوق البراق وخرج به إلى السماء الملا إلى سدرة المنتهى ، ورأى ما رأى ، ما كذب الفؤاد ما رأى .

فانظر إلى حال النفس في الوصفين . واشهد شرف أوصافه في المثلين . فإن قلت بشر؟ قلت نعم لا كالبشر ، كما تقول في الباقوت حبر لا كالبحر .

ولي المياد نبي ورسول يدعو بالحق إلى الحق . فأعطى الأولياء منه ميراثاً من النبیین بین الخلق . إذ هم قوم أنعموا في التامی بعد وآياتان . واعتصموا قول : كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما هو عليه كان ، وأقاموا في مقام التوحيد ، على قدم التجريد من حظوظ النفس وبلا حظة الحفظ ، واقتداء بالسلف رضي الله عنهم . هذا قصد القوم ، وأصل في الإخلاص والتخصيص فيما لو نظرت إلى حقيقة ذمهم وانقارهم الذي هو عين العز والنفي بمولاهم ، اشتد تحقيق حالم الإ على ولي في نهايته ، أو صديق ولو في بدايته ، لأن غايات الأولياء بداية الصديقين .

فخذ السر جهراً إليك ، وأجس عليه بكلتا يديك . ولا تكترث بمسألك فقد فان لنيه عليه السلام : (قل أعود برب الفلق) . حتى قال له : (ومن شر حاسدٍ) . ولا تسألني أن أقطعك عليك ، فكأنه عر وحل يقول له : سلق أن- كميك شر حسادك ولا تسألني أن أقطعهم عنك ، فإن الحساد مع النعم ، ولا بد من نعمة عليك فأسر بأسكري إن أردت الشفاء . فكلمة أن يقع بكشف خطاب ولا تطمع أن يقع مع المحاب .

١ - التوبة :

وأول ما يبدأ به المرید السالك إلى الله الذي يريد إسلام وجهه إلى إنعامه توبة . وتبدأ التوبة بالاستغفار . وحقيقة الاستغفار ألا يكون لك مع غيره الله زار . وهو بهذا الوضع أمان للمستغفر من عذاب الله . قال تعالى : (وَآتَاكَ اللَّهُ تَمَتُّهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) .

٢ - النية :

ولابد في كل عمل يأتيه الإنسان - بل كل أمر يتزك - من النية . ومن إخلاص في النية ، وذلك لكي يترتب الأجر والثواب من الله على العمل ، ويقول **ﷺ** . « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله هجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو مرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما حاجر إليه » .

والنية ، والتقص . والرعم . والإرادة . والمشية . كل ذلك بمعنى واحد . ويجب أن يكون بمعنى واحد .

وحقيقة النية عدم غير النوى عند الدخول فيه . وكما استصحاب ذلك على

كمال . ووقت النية عند افتتاح العمل . وكيفيتها ارتباط القلب مع الجوارح بقول **عَنْكَ** : « من صلحت نيته صلح عمله » .

محس النية فيما بينك وبين الله بتوجيه القلب بالتعلم لله . والتعلم لأمر الله والتعلم لما به أمر . حتى تراه **عَنْكَ** . وتوجهه **عَنْكَ** .

وبما بينك وبين المباد توجهه النفوس بالنصيحة علم . والقيام بالحقوق . وتزك خطوط ونبد المواضع مع الصبر . والتوكل على الله **عَنْكَ** .

ومما يمكن من شيء فإنه بمقدار الإخلاص في النية يكون الثواب ويكفر بذنبي .

٤ - الطريق القصد إلى الله تعالى :

والطريق القصد إلى الله تعالى أربعة أشياء ، من حازها فهو من الصديقين المحققين ، ومن حاز منها ثلاثاً فهو من الأولياء المقربين ، ومن حاز منها اثنين فهو من الشهداء الموقنين ، ومن حاز منها واحدة فهو من عباد الله الصالحين .

أولها : الذكر وبساطة العمل الصالح . وثمرته التور .

وثانيها : الصكبر . وبساطة الصبر . وثمرته العلم .

وثالثها : الفقر **عَنْكَ** وبساطة الشكر وثمرته الزيد منه .

ورابعها : الحب . وبساطة بغض الدنيا وأهلها **عَنْكَ** . وثمرته الوصول بالهروب

(٣٦) مرة الاسرار ص ١٥٤

(٣٧) الفقر عما سوى الله إلى الله

(٣٨) محس النية على أنها شهوات . ومحس أهل الدنيا ثلاثين ههنا .

٤ - الخطوة :

وخطياً في هذا الطريق القصد إلى الله . وتدميراً للتوبة . وثباتاً للإخلاص .

محس أن يخلو الإنسان وره فترة من الزمن هي فترة العزة . أو فترة السطوة . أو فترة الكهف . أو فترة الغار : يلازم فيها : « الذكر والرابية والتوبة والاستغفار » .

وبما خالط سره شيء من ذنب أو عيب ، أو نظر إلى عمل صالح أو حال جميل ، فيجب عليه المبادرة إلى التوبة والاستغفار من الجميع ، أما من الذنب واحد شرماً ، وأما من غيره فاعتذاراً باستعمار النبي **عَنْكَ** تسليماً بعد البشارة

والبقي بمغفرة ما تقدم من ذنب وما تأخر ، هذا من معصوم لم يقترف ذنباً قط فإذ ذلك بمن لا يخطئ من ذنب أو عيب في وقت من الأوقات .

أما ثمرة العزة فهي الظفر بمواهب الله وهي أربعة : كشف المنهارة ، وتزول الرخصة ، وتحقق المحبة ، ولسان الصدق في الكلمة ، قال الله تعالى :

(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُمْ وَمَا ضَلَّوْا مِنْ شَيْءٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهِ لِمُنَافِقٍ كَثِيرٍ أُولَئِكَ يَعْزُبُ عَنْهُمْ مَغْفِرَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

يا ، ورحمتنا لهم بين زكيتنا وحفنا لهم لسان صديق عتيق .

٥ - الجهاد :

ولا بد للسرير من الجهاد .

لا بد له من جهاد العدو ، ومن أراد ألا يكون للشيطان عليه ميل فيصح الإيمان والتوكل ، والعبودية لله ، وليستمد به سبحانه ، قال تعالى :

(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) .

وقال تعالى : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) .

٤- ومركز في العجز عن أداء الفروضات .
(يا قتلوا المشركين حيث وجدتموهم . وخذلوهم وأخضروهم وأقتلوا لهم

كل ترصيد) .

ولما أوردت جهات النفس فاحكم عليها بالعلم في كل حركة (٣٦) واضربها
لخوف عند كل خطرة واسكنها في قبضة الله أيما كنت . وشك عجزك إلى الله كلما
علفت . فهي التي لم تقدرها عليها قد أساط الله بها . فإن سخرت لكم في قضية

معتبر أن تذكروا نعمة الله عليكم وتقولوا :

(سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين)

ومما يكن من شيء . فإن موت النفس يكون بالعلم والبرقة والافتداه بالكتاب
والسنة . وعلاج من انقطع عن المعاملات ولم يتحقق بمحقق الشهادات أربعة :
طرح النفس على الله طرْحاً لا يصبحه الحول والقوة . والتسليم لأمر الله تسليماً
لا يصبحه الاختيار مع الله . همدان علاجان باطنان .

وإم الجوارح عن المحالقات . والقيام بحقوق الواجبات . وهمدان علاجان
طاهران .

ثم يقعد على بساط الذكر بالانقطاع إلى الله من كل شيء . سواء لقوله تعالى :

(وَأذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَجَلَّى إِلَيْهِ تَجَلَّى) .

٨- الدنيا :

وجيئنا يذكر الشيطان . وتذكر النفس . فإنه تذكر الدنيا .
والدنيا التي لا حساب عليها في الآجل . ولا حساب معها في العاجل هي التي

(٣٦) أي حمل حركاتها تابعة للعلم عما يجب منه لوجب ذكره

وقال تعالى : (وَأَمَّا بَرِّعَتِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَكَيْفَ تَلْتَمِذُ بِهِ ، إِنَّهُ هُوَ الشَّيْطَانُ
الْكَلِيم) . ولعلك تسأل . من كيفية مصحح الإيمان فاعلم أنه :

بالشكر على النعماء . والتصبر على البلاء . والرضا بالقضاء .
أما صيغة التوكل فإنها : بهجران لنفس (٣٧) . ونسيان المخلوق (٣٨) . والتمسك
بذلك الحق . وملازمة الذكر . وإذا عارضك عارض يصدك عن الله فابت .

قال الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

أما مصحح العبودية فإنه بوضوح الفكرة عن حقيقة الصفات الإنسانية .
وحقيقتها أنها فقر بالنسبة إلى الله تعالى . وعجز بالنسبة إلى قوته . ودل في مقابلة عزم
سبحانه . ومهما يكن من شيء فإن عمارى الشيطان أربعة :

١- إما أن تجلس متفكراً فيما يريك إلى الله فتبته .

٢- أو متفكراً فيما يبعدك عنه فوجتبه .

٣- وإما أن تجلس متفكراً فيما سبق من حسن عملك فشكر وتستعمر

٤- وإما أن تجلس متفكراً فيما سبق من ذنوبك فتستغفر وتشكر .

٧- النفس :

والحديث عن الشيطان يستتبع الحديث عن النفس . ومراكز النفس أربعة

١- مركز للشهوة في المحالقات .

٢- ومركز للشهوة في الطاعات .

٣- ومركز في الميل إلى الراحة .

(٣٧) أي التفرعات السبعة .

(٣٨) نسيان المخلوق باعتبارهم . فإن التوكل لو وجد هو فاق

بالله ، يا ولي ، يا نصير ، يا غني يا حميد ، أعوذ بك من دنيا لا يكون فيها نصيب لوجهك ، ومن عمل آثرة يكون فيها حظ لفيلك .
وأعوذ بك من كل حركة تعبر من الاقتداء سنة رسولك ، ومن كل ضرورة لا تؤدي إلى حقيقة معرفتك .

واعكف قلبي في حضرتك ، واغتنق من دهايق برعابتك ، اذك على كل شيء ،
غدير (١١٧) .

٤- المودية :

وإذا أكرم الله عبداً في حركاته وسكناته نصب له المودية لله ، وسرته محظوظ نفسه ، وجعله يتقلب في عبوديته ، والمحظوظ عنه مستورة مع جريان ما قدر له منها ، ولا يلبث إليها كأنه في منزل مشغول عنها .

وإذا أهان الله عبداً في حركاته وسكناته نصب له حظوظ نفسه ، وسرته عبودية ، فهو يتقلب في شهواته ، وعبوديته لله عنه بهزل ، وإن كان يمرى منها شيء في الظاهر .

والمودية هي امتثال الأمر واجتناب النهي ، ورفض الشهوات والمشيات ، من وصل تطهير قلبه عن الشيطان والنفس والدنيا وبكثرة الذكر إلى المودية فقد ظهر بغير صميم

١٠- الطاعات :

والمد الذي أكرمه الله بالصودية يؤدي كل طاعة في وقتها ذلك أن لكل وقت

لا إرادة لصاحبها فيها قبل وجودها . ولا معها لما مع وجودها . ولا آفة عليها عند مقدمها .

والحر الكريم من يأخذها منه على المراجعة ويدعها به على المراجعة ، لا أثر للأخبار على قلبه . هذا ما يقوله الشافعي عن الدنيا ، وكل ما تزده الصودية إنما هو الاتعاد عن أن يكون الإنسان عبداً للدنيا ، لا مانع عندهم أن يكون الإنسان من أصحاب اللابيين إذا لم يكن قلبه متعلقاً بالدنيا في إقبال أو إبعاد ، ووجهتهم نحو الآفة القرابية الكريمة : (لكيلا نلصقوا على مآقائكم ولا نترحموا بما آتاكم) ومع أننا نعدتها عن الدنيا ، في نظر الصودية فإننا نريد أن نزيد الأمر وصوحاً ، وذلك لأنه يلتبس دائماً الأمر في بوضوعها عند الصودية على كثيرين إن الدنيا المقنونة عند الصودية إنما هي الدنيا التي تشغل وتلهي وتستبد ، أما الشهوات والتزعات والأهواء ، إنها اللب واللبه والغفلة عن الله .

أما امتلاك المال ، واقتناء القمار ، والفرار هرباً أو غير هرباً ، فلا مانع من عند الصودية إذا خلا من المضار ، يقول أبو الحسن ضارفاً إلى الله داعياً : اللهم وسع أرقامنا ، وكثر أضيافنا ، واجعلنا من المقنن في سبيل مرضاتك قصداً بلا إسراف ولا تقتير . ووقفنا لذلك ، واحمدنا بهديتك ، وأخلصنا بإخلاصك عن إخلاصنا وقتنا من الشح والبخل والن ، ومن التهمة في الرزق (١١٠) وقال رضي الله عنه : اعرف الله ثم استزقه من حيث شئت غير مكب على حرام . ولا راغب في حلال

ومن الدعاء الحسيل لأبي الحسن . الدعاء الذي يستج من الإنسان الرأى لحقيق للصودية ما يتعلق بالدنيا ، قوله :

سهماً في الميودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية ، فلا تؤثر طاعة وقت لوقت
صغائب نفوسها أو بغوت غيرها .

وقالدة الطاعات والمحافظة عليها لا تنكسر ولقد قيل لأبي الحسن مرة :

والذي استعدت من طاعني ، وما الذي استعدت من معصيتي . فقال :

استعدت من الطاعة العلم الزائد والنور النافذ والهيبة .

واستعدت من المعصية : التم والحزن والخوف والرجاء .

وهليك أيها الأخ بالطهورات الخمس في الأقوال ، والطهورات الخمس في

الأفعال ، والتبري من الحول والقوة في جميع الأحوال ، وقص بقلك إلى الماني

عامة بالقلب ، وانخرج عنها وعنك إلى الرب ، واحفظ الله يحفظك ، واحفظ الله

تحده أمامك ، واحمد الله بها وكن من الشاكرين .

والطهورات الخمس في الأقوال : سبحان الله ، والحمد لله . ولا إله إلا الله .

وله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والطهورات الخمس في الأفعال هي : الصلوات الخمس ، والتبري من الحول

ونفوة هو قولك : لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإيمانك بها .

١١ - طهورات ودرجات :

ومن علم اليقين بالله ، وعمالك عند الله أن تتعاطى بين الخلق مالا تصغر به عند

حق وإن صغرت به في أعين الخلق بلا اعتراض من الشرع ولا منازعة من الطبع .

في من عين اليقين نسيان الخلق عند هجوم الشدايد وتتابع العوايد بسواعف

شروءه .

بل من حق اليقين الفرق في الشيء كأنك نفس الشيء . كمن اضطرب إلى رؤية

سحر فركبه . وانكسرت صفيته فتلطمت عليه فبوجهه ، فبهم بعد من يمي

ويذهب مع الظاهرين وينقل إلى درجات عليين .

ومهم من يجيا ويثيق مع اليقين ، لاحظ للمقتدي به بل هو مستور عن الخلق

أجمعين . ومهم من يجيا ويثيق مع اليقين ، لاحظ للمقتدي فيه بل هو في

الوصفين ، قنوة للتقوى . ومهم الإمام الأكبر المراد القلوب الفوت الجامع المختص

بالأسماء والصفات والأخبار والأخلاق ، وما لا يسع أن يسمعه سامع .

ومن دونهم ممن لا درحة له مع الأولياء والأقدياء والمعاد والرماد ومن أهل

النظر بالدليل والبرهان ، ولم يطلع بعد على الكشف والبيان .

ومن دونهم أهل الوسائل بالأعمال والأحوال ، وأهل التخليط في الأقوال

والأفعال . (ومن يهن الله فما له من مكريم . إن الله يمتل ما يشاء) .

١٢ - الذكر :

وعلى الريد السالك الأخذ في الذكر :

وه عليك أيها الأخ بالذكر الموجب للأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة

ونسك به وداوم عليه ، ويصح أبو الحسن بالإكثار من صيغة من الذكر وهي :

الحمد لله ، واستغفر الله . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ويقول رضي الله عنه : اجتمع بين هذه الأذكار الثلاثة في عموم الأوقات

وداوم عليها تجد بركتها إن شاء الله . فإذا ما فرغ الإنسان لسانه للذكر ، وقبله

للذكر ، ومدته لتأدية الأمر فهو من الصالحين .

ويرى الصوفية أنهم مها أشادوا بالذكر . وتحدثوا عن نواته ومزاياه فأبهم

لا يوفونه حقه ، إنهم يرون أنه - بعد التوبة والإخلاص - الباب إلى التزقي في

الدرجات وقطع المازل وطى المسافات إلى المعارج والمرتبات وإلى الفتح

والإنجازات

يقول الإمام القشيري :

الذكر ركن قوي في طريق الوصول إلى الحق سبحانه وتعالى ، بل هو الصفة
و طريق القوم . ولا يصل أحد إلى الله إلا بسبواً للذكر .
ومن أجل ذلك كان اهتمام أبي الحسن بالذكر كبيراً ، وكان مارى عنه في
ذلك كثيراً .

ولقد حاولنا - في الحدود المحدودة بالنسبة لحجم هذا الكتاب - أن نذكر ، في
مفصل الذى عقدناه عن الذكر - إشراقات عمارة من ذلك لعل الله ينفع بها

١٣ - الورع :

بإذنا ما كان الذكر كانت الأحوال وكانت المقامات . فمن ذلك الورع .
والورع نم الطريق لمن عجل مبراته وأحل ثوابه .
فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله ، والقول بالله ، والمصل له
ووقفه على البينة الواضحة والبصيرة الفارقة .

هم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون
و لا يتمكرون ولا ينظرون . ولا ينطقون . ولا يمشون ولا يتحركون
و لا يثبتون من حيث يعلمون ، هجوم بهم العلم على حقيقة الأمر فهم مجموعون في
الصح لا يتفكرون فيما هو أعلى ، ولا فيما هو أدنى . وأما أدنى الأدنى فأنه
و عنهم عنه نواباً لورعهم مع احتياط لممارات الشرع عليهم . ومن لم يكن لعلمه
عنه مبرات فهو محبوب مدنياً أو مصروف بدعوى ، ومبراته التفرز لخلق
سكرك على مثله . والدلالة على الله بطله . فهذا هو الحسران المبين والعباذ بالله
سعم من ذلك .

وكيس يتورعون عن هذا الورع ويستغيثون بالله منه - ومن لم يزد بطله

وعنده اعتقاراً ربه وتواضعاً لخلقته فهو مالك . فسحان من قطع كثيراً من الصالحين
صلاحتهم عن مصلحتهم كما قطع كثيراً من المسلمين بفسادهم عن موجههم .
لستعد بالله إه هو السمع الطبع ^(١١٦) .

١٤ - الزهد :

وحقيقة الزهد فراغ القلب مما سوى الرب تبارك وتعالى .

١٥ - التوكل :

والتوكل صرف القلب عن كل شىء سوى الله ، وحقيقته : نسيان كل شىء
سواه ، وسره وجود الحق دون كل شىء تلقاه . وسره سره ، ملك وتميكن لما يحبه
ويرضاه ^(١١٧) .
ولا يصح التوكل إلا بالحق . ولا تم التقوى إلا بالتوكل ^(١١٨) .

١٦ - الرضا :

ومن ذلك الرضا : الرضا عن الله ، وعن قضاء الله ، لا عن النفس ، يقول
يو الحسن : لى بنفسك على باب الرضا ، وأحعل عن عرالمك وإرادتك .

^(١١٦) يطلق أن صلاه الله عن ذلك يقول : فاطر مهلك لله سبيل أولائه . ومن عليك عظمة أحيائه .
هذا الورع الذى ذكره الشيخ رضي الله عنه . هل كان مهلك يصل إلى مثل هذا النوع من الورع الأرى قوله
هذا انتهى سم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والمصل له ويبلغ على البية الواضحة ، والبصيرة
الفارقة ، فهذا هو ورع الإمداد والمصينين لا ورع المتسليم الذى يشأ عنه سوء الظل وظلمة الورع
^(١١٧) دره الأسرار ص ٤٨
^(١١٨) دره الأسرار ص ٥٨

- وهدى عتم به الطريق إنما هو الحبة . والحبة والزهد والتوكل هي ساط
- كريمة عند أبي الحسن يقول رضى الله عنه : ساط الكرامة أربع :
- ١ - حب يشظك عن حب غيره .
- ٢ - ورصا يتصل به حبك بجمبه .
- ٣ - وزهد يخففك بزهد في برته .
- ٤ - وتوكل عليه يكشف لك عن حقيقة قدرته .
- وذكر الحسن كلام جميل عن الحبة ولا يتأق أن يخلو كتاب عنه من ذكرها .
- قد الشيخ أبو الحسن رضى عنه : من أحب الله ، وأحب لله فقد تمت ولايته .

وعف على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ، ولا مشية له غير
 الله . من لبثت ولايته من الله لا يكره الموت ويعلم ذلك من قوله تعالى
 قرأ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ آتَيْنَاهُ اللَّهُ مِن دُونِ النَّاسِ فَكُتِبَ النَّوْزُ
 كُتِبَ فَهَدِّمُوا .

- ١ - من عرف على الحقيقة لا يكره الموت إن عرض عليه .
- ٢ - من أحب الله من لا محبوب له سواه ، وأحب له من لا يحب شيئاً سواه ،
- ٣ - من قدده من ذاق أنس مولاه .
- ٤ - من أحب لك الحبيب له في عشرة فاعتبرها فيما وراءها : في الرسول ﷺ .
- ٥ - من غاروق ، والصحابه ، والتابعين ، والأولياء ، والعلماء ، الهداة إلى
- ٦ - من شهداء والصالحين ، والمؤمنين .
- ٧ - من عرف بعد الإيمان إلى عشرة أشياء . بل السنة ، والبدعة .

والغديبة ، والفضالة ، والطاعة ، والمعصية ، والعدل ، والجور ، والحق ،
 والباطل ، فإذا ميزت وأحييت ، وأبغضت فأحب له ، وأبغض له ، ولست تبالي
 فيها كنت ، وقد يجمع لك الوصفان في شخص واحد ويجب عليك القيام بجمعها
 جميعاً ، فإذا قد بان لك الحبيب في العشرة الأولى فانظر هل ترى للهوى هناك
 نورا ، فكذلك فاعتبر حب من حضر من إخوانك الصادقين ، والشافيع الصالحين ،
 والعلماء المهنيين وسائر من حضر ، ومن لم يحضر ممن غاب عنك أو مات فإن
 وجدت قلبك لا متعلق له بمن حضر كما لا متعلق له بمن غاب عنك أو مات فقد
 غلب الحبيب من الهوى وبنت الحبيب لله ، وإن وجدت شيئاً يتعلق به فيمن تحب ،
 أو بما تحب ، يرجع إلى العلم واتقن النظر في الأقسام الخمسة من الواجب والمدوب
 إليه ، والمكروه ، والمختار ، والمباح (١٥) .

وقال الشيخ رضى الله عنه : المحبة آخذة من الله لقلب عبده عن كل شيء .

(١٥) ويقول ابن عطاء الله معللاً على ذلك :
 وهو أن قول الشيخ من لبث ولايته لا يكره الموت ، هذا سران أصطاه للمسلمين ليروا به على أنفسهم إذا
 دبر سيرة دعوا ولاية الله . فإن من شأن العوس وجود الدعوى والتوسب إلى الراتب العلية من غير أن
 سلك السبل الوصلة إليها . وهذا قال الله سبحانه : (قل ماتوا برحمتكم إن كنتم صادقين) . وقال صا
 (حضور الموت إن كنتم صادقين) وقال الرسول ﷺ : عارفة (بكل شيء حقيقة . فما حقيقة : بانك) . لا
 قال عارفة : كيف أصبحت ، فقال أصبحت مؤثماً حياً ، ولا يجب الموت من فيه القابا . ولا من هو مصر على
 نورا من الخطا ، وحصل الله تعالى الموت شاهداً لقول بولايته ، وعدم تبه شاهداً للنوى بتوحيته ، وقال
 سبحانه (وأقيموا الوزن بالقسط) ، والموت سران على الأحوال والأحوال كما هو سران في دائرة الرب .
 ما لرب كما تقدم ، ولما الأمثال والأحوال فإذا التمس عليك أمرت فيه لا تصرى على رضا الله في تركه
 أو طله . أو حالة أنت بها لا تصرى على قت فيها عن أو قت فيها سوى . فأورد الموت على ماتت فيه من أمثال
 وأمثال ، فكل حالة وصل يبت مع تقدير ورود الموت طيباً ولم تنهزم فهو حق ، وكل حالة وصل وترها
 الموت هي باطل : إذ الموت حق ، والحق يبرم الباطل ويسته قول الله عز وجل : (بل عطف بالحق على
 الباطل يبسه فإذا هو زائف) . (قل إن ربى يقذف بالحق علام الغيوب) ، (قل جاء الحق وزدق الباطل .
 إن الباطل كان زهوقاً) . وما كنت فيه لعلما بل لم يزبه الموت إذ هو حق والموت حق والحق لا يزوم الحق

في نهارهم : وَأُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ؟
 هذه القامات من : ورع ، وزهد ، وتوكل ، ورضيا ، وعبية ، وغيرها ، إنما هي ثمرة ، والذكر ، التوسس على الإحلاص والتوبة والمبرودية والاستقامة ، ولن يترقى المرء إلا بالزكوة الأساسية في طريق التوكل وهو الذكر

٧ - معارج ومراء

- ويشج الذكر لمعارج والمراد . وهي نتائج الطريق الصوفي والسلوك إلى الله .
 من أعتبنا عند أبي الحسن :
 ١ - رأيت كاشي مع السبير والصديقين فأردت لكون مهم ثم قلت : اللهم سلك في سبيلهم مع العافية عما اتبعتهم بهم أقوى وعين ضعف مهم .
 قيل لي : وما قدرت من شيء فليتنا كما أبتهم .
 ٢ - رأيت كاشي في أهل الأعلى فقلت :
 إنهم أي الأحوال أحب إليك ؟ وأي الأقوال أصدق لديك ؟ وأي الأعمال أدل على محنتك ؟ فوقفني واحدني .
 قيل لي : أحب الأحوال إليه الرضا بالمشاهدة ، وأصدق الأقوال لديه قول : لا إله إلا الله على النقاظة ، وأدل الأعمال على محبة بعض الدنيا واليأس من أمتها^(١١٦) مع الموافقة
 ٣ - رأيت كاشي واقف بين يدي ربي فقال :
 لا تأمن مكروى في شيء وأن أمتك ، فإن علمي لا يحيط به محيط .

(١١٦) بعض الشهوات والأمراء والترعات فذلك هو الدنيا وبعض أهل الشهوات والأمراء والترعات .

سواء ، فزى النفس مائلة لطاعته والعقل متحصناً بمعرفته . والروح مأخوذة في حضرة . والسر مغشوراً في مشاهدته ، والعبد يستريد فيزاد . ويذبح بما هو أعذب من دبدب مساحاته ، فيكسى حلال الضرب على سبيل القرية . ويس أبكار الحقائق ونبات العلوم ، فمن أبطل ذلك قالوا : أولياء الله عراقرس ، ولا يرى العراقرس المحرمون .

- قال له القائل : قد علمت الحب !
 لما شرب الحب ؟ وما كأس الحب ؟ ومن الساق ؟ وما الذوق ؟ وما الشراب ؟ وما الرى ؟ وما السكر ؟ وما الصحو ؟
 قال : الشراب : هو التور الساطع من جمال المحبوب .
 والكأس : هو اللطف الموصل ذلك إلى أنواء القلوب .
 والساق : هو المتول الأثير المخصوصين من أولياته والصالحين من عباده ، وهو الله العالم بالقادير ومصالح أحيائه .
 فمن كشف له عن ذلك الجمال وحطى به شيء ، نفساً أو نفسين ، ثم أرمى عليه الحجاب ، فهو الذائق المشتاق .
 ومن دام له ذلك ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقاً .
 ومن تولى عليه الأمر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزومة فذلك هو الرى .
 وربما غاب عن المحسوس والمقول فلا يرى ما يقال ولا ما يقول فذلك هو السكر وقد تدور عليهم الكئوس وتختلف لديهم الحالات فيردون إلى الذكر والطاعات ، ولا يجيبون عن الصفات مع تراحم القدرات ، فذلك وقت صحوهم واتساع نظروهم ومزيد علمهم .
 فهم بنجوم العلم وفقر التوحيد يتدون في ليهم . وشموس المعارف يستضيئون

قل لفلان ابن فلان يقرأ هذه الكلمات ، فن قاتن نصب عليه الرحمة
كالمطر . الحمد لله الذي ندى به الحمد وبه يعود كل شيء . كديك . لا إله إلا
الله ، اللهم اغفر لي شركي (١٧) وكفري (١٨) . وتقصدي . واغفر للمؤمنين
والمؤمنات .

١٠- استأذني بعض الفقهاء في الحضور والسماع ، فهست بذلك ، فرأيت
استأذني رضي الله عنه ، وفي يده اليمنى كتاب فيه القرآن العظيم . وحديث رسول
الله ﷺ ، وفي يده اليسرى أوراق فيها مرجز وهو يقول لي كالشتر :

تمدون عن العلوم الزكية إلى علوم ذوى الأهواء الردية ، فمن أكثر من هذا فهو
عبد مرفوق هود . وأسير لشهواته ومنه ، يستغزون بها قلوب ذوى الفطنة
والنسيان ، وأهل الضلالة والمياع ، ولا إرادة لهم في عمل الخير واكتساب
الفران ، يتأبلون عند سماعها غايل الصبيان .

لئن لم يته النظام ليقين الله أرضه سماه وسماه أرضاً .

قال : فأحدثت منه حال يوجد وأنا أقول له :

سم يا استأذني . إلا أن النفس أرضية والروح سماوية .

فقال لي : نعم يا علي ، إذا كانت الروح بأسطار العلوم دارة ، والنفس بالأعمال

المعالم نائمة فقد حصل الخير كله ، وإذا كانت النفس غالة والروح مغلوبة . فقد

حصل القحط والجذب ، وانقلب الأمر وجاء الشر كله

فملك كتاب الله المادى : وسكلام رسوله الشاق . فلن تزال تجير ما آثرتها ،

(١٧) يطلق فقهاء على الإشتراك مع الذى يجر شخص من دائرة الإسلام ويحقق على الظالم بألوانه :

الكثير من وضع

(١٨) يطلق الكثير من يكرهون تسليم رجل نواب من لدنهم لاتصل له فرصة إخراج الإنسان من

الإسلام

٤- رأيت كاتى أطول بالكعبة طائلاً من نفسى الإخلاص وأنا أنفث عليه و
سرى فإذا النداء حل :

كم تندبن مع من يدندن وأنا السيم القريب الملمع الجبر . وتعربى بنيدك
عن علم الأولين والآخريين ، ما خلا علم الرسول وعلم النبيين .

٥- قلت على مصيبة نزلت : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ رَاجِعُونَ) . اللهم أحرزني في
مصيبتى واعقبني خيراً منها . فأتاني في سرى أن أقول :

فاغفر لي بسببها . وما كان من توابعها . وما اتصل بها . وما هو محشو بها . وكل
شيء كان قبلها . وما يكون بعدها .

فلتأ ، فهانت على ، فلو أن الدنيا كلها كانت لي في ذلك وأصبحت فيها لمانت
على ، ولكان ما وجدت من برد الرضا والسلم أحب إلى من ذلك كله

٦- وكب رضى الله عنه إلى الشيخ أبى يحيى :

أما بعد - فإني منذ اثني عشرة سنة أغدو وأروح مما هيا لي من سفر الروح على
صاكر أولياء الله لما مرت بك إلا وجدتك روحاً طيبة تغفلها العقول وتأنفها
النفوس ويستريح بها السر ويذهن طا الأمر ويصح إليها كل مغزق ...

٧- فرأت ليلة في وودي قوله تعالى :

(كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَاتٍ ، وَيَتَّبِعُ وَجْهَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) .

فرأيت أبا بكر الصديق رضى الله عنه في المنام . فقال لي : صل من بيني
وامبر من بيني . تجل وتكرم ، تجل من الفناء وتكرم بالبقاء .

٨- كان لي صاحب وكان كثيراً ما يأتيني بالتوحيد ، فرأيت في النوم كاتى أقول
له : يا عبد الله ، إن أردت التى لا لوم فيها . فليكن الفرق على لسانك موجوداً .

والجميع في شرك مشهوداً .

٩- رأيت رسول الله ﷺ . فقال لي :

والمعلم وجودك صورت محو الوجود لك البتة ، فدالك عمل الهداء والفاء بعد الفاء

(ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ بُولُوبِيَةَ مِنْ بَنِي إِدْرِيْسَ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)

٢٣- وقال رضى الله عنه : كنت ذات ليلة يتمكراً بالمكوة العيسية . فعادنى الله علماً جليلاً ، وسببت فى الفيروية سعيماً جليلاً . قلت فى نفسى :

أيس هذا خيراً من النحول و الحوائج للخلق مع الخالق . والكون مع الله أم من الكون فى الحاجات للناس وإن كان مأدوماً فيها شرماً ؟

ميساً أم كذلك إذ تمت . مرأيت كأن السيل قد أساط لى من كل جهة يحمل الفناء عن يمينى وعن شمالى ، فجعلت أحوض لأخرج به علم أرتأ بعد إليه من الجهات الأربع . فامتصت نفسى ووقفت فى السيل كالسارية أو السحلة الثابتة ، ظلت فى نفسى :

لما من فضل الله أن ثبت لهذا السيل ولا يصيبنى شيء من الغناء ، وإذا بشخص جميل الصورة يقول لى :

إن من أصل التصرف التصرف فى الحوائج للخلق واستقتضاهما من الملك الحق ، فأقصاه الله شكرت ، وما لم يقضه رضىبت . وليس قضاهما الموجب للشكر بأتم من عدم قضائها الموجب للرضا .

وقد طمنى الله علماً قائماً بذات نفسى لا يتأرقها ، بل هو لازم لما كالبياض فى الأبيض والسواد فى الأسود ، وهو : الله لا إله إلا هو الواحد القهار . رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار . فانظر الأهمية القرآنية والوحدانية والقاهرة والربوبية والغر والمغفرة . وكيف لف هذا كله فى كلمة واحدة . إن المغفرة لتتزل على العارف بالله كالسيل الحامل من الغناء ، ويشتت الله فيها وسها من بشاء ولا يصيبه شيء من الغناء .

فانتهت من نوبى وقد رحبت السر العظيم والحمد لله .

وقد أصاب الشر من عدل عنها ، وأهل الحق إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه . وإذا سمعوا الحق ألبوا عليه : (وَرَبِّى يُعْتَرِفُ حِكْمَةَ تَزْوِجِهِ بِهَا حَسَبًا) .

١١- وقال رضى الله عنه : خطرت بيال يوماً أنى لبت بشيء . ولا صدنى من المقامات والأحوال شيء . ففقت فى بيت مسك . فكتت فيه غريباً ، فلدوام عرقى به لم أجد له تلك الرائحة فقيل لى علامة المزيد عقدان المزيد لمعلم المزيد ١٢- وقال رضى الله عنه : نيل لى إن أردت وضائى لمن أسى ومنى لامن اسلك ومنك .

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : سبقت أسماء عطالى ، وأسمال من صفائى ، وصفائى قائمة بدياقى . ولا تحسنى ذاتى .

وللعبد أسماء دمية ، وأسماء عليه ، فأسماره العلية قد وصفه الله تعالى بها بقوله (الَّذِينَ يُؤْتُونَ الْمَالَيْنِ الْمَكْمُولِينَ) (٤٩) إلى آخرها .

وبقوله : (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ) إلى آخرها (٥٠) .

وأسماره الدمية معروفة كالعاصى والمذنب والفاستق والنظام وغير ذلك ، فكأن تحسنى أسماءك الدمية بأسمائك العلية كذلك تحسنى أسماءك بأسمائه وصفائك بصمائه . لأن الحادث إذا اقترن بالقديم فلا يقاه له ، إذا ناديته باسمه كقولك : يا عبود يا تواب يا قريب يا وهاب ، فاستدعيت يا العطاء لتضلك وقد تنزلت لتضلك من أسمائه ، وكذلك إذا لاحظت أسماءك الدمية من العاصى والنظم والقسق فاشتغلت سترها ومظهرتها فأنت باقى مع نفسك

وإذا ناديتها باسمه السلى ولا حظقت صفتها العلية قائمة بذاته محتمت أسماءك كلها

١٤ - فتح الله بشي من الدنيا ففرحت لأسمعين أو أعين بها ، فحصلت أحد الله وأشكرو : والشكر معرفة قائمة بالقلب ، وكلمة قائمة باللسان ، فكتبت أجمع بينهما ، كقولها : ففتحت على ذلك وفناً من الليل وعت ، فرأيت استاذي رحمه الله تعالى

فخولوا بي في منبر

استعمل بالله من شر الدنيا إذا أقيمت ، ومن شرها إذا أدبرت ، ومن شرها إذا أنفتت ، ومن شرها إذا أسكت .

فحصلت أقول كذلك ، فوصل الشيخ كلامي فقال :
ومن المصائب والرزايا والأمراض البنية والقلبية والنفسية جملة وتفصيلاً
مالكية وإد قدرت شيئاً فأكسى جلال لرضا والهمة والسليم ، ونواب المعرة
والتوبة والإجابة المرضية .

١٥ - رأيت رسول الله ﷺ ، فقلت له :
يا سيدي يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني رحمة للعالمين .

فقال لي : أنا هو ذلك يا علي ، والولي رحمة في العالمين .

١٦ - رأيت كأن رجلاً جاء إلى فقال لي : إن السلطان يأتي إليك فقل :
اللهم الق على من زيتك وعينك وكرامتك ومن نوت ربيتك ما يبر
القلوب ، وتذل له النفوس ، وتخضع له الرقاب ، وتبرق له الأبصار ، وتبده له
الأمكار ، ويصفر له كل منكر جبار ، ويسجد له كل ظلم ككار ، يا الله ،
يا مالك ، يا عزيز ، يا جبار ، يا الله ، يا أحد ، يا واحد يا قهار .

٨ - الذكر والدعاء والأحزاب والأوراد

يقول الله تعالى عبداً في الذكر وداعياً إليه بطريقة من أسمى الطرق وأجملها :
(فأذكروني أذكركم) .

ولقد دعا الله سبحانه إلى الذكر بشي الطرق ، لقد دعا إليه بصيغة الأمر ،
ودعا إليه طالباً الإكثار منه ، فقال سبحانه :

(يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبحوه نكراً وأصيلاً)

ودعا إليه سبحانه في جميع الحالات التي يكون الإنسان عليها من قيام ،
أو جلوس ، أو على جنبه : (فأذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) .

وجعل سبحانه الذكر إحدى الصفات التي يتحل بها أولو الألباب :
(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم)

وأخبر الله سبحانه أن الذكر علاج للقلق والاضيق وادم فقال سبحانه ،
(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا يدرك الله نفس القلوب)
على أن الرضا ، وهدهو النفس ، وطمأنينة القلب ، بالسكينة .. إن كل

ذلك يكون نتيجة للذكر ، يقول تعالى :
(ياضرب عني ما يقولون ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها ، ومن آتاه الليل فسطحاً من طرف النهار فلكل نومي)

أد في الآخرة بابه سبحانه يقول
(والذالكريم الله كثيراً والذالكريم أحد الله لهم مغفرة وأخراً عظيماً) .
ولقد حجب رسول الله ﷺ في الذكر بمختلف الأساليب ، وشي الأعماء ،

في حديث رواه الإمام أحمد ، أن رسول الله ﷺ قال :
 « إن الدعاء هو العبادة » ثم قرأ : (ادعوني أستجب لكم ، إن الذين

يتكبرون عن عبادتي سينزلون عليهم كافرين) .
 وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « الدعاء مع العبادة » .
 وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ليس شيء أكرم على الله من

الدعاء »

الدعاء يرد القضاء :

وروي ابن صمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال :
 « من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة » . وما سئل الله تعالى شيئاً
 حجب إليه من أن يسأل العافية ، وإن الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل ، ولا يرد

نقضه إلا الدعاء ، فليكم بالدعاء » .

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها - فيما رواه البيهقي والحاكم وصححه - قال
 رسول الله ﷺ : « ولا ينفي حذر من قدر » . والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل ،
 وإن البلاء لينزل ، فينقاه الدعاء ، فيطمان إلى يوم القيامة » .

وروي الترمذي عن سيدنا سلمان الفارسي : أن رسول الله ﷺ قال :
 « لا يرد القضاء إلا الدعاء » ، ولا يزيد في العمر إلا البر » .

واقبول الدعاء شروط منها :

١ - التوبة الخالصة النصوح .

٢ - وتحري الحلال .

فمن ابن عباس ، فيما أخرجه الحفاظ ابن مردويه ، ثبت هذه الآية عند
 النبي ﷺ : (يا أيها الناس كلوا مما على الأرض حلالاً طيباً) فقام سعد بن

وكان هو نفسه قدوة في ذلك ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : كان ﷺ
 يذكر الله جل كل أحيائه .

وكلمة « على كل أحيائه » كلمة شاملة ، إنها تعني الأوقات ، وتعني بالبيع
 لذلك ، الأحوال ، فهو ﷺ كان يذكر الله صباحاً ومساءً ، وكان يذكره فيما بين
 ذلك ، وكان يذكره قائماً وقائماً وعلناً وعلناً .

ويقول ﷺ عن الله عز وجل في حديث قسي رواه الشيخان :
 « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته
 في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكته في ملأ خيرته » . وإن تقرب إلى شيراً تقربت
 إليه ذراعاً ، وإن ابتعدت إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته
 هرولة » .

ويرشد ﷺ فيما رواه الإمام أحمد ، إلى أنه :

« ما عمل آدمي عملاً قط أنجي له من عذاب الله ، من ذكر الله » .
 وبين ﷺ أن : مثل الذي يذكر ربه ، والذي لا يذكره ، مثل الحي
 واليت . وكما ينال المذكر رضاه الله وثوابه ، وكما ينفع الذكر في الدار الآخرة ،
 فإنه ينفع في هذه الحياة الدنيا يقول ﷺ فيما رواه أبو داود والنسائي والحاكم
 وصححه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما :

« من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ،
 وورثه من حيث لا يحسب » .

والدعاء :

(وأذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) .

وقد أمر الله سبحانه الإنسان أن يدعو ، وهند الذين يتكبرون عن دعائه .

أبي وقاص فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يحملي مستجاب الدعوة فقال :
« يا سعد ، أطلب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن
الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً ، وأبما عبد نيت
لحمه من السمحت والريا قالتار أولى به » .

أوقات الدعاء :

والدعاء يصح في كل وقت ، بيد أن هناك أوقاتاً وأماكن أرجى في الدعاء من
غيرها ، وقد ذكر رسول الله ﷺ أوقاتاً للدعاء منها ثلث الليل الأخير ، يقول
صلوات الله وسلامه عليه :

« ينزل ربنا بكل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول
من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟ »
ولقد سئل رسول الله ﷺ عن أي الدعاء أجمع ؟ فقال :

« جوف الليل الآخر ، ودير الصلوات المكتوبة »

وروى مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال :

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا من الدعاء » .

أما الأماكن الأرجى في استجابة الدعاء ، فإنها الأماكن الطاهرة المباركة ؟
وأشرفها الحرم المكي والحرم المدني .

ومن أجل هذه الأهمية الكبرى للذكر والدعاء في الإسلام استفاض أبو الحسن
في الذكر وفي الدعاء .

وكانت طريقته في أكثر الأحيان أن يمزج الذكر بالدعاء ، وما روى عنه في هذا
الباب كثير مستفيض سواء منها ما يتعلق بالأحزاب أو بغيرها من أبواب الذكر
والدعاء . ولا يتسع المجال لذكرها كلها هنا وسكتي ببعض ما ذكره ابن عطاء الله

سكندري في لطائف المنن ، وابن الصباغ في درة الأسرار ، وابن عباد في المفاتيح
مينة

وعن أحزاب أبي الحسن يقول ابن عباد :

وأحزاب أهل الكمال ممزوجة بأحوالهم ، مؤيدة بطولهم ، مسددة بإلزامهم ،
مصحوبة بكراماتهم . حتى قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه في شأن حزبه
كثير : « من قرأه كان له مالنا وعليه ما علينا » .

وقد تقدم بيان ذلك ، واعلم أن أحزاب الشيخ رضي الله عنه جارية بين إفادة
عبر وآداب التوحيد ، وتعميق الطريقة ، وتلويح الحقيقة ، وذكر جلال الله تعالى
رعظته وكبريائه ، وذكر حقارة النفس وخساستها ، والشيء على خدعها وعوايتها ،
والإشارة لوصف الدنيا والحلق وطريق الفرار من ذلك ، ووجه حصوله ، والتذكير
بالسوء والعيوب والتنصل منها ، مع الدلالة على خصائص التوحيد وخالصه ،
اتباع الشرع ومطالبه ، فهي تعليم في قالب التوجه ، وتوجه في قالب التعلم ، من
نظرها من حيث العلم وجده كامناً فيها ، ومن نظرها من حيث العمل فهي عينة ،
ومن نظرها من حيث الحال وجده كامناً فيها ، وقد شهد شاهداً بذلك عند
خاص والعام ، فلا يسمع أحد من كلامها شيئاً إلا وجد نيراً في نفسه ،
ولا يقرؤها إلا كان مثل ذلك ما لم يكن مشغولاً بيلوي ، أو مشغولاً بدنياً ، أو
مصرفاً بدهوى ، أعاذنا الله تعالى من البلاء .

ويقول أبو الحسن ناصحاً الذاكرين والداعين الذين يرحون قبول الله
لدعائهم : إذا أردت أن يستجاب لك أسرع من لمح البصر فطيك بخمسة أشياء :

١ - الامتنال للأمر .

٢ - والاجتناب للنهي .

٣ - وتطهير السر .

اللهم أن تحمق هذا الخلق من قلوبنا ، وأن تجعلهم في أسرارتنا كالمياه في الغواء ،
واسلك بنا سبيل أنبيائك وأصفيائك ، وأنقيتلك في السر والعلانية ، إنك على كل
شيء قدير .

ومن ذكره ودعائه :
يا الله ، يا نور ، يا حق ، يا أمين ، اضع قلبي بنورك وعلني من طمك ،
واضغني بحضنك ، وأصمعي منك ، وفهمني عنك ، وصبرني بك ، وسبب لي
سبباً من فضلك ، تقني به من الفقر ، وتنزني به من الذل ، وتصلح لي به الدنيا
والآخرة . وتوصلني به إلى النظر إلى وجهك في جنة القردوس ، إنك على كل شيء
قدير ، يا نعم المولى ويا نعم النصير .

ومن دعواته :
وهذا الله وياكم لا يبيد ويرضاه ، وخار لنا وياكم فيما قدرنا وقصاه ، وجعلنا
ولياكم من القاترين يوم لقاء . اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بمحمد وحمزه على
الرحمة منك ومنهم مع السلامة من الحياء والمخجل والذي بما سلف منا من أعمال
الخطيئ . اللهم اصبرنا في جهنم ، ولا تؤاخذنا بقولنا منك ، ولا بسوء أدبنا
منك ومع اللاتمة الكرام الكائين ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا وعفاننا وجهنا بنسك ،
واغفر لنا قلة حياتنا وأقبل علينا بوجهك . ولا تقننا بشيء من خلقك : إنك على
كل شيء قدير ، اللهم اغفر لنا ما طمسه البشر من خلقك ، واغفر لنا ما علمته وكتبته
ملائكتك ، واغفر لنا ما علمناه من أنفسنا ولم يعلمه أحد من خلقك ، واغفر لنا
ما استقرت به عنا في جميع أملاكك وتفضل علينا بالغنى عن جميع خلقك ،
وربح الحجاب فيما بيننا وبينك إنك على كل شيء قدير . اللهم اغفر لنا مغفرة

وغير ذنوبنا ، قال لا تكال غفدي الغالين) فاجعلنا من المحسنين من ذريته ومن
ذرية آدم ونوح ، واسلك بنا سبيل أمة النبيين والله بصير بالعباد . رب اني ظلمت
نفسى ظلماً كبيراً ولا يضر الذنوب إلا أنت : فاغفر لي وارحمني ورب علي لا اله إلا
أنت سبحانك انى كنت من الظالمين . وهذا الاستغفار له شأن عظيم وضياء كريم
فتناوله تر حبيباً ، ثم تقول : يا الله يا علي يا حطيم ، يا حطيم يا عليم ، يا سميع
يا بصير ، يا مرید يا قدير ، يا حي يا قيوم ، يا رحمن يا رحيم ، يا من هو هو يا هو
يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن ، تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام . اللهم
صلى باسمك العظيم الذى لا يصر معه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهب لي
منه سرّاً لا تضر معه الفتوب شيئاً ، واجعل لي منته وجهاً تقضى به الحوائج من
القلب والعقل والروح والسر والفس والبدن ، ووجهاً تدفع به الحوائج من القلب
والعقل والفس والبدن ، وادرج أعمالى تحت أملاكك ، وصفاتى تحت صفاتك ،
وأفعالى تحت أفعالك ، ورج السلامة واسقاط اللامة ، وتزل الكرامة ، وظهور
الأمانة ، وكن لي فيما ابليت به أمة الهدى من كمالك ، راضى حتى تقى لي ،
وأخفى حتى تحمى لي ما شئت ومن شئت من عبادك ، واحضنى خزائة الأربعين ،
ومن خالصة المتقين واغفر لي لانه لا ينال عهدك الظالمون ، طمس ، حسم ، صنم ،
مرج البحرين وضيان بينهما يربخ لا يبينان . والحمد لله رب العالمين .
(قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً
أحد) اهـ .

ومن دعائه :
اللهم انى اسألك بحاه محمد لمطفى ، وإبراهيم الذى وى ، وبعمرة كل رسول
رئيس ، وصلين وولى وشهيد وصالح وفق ، وعمرة الأسماء ، وبالأسماء كلها أسألك

بن دعائه لفضيق الحال :

وكان يعلم أصحابه لضييق الحال فيجدون الفرج والسعة : يا واسع يا طيب
 ذا الفضل العظيم ، أنت ربى وطملك حمى ، إن تحسن بضر ملاكاشف له إلا
 بيا ، وإن تردن بغير فلا راد لفضلك ، نصيب به من تشاء من عبادك وأنت
 بقدر الرحيم .

ومن دعائه :

اللهم هب لى من البور الذى رأى به رسولك ﷺ ما كان ويكون ، ليكون
 بهد وصف سيده لا يوصف بصفه ، عيا بك عن تحديدات النظر لشيء من
 بطومات ، ولا يلحقه حيز مما أراد من القديرات ، وبعيداً ببلات السر بجميع
 رابع لدوات ، ومرتياً للبدن مع النفس والقلب مع العقل ، ولذبح مع السر
 بلاخر مع البصيرة ، والعقل الأول للهد من الروح الأكبر المنفصل عن السر
 لأهل

وته :

اللهم إنا نتوسل بك إليك ، اللهم إني أقسم بك عليك ، اللهم كما كنت دليل
 عليك فكن شفيعى إليك ، اللهم إن حسنتى من صلاتك ، وسببى من فضلك
 ببد اللهم بما أعطيت على ما به فضيت حتى تمحو ذلك بذلك ، لا لى أظاعك فيما
 أظاعك فيه له الشكر ، ولا لى صصاك فيما صصاك فيه له العبر ، لأنك قلت
 وتولدت الحق : (لا يسأل عمن يتصل وهم يسألون) .

اللهم لولا صلاتك لكنت من المالكين ، ولولا قضاوك لكنت من الفالسين .

الأحباب ، اللق لا تدع شيئاً من الارتباب ، ولا يبق معها شيء من القوم
 والعتاب ، واجعل ما علمته فينا وما خير مطوم بعد المحر والتشيت ، فإذك عندك أم
 الكتاب ، اللهم اغفر لنا ذنوبنا كلها ، دقيقتها وجليلها ، سرها وعلانيتها ، أولها
 وآخرها ، واعقر لمن سافر منا من أحيانا ، سفر الدنيا أو سفر الآخرة ، واجعل
 قلوبهم قلب المتقير ، وياهم إياب الفالسين ، واجعلنا برحمتك جميعاً من
 المقبولين . وإن كنا زالفين فإن القاد يسبحون وإن كانوا عارفين ، فإنت أول بذلك
 فإنك أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين ولا حول
 ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . اللهم لا تحيننا ونحن زجرورك ، ولا تحزننا ونحن
 مدحورك ، وقد دعوتك كما أمرنا ، فستجب لنا كما وعدتنا ، ولا تجعل قفرتنا هينا
 عليك وغير مقبول . وكما يسرت لنا اللطاه فسر لنا الإجابة . إنك على كل شيء
 قدير .

ومن ذكره ودعائه :

يا حسى يا قيوم ، لا إله إلا أنت كن لى بعبادك كما كنت لأحبابك ، وأمنق
 عنى بصعانتك كما فعلت بأصفيائك واحطنى قيوماً بذلك بالمصمة من غيرك كما
 فعلت بعمد رسولك إنك على كل شيء قدير .

إلهى إنا طلبت منك القوت فقد طلبت غيرك ، وإن سألتك ما ضمنت لى قد
 اتهمتك . وإن سكن قلبى لى غيرك فقد أشركت بك . جعلت أوصالك من
 الملهوث ، فكيف أكون مملك . وتترمت عن الملل فكيف أكون قريباً منك ،
 وتعاليت عن الأخيار فكيف يكون قوامى بغيرك . اللهم إنى أسألك توجيهاً لا عنق
 به ضلماً ، وقيتاً لا تلغ به شكلاً .

الموت : (فَاسْتَجِيبْنَا لَهُ وَنَجِّنَاهُ مِنَ النَّعْمِ وَكَذَلِكَ نُجَيِّبُ الْمُتَوَسِّلِينَ)
يا الله ، يا جميل ، يا جميل اللطف ، الطيف لي في لطفك الذي لطفت به
أولادك ، وانصرتي بالرعب الشديد على أعدائك ، إنك على كل شيء قدير .

ومن دعائه رضي الله عنه :
يا الله يا فطاح يا عليم ، يا غني يا كريم ، اضح قلبى بنورك ، وارحمى
ملائك ، وارحمى من معصيتك ، واسن على بمعرتك ، راغى بقدرتك من
قدرتى ، ويسلك من علمى ، وبارادتك من إرادتى ، وغيابك عن حياتى ،
وصفاتك عن صفاتى ، ووجودك عن وجودى ، وبدونك من دنوى ، وقرئك
من قرئى ، وغيبك عن حى ، وصدقت عن صدقى ، وعظمتك عن عظمتى ،
ونظرك عن نظرى ، وتدبيرك عن تدبيرى ، واختيارك عن اختياري ، وبدونك
وتفوتك عن حولى وقوتى ، وبدونك وكرمك وصدقتك ورحمتك عن علمى وعملى ،
إنما على كل شيء قدير

وقال :

اللهم إن الدنيا حقيرة ، حقير ما فيها ، وإن الآخرة كريمة ، كرم ما فيها
وأنت الذى حقرت الحقير وكرمت الكرم ، فإلى يكون كريماً من طلب غيرك أم
كيف يكون زاهداً من اختار لدنياه غيرك . فحقتى بمخاطق الرمد حتى استغنى بك
من طلب غيرك ، وعمرتك حتى لا أحتاج إلى طلبك ، إلهى كيف يصل إليك من
طلبك ، أم كيف يفوتك من هرب منك ، فاطلبنى برحمتك ، ولا تنظرنى
بغضتك ، يا عزيز يا متمم ، إنك على كل شيء قدير .

وقال :

اللهم اسلبنى عقلاً يصحى عنك ومن فهم آياتك ومن فهم كلام رسولك .

وأنت أجل وأعظم . وأمر وكرم من أن تطاع إلا بأذنك ورسالك . أرتضى إلا
بمحلك وقضائك ، إلهى ما أطعك حتى رضيت ، ولا عصيتك حتى قضيت ،
أطعك بأرادتك والمئة لك عى ، وعصيتك بتفكيرك والحملة لك على . فبورحب
حجتك واقطاع حجتى إلا برحمتى . وغفوى إليك وعماك عى إلا ما كفىنى .
يا أرحم الراحمين .

اللهم إني لم آت الذنوب جرأة من عليك ولا استخفافاً بحجتك ، ولكن جرى
بملك قلبك ، وقذ به ححك . وأخطأ به طمك . ولا حول ولا قوة إلا بك ،
والغفر إليك وأنت أرحم الراحمين .

اللهم ، إن سمى وبصرى ولسانى وقلبى وعقلى ، بيدك ، لم تملكنى من ذلك
شيئاً ، فإذا قضيت بشىء فكن أنت ولى ، ولعدلى إلى أقوم . لسبل يا غير من
سئل ، ويا أكرم من أعطى ، يا رحمن الدنيا والآخرة ، ارحم جدماً لا يملك للدنيا
ولا الآخرة ، إنك على كل شيء قدير

وقال رضي الله عنه :

بت ذات ليلة في غم عظيم فألمست أن أقول : إلهى منتت على بالإيمان والحقبة
والطاعة والتوحيد ، فأحاطت لي الغفلة والشهوة والمصيبة ، وطرحتنى النفس في
بحر الظلم ، فهى مظلمة ، وعدك عزرون مهوم مضموم ، وقد التفته نون الهوى ،
وهو يتأديك نهاء المهورب لمصوم نبيك وعبدك يونس بن متى ، ويقول :
لا إله إلا أنت ، سبحانك ، إني كنت من الظالمين .

فاستجيب لي كما استجبت له ، وابلى براء لىبة في عمل التبريد والوحدة ،
وأنت على أشجار اللطف والمان ، إنك أنت الله لكلك للمنان ، وليس لي إلا أنهم
وحده لا شريك لك ، ولست يخلف وعدك لمن آمن بك ، إذ قلت وقولك

بسم الله الرحمن الرحيم .
 وصلني الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . اللهم إني أسألك إيماناً
 لا ضدَّ له . ونسألك توحيداً لا يقابله شريك . وطاعة لا تتأهلها معصية . ونسألك
 محبة لا تشبه ولا على شيء . ونحوقاً لا من شيء ولا على شيء .

ونسألك تبرئاً لا من نقص ولا من دنس . بعد التبرئ من النقص
 والأدناس . ونسألك يقيناً لا يقابله شك . ونسألك عقديساً ليس وراءه قلبيس .
 وكسلاً ليس وراءه كسأل . وطعماً ليس فوقه علم . ونسألك الإحاطة بالأسرار
 وكتمانها عن الأعيار

رب أبي ظلمت نفسي . فأعتر لي ذبي وهب لي ذنوبك . واجعلني ممن يجيك
 ويغناك . واجعل لي من كل ذنب وهم وهم وصيق وسهو وشهوة ورغبة ورهبة
 وخطرة ونكرة وإرادة وعلية وعلية ومن كل قضاء وأمر مخزجاً . أحاط علمك
 بجميع العلومات . وعلت قدرتك على جميع القصورات . وجلت إرادتك أن
 يوافقها أو يخالفها شيء من الكائنات . حسبي الله . حسبي الله . حسبي الله . وأنا
 برىء مما سوى الله

الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .
 لا إله إلا الله تودُّ عرشه الله .
 لا إله إلا الله تودُّ لوح الله .
 لا إله إلا الله تودُّ ظمير الله .
 لا إله إلا الله تودُّ رسول الله .
 لا إله إلا الله تودُّ سيد رسول الله .
 لا إله إلا الله تودُّ قائد رسول الله .

وهب لي من الخلق الذي خصصت به أبياءك . ورسلك والصديقين من هبادك .
 وأهدني بتورك هداية المصممين ببيتك . ووسع لي في الترد توسة كاملة تخفى
 بها رحمتك . فإن الهدى هداك . وإن الفضل يبدك تؤتبه من نشاء وأنت
 ذو الفصل العظيم .

وقال :
 يا عزيز يا رحيم يا حكيم يا مني يا كريم يا واسع يا حليم يا ذا الفضل العظيم .
 اجعلني عندك دائماً . ولك قائماً . ومن غيرك سائلاً . وفي حلك دائماً . وبعظمتك
 علماً . واصفط البين بيني وبينك حتى لا يكون شيء أقرب إلي منك . ولا تحجبني
 بك منك على كل شيء قدير .

وقال :
 يا الله يا حديد يا جيد ، يا الله يا كريم يا بر يا رحيم ، يا الله يا قوي يا منين :
 هب لي من رحمتك ما أنعمتك به . فأكون من المؤمنين . وارزقني من لعائف الغر
 ما أكون به قوياً متيناً حاملاً عموماً في العالمين . وهب لي من كرمك ما أكون به برأ
 نانياً من الصالحين . يا رحيم يا لطيف . الطف لي لطفاً لا يدركه وهم الوهمين
 بلبي وجندك رحيماً حيث لا أرجوك . فكيف لا أجدك ناصراً وأنا أرجوك .
 على كل شيء قدير . وصلني الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
 تسليماً .

حزب الفتح :
 وهو الحزب الذي فتح الله به على أبي الحسن . ويسمى أيضاً حزب
 الأنوار . نبدأ به الأحزاب للبين والبركة .

على عبدك ، أعود برسالك من سخطك ، وأعود بسلاماتك من عفوك ، وأعود لك منك ، لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثبت على نفسك ، بل أنت أهل من أن أتق عليك ، وإنما هي أعراس تلك على كرمك ، قد متعتها لنا على لسان رسولك ليحبك بها على افتقارنا لا على قدرتك ، فهل جزاء الإحسان الأول الكامل لا الإحسان منك .

يا من يدومه واليه يعود كل شيء . أسألك بحرمة الأستاد مل بحرمتي التي الهادي **عليه** وبحرمة الانبياء والأئمة . وبحرمة السبعين والاثانية وبحرمة أسرارها ملك إلى محمد رسولك **عليه** . وبحرمة سيدة آبي القرآن من كلامك ، وبحرمة السبع الناق والقرآن العظيم بين كبريك ، وبحرمة الاسم الأعظم الذي لا يضر منه شيء في الأرض ولا في السماء وهو المسيح العليم ، وبحرمة قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

أكتفي كل علة وشهوة ونفسية من تقدم أو تأخر ، واكتفي كل طالب بطولتي من حقيق باخلق وبغير الحق في الدنيا والآخرة . فإله لك الحجة التامة وأنت على كل شيء قدير ، واكتفي هم الرزق وسخوف الخلق ، وأسلك لي سبيل الصدق ، وانصرف بالحق ، واكتفيا كل عذاب من قوتنا أو من نعمت أرحمتنا شيئاً أو يدين بنفسنا بأمر نهمي . واكتفيا كل هم وعم وكل هول دون الجنة ، واكتفنا شراً ما تلقى به علمك مما كان ويكون . إله على كل شيء قدير .

سبحان الملك الخلاق ، سبحان الخلاق الرزق ، سبحان الله عما يصفون ، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون . سبحان ذي العزة والجلال ، سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان من يحيي ويميت ، سبحان العلى الذي لا يموت ، سبحان الملك القادر ، سبحان العظيم القاهر ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو الحكيم الخبير .

لا إله إلا الله آدم خليفة الله .
 لا إله إلا الله روح نبي الله .
 لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله .
 لا إله إلا الله موسى كليم الله .
 لا إله إلا الله نوح كرم الله .
 لا إله إلا الله يحيى روح الله .
 لا إله إلا الله الأنبياء جماعة الله .
 لا إله إلا الله الأولياء أنصار الله .
 لا إله إلا الله الرب الإله الملك الأزلي الحكيم الأمين .
 لا إله إلا الله الملك اللعين الرزاق القوى العزيز ذو القوة المتين .
 لا إله إلا إله خالق كل شيء ، وهو الواحد القهار ، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار .

لا إله إلا الله العلى العظيم .
 لا إله إلا الله الحكيم الكريم .
 لا إله إلا الله الرب العظيم . سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم .

الحمد لله رب العالمين . باسم الله ، وبالله ، وبقدر الله ، وإلى الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

حسبي الله . آمنت بالله ، ونسيت باهه ، توكلت على الله لا قوة إلا بالله .
 محبوب إليك بك منك إليك ، وكولا أنت كما كنت إليك . فافع من على عبي غيرك ، واحفظ جوارحي من عاتقه أتركة ، والله فمن كم ترضى بيديك ، وكسفتي بقدرتك ، لأمكن نفسي ، ولأمكن أمة من خلقك ، ثم لا يعود ضرر ذلك إلا

قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ قَلْبِي كُلُّ الْمُسَوِّكُونَ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ جَهَنَّمَ الْكَلَاءِ وَمِنْ سُوءِ النَّفْسَاءِ ، وَمِنْ ذَرِكِ الشَّقَاءِ ، وَمِنْ
شَسَاءَةِ الْأَعْدَاءِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ كُلِّ مَشْكِكٍ لَا يُؤْتِي
يَوْمَ الْحِسَابِ

يَا مَنْ يَدُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يَجِيرُ وَلَا يَجَارُ عَلَيْهِ : انصرفت بالتعريف بملك
والتوكُّل عليك ، حتى لا أفتكف غيرك ، ولا أعبُد شيئاً سواك .

بالتخلي السَّحْرَ سَمَاءَاتٍ وَمِنْ الْأَرْضِ يَطْلَهُنَّ ، يَنْزِلُ الْأَثَرِ يَنْهَى ، أَشْهَدُ أَنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّكَ قَدْ لَطَمْتَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَماً ، أَسْأَلُكَ بِهَذَا الْأَمْرِ الَّذِي
هُوَ أَضَلُّ الْمُؤَخَّرَاتِ ، وَالَّذِي الْمَلَأَ وَالْمَشَى . وَالَّذِي غَابَةَ النَّفَاتِ ، أَنْ تَسْجُرَ لَنَا
هَذَا النَّحْرَ ، بِحَرِّ الدُّنْيَا وَمَا يُوْمَرُ بِهِ ، كَمَا سَجَّرْتَ النَّحْرَ لِمُوسَى ، وَسَجَّرْتَ النَّارَ
لِإِبْرَاهِيمَ ، وَسَجَّرْتَ الْجِبَالَ وَالْحَدِيدَ لِلرَّوَادِ ، وَسَجَّرْتَ الرِّيحَ وَالشَّيَاطِينَ وَالْحَيْرَ
لِسُلَيْمَانَ ، وَسَجَّرَ لِي كُلَّ عَمْرٍ لَكَ ، وَسَجَّرَ لِي كُلَّ جَبَلٍ ، وَسَجَّرَ لِي كُلَّ
حَلِيبٍ ، وَسَجَّرَ لِي كُلَّ دَجْرٍ ، وَسَجَّرَ لِي كُلَّ شَيْطَانٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، وَسَجَّرَ لِي
مَنْسِي ، وَسَجَّرَ لِي كُلَّ شَيْءٍ ، يَا مَنْ يَدُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَخْبِيلُ أَمْرِي
بِالْيَقِينِ ، وَأَلْتَمِسُ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

حزب البحر :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .
اللَّهُمَّ يَا عَلِيُّ ، يَا عَظِيمٌ ، يَا حَلِيمٌ ، يَا حَلِيمٌ ، أَنْتَ رُبِّي ، وَعَلِمَكَ حَسْبِي ،

بِسْمِ الرَّبِّ رَبِّي ، وَمِمَّ الْحَسْبُ حَسْبِي تَنْصُرُ مِنْ نَشَاءِ وَأَنْتَ لِعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٥١)
تَسْأَلُكَ الْمُضْمَنَةَ فِي الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَاتِ وَالْكَلَامَاتِ وَالْإِرَادَاتِ وَالخَطَرَاتِ مِنْ
الطُّورِ وَالشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ السَّاتِرَةِ لِلْقُلُوبِ عَنْ مَطَالِمَةِ الْعُيُوبِ ، فَقَدْ أَثَلَى الْمُؤْمِنُونَ
وَدَلُّوا زِلْزَالاً شَدِيداً ، وَإِذَا يَقُولُ الْقَافِرُونَ وَالذَّيْرُ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ إِلَّا خُرُوراً

بِكَلْبَتِنَا وَأَنْصُرْنَا وَسَجَّرَ لَنَا هَذَا الْبَحْرَ كَمَا سَجَّرْتَ السَّحْرَ لِمُوسَى ، وَسَجَّرْتَ النَّارَ
لِإِبْرَاهِيمَ ، ، وَسَجَّرْتَ الْجِبَالَ وَالْحَدِيدَ لِلرَّوَادِ ، وَسَجَّرْتَ الرِّيحَ وَالشَّيَاطِينَ وَالْحَيْرَ
لِسُلَيْمَانَ ، وَسَجَّرَ لَنَا كُلَّ بَحْرٍ هُوَ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَالْمَلَكُوتِ ، وَبَحْرَ
الدُّنْيَا وَبَحْرَ الْأَخْرَةِ وَسَجَّرَ لَنَا كُلَّ شَيْءٍ يَا مَنْ يَدُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ .

كَهَيْصِ ، كَهَيْصِ ، كَهَيْصِ ، أَنْصُرْنَا يَا نَبِيَّ خَيْرِ النَّاصِرِينَ ، وَالنَّحْيَ لَكَ
يَا نَبِيَّ خَيْرِ النَّاصِرِينَ ، وَأَعْمُرْ لَنَا يَا نَبِيَّ خَيْرِ النَّاصِرِينَ ، وَأَرْحَمْنَا يَا نَبِيَّ
الرَّحِيمِينَ ، وَأَرْزُقْنَا يَا نَبِيَّ حَمِيمِ الرَّاقِينَ ، وَاهْلَأْنَا وَنَجِّنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَهَبْ
لَنَا يَا عَظِيمُ كَمَا هِيَ فِي عِلْمِكَ ، وَأَنْزِلْنَا عَلَيْنَا مِنْ خِزَائِنِ رَحْمَتِكَ ، وَاحْتَلْنَا بِهَا
حَسْلَ الْكَرَامَةِ مَعَ السَّلَامَةِ وَالْعَامِيَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ .

اللَّهُمَّ يَسِّرْ لَنَا أَمُورَنَا مَعَ الرِّيسَةِ لِقُلُوبِنَا وَأَيْدَانَا ، وَالسَّلَامَةَ وَالْعَامِيَةَ فِي دُنْيَانَا
وَدِينِنَا ، وَكُنْ لَنَا صَاحِباً فِي سَكْرَتِنَا وَحِكِيمَةً فِي أَحْلَانَا ، وَأَطْمَسْ عَلَى رُجُوبِ أَعْدَائِنَا
وَأَسْتَهْزِمْهُمْ عَلَى مَكَائِبِهِمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْمَصِيحُ وَلَا الْجَهِيءُ بِالنَّكَ
وَكُوْنُ نَشَاءَ لَطَمْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَهْوُوا الصَّرَاطَ فَاتَى يُصْبِرُونَ وَكُوْنُ نَشَاءَ

(٥١) يقول ابن عطاء بن السكيت عن حزب البحر والحرب الكبير الذي يسمونه حزب ربيعة جهلك :
إبتها مدارا سموا القسس وهم ، وأشد ذكروها في العدو والمفسر . وحزب البحر بقرأ به نصر بن علقمدة
المدائلي

والله بصير العباد . الذين يقولون ربنا انما انا فاعبر كما دوننا وكن عذاب
 النار . الضارير والصادقين والقائمين والمستقيمين والمستهقرين بالاشجار .
 الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتكلمون و خلق السموات
 والارض وما خلقت هذا املا سبحانه فبما عذاب النار . ربنا انك من خلقنا
 ان فقد اخبرته وما العالمين من انصار ربنا انما سميتك مادياً ينادى للإيمان ان
 نبوا بربكم فاما ربنا فاعبر كما دوننا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأتار ربنا
 ربنا ما وعدتنا على رؤسنا . ولا نجونا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد .
 ربنا آتينا في الدنيا حسنة وى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
 (ربنا اعفر لنا ذنوبنا واتركنا في آمناً ، وكنت قدانيا ، وانصرتنا على القوم

الكافرين) .
 ربنا لا تؤاخذنا ان سبنا او اخطأنا . ربنا لا تخيل علينا امراً كما خلقتنا على

الذين من قبلنا . ربنا ولا نجعلنا ملاماة كما به . واعف عنا واعفر لنا وارحمنا
 انت مولانا فانصرتنا على القوم الكافرين) .

ربنا لا ترغ قلوبنا تعد بقدربنا وقت لنا من لذلك رخصة انك انت الوهاب
 ربنا انك خاتم النبيين لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد

ربنا انما بنا ازلت وآيت الرسول ما كتبنا مع الشاهدين .
 (وما كنا لنعلم باهه وما جاءنا من الحق ونطمح ان ينجنا ربنا مع القوم

الضالين فانهم بالله با قالوا حجاب تجري من تحفها الأنهار خالدين فيها وذلك
 جزاء المخلصين .

وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا بان كنتم مسلمين فقالوا
 على الله توكلنا ربنا لا نجعلنا فئة للقوم الظالمين . ونجنا رخصتك من القوم

الكافرين .

قد افلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو
 معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفرجوهم حافظون ، الا على
 آزواجهم او ما ملكت ايديهم فانهم غير ملومين . فمن اتقى تراءه ذلك فلا يركب
 هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم
 يحافظون . اولئك هم الوارثون ، الذين يرثون البرزخات هم فيها خالدون .

(ان المسلمين والسليمان ، والذين والذين والذين ، والقائمين والقائيات ،
 والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ،
 والمتقين والمتقات ، والصابرين والصابرات ، والصابرين والصابرات ، والصابرين
 والصابرات ، والداكرين الله كثيراً والداكرات الله لهن مغفرة وأجر عظيم
 ان الإنسان خلق ظلماً غلوفاً ، اذ منه الشر خروفاً ، وادامته الخير شوعاً ، الا
 المتصلين . الذين هم على صلاتهم دائمون . والذين في أموالهم حق معلوم للسائل
 والمحروم . والذين يصلون يوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون
 ان عذاب ربهم غير مؤلم . والذين هم لفرجوهم حافظون . الا على آزواجهم ،
 او ما ملكت ايديهم فانهم غير ملومين . فمن اتقى تراءه ذلك فلا يركب هم
 العادون . والذين لاماناتهم ونهدهم راعون . والذين هم بشهواتهم قانتون .

والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في حساب مكرمون .
 اللهم انما سألك ضحية الخوف . وعلية الشوق . وثبات العلم . وديم
 الفكر . وسالك سير الأستار التابع من الإضرار حتى لا يكون لنا مع الدين
 والعبير قرار . واجتيا واهدينا بل الصل هذه الكلمات التي نسطها لنا على لسان
 رسولك ، وانكيتهم بهم إبراهيم خليلك فأنهم قالوا يا حبيبنا انما قال
 ومن فرقت قال لا يزال عهبي الظالمين ، ما خلفنا من المخلصين من ذرية آدم
 ونوح . وسالك سبيل أمة المهديين .

يوم الدين . إنك تهب وإياك تستعين . هذنا الصراط المستقيم صراط الدين
 أتممت عليهم غير المنصوب عليهم ولا الضالين
 الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور . ثم الدين
 كبريا برهم يتكلمون . هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل نسمى عنده
 ثم نتم تتمرون . وهو الله في السموات وفي الأرض يسمع ويركض ويحرمكم ويعلم
 ما كسبون .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل
 ربنا بالحق .
 إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يكفينا ربهم بأعمالهم تجري من تحتهم
 الأنهار في جنات النعيم - دعواهم فيها سبحانك اللهم ونحبهم فيها سلام وآخر
 دعواهم أن الحمد لله رب العالمين
 وظل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا . ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن
 له ولي من الدل وكبره تكبيرا .

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . فيما يُنبؤ بآيات
 شديدا من لدنه ويُبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسبا .
 ما كين يد أيد .
 قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى والله خير مما يُشركون
 قل الحمد لله الذي آتاهي السموات وما هي الأرض وله الحمد في الآخرة وهو
 الحكيم الخبير . يعلم ما تبلغ في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
 وما يخرج فيها وهو الرحمن القود .
 الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملايكة رسلا أولي أجنحة بشي
 وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير .

ربنا آتانا من لذك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا .
 ربنا آتانا ما غفر لنا وارحمنا وأنت خير الرحيمين .
 ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا
 ومقاما

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما .
 ربنا زينت كل شيء رحمة وعلما ما غفر للذين كانوا والسموا سيلك وقوم
 عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آياتهم
 وأروا لهم ما فرحتهم إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيات ومن حق السيات
 يؤتيل . فقد رحمتهم وذلك هو الفوز العظيم .
 ربنا اكثف عنا العذاب إنا مؤمنون

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقوا بالإيمان . ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين
 آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .
 ربنا عليك توكلنا وأنت آتينا واليك المصير . ربنا لا تجعلنا منة للذين كفروا
 واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم .
 ربنا آمين كما نورثنا واغفر لنا ربنا إنك على كل شيء قدير .

بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو الله أحد . الله الصمد لم يلد . ولم يولد .
 ولم يكن له كفوا أحد .
 بسم الله الرحمن الرحيم . قل أهدؤ رب القلبي . من شر ما خلق . ومن شر
 عاسق إذا وقب . ومن شر المقاتل في المقد . ومن شر عاسد إذا خسد .
 بسم الله الرحمن الرحيم . قل أهدؤ رب القلبي . ملك الناس ، إله الناس . من
 شر الوسواس الخاسر . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس .
 بسم الله الرحمن الرحيم . الصمد . رب العالمين . الرحمن الرحيم . كالله

الرَّحْمَةُ أَمْ مَنْ عَمِلَ سَوْماً جَهَالَةً ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ مَا هُوَ عَفْوٌ رَحِيمٌ
 يُلْقِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَمْ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
 وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . دَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَاعْتَدُوا لَهُ عَذَابًا
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ . لَا تَتْلُوهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ .
 أَلَمْ يَكْمَلْ لَكُم دِينَكُمْ . عَسَىٰ

رَبِّ احْتَكَمَ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمَسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا نَعْمُونَ .
 طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا تَذَكُّرٌ لِيَسْ يَحْتَفَى . تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ
 الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى . الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى . لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
 الْأَرْضِ . وَمَا يَشْعُرُهَا وَمَا تُخْفَتُ الثُّرَى . وَإِنَّ قَعْقَعَهُ بِالْقَوْلِ بَابُهُ يَعْلَمُ السَّرَّ وَالْخَفَى .
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى .

اللهم انك تعلم اني بالجهالة متعزف وانت مالملم مؤصوف وقد وسيت كل
 شيء من جهالتى بملييت فصع ذلك برحمتك كما وسيت بملييت واخبرنى انك على
 كل شيء قدير يا الله يا عالم يا وهاب هب لنا من عندك ما علمت لنا به رسالتك
 وانكنا كسوة تقناها من البيرى وجمع عطاياك وقدمنا عن كل وصفه بوجوب
 نفسا بما استأذرت به في عظيم عشق سواك

يا الله يا عظيم يا على يا كبير . سألتك الفقر مما سواك واليقى بك حتى
 لا أشهد إلا آياتك . وانظرب ما بهما لظما حلته بضلع من والاك . وانكنا
 حلايب العيصى فى الأقسامو والمطاطو . واجعلنا هيدا لك فى جميع
 الحالات وعلمنا من نلنتك علما نصير به كالمين فى الصعيا والمناك .

اللهم أنت المحييد الرب الهيد القمال لا تريد . تعلم قركنا بماذا ولماذا وعلى
 ماذا وتعلم جزئنا كملك . وقد أوجبت كون ما أردته فينا وينا . ولا نسالك دفع
 ما نريد ولكن نسالك التأييد بوجع من صلحك فيما تريد كما أيدت آياتك ورسلك

ما يفتح لله للناس من رحمته فلا تمنيك لها . وما ينسبك له . سئل له من
 عبده . وهو العزيز الحكيم
 ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء . ومن رزقناه منه . حسنا فهو
 يتبرأ منه سرا وخبورا هل يستوفى . الخند لله تلى أكثرهم لا حسنا فهو
 ضرب الله مثلا رجلا يه شركاء فشاكون ورجلا سلما رجلا من يستوفى

مثلا . الخند لله . كل أكثرهم لا يعلمون
 وقالوا الخند لله الذى صدقنا وعدنا وآورنا الأرض كثيرا من حسنا . حيث شاء
 منهم أحر الغاملين . ترى الملايكة حاكمين من حول العرش يسبحون . محمد ربهم
 ونفى بهم بالحق وقيل الخند لله رب العالمين
 يله الخند رب السموات ورب الأرض رب العالمين . . . كثيرا به

السموات والأرض وهو العزيز الحكيم
 فسكان الله حين تسود وجين مضيقون . وله الخند والسموات والأرض
 وعينا ونحن نطهرون . يخرج أمي من البت ويخرج الممت من حتى ويحيى
 الأرض نفاة تزنها وكذلك لخرجون .
 سكان ذلك رب العزة عنا يصفون . وسلام على المرسلين . ونخند لله
 رب العالمين .

حزب التبر (المعروف بالحزب الكبير) (١٣)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم
 وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه

(١٣) هزوت الخطار طابا الحرب - أو هزوت قندمل - بد ملاما فصيح ولايتكم حال لاوه ، وقد
 روى من أنى الحسنى أنه قال ت . من فرأ حزبا فله مالا وطبه ما طبا

بعض ذلك كله (الله لا إله إلا هو العليُّ القيومُ لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ ، له ما في السموات وما في الأرض من دأبٍ الذي ينفخُ عبثه إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يشئده حفظها وهو العليُّ العظيم
 اقتسمتُ عليك بسنط يدتك وكرم وجهك ، ونور عينيك ، وكمال أعينك أن تملئنا حير ما يبدت به تبييتك ، وتعلمت به فذرتك ، وحاطت به علمك ، واكفينا شر ما هو صيدٌ لذلك ، وأكمل ديتنا ، وأتمم عليه يمتك ، وهب لنا حكمة الحكمة لآلئمة ، مع الحياة الطيبة ، والموتة الحسنة ، وتوف قيس أرواحنا بيدك ، وحل بت وبين غيرك في البرزخ وما قبله وما بعده سور داتك وعظيم قدرتك وخيل فضلك إلك على كل شيء قدير .

يا الله يا علي يا عظيم يا حكيم يا كريم يا مهيح يا قريب يا مجيب : ودود حل بنا وبين فتنة الدنيا والنساء والفحشاء والشهوة وطلم العباد وموه الخلق ، وأعقر لنا دنوتنا واقض عنا كيمائنا ، واكشف عنا سوء ، وجما من الغم واحمل لنا به محرجا إلك على كل شيء قدير
 يا الله يا الله يا الله يا لطيف يا رزاق يا قوي يا عزيز لك مقاليد السموات الأرض تسقط الرزق لمن تشاء وتقدير ، فانسط لنا من الرزق ما نؤملنا به إلى رحمتك ، ومن رحمتك ما نحول به بيننا وبين قبيتك ، وبين حليمك ما يستلنا به ضورك ، واحتيم لنا بالسعادة التي حكمتها لأولياتك ، واحمل خير أيامنا وأسعدنا يوم لقائك ، ورحمتنا في الدنيا عن نار الشهوة ، وأدخلنا بفضلك هي مياهم الرحمة ، واكفنا من بورك جلايب الضنبة ، واجمل لنا طهيرا من عفوك ونهيتنا من أرواحنا وسعرا من أنفسنا كي نسطك كثيرا ونذكرك كثيرا إلك كُنت بنا بصيرا . وهب لنا شفاعدة تصحبها نكائمة ، واضع أساعتنا وأبصارنا وادكرنا

وخاصمة الصديقين من خلقك إلك على كل شيء قدير .

اللهم طاهر السموات والأرض عالم القيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك أهيبنا لم عزتك قوصي بقضائك ، وآتوازل ليس لم بعزتك ، مل الويل ثم الويل من أقر بؤخنايبك ولم يرض بحكايك .

اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا ، وحكمت عليهم بالفقر حتى زحلوا ، فكل عزيتع دريك ، فسالك بذلك ذلا نصفة لطائف رحمتك ، وكل وجد يخبج عنك ، وسالك عوصة فذنا عصجة أنوار محبتك ، فإنه قد ظهرت السعادة على من أحبته ، وظهرت الشقاوة على من غيرك ملكة ، فهب لنا من تراهبير السعداء ، واعفينا من موارد الأثقياء .

اللهم إنا قد عزجنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث علم بما نعلم ، فكيف لا معجز من ذلك من حيث لا نعلم ، وقد أمرتنا وسيتنا ، والمدح والدم الزمنا ، فأغو الصلح من أمتلحة ، وأمو الصاد من أمتلحة ، والسعيد حقا من أغتية عن السؤال منك ، والفق حقا من حرته مع كيرة السؤال لك ، فاعفنا بفضلك عن سؤالنا منك ، ولا تجرنا من رحمتك ، مع كثرة سؤالنا لك ، إلك على كل شيء قدير .

يا شديد البطش ، يا جبار يا قهار يا حكيم ، تعود بك من شر ما خلقت ، وتعود بك من طلبمة ما أذعت وتعود بك من كيد القوس ما قدزت وأردت ، وتعود بك من شر الحساد على ما أفتت ، وسالك عز الدنيا والآخرة ، كما سالكة نيك سيدنا محمد ﷺ ، يز الدنيا بالإيمان والمروة ، ويتر الآخرة باللهاء والمشاهدة إلك سميع قريب مجيب .

اللهم إني أقتم إلك بين يدي كل قسمي وطمية وطرفه يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شيء هو في عليك كلقن لو قد كان ، أقتم إلك بين

لثقتي منك ، كثقتي آدم بملك الكلمات ليكون قدوة لولدي في القربة والأعمال
 الصالحات . وابعذتني وبين العباد والإضرار والشبه باليسر رأس القزاة واجعل
 سببنا سبباً من أحبت ، ولا تجعل حسانتنا حسبات من أبغضت . فالإحسان
 لا يقع مع البغض منك ، والابساءة لا تغتر مع الحب منك . وقد أهدمت الأمر
 عليك لترجو وعفاف ، فأمن خوفاً ولا تحب رجائنا وأعلمنا سؤنا فقد أعطيتنا
 الإيد من قبل أن سألنا وكسبت وحبت وكرهت وأطلقت الألسن بما به
 زحمت ، فقيم الرب أنت ملك الخند على ما أقتضت داغفر لنا ولا لناقبتنا
 بالنسب بعد المطاء ، ولا بكفران التعم وجرمان الرضا .

اللهم رصاً مفسالك ، وصراً على طاعتك ، وعن مفضيتك وعن الشهوات
 المرجبات للبغض أو لئتمد عنك وهف للاحقيقة الإيمان بك حتى لا تحاف عيرك
 ولا ترجو عيرك ، ولا نجيب عيرك ولا نهد شيك سؤالا ، وأوزعنا شكر نعماتك
 وهكاً برداء عافيتك ، وانصربنا بالتبصر والتوكل عليك واستر وحوثنا بنور
 صماتك ، وأنصحبنا ونصربنا يوم القيامة بين أوليائك واحفل بملك منبوطة علينا
 وعلى أهلنا وأولادنا ومن متنا برحمتك ، ولا تكفنا إلى أمسية طرقة غير ولا أقول
 من ذلك يا نعم المصيب ، يا نعم المصيب ، يا نعم المصيب ، يا نعم المصيب .
 يا من هو هو في طووه قريب يا ذا الجلال والإكرام ، يا محيطاً باللباني
 والأيام ، أشكر اليك من عم الحجاب وسوه الحجاب وشيئة العذاب ، وإن ذلك
 زافع ماله من كافر إن لم ترخصني

لا إله إلا أنت سبحانك أي كُنت من الظالمين .
 لا إله إلا أنت سبحانك أي كُنت من الظالمين .
 لا إله إلا أنت سبحانك أي كُنت من الظالمين .

ولقد شكنا إليك بقربنا فخلصنا من حزنه ووددت عليه ما ذهب من بصره

د عقلمنا عنك بأحسن مما تذكرنا به إذا ذكرناك ، وارزحنا إذا عصبتك بأهم
 روحنا به إذا أظلمناك ، واعر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر والطف بنا لطفاً
 ينجينا عن عيرك ولا ينجينا عنك ، فإنك نكل شيء عليم
 اللهم إنا نسألك لساناً ربياً بديكرك ، وقلاً نتمماً بشركك ، وبدناً هيأ لي
 مطاعتك ، واغظك مع ذلك مالا حين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
 بشر ، كما أخبر به رسولك ﷺ حسب ما عدتته بولسك واعينا بلا سبب واجفنا
 ست العبي لأوليائك وبرزنا بينهم وبين أهدائك إلك على كل شيء قدير
 اللهم إنا سألنا إيماناً دائماً ، وسألك قلباً عاشقاً ، وسألك علماً دائماً .
 وسألك يقيناً صادقاً ، وسألك ديناً قيمياً ، وسألك العافية من كل بليّة . وسألك
 تمام العافية ، وسألك قوام العافية ، وسألك الشكر على العافية ، وسألك اليقين
 عن الناس .

اللهم إنا سألنا التوبة الكاملة ، والمغفرة الشاملة ، والرحمة الكاملة الجامية ،
 والرحمة الصافية ، والمغفرة الوسيمة ، والأثوار الساطية ، والشفاقة القائمة والحمية
 البالغة والذرة العالمة ، ولك وثاق من التعصية ورحماتنا من النعمة عوامها
 العبي . اللهم إنا سألنا التوبة ودوامها ، وسؤدك من المتعصية وأسانها .
 وذكرنا بالتقوى منك قبل هجرهم خطراتها ، واخفيتك على الشجاة منها ومن الشكر
 في طريقها واضع من قلوبنا حلاوة ما اجتتهنا منها ، واستبدلتها بالكراهية لما
 والعلم لنا هو ضيلعنا . وأض علينا من محريرك وعقود حتى نخرج من الدنيا
 على السلامية من وبالها واجفنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمة بها ، وراؤف بنا
 رافة المحيية يحيي عند الشدايد ونزولنا ، وأرحنا من هجرم الدنيا وعومها
 بالزور والزيهان إلى الجحيم ونصيحها .

اللهم إنا نسألك توبة صادقة منك إينا لتكون نوبتنا تابعة إليك يا وهب لنا

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ مُوقِي الْمَلَائِكَةِ مَنْ تَشَاءُ وَتَقْرَعُ السَّلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَعْرِضُ مَنْ تَشَاءُ وَتُؤَدِّي مَنْ تَشَاءُ الْحَيْرِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي الْبَهَارِ وَتُؤَلِّجُ الْبَهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتُزَوِّجُ مَنْ تَشَاءُ بَعْدَ حِسَابٍ
الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يُطعمني ويسقين ، وإذا ترُفِعتُ فهو يسخن ، والذي يُبْسِئُنِي ثُمَّ يَحْيِينِي ، والذي أطعمُ أن يفسخ لي خطيئتي يوم الدين
ربِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَخْلُقْ بِالصَّالِحِينَ . وجعل لي لسان صدق في الآخرين
وجعلني من ورثة جنة الشّعير ، واغفر لأوليئنا إنه كان من الصَّالِحِينَ . ولا تخزني يوم يحشون . يوم لا يتبع مالٌ ولا بنون ، إلا من أتى الله قلبه سليمٌ . وأرأيت الجنة لمغنين ، وبرزت الجحيم للناجين . -

سَبِّحْ قَد مَاتِي السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قديرٌ ، هو الأولُ والآخِرُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ وهو بكل شيء عليم ، هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يرتفع فيها وهو معكم أين ما كنتم والله عما تعملون بصير . له مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . يُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْبَهَارِ وَيُؤَلِّجُ الْبَهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَمِيمٌ يَدَاتُ الضُّلُومِ .
هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سجدت له السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم .

والفصمى . والليل إذا سسى . ما ودعك ربك وما قلى . والآخرة خيرٌ لك من الأولى . ولسوف يبطئك ربك فترضى . ألم يعلمك يتيماً فأوى . ووجدك ضالاً فهدى .

حزب الشيخ أبي الحسن (٥٥) :
أخوذ بالله من الشَّكَّانِ الرَّحِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . العَمَدُ قَد رُبَّ الْعَالِينَ . الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ . إِنَّكَ يَمِينُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . اَعْقِبُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَصْرُومِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ آمِينَ .
الله لا إله إلا هو الحيُّ القيُّومُ لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده جعلهما وهو العليُّ العظيم .

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا تتفرق قلوبهم وما تلقوا من الأمر وما تلقوا من الأمر وما تلقوا من الأمر وما تلقوا من الأمر .
لا تؤاخذنا إن سبنا أو أنططنا ، ربنا ولا تحمِلْ عَلَيْنَا إِصْرَ كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصِرْنَا عَلَى قَوْمِ الْكَافِرِينَ .

ألم الله لا إله إلا هو الحيُّ القيُّومُ . كَرَّمَكَ عَلَيْكَ الْكَتَابَ بِالْحَقِّ مَصَدَّقًا لِأَنَّ يَدِيهِ ، وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالْإِنجِيلَ مِنْ قَبْلِ هَذَا لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ، إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو الْعِزَّةِ . إِنَّ اللَّهَ لَا يَشْفَعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ . هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ . لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

(٥٤) طاب لغيره ليليل ربه إن شاء الله ، رضى لله به ، ولم ينع له نسب .

وعل : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

فمن كان متسكياً بهذه الصفات الحميدة ضمن الله عز وجل له أربعة أمور في الدنيا : الصدق في القول ، والإخلاص في العمل ، والرزق كالنظر ، والوقاية من الشر .

وأربعة أمور في الآخرة : للفقرة العظمى ، والقرية الزلزلية ، ودخول الجنة الأولى ، واللحوق بالدرجة العليا .

فإن أردت الصدق في القول فداوم على قراءة : (إنا أنزلناه في ليلة القدر) .

وإن أردت الرزق كالنظر فداوم على قراءة : (قل أعوذ برب العلق) .

وإن أردت السلامة من شر الناس فداوم على قراءة : (قل أعوذ برب

الناس) .

وإن أردت جلب الخير والرزق والبركة فداوم على قراءة : بسم الله الرحمن

الرحيم . الملك الحق المبين هو نعم المولى ونعم النصير ، وقراءة سورة : (الواقعة)

رسورة (يس) .

وإن أردت أن يحصل لك من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ،

ويرزقك من حيث لا تحسب ، فالزم : الاستعاذ .

وإن أردت أن تأس بما يروحك ويفرحك فقل : أعوذ بكلمات الله التامات من

نصبه وهكاه ومن شر عباده ومن هزات الشياطين وأن يحضرون .

وإن أردت أن تعرف أي وقت تفتح فيه أبواب السماء وتستجاب الدعاء

فاشهد وقت نداء المنادي فأجبه فحق الحديث : « من نزل به كرب أو شدة فليجيب

المنادي وهو اللؤذن .

وإن أردت أن تسلم من أمر يكربك ، فقل : توكلت على الله الذي لا يموت

أبناً ، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له

ربك ذي الجلال والإكرام .

اللهم صلني بملك العظيم الذي لا يضره شيء ، في الأرض ولا في السماء

ومع لي منه سراً لا تضربه اللهب شيئاً ، واجعل لي منه وجهاً تقضى به الحاجج

للقلب والعقل والروح والسر والنفس والبدن ووجهها ترزق به الحوائج من القلب

والعقل والسر والروح والبدن والنفس . وادع أفعال تحت أملاكك ، وصلاتي

تحت صفاتك ، وأفعال تحت أفعالك . حرج السلامة وإسقاط اللامة وتنزل الكرامة

وظهور الإمامة وكمل لي ما أعطيت به أمة الهدى من كلياتك ، واضني حتى تنق لي

وأضني حتى تحيي لي ما شئت ومن شئت من عبادك واجعلني خزنة الأربعين ومن

خلاصة المفتون واختر لي فانه لا ينالك عهدك الظالمين .

طس . حم عسق . ترج البحرين بكتيخان بكتيخان لا يتيخان

المتصدق لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك

نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم

ولا الضالين

قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد

قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد

قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد

نصالح :

كن متسكياً بهذه الصفات الحميدة فتر عبادة الدارين :

لا تصخذ من الكافرين شيئاً ، ولا من المؤمنين عدواً ، وارحل زادك من الضوى

في الدنيا وعد نفسك من الموتى ، واشهد لله بالوحدانية ورسوله بالرسالة ، وحسبك

صالح صالغ ولادة قل . وقل : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ،

وإن أردت أن توفق للسلامة من كل سوء : فاترك الظن السيئ بكل الناس .
 وإن أردت المنزلة : فاترك الاعتقاد على الناس وتوكل على الله
 وإن أردت الأمان تملك قتل كل يوم أربعين مرة باسمي بالقيام لإله الأمان
 وإن أردت أن ترى النور ، ^{عقلك} ، يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة فأكثر
 من لزامة (إذا الشمس كورت) و (إذا السماء انقطرت) و (إذا السماء
 انشقت)
 وإن أردت أن ينور الله وجهك فداوم على قيام الليل
 وإن أردت السلامة من عطش يوم القيامة فلازم الصوم .
 وإن أردت أن تسلم من عذاب القبر فاحترز من النجسات واترك أكل
 المحرمات وارضض الشهوات .
 وإن أردت أن تكون غنياً فلازم القناعة .
 وإن أردت أن تكون غير الناس فكن ناصماً للناس .
 وإن أردت أن تكون أعيد الناس فكن متسكاً بقوله ^{عليه} : وبين يدي عني
 هذه الكلمات فيعمل بين أوليهم من يعمل بين . قال أبو هريرة أنا يا رسول الله ،
 فأخذ يدي وحدي نجساً قال : اتق المطامير تكن أعيد الناس ، وارضض بما قسم الله
 لك تكن أغني الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما أحب
 نفسك تكن مسلماً ، ولا تكن الفصحك فإن كثرة الفصحك تجبت القلب ،
 وإن أردت أن تكون من المحسنين الغافلين فاعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن
 تراه فإنه يراك .
 وإن أردت أن يكمل إيمانك فحش خلقك .
 وإن أردت أن يعبك الله فاقض حوائج إخوانك المسلمين .
 وإن أردت أن تكون من الطيبين فأد ما فرض الله عليك .

ولي من النذل وكبره تكبيراً .
 وإن أردت أن تنجو من هم أو هم أو خوف يصيبك ، قل : اللهم إني
 عبدك ، وابن عبدك وابن أمك ، ناصيتي بيدك ، ماض في حكمك ، عدل في
 قضاؤك ، أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو أنزلت في كتابك ، أو علمته أحداً
 من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع
 قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي وصمي
 وإن أردت أن يداويك الله من تسمة وتسمين دله يسرهما اللهم قل : لا حول
 ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .
 وإن أردت أن تبر بما يصيبك من مصيبة فقل : (إنا لله وإنا إليه راجعون)
 وإن أردت أن يلعب همك ويقضي دينك فقل إذا أصبحت وإذا أمسيت :
 اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ
 بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من غلة وقهر الرجال ،
 وإن أردت أن توفق للخضوع والطمع : فترك فصول النظر .
 وإن أردت أن توفق للحكمة : فترك فصول الكلام
 وإن أردت أن توفق لحلاوة العبادة : فترك فصول الطعام ، وطيبك بالصوم
 وقيام الليل والتجويد فيه .
 وإن أردت أن توفق للهية : فترك اللح والصمك فإنهما يستقلان للهية .
 وإن أردت أن توفق للحجة : فترك فصول الرعية في الدنيا .
 وإن أردت أن توفق لإصلاح عيب نفسك : فترك التمجيس على عيوب
 الناس ، فإن التمجيس من شعب التفائق كما أن حسن الظن من شعب الإيثار .
 وإن أردت أن توفق للخشية : فترك التروم في كينيات دات الله تعالى سلم
 من الشك والتفائق .

(1) (2) (3) (4) (5) (6) (7) (8) (9) (10) (11) (12) (13) (14) (15) (16) (17) (18) (19) (20) (21) (22) (23) (24) (25) (26) (27) (28) (29) (30) (31) (32) (33) (34) (35) (36) (37) (38) (39) (40) (41) (42) (43) (44) (45) (46) (47) (48) (49) (50) (51) (52) (53) (54) (55) (56) (57) (58) (59) (60) (61) (62) (63) (64) (65) (66) (67) (68) (69) (70) (71) (72) (73) (74) (75) (76) (77) (78) (79) (80) (81) (82) (83) (84) (85) (86) (87) (88) (89) (90) (91) (92) (93) (94) (95) (96) (97) (98) (99) (100)

(1) (2) (3) (4) (5) (6) (7) (8) (9) (10) (11) (12) (13) (14) (15) (16) (17) (18) (19) (20) (21) (22) (23) (24) (25) (26) (27) (28) (29) (30) (31) (32) (33) (34) (35) (36) (37) (38) (39) (40) (41) (42) (43) (44) (45) (46) (47) (48) (49) (50) (51) (52) (53) (54) (55) (56) (57) (58) (59) (60) (61) (62) (63) (64) (65) (66) (67) (68) (69) (70) (71) (72) (73) (74) (75) (76) (77) (78) (79) (80) (81) (82) (83) (84) (85) (86) (87) (88) (89) (90) (91) (92) (93) (94) (95) (96) (97) (98) (99) (100)

أنفسهم، وإنما ينسبونها إلى الفصل الوهاب، صاحب القدرة والقهر، إنهم

سبونها إلى من هو على كل شيء قدير

٤ - والملاحظ في منكري الكرامات على منصور أنهم يميزون بأنوان من

ملاحظة وقساوة القلب، فلا تجد فيهم رقة الشعور، ولا صفة البصيرة، ولا ملائكية

لروح، وهم - إن لم يكنوا من الملاحدة - من النصف الذي لم يخاطب الإيمان

شعاف قلبه وإعانة على صورة عاتمة على السطح

٥ - وجمهرة المسلمين على منصور، عاتمهم وخاصتهم، ولهم الشوايخ

في العلم والدين من الذين يشنون الكرامات ويؤمنون بها

ذلك هي الأسباب العامة التي لم تحلق أنخرج من نخل بعض كرامات

- أي الحسن - وأضيف إليها بعض الأسباب الأخرى الخاصة، وأضيفها لأرواح

لسكنة في صحراة، أضيفها معنًا في غير كبرياء ولا فخر يأتي من الأشخاص

الذين لا تطلب بهم الأرواح ولا التخليلات، ولم أكن في يوم من الأيام مرية

أماطيل أو خرافات، ولقد ماعد الله سبحانه - وله الفضل والمنة - بين وبين الفائر

بالإجماع الوهم، فإذا أصفت أسبابًا خاصة فأعنا أضيفها عن يقين وثقة ولعل الله

يهدى بها بعض من لا يزال في قلوبهم الاستعداد للحج، وفي أرواحهم لمس

الاعتناء إلى الحق.

في فترة من الفترات اتلاني الله بموضوع شق على نفسي وعلى نفس المحيطين.

في، واستمر الابتلاء مدة كتنا لبعثها فيها إلى الله طالبين الفرح.

وذاث يوم أتى عندي بعض الصالحين - وكان على علم بهذا الابتلاء -

وأعطاني ورقة كتيب فيها صيغة من صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ وسلم.

وقال: اقرأها، واستقرق فيها، وكررها متفرقًا في الليل لعل الله يجعلها سببًا في

تخريج هذا البلاء، والصيغة هي: اللهم صل صلاة جلال وسلم سلام جمال على

عنه - وما شككت فيط في ثوبها، وما شككت قط في صحة النقل، ثم وجدتني

أنقل هذه الكرامة في مناسبة، وذلك في أخرى، ولم أجد في قصصى كتابًا، ولا في

شعوري تراجمًا، ولا في ذوق تفورًا، حقيقة أتى لم أنقل كل الكرامات،

ولا أظنها، ولكنني نقلت منها ما رأيت له مناسبة في كتابي

لماذا لم أجد حرجًا في نقل بعض الكرامات في كتابي هذا؟

لماذا؟

للأسباب الآتية.

١ - إن القرآن الكريم يحدثنا في أسلوب لا ليس فيه عن المعجزات التي تفضل

الله بها على رسله وأنبيائه، وحديثنا عن الكرامات التي منحها سبحانه لأوليائه

وأصفيائه.

أم يحدثنا القرآن بصورة لا تحمل التأويل بأن عيسى عليه السلام كان يخلق من

الطين كهينة الطير فينبخ فيه فيكون طيرًا ياذن الله، وأنه كان يبرئ الأكمة

والأبرص ويجي الموتى ياذن الله؟

أم يحدثنا عن سيدنا موسى بأنه أتى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون، وأنه

أخرج يده فإذا هي بيضاء للناظرين؟

وسيدتنا مريم أم تحمل سيدنا عيسى من غير أن عاقره بذلك قوانين الطبيعة،

وكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا، قال: يلرم أتى لك

هذا؟ قالت: هو من عند الله

٢ - ثم إن مانسبه قوانين الطبيعة إنما هو في الواقع، عادات، الطبيعة،

وتصرفها ليس بمستحيل عقلا، وتصرفها لا يترتب عليه مستحيل.

وعادات الطبيعة لا ينسبط على رب الطبيعة.

٣ - ثم إن هؤلاء الذين يجري على أيديهم المعجزات أو الكرامات لا ينسبونها

وبعد قدرة ونحن على هذا الوضع ، أنظر إليه في تحقيق ، وبعد حينه إلى في ظرات ثابتة أخذ يشف شيك شيك ، والأحظ أنا في وصرح التدرج في هذه الشافية وانتبت الشافية بزواله تمامًا دون أن يتحرك من موضعه . ذلك ماشاهدته بنفسى . وماذا يكون خرق العادات غير هذا ؟

إن الذين يتكبرون خرق العادات ، ويتكبرون الكرامات الأولياء لله ، وإنما يكبرون شيك أئبته تجارب الإنسانية منذ أن وجدت الإنسانية ، وأئبته القرآن الكريم ، وأئبته جمهور الأمة ، وقد رأيت أنا خرق العادات بنفسى وصحى كما رويت سابقاً

ومن أجل كل ذلك أئبته ماأئبته في الكتاب من كرامات أبي الحسن وبيداته بعد تلقته مباشرة ، بكرامة من كراماته ، رواها أقرب تلاميذه ومريديه إليه وهو القلب الكبير أبو العباس الرضى الذى كان شاهد عيان فيها

وأمر آخر أريد أن أتعرف به وأن أشرح وجهة نظرى فيه :
ذلك أنى لم أتحدث عن وسط أبى الحسن وبيت الاجتهادية ، ولم أتحدث عن شيوخه الذين يكذب بعض التورخين من ذكرهم ، اللهم إلا عن الولي الكبير سيدي عبد السلام بن مشيش

وإذا كنت لم أتحدث عن الوسط ولا عن الشيوخ ، بما علمت ذلك مصداقاً لبقى فعلته عن مبدأ وعن رأى كمد ترويت فيه وقائلته
إبنى أرى في صراحة أن هؤلاء الذين يكونون عن السوية فيتعنون من الوسط واليعة ، وعن الأسانفة والشيوخ يقولوا بعد ذلك أن الصوفى تأثر وقد وأخذ ، وأن فكره هذه يبين فيها لقلان ، وفكره تلك يدين فيها للوسط اللانق... إن هؤلاء الذين يدعون بالآلية في الفكر الصوفى ، أو بأن الصوفى مرآة نمكس صور الجصع والربوب ، وتتكمس بها أفكار الجصع والشيوخ ، ويأخذون في

حضره حيك سيدنا محمد ، وانشه اللهم بتورك كما غشبه محابة التجليات نظر إلى وجهك الكريم ، وبحقيقة الحقائق كالم ملاء العظم ، الذى أعاده من كل سوا

اللهم فرج كرى كما وعدت : أمّن يجيب للفسط إذا دعاه ويكشف السوء ، وعلى آله وصحبه آمين .

واحتكيت في خرفة بعد صلاة المشاء ، وأضأت نور الفرفة ، وأسكت الورقة يلى وأخذت في تكرار الصيغة واستقرت فيها وإذا بي أرى ضجأة أن الحروف التى كتبت يا الصيغة مضية تلالاً نوراً . ومع أن الفرفة كانت مضية فإن الحروف كانت تلالاً نوراً في وسط هذا النور .

ولم أصدق عيني فنفستها وضعتها عدة مرات فكان النور على ما هو ، فوضعت الورقة أمامى ووضعت يدي على عيني أدلكها وأدمكها . ثم ضحت عيني فإذا بالحروف على ما هو عليه تلالاً نوراً ، وتثع سناه .

فحدت الله وطلعت أن أبواب الرحمة قد فحمت . وأنه هذا النور ومن ذلك ، وفلا أزال الله الكرب وحقق الفرح بكرامة هذه الصيغة المباركة . وأمر آخر من خوارق العادات شاهدته بنفسى :

في ذات صباح كنت جالساً ، في المنزل ، في غرفة المكب ، كعادتي ، وكنت في تلك اللحظة مطأطئ الرأس . ثم رضت رأسي ناظرًا أمامى وإذا بي أجد أمامى إنساناً فأخذت في تأمله دون أن أشعر بخط يحرف أو فرح .

كان طويلًا ، أقرب إلى النحافة منه إلى السمنة يميل لونه إلى السمرة . وعلى رأسه شالي أبيض أو عيسىه الحجازيون ، والخطرة . وكان في وقته متحدثًا قليلا ، وقلة فاملت تلاميذه الأبيض في فاصليها وشكلها .

لم يتحدث معى بأى قول ، أتحدث بالله .

تنقضا حياة النزالي ، وحياة ابن سينا ، وحياة الخواص ، وحياة المشرات غير

هؤلاء

هذا الطريق الزائف سار فيه المشتريون ، وحاولوا ما استطاعوا أن يفعلوا بكل
كثرة في الجو الصوفي عند مصدر أجنبي ، وأن يعمدوا في تراث كل صوفي مسلم الوارد
من أفكار سابقة من الزمن مختلفة ، أو متحدة في البيئة سار المشتريون في هذا الطريق
الضال ففصلوا وأضلوا .

لقد حملوا ولم يأت بهم - بعد أكثر من قرن ونصف - أن يصلوا إلى نتائج
موحدة ، أو يقينية ، أو شبه يقينية . بل لقد ظهروا بظهور لا يتطوون عليه ، وذلك
أن الكثير منهم كان يرى الرأي اليوم . يؤيده بما شاء من كل شاردة وورادة ،
ويطلق من أحله كل خبر ورواية ، ويترجمه للناس على أنه الحق الذي لا مراء فيه ،
ثم يقضه هو نفسه من القند ، فيخرج برأي آخر مغاير ، يؤيده بما شاء من كل
شاردة وورادة ، ويطلق من أبهله كل خبر ورواية .

لقد فعل ذلك المشتري ، وتوكل ، فأعلن بحسبة التصوف الإسلامي . ثم
عدل عن ذلك وأعلن إسلاميته

وفعل ذلك « نيكولس » فأعلن أفلاطونية التصوف الإسلامي ثم أعلن
إسلاميته في جومره

وأخذ المشتريون يتحدثون عن مشكلة وهمية هي مشكلة مصادر التصوف
ولا يزالون مختلفين .

وجارى الشريون المشتريين في الحديث عن مصادر التصوف ، وكما اختلف
المشتريون فقد اختلف الشريون ، ولا يزالون مختلفين .

ويستمر الخلاف ، لأن النقاش إنما هو عن مشكلة وهمية . ويستمر
الخلاف ، لأن وضع المشكلة خطأ .

تحليل آراء الصوفى وتفصيلها وتشريحها من أجل أن يعزوا كل فكرة إلى مصدر
يختلف عن مصدر الفكرة الأخرى للصوفى نفسه - إن هؤلاء الذين يصنعون ذلك
مخطئون

فالصوفى لا يكون صوفياً بالقراءة . أو الدراسة والبحث . حتى ولو كانت هذه
القراءة والدراسة في الكتب الصوفية نفسها وفي المجال الصوفى خاصة ، وقد يكون
شخص من أعلم الناس بهذه الكتب ، درسنا دراسة باحث متأمل . وعرف مذهبها
وحديثها ، وميز بين الزائف منها والصحيح وصنفها زمناً وميز ما أمكنة . . . وهو مع
ذلك لا سهم له ، في قليل ولا في كثير ، في المجالات الصوفية .

ولقد درس الإمام الغزالي كتب الصوفية المحققين ، درسها دراسة تنق
وتأمل ، لقد درس كتب الحارث المحاسبي ، وكتب أبي طالب المكي ، وماروي
عن الجنيد ، وعن الشبل ، وغيرهم . ثم اعترف بأن ذلك لم يجمله صوفياً ،
ولو اقتصر على القراءة ، مها كانت عميقة ، لما كان له في التصوف نصيب . ليس
قراءة كتب الصوفية سلماً يرقى به الإنسان في معارج القدس .

وإن سببا درس التصوف في كتب الأصلية . وخالف الصوفية وتحدث إليهم
وكتب في التصوف فصولاً توح بما كتبه الذي كان يتر به وهو كتاب الإشارات
والتنبيهات . . . ومع ذلك فإن ابن سينا لم يصر بفلك صوفياً ولم يجمله دراسته
للتصوف وكتابه عنه في عماد الصوفية .

ثم إنه قد يكون الصوفى أمياً لم يقرأ طرفة ولم يجهد نفسه في بحث
والحديث إذن عن المصادر والبيعة والأساتذة والتقليد والتأثر . . . في مجال
التصوف إنما يقوم على أساس قاسد ، وكل من يتبع هذا النهج من الكتاب عن
التصوف إنما يسير في طريق زائف ، ويقف فوق جدار متفرض ، ويعتمد على أسس

بندوة ويكس ويشهد . ولا يبادى تطلق في اروع فيديركها الصوف سارية في كياه
 لقد تحدثت عن سيدى عبد السلام بن مبيش كموجه . ولا بد للسالك من
 روح . لا بد له من شيخ يقوده . لا بد له من خبير يرشده .

يقول الأستاذ رينيه جيتو الفيلسوف الفرنسى المعروف :
 « ولا بد في التصوف من شرط جوهرى هو « التأثير الروسى » . أو تصبه أدق
 البركة . وهى لاتأتى إلا بواسطة « شيخ » ومن هنا كانت « الطرق » ومن هنا
 كنت « السلطنة » وهل السلسلة إلا بركات تنتقل من شيخ إلى مرشد يوشك أن

يصبح شيخاً فيؤثر بعموره في مرشد أو مرشدين ؟ » اهـ .
 ريمى لأستاذ رينيه جيتو بالبركة « السر » الذى يتقل من الشيخ إلى المرشد حينما
 تلقى يد المرشد بيد شيخه معاهلاً إياه على الاستقامة .

وإذا كان الأستاذ رينيه جيتو يرى ضرورة الشيخ من أجل « السر » فإن الإمام
 الرزى يرى ضرورة الشيخ لأن : « من سلك الطريق « وعرف مراحلها ونازلها ،
 واطلع على متاعها ومعاطيا ، أمكنه إرشاد الغير إلى سواء السبيل . والإخبار عن
 كيفية تلك الأحوال على التصميل » اهـ .

إلام تستمر مهمة الشيخ ؟
 إنها تستمر إلى أن يرتبط السالك بالسماء إلى أن يشرق عليه اللأ الأعلى . إلى
 أن يتمكن في مجال الروسى . ومن هنا كان طبيعياً أن يقول أبو الحسن . وقد سئل
 عن شيخه . « أما فيما معنى فكان سيدى عبد السلام بن مبيش . وأما الآن فاستق
 من عشرة أئمة : خمسة سماوية ، وخمسة أرضية . أما السماوية فجيبريل وميكائيل
 وإسرافيل وعزرائيل والروح ، وأما الأرضية فأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والنبي
 ﷺ . هـ . وليس معنى ذلك مصال المرشد عن شيخه امصلاً تاماً . وإنما معنى

إهم يتحذرون عن مصادر ثقافية على اعتبار أن التصوف ثمرة ثقافة كسبية .
 ومادام ثمرة ثقافة كسبية فإنه إذن يتأثر بالوسيلة التى أدت إليه . أى بالثقافة الكسبية
 التى كان ثمرة لها .

ولكن التصوف ليس ثمرة لثقافة كسبية . إن الوسيلة إليه ليست هى الثقافة .
 ولكن الوسيلة إليه إنما هى العمل . إن الطريق إليه إنما هو السلوك .

والفرقة الناشئة عن العمل والسلوك هى الإمام . وهى كشف . وهى ملأ أعلى
 انعكس على الصورة المطورة فتدوره الشعرى حالاً . وأحس به ذوقاً . وأدركه
 إنشأاً وكشفاً .

مهمل يتأق والحالة هذه أن نتحدث عن مجوسية التصوف الإسلامى . أو عن
 أفلاطونية . أو فارسية . أو هندية .

سار المشركون في طريق خطأ . وجارهم الشركيون فضلوا بضلالهم . بيد أن
 المؤلف هو أن الناس ألقوا الحديث عما سماه المشركون مصادر التصوف
 الإسلامى . وشارك في الحديث عنها القارتون والساميون . وهكذا لبس الوهم
 صورة الجدل . واتخذ الزائف مظهر الصحيح . وكان نقاش . وكان جدل . ومادام
 النقاش ومازال الجدل ويستمر ذلك إلى أن يصبح الوضع .

وتصبح الوضع إنما هو عجبف الروم الذى اتخذ صورة الجدل . وعجبف
 الزائف الذى لبس مظهر الصحيح ، أى عجبف مايمبرون عنه بمشكلة « مصادر
 التصوف »

ومن أجل ما تقدم لم أكتب عن « مصدر » أى الحسن . وإذا كنت قد كتبت
 عن سيدى عبد السلام بن مبيش فأنا كتبت عنه كموجه . موجه فقط . والموجه
 ليس هو الموصى وليس هو اللهم . ليس لوجه بصيرة ترق وتشف . ولا سراً يصح
 مرآة مجلوة يجاذى بها الصوف شرط الحق . رلاملاً أعلى ينعكس على بصيرة الصوف

ذلك أن الشيخ رأى سور الله أن تلميذه يد قطع الطريق . وأنه أصبح حذيراً إذ يرشد السالكين إلى الله . فيأذن له بالإرشاد . ويبارك خطراته وتوجيهاته في الدعوة إلى الله . ويشرف بذلك في العالم نور جديد . ويتألق في سماء الروح كوكب مشرق . وتسطر الإنسانية بها إلى الله . ويعنى النور الروحي للإنسانية بإشرافنا جديدة قريبة العهد من الله .

أما الأمر أو الأمور التي أريد أن أختص بها فهي أن حياة أبي الحسن الشافعي حين يتألمها أي إنسان فإنه سيخط فيها ما يصحح الأوهام الخاطئة الشائعة عن التصوف . لقد أشاع الماديون على اختلاف أوانهم كثيراً من الأباطيل ضد التصوف . وأعدوا يروجون لها في كل مكان . وكل وسيلة فعلقت بأدهان كثير عن لم يهددهم التوفيق في الوصول إلى صورة صحيحة عن التصوف .

١ - من ذلك مثلا ماأذاعه وبذبه الماديون من أن التصوف والكفاح . أو التصوف والعمل ضدان لايجتمعان . أو من أن التصوف والتواكل صواد مؤلندان . وحياة أبي الحسن - وهي تمثل التصوف الصحيح - تهم ذلك : لقد كان عاملاً في الزراعة . صاحب حقول . وزرع وحصيد . ودرس . معنياً بتربية مانتاح إليه الزراعة من ثيران وماشية .

وهي عناية شديدة بأمر المسلمين في حرورهم . حتى لقد كان دائماً في قلب المعركة . وفي ميدان الحرب مع الجيش والجنود عاملاً ومشجعاً . وعنى عناية شديدة بقضاء مصالح المسلمين الصغاه والمساكين . وسمى حاجتنا في أن يسر لهم - بتوفيق الله - ماتعصر . وعمل لهم ماتعقد . وبخرج من كراتهم مها لائق في سبيل ذلك من هنت حاكم أو علم مبالاة صاحب جاه .

٢ - وأشاع الماديون أن التصوف والعلم لايجتمعان . أو أن التصوف والجهل صديقان . وتلك فرية أيضاً تهدمها حياة أبي الحسن وحياة النزالي . وحياة هؤلاء

المسوية الذين بلغوا في العلم الذروة والسماء . وكانوا من الكثرة بحيث لا يكدح معهم للورخون مها بالقرى في الاستقصاء والبحث .

٣ - وأشاع أصحاب الطائع الكريمة . هؤلاء الحسيرون المنزفون في النصور . الحسى أن الصورة لايتايهون الكتاب والسنة . ومن أجل الرد على هؤلاء عقداً محلاً عاملاً عن ذلك تهم زبهم وأباطيلهم .

٤ - ثم لقد كان أبو الحسن أيقاً في ملبسه . والله جميل يحب الجمال . وكان لايزم في ماكنه ومشره مادام حلالاً طيباً . والله سبحانه وتعالى يقول عن المسر والمطم (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ أَهْلِ الْقُرْآنِ لَمَنْ حَرَّمَ زِينَةَ أَهْلِ الْقُرْآنِ)
الذين تشرا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة)
والتصوف في النهاية هو الاسترسال مع الله على مايريد . وهو مناعة الرسول .

عكف على مايجب . هذا باعتباره وسيلة وطريقاً

وهو قرب من الله ومشاهدة التوحيد باعتباره الغاية .
وليفحص هذا وذاك شارحاً الطريق والماية . وراسماً حياة كل صور .
الحديث القدسي الذي نغم به هذا الكتاب . وقد رواه إمام الحديثين أبو عبد الله البخاري في أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى . وهو : عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال : قال رسول الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل :

ومن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب . وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به . ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بها . وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذه .

القصص الشافي

العارف بالله أبو العباس المرسي

١ - حياته

إنها رؤية رمزية لطيفة . تعمق عميق . وفي دقة دقيقة عن مكانة
العارف بالله أبي العباس المرسي من شيخه أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنها .
يروى ابن عطاء الله الكندي في كتابه اللطيف : « لطائف المنن » مايلي :
وأخبرني بعض أصحابنا قال : « رأيت إنسان من أهل العلم والخير كأنه بالقرافة
المصرى والناس مجتمعون يتظلمون إلى السماء . وقال يقول الشيخ أبو الحسن
الشاذلي ينزل من السماء ، والشيخ أبو العباس مرتقب لتزوله متأهب له . فرأيت
الشيخ أبو الحسن قد نزل من السماء . وعليه ثياب بيض فلما رأى الشيخ أبو العباس
نبت رجبته في الأرض ونهياً لتزوله عنه . فنزل الشيخ أبو الحسن عليه . ودخل من
وأسه حنى غاب فيه .. واستيقظت » اهـ .

هذا الرمز الجميل لصلة أبي العباس بالشاذلي : هذا الرمز الذي يشير إلى الاتحاد
بينهما في المنهج والفكر والسلوك . يجاريه ويسير معه في سبق واحد مارواه ابن عطاء
فه أيضاً . قال : من المشهور بين أصحاب الشيخ أبي الحسن وغيرهم . أن الشيخ
كان يوماً بالقاهرة في دار الركني السراج . وكتاب المواقف للمعري يقرأ عليه
فقال : أين أبو العباس ؟ فلما جاءه قال : يا بني تكلم ، يا بني تكلم بارك الله فيك ،

وقد كان يديها معترفاً بفضله وفضلها . من ذلك ملاحظة أنه كان يفسر قوله تعالى :
(لَقَدْ نَادَى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ النَّصْرِ مِنْ
تَحْتِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِمَّنْ نَدَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنَّهُ بِهَيْمٍ رَكُوفٌ رَجِيمٌ . وَعَلَى
الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ لِيَوْمِهِمْ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ فَحَنَّنَّا عَلَيْهِمْ لِشِيبَانٍ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْقَابِضُ الرَّحِيمُ) .

فأخذ يقول عن شيخه أبي الحسن رضي الله عنها : ذكر توبة مالا ينضب .
لئلا يستوحش من أدب . لأنه ذكر النبي ﷺ . والمهاجرين . والأنصار . ولم
يذكر من قال : (عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا) . مدكر من لم ينسب ليونس من
أدب . ولو قال أولاً : لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا لضطرت أكبادهم
ولقد كثر حديثه عن شيخه فكان يقول كثيراً : قال الشيخ .. قال الشيخ ..

فقال له إسماعيل . لا نراك أنك تستد لنفسك كلاماً ؟ فقال رضي الله عنه :
لو أردت عدد الأنفاس أن أقول : قال الله عز وجل .. لقلت .
لو أردت عدد الأنفاس أن أقول : قال رسول الله ﷺ لقلت .
ولو شئت أن أقول عدد الأنفاس : قلت أنا . لقلت .
ولكن أقول : قال الشيخ ، وأترك نفسي أدبياً .

وروي صاحب ذرة الأسرار قال : ومن مكاتباته من الإسكندرية يجاوب
معض أصحابه بتونس . ووقفت على هذا الكتاب بخطه رضي الله عنه . كتاب
طويل يسأله عن الخصال . ويقول في آخره :

«والأحوال ماضي إلا كما تمهد . وأني صحبت رأساً من رموس الصديقيين
وأخذت منه سرّاً . لا يكون إلا لواحد بعد واحد . والشرح يطول . وبه انصرف .
وبالله أنسب . رضي الله عنه وهو أبو الحسن الشاذلي . وكاد لا يصبغ أحد إلا فتح

حجم ولو نسكت بعدها أدباً . فقال الشيخ أبو العباس : فأعطيت في ذلك الوقت
سان الشيخ . ويجاريه أو يتطابق معه في صورة جميلة أيضاً مقالته الشاذلي رضي الله
عنه له : «يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا ، وأنا أنت .» .

لم يمت الشاذلي رضي الله عنه حين مات . وإنما غاب في أبي العباس أو بعبارة في
أبي العباس . لقد كان أبو العباس امتداداً للشاذلي ، فقد غاب فيه . وكان لسانه .
وهو هو هو . وكان الشاذلي هو الحلقات الأولى في الطريق . وأخذت هذه
حلقات تتسلل متحدة لآلاءه على مر الزمن . فكانت مدهمة بدأها في توبة توبة
والحسن . وتابته وترسم خطاه على هدى وعلى بصيرة من تبعه . وكان على رأس
تدبير أبو العباس .

ولقد كان الشاذلي يحب أبا العباس كما يحب الإنسان صورة لنفسه ، أو كما يحب
من آثاره ، أو كما يحب ابناً نجيباً من أبنائه .

وتقدير الشاذلي لأبي العباس تقدير جميل . إنه يذكره غير مرة مبصراً الناس
شبه ويقول عنه مرة : هذا أبو العباس منذ فذ إلى الله لم يحب عنه . ولو طلب
محطات لم يجد . ويقول مرة أخرى لشيخ الصالح زكي الدين الأسواني :
«يكره عليك أبي العباس . فوالله إنه لآتية البسوى يقول على سابقه . فلا يسي
ببه نساء إلا وقد وصله إلى الله . يازكي عليك أبي العباس . فوالله ما من ولد في
د . وهو كائن إلا وقد أطلعه الله عليه . يازكي أبو العباس هو الرجل الكامل

ومرة ثالثة يقول عنه : أبو العباس طروق السماء أعرف منه بطروق الأرض
... . شيد به . ويعرف الناس بمكاته الروحية العالية . يقول الشيخ ماضي بن
... . وقع بيني وبين أبي العباس كلام فسمعت الشيخ فقال لي : يا ماضي : الرم
لازم مع أبي العباس ، فوالله إنه لأعرف بأرقة السماء أكثر مما تعرف أنت أرقة
السموية . ولقد كان أبو العباس من جانبه وبتأكل الوفاء لتربية شيخه ونماجه .

وما كان فقاؤه في أبي الحسن . ولا فقاؤه في الدعوة إلا فناء في الله ورسوله ، في حينها . وفي العمل حاجداً على مرضاتها . ومن كان كذلك لايته بالحديث عن نفسه . عن أن البرعة العامة عند الصالحين في اتحافهم الحديث لصادق إلى الله ، إمامي إمام الآتية . إنها النبوان في الرسالة النبوان في تحقيق الرسالة أولاً . في النفس . بالترامها التراماً تاماً وديناً . في الجتمع . بالعمل الجاهد على شرها . وتحقيقها وأقياً . وتكلمهم في ذلك هو رسول الله ﷺ .

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه . يلقى الأضرأء كلها على الرسالة وما كان يتم بشر الأختيار عن حياته الشخصية . اللهم إلا إذا كان لابد من ذلك من أجل الدعوة نفسها .

على أن الصوفية يفترون عادة من الحديث عن أنفسهم . اللهم إلا إذا كان ذلك بيان وإيضاح لدعوتهم . وفي هذه الحالة لا يكون الحديث حديثاً عن النفس . وإنما يكون حديثاً عن الدعوة . وقد سئل الشبل رضى الله عنه يوماً فقيل له : لم سميت الصوفية بهذه التسمية ؟ فقال : لبقية بقيت عليهم من قوتهم . ولولا ذلك لا تعلقتم بهم التسمية .

فالمصوفية يحاولون البدء الآتية . باسم يهدون حتى إلى إمامهم أسماهم لو استطاعوا يعيشون فناء كاملاً في الله سبحانه وتعالى والله عز وجل . أى في سبيل الله تبارك وتعالى

وإذا محنتنا الآن لأبي العباس المرسي . فإن التاريخ يجلدنا أنه ولد في الأندلس في بلدة مرسية ، التي ينسب إليها . ولد سنة ٦١٦ هـ ١٢١٩ م . ويتصل نسبه بالأصهار الذين أخبر رسول الله ﷺ أن جسمهم من علامات الإيمان . إن سبه يتصل بسعد بن عباد ، سيد الخرج .

ولد في مرسية ، وشأ بها ، حيث كان والده يعمل في التجارة ويبدو أن حالة

له في يمين أو ثلاثة فإن لم يجد شيئاً بعد ثلاثة أيام فهو كتاب ، أو يكون صادقاً ولكنه أخطأ الطريق ، ودليله من كتاب الله عز وجل
قال رب أحمل لي آية قال آيتك أو تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رباً .

وكاد يقول : إذا عرضت لك إلي الله سبحانه فأقسم عليه لي . فكنت والله لا أذكره في شدة إلا افترجت . ولا على أمر صعب إلا هان ، وأنت يا نبي إذا كنت في شدة فأقسم على الله به . وقد نصحتك وبقه يعلم ذلك . والسلام . وهذا كله توضيح للرؤيا التي صدرنا بها هذا الفصل . وهي مع ذلك في دقتها الدقيقة غير محتاجة إلى توضيح . والواقع أن أبا الحسن رضى الله عنه كان اعتاداً لأبي العباس في الماضي . وكان أبو العباس اعتاداً له بعد انتقاله .

ومن الطريف في الرؤيا أنها تذكر أن أبو العباس عندما رأى الشيخ تازلاً من نسبه . لبث رجله في الأرض . وتبياً لترله عليه . وهذا يشير إلى أن محاولة في تماس أن يكون في وحدة واحدة مع التاذلي رضى الله عنها لم تكن سهلة . ورغم حاجتنا إلى جهد غير عنه بثبت الرجلين في الأرض . والتبؤ للترول . ويرشد من جانب آخر إلى أن مقام أبي الحسن مقام كبير يحتاج تخله إلى جهد غير

من هو أبو العباس ؟ وكيف اتصل بأبي الحسن ؟

.. حينما زيرد الحديث عن حياة أبي العباس الشخصية . فإننا لا نكاد نجد شيئاً . كثر لم يكن أبو العباس معيماً بالحديث عن نفسه ولم يكن مهتماً بالتأريخ . إنه لم يتحدث عن أسرته . ولم يتحدث عن نفسه . ولم يشد بأفعاله . لقد مر في الحسن . فلم يكن في آفاه فراغ للحديث عن نفسه . ثم فنى في الدعوة . فله بعد أبي الحسن . فلم يكن في آفاه فراغ للحديث عن نفسه .

الوالد كات من اليسر بحيث مكته من إرسال ابنه إلى مؤذنب لتعلم القرآن والتفقه في أمور الدين . يقول أبو العباس : كنت وأنا صبي عند المؤذنب ، حياء رجل ووجدت أكتب لي لوح . فقال : الصوفى لا يسود يداً فضلاً . ليس الأمر كما زعمت ، ولكن لا يسود الصحائف سواء بالنوب .

هذه القصة تدل دلالة واضحة على ذكاء غير عادي وعقل مهارة وهم لا يوحدان في المستوى العام في أطلال المكاتب ، وترسم أيضاً انخافاً إلى الصلاح ونظوى منذ هذه السن المبكرة .

أما نشأة أبي العباس على الصلاح والتق في هذه السن المبكرة ، أوبصير دون ، حصل طرته الصافية ، وتبينها على الصلاح والتق ، فقد تكفل بها المؤذنب ندى كان يفقه ويريه . ويقول أبو العباس : عملت لي جانب دارنا خيال سطر ، وأنا إذ ذاك صبي ، فحضرته ، فلما أصبحت أتيت إلى المؤذنب وكان من أولياء الله تعالى فأنشد حين رآني .

بناظرًا صور الخيال تصبياً وهو الخيال بيته لو أبصرنا
وعجبت أبو العباس ، وعزم في نفسه أن يأخذ في حياته مسلك الجد .

ولما بلغ مرحلة الشباب وبلغ درجة الاستقلال بنفسه في التفقه والدراسة ، أخذ في معاونة والده في الأعمال التجارية . فكان الناصر المصطفى ذلك كل ما تعلم عن أبي العباس قبل سنة ٦٤٠ هـ أربعين وسنة هجرية . وفي سنة ٦٤٠ هـ - ١٢٤٢ م حرم والده أمروه ، ورتب شؤونه على أن يقوم بالبيع إلى بيت الله الحرام ، وأخذ لأسرة معه ، وركبوا البحر ، وشامت إرادة الله سبحانه وتعالى أن تهب عليهم باصعة بالقرب من شاطئ بونة ، فاستشهد والده وولدتها غرقاً ، ونجا هو وأخوه محمد فيما شرف تونس . وأبته محمد نحر الأعمال التجارية ، على غرار والده ، أما

أحمد فلم يكن حينه إلى التجارة . وإنما حينه إلى مهنة المؤذنب لدى كان من أولياء الله ، وكان هواه هو تعلم القرآن وفي الانتماس في أوتار القرآن فالتحق من رابحة الحقبة ، وعمر بن خلف ، مكاناً يعلم فيه القراءة والكتابة ومبادئ الدين والقرآن الكريم .

وكان للقاصير أنت به من مربية ، إلى تونس ، لأجل أن يكون ثاقب خلفاء لطريقة الشاذلية . ويكون داعية إلى الله . ليكون مصداقاً للشاذلي . ويكون قلباً من كبار الأصحاب . وطناً من أشهر الأعلام ، وأنه يقص كيفية اتصاله بالشاذلي يقول : لما نزلت بتونس وكنت أتيت من مربية - وأنا إذ ذاك شاب صحت بذكر الشيخ أبي الحسن الشاذلي . فقال لي رجل غفص ما به صلت : حتى لتخبرني الله . فنتت تلك الليلة . فزأيت كأنني أعود إلى رأس جبل . فلما علوت فوقه . رأيت هناك رجلاً : عليه برنس أنصهر . وهو جالس وعم يمينه رجل . وعن يساره رجل ، فنظرت إليه فقال : عذرت على خطيئة الزمان مال فأنسيت . فلما كان بعد صلاة الصبح . جالني الرجل الذي دعاني إلى زيارة الشيخ فسرت معه . فلما دخلنا عليه رأيت بالصفة التي رأيت بها فموز الجبل عدت . فقال لي : عذرت على خطيئة الزمان . فذكرت له اسمي ونسبي . قال لي . وضعت في منذ عشر سنين . وهو أبو الحسن بومر بجلبته المنطلق . وبعدهما التلطفة ، وسلوكه الرباني غلامه أبو العباس ملازمة المرشد الصادق لشحه الماروف ورأى الشاذلي به فطرة طاهرة . ونصاً خيرة . واستعدداً طياً للإقبال على الله . فنتسه وده . وغضوه ببنائه . وأخذ في تربية تربية توطئه لهدان خطيئته من بعله .

وحطت في تونس ، وسوا تخاهم بين الشاذلي وقاضي القضاة . البراء - هذا الخلاص الذي سبق أن صلفاء في كتابنا عن والمدرسة الشاذلية . ولت نتيجة

فأكلنا . فقال الشيخ : رأيت في المنام قتالا يقول : أهل الحلال مالم يحطرك
ببال . ولا سألت فيه أحدًا من النساء أو الرجال .

واستمر أبو العباس مع الشاذل يسير في ضوئ تربيته^(١) ويشرح طريقه لا يجيد عنه
قيد شعرة إلى أن كانت وفاة الشاذل : **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

لقد نشر الشاذل بأنه سيوت ويدرس في أرض فرعص الله عليها فقط . فلما كان
في طريقه إلى الحج ووصل إلى حميرة^(٢) . وقد خيم الركب للمبيت جمع أصحابه
وأوصاهم بأشياء وأوصاهم بحزب البحر . وقال لهم : حفظوه لأولادكم . فإن فيه
اسم الله الأعظم

وخلأ بأبي العباس المرسي وحده رضى الله عنها . وأوصاه بأشياء واختصه بما
اختصه الله به من البركات . وقال لأصحابه : إدا أنا مت فليكنم بأبي العباس
المرسي : فإنه الخليفة من بعدى . وسيكون له بيسكم مقام عظيم . وهو باب من
أواب الله سبحانه . يقول صاحب كتاب « درة الأسرار » نقلًا عن رجل الشيخ
أبي الحسن : وبات تلك الليلة متوجهًا إلى الله سبحانه ذاكرًا اسمه يقول : **إلهي . . .**
إلهي .

فلما كان السحر سكن . فظنا أنه نام . فحركاه فوجدناه ميتًا رحمه الله .
واستدعيته سيدى أبا العباس المرسي ففسله وصلينا عليه . ودفناه بحميرة . وهذا
الموضع بيرية عذاب . في واد على طريق الصعيد .

(١) يقول صاحب تاريخ حميرة . ضم فتح . أهل الطاعة . وهو (ع صحراء عذاب)
الصعيد الأمل . به وجه الأصبيري . ومن لمسح . به مر باب الطاعة سدنا القلوب . أن . لمس على بر عبر
الشاذل . فليس الله سره . ومعنى بركاته . وهو على منقطع على غير طريق . ويقال به أيضًا حمير الألف
وس أنوال وفيه للدكتور لطيفة أبي العباس المرسي حين سأله عن حكاية أئمة الفلاس والخوط والكفر : في
حميرة سور تزي

أن غادر الشاذل تونس . ميمًا شطر الديار المصرية ورافقه في هذا السفر جماعة
كان على رأسهم أبو العباس . وعن هذا السفر يقصر أبو العباس القصص التالية .
روىها لا يبيها من بيان لبعض مناقح أبي الحسن و التوج والتربة اللذين أنما نرا
ناصيًا هو أبو العباس ورملاؤه

١ - قال الشيخ أبو العباس : كنت مع الشيخ في السر . ونحن قاصدون
الإسكندرية حين مجئنا من الغرب . فأخذني ضيق شديد حتى ضعفت عن حمله .
فأتيت إلى الشيخ أبي الحسن . فلما أحس بي قال : أحمد . قلت : نعم يا سيدي
قال : آدم خلقه بيده . وأسجد له ملائكته وأسكنه جنة . ثم نزل به إلى
الأرض . والله ما أنزل الله آدم إلى الأرض لينقصه . ولكن نزل به إلى الأرض
ليكفه . ولقد أنزله إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله تعالى :

(إني جماعل في الأرض خليفة)

ماقال في السماء . ولاق الجنة . فكان نزوله إلى الأرض نزول كرامة .
لا نزول إهانة . فإنه كان يعبد الله في الجنة بالتعريف . فأنزله إلى الأرض ليعبه
بالتكليف . فلما توفرت فيه العبوديات استحق أن يكون خليفة .

وأنت أيضًا لك قسط من آدم كانت يدريك في سماء الروح في جنة التعريف .
فأزلت إلى أرض النفس لتمبهه بالتكليف . فإذا توفرت بك العبوديات استحققت
أن تكون خليفة وزال ضيق أبي العباس وانشرح صدره .

٢ - ويقول أبو العباس أيضًا : لما قدمنا من الغرب إلى الإسكندرية . نزلنا
عند عمود السورى من ظاهرها . وكان دخولنا عند استقرار الشمس . وكانت بنا
قاعة وجوع شديد فيمض إليها رجل من عدول الإسكندرية بطعام . فلما قيل للشيخ
عنه قال : لا يأكل أحد منه شيئًا . فبتنا على ما نحن عليه من الجوع . فلما كان عند
الصبح صلى بنا الشيخ وقال : مدوا السباط وأخضروا ذلك الطعام ففعلوا وتقدمنا

واضحاً من موقف أبي الحسن مع أبي العباس . ومن حديثه عنه أنه كان يعدد للخلافة . بل لقد أقامه فيها بصورة تشبه أن تكون صريحة حيناً استعلاء وقال له : يا أبا العباس . تكلم بين الناس فطس في جامع المطارين بالإسكندرية . فاصرو بالكلام والتعريس والدعوة إلى الله عن إبنه وأمرته . وحمل أبو العباس لواء الدعوة إلى الله طيلة حياته . فتأنيباً فيها . بإذلال ما يستطيع في سبيلها حتى انتهت به الحياة ، واضحاً عن الله ، مرضياً عنه من الله ، وكان ذلك في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٨٥ هـ - ١٢٨٧ م . وكان يبلغ تقريباً سبعين عاماً ، رحمه الله رحمة واسعة .

من كراماته :

وقد ذكر له صاحب كتاب جامع كرامات الأولياء العارفين بالله الشيخ يوسف النياتي عدة كرامات . فنقتصر منها على ما يلي :

يقول : من كراماته رضي الله عنه أنه كان يقول :
 لي أرسول من ماحجيت عن رسول الله ﷺ . ولو صحبت عن طرفة عين ما عدت نفسي من جملة المسلمين .

ومن كراماته أنه قال : وأنا الخضر عليه السلام فهو حي . وقد صافحته بكي هذه . وأتبعني أن كل من قال كل صباح : اللهم اغفر لآمة محمد ﷺ . اللهم أصلح أمة محمد ﷺ . اللهم تجاوز عن أمة محمد ﷺ . اللهم اجعلنا من أمة محمد ﷺ ، صار من الأبدان . هرمن بعض الفقهاء ذلك على الشيخ أبي الحسن الشاذل فقال : صدق أبو العباس (٣) .

(٣) للرجح : كعب جع كرامات الأولياء . تأليف يوسف بن يعقوب شيخ نيزر الأول ص ٤٢٠

وملخصها

يقول صاحب «درة الأسرار» : وقد شربت من ملتها . ووزت ضربه . ورايت له البركات . فتح العير في الدنيا والآخرة .

قال : ولا ديناه اختلف أصحابه في الرجوع أو التوجه فقال لم سيلى أبو العباس : الشيخ أمرني بالرجوع وودعني بكرامات . وتوجهنا ودينا تهربنا وبركات . ورجعنا صحيحاً .

وما حدث لهم في أثناء سفرهم إلى الحج ما حدث به أبو العباس قال : سافرت مع الشيخ رضي الله عنه في السنة التي توفي فيها . فلما كنا عند نخع . قال لي الشيخ : رأيت البارحة كأنني في جبة وأنا في البحر . والرياح قد انتفعت ، والأمواج قد تلاطمت ، والركب قد انفتح ، وأشرفنا على الفترق ، فأتيت إلى جانب الركب وقلت : أيها البحر ، إن كنت قد أمرت بالسبح والطاعة لي قللة في المسبح العليم . وإن كنت لمرت بذلك فالحكم في الفريز الحكم ، فسمعت البحر يقول : الطاعة . . الطاعة .

فلما سافرتنا ، وتوفى الشيخ رضي الله عنه ودمعنا بمحيرة من صحراء عيذاب . وكنا في جبة . فلما صرنا في وسط البحر . اختلفت الأمواج وتلاطمت الرياح . وانفتح الركب . وأشرفنا على الفترق . وتبيت كلام الشيخ . فلما اشتد الأمر ذكرت ذلك . فأتيت إلى جانب الركب وقلت . أيها البحر إن كنت لمرت بالسبح والطاعة لأولياء الله فالله في المسبح العليم . ماقت كما قال الشيخ بالسبح والطاعة لي ، وإن كنت لمرت بغير ذلك فالحكم في الفريز الحكم . فسمعت البحر يقول : الطاعة الطاعة . وسكن البحر وطاب النوم . وظهر أبو العباس من جد الشاذل ظهوراً عظيماً . وظهرت له كرامات كثيرة (٣) هـ . على أنه كان يبدو

(٣) درة الأسرار

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .
הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

ל . זה הנהגה זו . יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

הנהגה זו : יתנו דוגמה למה שיש להימנע ממנו .

الدنيا حين رأيت لما وجوك ، حتى زهدت فيما قدرها أصغر من ذلك .

وما يصل عادة بالظهور والقصر أمران :

الأمر الأول : وهو السلوك في الزنى ، وفي الأكل والشرب ، أن يرضى التسمين

بلى التصرف بيمين الزينات ، وعليط الطعام والشراب وقد كان الشيخ أبو العباس

بصادف رغبة من بعض المريدين في ذلك ، فإذ كانت سياسته في هذا ؟ وماهو

رأى للدرسة الشاذلية على وجه المصوم في ذلك ؟

يقول ابن عطاء الله : طريقة الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن - رضي الله

عنها ، وطريقة أصحابها ، الإعراض عن لبس زى ينادى على سر اللباس

بالإفشاء ، ووضوح عن طريقة بالإفشاء ، ومن لبس الزى فقد ادمى .

ويقول أبو العباس مبرراً عن رأى شيخه ، وعن أتباعه له : دخلت على الشيخ

أبي الحسن وفي قميص أن أكل الخشن وقبس الخشن ، فقال لي الشيخ :

ياأبا العباس ، اعرف الله وكن كيف شئت .

ويروى أبو العباس أيضاً في ذلك أنه دخل على الشيخ أبي الحسن فقهر عليه .

لباس من شعر ، فلما فرغ الشيخ من كلامه دنا من الشيخ وأمسك بلبسه وقال :

يا سيدي ماخذ الله بعتل هذا اللباس الذي عليك . فأمسك الشيخ عليه فوجد فيه

عشيرة فقال : ولا عبد الله بعتل هذا اللباس الذي عليك . لباس يقول : أنا أنفى

منكم ، فلا تطوفني ، ولباسك يقول : أنا قمم إليكم فأطوفني .

ويجب على ذلك ابن عطاء الله فيقول : ولا تظنم رحمتك الله أنا نصيب هذا

القول على من لبس زى القراء ، بل تصدق أنه لا يلزم كل من كان له نصيب بما

للقوم أن يلبس ملابس القراء . فلا حرج على اللباس ولا على غير اللباس ، إيا

كان من الحسنين : (ماصل الحسنين من سبيل) .

وأما لبس اللباس اللين ، وأكل الطعام الشهي ، وشرب الماء البارد فليس

على الشيخ رضي الله عنه قال : لا تطالبوا الشيخ بأن تكونوا في خاطره ، بل طالبوا

أنفسكم أن يكون الشيخ في خاطركم ، فمثل مقدار ما يكون الشيخ عندكم ،

تكونون عنده . ثم قال : أي شيء تريد أن تكون ؟ والله ليكون لك شأن .

ومن دفعه في مراعاة الكرامة الإبتائية للمريدين ، أنه كان يكره للأشياخ إفا

جامعهم يريد أن يقولوا له : تف ساعة . ويقول : إن المراد يأتي إلى الشيخ معناه

المترقمة ، فإنا قيل له : تف ساعة ، حتى ماجاه به .

ومع ذلك فإن للشيخ حسبا يرى أستاذنا ، أن يطالب المراد مادام كاهنكرا عن

حقيقة دعواه ، ولا يستر في ذلك بل الأبد ، ولكن إذا بلغ المراد مبلغ الرجال ،

لم يطالبه شيخه بيرهاد على دعواه وذلك لخروجه عن مقام الطيس . وكان رضي

الله عنه إذا رأى مريدا دخل في أبوابه بفضه وقواه ، أخرج منها ، وكان يحب

دائماً إخراج المرادين عن هوامم ، ويقول لهم مثلا : من أحب الظهور ، فهو

عبد الظهور ، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ، ومن كان عينكاه ، فسواء عليه

أظهور أو أخفاء .

ولاجل إخراج المرادين دائماً عن هوامم يقص عليهم أن رسول الله ﷺ ،

سمع أباً يكره قراً ، ويحكي صوته ، وسمع عمر قراً ، ويضع صوته فقال لأبي بكر : لم

خضت صوتك ؟ فقال قد أجمعت من طبييت . وقال لسمر : لم رعت صوتك ؟

فقال : لأروط الوستان وأطرد الشيطان . فقال لأبي بكر : ارفع قليلا . وقال

لسمر : اخفض قليلا .

قال الشيخ رضي الله عنه : أراد أن يرح كلاهما عن إرادته لنفسه ، المراد

رسول الله ﷺ له .

ويطابق الشيخ رضي الله عنه برسول الله ﷺ فيخرج المرادين دائماً عن

هوامم ، وإذا رأى مريدا يشتد بزمه في الدنيا يقول له : يا بني لقد عظمت

فأصل بصر البول ، واشتد به الأمر ، فصر . ثم لم يصر على الصبر : فأظهر
 الألم ، وصار يمر على الصبيان والناس ، ويقول : ادعوا لسكم الكتاب
 يقص الشيخ قصته ثم يقول : لو كان سمون عرض مقال فكيفما شئت
 فأخبرني . قال : فاعف عني ، لكان أولي من طلب الاختيار
 وإنما وقع الامتحان لسمون لغلته عن التبري من الدعوة ، فلو قال : ملني
 بالقوة ، ثم أخبرت بما شئت ، لم يتحتم .

وكان رضي الله عنه يقول للمريدين : إذا جيل لك أنخاف الله تعالى ؟ هل
 نعم : لكن يقدر ماخفته من الحرف ، وكذلك القول في أحب الله تعالى ؟ فمن
 سلك ذلك لا يقع له امتحان لتبريه على الله ، لا على قوة نفسه هو وقد قالوا كل
 مدح محتضن ، وهما ميزانه . والله أعلم .

وكان يحدث المريدين بكثير من مناسخ تزية أي الحسن له فيقول لهم مثلا :
 دخلت يوما على الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه فقال لي :
 إن أردت أن تكون من أصحابي فلا تسأل أحكا شيئا ، وإن أتاك شيء من غير
 مسألة فلا تقبله قلت في نفسي : كان النبي ﷺ يقبل الهدية ، وقال : ما أتاك من
 غير مسألة فحده .

فقال الشيخ . كذلك تقرب كان النبي ﷺ يبل هدية وقال ما أتاك من غير
 مسألة فحده ؛ والنبي ﷺ قال لله في حقه (فمن أهداكم إليهم ، أو حسبي)
 متى أوصى الله إليك ؟

إن كنت مقتنيا به في الأحد فكس مقتنيا به في كيفية الأحد كان ﷺ
 لإيخذ شيئا إلا لييب من عطيه ، وبوصه عليه فإن تطهرت فسك ، وتقدمت
 مكلنا فأقبل . . . وإلا فلا .

وما بيع في نسق القصة السابقة . ما أخبر به الشيخ الفصالح بالقرت الحبشي

ويسر ذلك الإمام ابن عطاء الله فيقول : ومعنى كلام الشيخ رضي الله عنه :
 لن يصل الولي إلى الله حتى تنتزع عنه شهوة الوصول إلى الله ، أي انقطاع أدب
 لا انقطاع مال ، فإنه يطلب عليه التفرغ إلى الله وشهود حس الاختيار به ،
 فيأتي القيادة إليه ، ويرك نفسه مسلما بين يديه ، فلا يختار مع مولاه شيئا لعله بما
 في الاختيار مع الله من الآفات . ولنا في هذا للنبي من قصيدة ذكرناها في كتاب
 التبرير .

وكن عبده والقي القيادة لحكمه وإليك تديرا فما هو نافع
 أنحكمت تديرا وخيرك حاكم أنت لأحكام الإله تنازع
 فسو إرادات وكل شئيه هو الفرض الأقصى فهل أنت سامع ؟
 كذلك سار الأولون فأذكروا على إثرهم طيش من هو تابع
 وما من شك في أن ابن عطاء الله يقصد أن يكون الجزم القلي والتبري المسمى
 إما هو التفرغ لله سبحانه . فليس مع تديير لله تديير . ولا مع إرادته إرادة .
 ولا يتناقى هذا مع اتخاذ الأسباب فقد قال الله سبحانه وتعالى . (خذوا حذركم)
 وقال سبحانه : (وأعلموا أنهم إنما استطعم من قوة) .

ولقد كان رسول الله ﷺ يحكم الأمر بحكمتها . وكان من قبل أحكام الأمر .
 وفي أثناء أحكامه . ومن بعد أحكامه . فموشا كل أمره إلى الله . موقفا بأنه
 سبحانه فقال لا يريد .

لا بد إذن - مع اتخاذ الأسباب - من التبري من الحول . ومن التفرغ إلى
 الله . وكان أبو العباس يحاور تبيت ذلك في أذهان مريديه بكل الوسائل فيقص
 عليهم مثلا قصة سمون الحب ، لقد قال :

وليس لي موالك . حظ . فكيفما شئت فاصبرني

ولم ينس الشيخ رضى الله عنه أن يه المرشدين إلى فضائل مبيحة ليترجموها في أنفسهم ، ولتكون أساساً يرشدونهم إلى صداقة من يتحقق بها ، يقول رضى الله عنه : قال لى شيخى لا تصحب إلا من تكون فيه أربع خصال :

الحدود من القلة ، والصمغ عن الظلمة ، والصبر على البلية ، والرضا بالقصبة وذكر في النهاية بعض أمثلة مما كان من توجيهات الشيخ لابن عطاء الله السكندرى . لقد ذكرنا فيما مضى بعضاً منها ، ونذكر الآن مايل :

يقول ابن عطاء الله ، وصحته يقول : أريد أن أمتسخ كتاب التذبيب ، لولدى جمال الدين ، فذهبت أنا فاستنسخته ، من غير أن أعلم الشيخ رأيته بالجزء الأول فقال : ما هذا ؟ قلت : كتاب التذبيب استنسخته لكم ، فأخذته فلما نهض ليقوم قال : اجعل في بالك أن الليل لا يتفضل عليه أبعد ، تجد هذا إن شاء الله في ميزانك . فلما أتته بالجزء الثانى ، لقيت بعض أصحابه بعد نزول من عنده ، وقال : قال الشيخ عنك : واقع لأجمله عيباً من عبود الله ، يقتدى به في العلم الظاهر والباطن ، فلما أتته بالجزء الثالث ، ونزلت من عنده لقيت بعض أصحابه ، وقال : طلعت عند الشيخ فوجدت عنده مجلدة حمراء . فقال : هذا استنسخته لى ابن عطاء الله فوالله ما لأرضى له يجلسه جنه . ولكن زيادة التصوف .

وأخبرنى بعض أصحابه قال : قال الشيخ يوماً . إذا جاء ابن عطاء الله فقيه الإسكندرية فأعصوني به ، فلما أتيت . أعلمنا الشيخ بك فقال تقدم . فتقدمت بين يديه ثم قال : حاه حبريل عليه السلام بل رسول الله ﷺ ومسه ملك أمره الله أن يطبع أمرك و قرش . مسلم عليه ملك الجبال . وقال : يا محمد . إن شئت أطرق عليهم الأخضر . قلت فقال رسول الله ﷺ : لا . ولكن أريد أن يرحم الله من أصلاهم من يوحد الله . ولا يشرك به شيئاً فصور عليهم رسول الله ﷺ رجاء أن يخرج من أصلاهم . كذلك صبرنا على جهد هذا القوي . لأجل هذا القوي .

بمدينة الإسكندرية في عام خمسة عشر وسبعمائة . وكان من أصحابه وخدمته . قال . كنت أتمد في مسجد غراخ الإسكندرية . فبقيت فيه مواسلاً أياماً . وأصاحب الجوع . دخلت الإسكندرية قاصداً الشيخ ، فوجدت في طريق درهما فأردت أن اشتري به خبزاً إداماً فرأيت في السوق زيبياً طيباً . وكنت أعلم أنه يبه لأنه من بلاد الأندلس وهو كبير بلاده . قال . فاشتريت به زيبياً وآثرته على نفسى وقصدت إليه فوجدته حاشاً في القلعة ، لأنه كان يسكنها بعد الشيخ . قال فوصفت الزبيب بن يديه . وجلست ساعة . وأردت أن أقوم فقال لى . احلس . قال . فجلست وإذا برجل وصل إليه بماثلة فيها كبش عيين مشوى . ورفاق طيب . فقال لى . هذا فوحك ، لما أتت على نفسك وأنت حائع فكل . فأكلت وحدى حتى غلبت^(١) . ثم أمر الفقراء بأكله . وقال لى : ارفع الزبيب ، وتصدق به . وإيا لا تباح لنا القلعة .

وما يصل بذلك أنه كان يقول للسريدين : من اشترى زيباً من بيع ، فلما فرغ قال له . رضى فزاد حياءً ، فبقيه أرق من ذلك الحيط .

ومن اشترى لهما طما فرغ . قال له : زولى ، فزاده فصحة . فقلبه أسود من تلك الصحة . وقد اتفق رضى الله عنه مع أستاذة أبى الحسن على ميزان الصدق للسريد . يزن به نفسه . يقول رضى الله عنه : سمعت الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول : من ثبتت ولايته من الله تعالى لا يكره الموت . وهذا ميراث للسريدين ليزنوا به نفوسهم إذا ادعوا ولاية الله ، فإن من شأن النفوس وجود الدهوة للتراب العالية من غير أن يسلك السبل الموصل إليها . قال تعالى : (كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ خَائِفِينَ) .

ويت ليلة من الليالي مهموماً ، فرأيت الشيخ في المنام ، فشكوت إليه ما أنا فيه . فقال : اسكت ، والله لأعلمنك طمًا عظيمًا ، فلما استيقظت أتيت إلى الشيخ رضى الله عنه ، فقصصت عليه الرؤيا ، فقال حكماً تكون إن شاء الله . وقدم يوماً من السفر ، فخرجنا للقائه ، فلما سلمت عليه . قال : يا أبا أحمد كان الله لك ، ولطف بك ، وسلك بك سبيل أوليائه ، وبهاك بين خلقه ، فلقد وجدت بركة هذا الدعاء وحملت أنه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق ، وأنى مراد بهم لقوله :

« وبهاك بين خلقه » اهـ .

لقد ذكرنا كل ذلك في صلة الشيخ بابن عطاء الله لنذكر صورة قريبة من الواقع في الارتباط الوثيق بين الشيخ ومريبيه ، وهذه الصورة هي التي نصفها مثلاً وضاه لألمة التصوف مع مريبيه . لقد كان رضى الله عنه :

(أ) يصفد حال المريدين ، ويسأل عما ظهر من أعمالهم وعما شئ

(ب) وكان يخرجهم عن هوانهم ، ويتحرى أن يصرف عنهم حسب الظهور

سواء أكان ذلك عن طريق ليس للرقعات - أم عن طريق غيرها -

(جـ) وكان رضى الله عنه يوجههم إلى أن يسوموا بهمهم إلى معالي الأمور .

متسامين عن صفارها .

(د) وكانت تربيته جماعية ووردية : أى أنه كان يتحدث عن أمراض عامة ،

ولا يقتصر على ذلك ، بل يبالغ كل فرد بما يتناسب مع مرضه الخاص . لقد كان

مريباً كاملاً .

وأخيراً سيدى جمال الدين ، ولقد الشيخ قال : قلت للشيخ : هم يريدون يصلبون ابن عطاء الله في الفقه ، فقال الشيخ :

هم يصلبونه في الفقه ، وأنا أصبده في التصوف ، ودعيت أنا عليه فقال لى : إذا صوف الفقيه ناصر الدين يحسبك في موضع جحك ويحسب الفقيه من ناحية وأنا من ناحية . وتكلم إن شاء الله في العلمين فكان مأثماً به رضى الله عنه . وخرجت يوماً من عند الفقيه مكهن الدين الأمر رضى الله عنه وخرج معى أبو الحسن الحليزي - وكان من أصحاب الشيخ أبي الحسن فسلمت عليه . فلم على شمشة وبقال قلت له : من أين تعرفني ؟ فقال : وكيف لا أعرفك ؟ كنت يوماً جالساً عند الشيخ أبي العباس . وكنت أنت عنده فلما نزلت قلت له : يا سيدي إنه ليحببني هذا الشاب انقطع فلان وفلان - من اللازمة ، وهذا الشاب ملازم قال : فقال الشيخ أبو العباس . لى يموت هذا الشاب حتى يكون داعياً يدعو إلى الله فكان كما قال الشيخ . والله الحمد .

وكان رضى الله ، يلقب للبراس : سبحانه الملك الخلاق (إن شيئاً يلعبكم ، وثبات يخلق جديداً . وما ذلك على الله بغير) .

وعملت فصبدة أمدحه يا سباني ذكرها إن شاء الله آخر الكتاب فقال حين أنشدت . أيدك الله روح القدس ثم عملت فصبية بإشارته حواراً تفصيلاً مدحه بها إسان من بلاد أحميم ، وسألت ذكرها أيضاً آخر الكتاب إن شاء الله تعالى . فلما قرأت عليه قال . هذا الفقيه محضى وبه ترصان ، وقد عافاه الله منها ، ولا بد أن يجلس وينتحدث في العلبي . يشير الشيخ إلى مرض الوسوسة . فلقد انقطع حتى ببركة الشيخ حتى صرت أعاف أن أكون لشدة الوسوسة التي أجدها قد تساهلت في بعض الأمور ، والمرض الآخر كان بي أم برانى فشكوت ذلك إليه ، فدعا لى ، فدعا لى ، فدعا لى ، فدعا لى .

٧- وكان كتابه في الحديث : المصايح ، وهو كتاب على غرار كتاب التزييب والتزييب ، وعلى غرار « رياض الصالحين » وإن كان أوسع منه . أمه الإمام البيهقي الذي كان من كبار الفقهاء في المذهب النافعي . وكانت وفاته بمصر الرود سنة ٥١٦ هـ .

٣- أما في الفقه : فكان يعنى بكتاب التهييب ، وكانت الرسالة وما كتابان في الفقه مشهوران والفقهاء فيما يرى الشيخ : هو من أئمة الحنابلة عن عيني قلبه وشاهد ملكوت ربه . ومع ذلك فإن علوم المعاملة هذه - على حد تعبير الصوفية - ما كان رضى الله عنه يتزل إليها إلا في الزمن اليسير وحسب الضرورة فقط .

٤- وكتابه في التصوف هو الكتاب المفضل عند شيخه أبي الحسن وهو كتاب « لحرر الوجير لابن عطية . ووصل به الأمر بعلوم الوسائل - أي التصوف وأشباهه من العلوم التي ليست في نفسها غايات - أن قد كان يقرأ عليه بعض للفرقيين في المرية ليرد عليهم اللعن

٥- أما في التصوف : فقد كانت كعبة لفضلة هي :

١- الرسالة القشيرية . وما كانت الرسالة القشيرية إلا مسلماً يصحب عليه ليشتر من إشرافاته هو والقصة التالية توضح طريقته في كيفية أخذ الرسالة القشيرية في التصريف . يروى صاحب كتاب درة الأسرار حثني الشيخ الصالح العالم للفن جمال الدين يوسف ابن الشيخ للقدس المرحوم أبي محمد عبد الكرم الواداش المالكى المعروف بالمرامى ، ببداية القاهرة - سماها الله تعالى ، في أوائل جمادى الآخرة سنة عشر وسبعمائة قال : كان سيدى أبو العباس فتح الله به ، لا نؤي سيدنا الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه بطلع للقاهرة زمن زيادة النيل ، بقي بمسجد بموضع يقال له : للقصى بالذكة . بخارج باب البحر من القاهرة .

وكان الشيخ سيدنا أبو الحسن يفعل هذا في كل عام فجمع إليه مشايخ

٣- العالم

كان أبو الحسن الشاذلى ، مدعوة طيبة ، نهل منها كل من اتصل به على حسب استعداده ، ولقد كان مدرسة طيبة متكاملة ، أي كان مدرسة للظاهر من العلوم وللباطن منها ، فقد كان يدرس ، ويفتح على الوضع الطاهر ، وكان يدرس ، ويفتح على الوضع اللئيق الصوري ، وما كان في ذلك متناقضاً ، لأنه لا تناقض بين الشريعة ، والحقبة « وطلبتنا هذا شديد على الكتاب والسنة » ، كما يقول الخيد رضى الله عنه . وأخذت أهل الظاهر ، كل بحسب استعداده ، وأخذت منه الصوفية كل على حسب استعدادة ، وورثته في كلتا التاحيتين ، أبو العباس الرضى .

ورجال المدرسة الشاذلية يعرفون أنه رضى الله عنه هو الذى بث علوم الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه - ونشر أنوارها ، وأدى أسرارها .

ولقد كان رضى الله عنه لا يتحدث معه في علم من العلوم - كما يقول ابن عطاء الله - إلا تحدثت معك فيه . حتى يقول السامع : إنه لا يحسن غير هذا العلم ، لا سيما علم الحديث ، والتصوير

وكان يقول : شاركنا الفقهاء فيما هم فيه ، ولم يشاركونا فيما نحن فيه . وكان له من العلوم الظاهرة كتب مبنية يؤتروا ويدوم مذاكرتها وتربيتها .

١- ففي أصول الدين ، كان كتابه : الإرشاد ، وهو كتاب في التوحيد ، والجليل ، والنقاش ، والانتصار للمذهب الأشاعرة ، وأهل السنة ، لا سهل تتولوه على العاديين من الناس ، بل لا سهل على كبير من المتقنين ، لأنه يحتاج إلى ممارسة طريفة في علم الكلام ، والجليل .

ورأيت العرق ينحدر من جبينه ، حتى سال على لحيته . وكانت له لحية كبيرة . ظا
صحا من حاله قال : وأما فراسة الصديقين : إن الشيخ رضوان الله عليه ما كان
يتخذ الرسالة القشيرية إلا أساساً ينطق منه ما يبدا في بحار المعرفة الإلهامية
٢ - وكتاب إحياء علوم الدين . من الكتب التي حتى بها الصورية على وجه
المعوم . وقد كان رضي الله عنه يقول عن شيخه أبي الحسن : كتاب الإحياء
يورتك العلم . وكان يقول في الإمام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه . إنا نشهد له
بالصديقية العظمى .

٣ - كتاب قوت القلوب : وكان يقول عن شيخه أبي الحسن : كتاب القوت

يورتك النور

٤ - كتاب غم الأولياء للحكيم الغزالي ، وهو كتاب آثار اهتمام الصورية ،
وآثار اهتمام خيرهم ، وأحدث حموية ، وحياة ، وقاشا في الجور المكرب ،
والصوفى ، وحصل على اللزائف الحاسون ، ودافع عنه للناصفون ، وإن كتاباً يبر
اهتمام الإمام الكبير ابن العربي بإثارة بالغة فيكتب عنه غير مرة ، لم يكتب في
نقد كان شيخنا محباً به ، وكان شيخه محباً به . يقول ابن عطاء الله عن
أبي العباس وشيخه رضي الله عنهما : وكان هو والشيخ أبو الحسن . كل منهما يعلم
الإمام الرباني محمد بن علي الترمذي . وكان لكلامه عدما الخطوة الثامة . وكان
يقول عنه : إنه أحد الأربعة الأوتاد .

٥ - كتاب الحقائق لسلسي : وقد كان ابن عطاء الله يترؤه عليه ، ظا قال
السلي في الكتاب : انتهى عقل العقلاء إلى المحيرة
قال الشيخ رضي الله عنه . عن شيخه أبي الحسن رضي الله عنه . لاجمة عند
المتقين فيما فيه المحيرة عند المؤمنين

وإذا كان الشيخ رحمه الله مدرس علمه الكتب موارثاً وتكراراً . فإنه بعد أن

القاهرة . ومصر . ومن كل الجهات ، يتبركون به . ويأخذون عنه العلوم
العظيمة . والأحوال الكريمة . فيق سیدی أبو العباس بقفو أثره

حدثني هذه الحكاية بلنا المسجد المبارك . وفيه أعلية للسكن وملا الفقه

ساكن بها . وهو قاضي للربيع وعقبه وقاضيه قال :

فجهاد سیدی الشيخ أبو العباس على عادته فاجتمع إليه جماعة من كبار مصر

وعلمائها . وقالوا له : يا شيخ . كان سیدی أبو الحسن رضي الله عنه إذا جاء هذا

الموضع يحییء إلینا بمصر ونسح منه من مواعب الحق سبحانه ، ونتركه بقدمه

علینا . وأنت قد أقامك الله مقامه ، فنسب أن تبرک بکلامك ، وتذاکر کلام

الشيخ رحمه الله ورضی عنه . فقال لهم : إذا كان صبیحة غد إن شاء الله يحییء

إیکم فلما كان لی صبیحة تلك الیلة ، أمر بالمسير إلى مصر وأمرنی أن تحمل رسالة

القشیری معنا ، فحملنا ووصلنا إلى جامع سیدنا عمرو بن العاص فوجدناه قد امتلا

بکبار الدیار المصرية وعلمائها . فقال لی : منتقد ومعتقد . قال فجلنا فی شرق

الجامع . ثم قال لی : أخرج رسالة القشیری . فأخرجتها ثم قال اقرأ . فقلت : وماذا

أقرأ ؟ قال الذي يظهر لك قال : صحت الکتاب فوجدت باب الفراسة . قال

فقرت أوائل الباب . فلما فرعت من حديث رسول الله ﷺ ، قال لی اعقل

الکتاب . ثم قال . الفراسة تنقسم إلى أربعة أقسام .

١ - فراسة المؤمنین .

٢ - فراسة المؤمنین

٣ - فراسة الأولیاء

٤ - فراسة الصدیقین .

فأما فراسة المؤمنین : لعلنا من کلام . ولمدحا من کلام . ثم تکلم بکلام

عظیم . ثم انتقل إلى فراسة المؤمنین فتکلم بطنقة أهل . ثم قال : وأما فراسة الولی

لمدحا من کلام . وحالنا من کلام وتکلم فی ذلك بکلام موعوب غیر مکسوب .

أدهش به قلوب الحاضریین واستغرق فی ذلك إلى أن أذن الظهر . والناس یکون ،

العلوم السابقة ، فإن المسترشد للرحمان قد يكثرون وقل أن يجمع على شراء الباقوت
اثان . ولم يزل أتباع أهل الحق قليلين .

كما قال الله تعالى في أهل الكهف : ﴿ مَا يَسْأَلُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

وأهل الله ، كهف لأموال الناس ، ولكن قليل من يعرفهم ^(١) ، ويقول ابن

عطاء الله السكندري أيضاً عنه : « الملمع بين علم الأسماء والحروف والدوائر

مشرق شموس المعارف بعد خروبها ، وسيدى أسرار اللطائف بعد خروبها »

ومع استمراره في علوم التصوف فإنه من الأهمية بمكان أن نسجل هنا مقاله

الإمام ابن عطاء الله السكندري . ولقد صحبت الشيخ ابي عشر عاماً فاصحبت

منه شيكاً ينكره ظاهر العلم ،

لقد كان أبو العباس من كبار العلماء في علوم الفناهر . ومن كبار المهدي في

علوم الباطن ، ومع ذلك فإن إمامنا لم يؤلف كتاباً .

والسبب في ذلك : « أن علوم هذه الطائفة ، علوم التخليق ، وهي

لا تصح لها عقول عموم المطلق » ، بل لقد كان رضي الله عنه يقول : « جميع ما لي

كتب القوم عبرات ذميت من سواحل بحر التخليق » .

ولتم الصورة عن أبي العباس لذكر أن ما يصل بعلمه وبشخصيته أنه كان

شاعراً ، وشعره شعر مطلق ، وشعر تخليقي في سماء الروح ، ومن أمثله ما يلي :

لقد كتب إلي بعض مردييه قائلاً : وصل الله أرواحكم ، ووضح في غيوبه

مراحمكم فإنه سألني سائل عن شعر منظوم ، يبر عن النفس وتعلقها بالبدن ،

وتعلقها بالخط ، واتصالها بالشهوة . وتحتها بالجمع فأجبت بهذه الأبيات :

(١) نظر هليفت فكيف للإمام المعروف رضي الله عنه .

أفاض الله عليه من أنواره وأشرفت عليه فيوضه قال :

والله ما نطالع كلام أهل الطريق إلا لنرى قسماً لله علينا

لقد انتهى الأمر بأبي العباس ، أن كان يلقي بالمدد من يبره هو أو من يجره .

فقد كانت له بحود تمييز فائسة وشرقاً ، ولابن عطاء الله السكندري في ذلك كلام

جميل . يقول رضي الله عنه من شينه أبي العباس :

أما علوم المعارف والأسرار ، فقطب رحاما ، وشمس ضحاما . تقول إذا

صحت كلامه : هذا كلام من ليس وطه إلا فيب الله ، هو بأخبار أهل السماء

أعلم من بأخبار أهل الأرض . وصحت أن الشيخ أبا الحسن قال عنه : أبو العباس

طرق السماء أعرف من بطرق الأرض

كنت لا اسمعه يتحدث إلا في العقل الأكبر . والاسم الأعظم - وشبهه

الأربع ، والأسماء ، والحروف ، ودوائر الأولياء ، ومقامات الوقتين ، والأملك

القربين عند العرش . وعلوم الأسرار ، وإعداد الأذكار ، وروم المقادير . وشأن

التدبير ، وعلم البند ، وعلم المشية . وشأن القبضة - ورجال القبضة . وعلوم

الأفراد ، وما سيكون يوم القامة من أعمال الله مع عباده : من حله . وإصله ،

ووجوه انتقامه . حتى لقد سمعته يقول :

والله لولا ضعف العقل لأخبرت بما يكون غنياً من رحمة الله

وهذا الخط من العلوم كان المفضل عند أبي العباس . وكان لا يميل إلى

دراسة ، والحديث فيه .

أما علم العمالة ، فقد كان يرى أن أساتذته هم من الكثرة بحيث لا يحتاج إلى

كثير من اهتمامه قال ابن عطاء الله رضي الله عنه :

وكان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه لا يتبرل إلى علوم العمالة إلا في قليل من

الأيام لحاجة بعض الناس إلى ذلك . قال : ولذلك يقل اتباع من تكون علومه

وكتب إلى أبي عبد الله جمال الدين يحثه على العك بالفضائل
 وإذا أردت من السلوك أجله فالزهد في الدنيا مع التمسك الحسن
 وأعد الهك حيث كتب على الرضا تحظى بما قد ناله أهل المن
 أهل - الولاية والهداية والثل هم سائق فيهم أصول على الزمن
 أحمد لانتس حيك منهم أشهده روحك إذ بها قام البدن
 واجمله منك لداته من وصيه محمد التحق في السرية والعلن
 لله يعلم أني لك ناصح لاندسة أبني بذاك ولائمن
 والله حسي والثريد ربنا وهو العين عن الأمور كما ضمن

• • •

وقال ابن عطاء الله : وجدت بخط شيخنا أبي العباس هذه الأبيات :
 أعتك من ليل حديث محمد يبراهه بيا الريم ويشتر؟
 مهدى بها العهد القديم وأبى على كل حال في مواها مقصر
 وقد كان عنها الطيف قنما يزورني ولا يزد مناله يتعمر
 مهل بخلت حتى بطيف خيالها أم اعلم حتى لايصح التصور؟
 ومن وجه ليل طلعة الشمس تستضي وفي الشمس أبصار الوري تسمى
 وما احتجبت إلا برح حجابها ومن صعب أن الظهور تسمى

• • •

وقال رضي الله عنه : أطلق الله على اللاتكة وهي ساجدة لأدم عليه السلام ،
 فأخفت بفسطلي من فلك ، فإذا أنا أقول :
 ذاب رمي وصح صدق فتالي ونجحت للسر شمس خيالي

إن كنت سائلنا عن خالص اللز
 وعن تشبها بالخط يد ألفت
 وعن تزها في حكمها ولا
 وعن بواعثها بالطبع مائلة
 وعن حقيقتها في أصل معدنها
 تابع حديث علوما عز سالكها
 فصيحا إلى الحق لا تخفى شواهدها
 بأساطيل عن علوم ليس يدركها
 لكن يبرز على جامع حدثت
 خلعها إليك بحق لست جاهله
 من الحقيقة عند علم الأمد ولا
 فسطرة النفس سر لا يحيط به
 لكنها برزت بالحكم قائمة
 وكى يقال عيب قانون بما
 والعصر بين بزوك في حوالها
 والروح بين تزوق في مارجها
 من الحجاب دنت أوارها فبدت
 مثلا في الملا مرآة معدنها
 زينة زيتها. فرد صاحبها
 وقار دعونها ماء لشارها
 والكل أنت بحق لاعتناه به
 والنور يصحبه كالماء في اللب
 دقت معاربه في الدر والبرق

وعن تعلق ذات العس بالدر
 أفراها ففقدت تشكو من العطن
 علم يفرها بالفتح والحس
 تبرى بشهونها و طلبة الشمس
 لايتقى وصمها منها إلى وثر
 عن البيان ولا يبرك فو. لسن
 قامت حقائقها بالأصل والتمن
 فو فكرة بضموم لا ولاطن
 له العقول وكل اطلق في وسن
 والأمر مطع والحق قيد
 تحملك صورتها في عالم الوطن
 فصل. قيد بالأوامم والدرن
 حتى قائمها السكان بالسكن
 التي من الأمر قبل الخلق والهن
 كآدم وله حواء في قرن
 وهي للواقف للصرى والذن
 نور تتزل بين الماء والدرن
 أطاها خفيت كالمس في المن
 قامت حقائقها بالأصل والتمن
 مدت عديتها في الكون والكبر
 والنور يصحبه كالماء في اللب
 دقت معاربه في الدر والبرق

الخلال . لك عليها ثواب ، وحينما قال ذلك استنزب الأمر بعض الصحابة فقالوا : أياق أهدنا شهوته . ويؤجر عليها ؟ فقال عليه السلام : رأيت لو وضعها في حرام ، أما كان عليه وزر ؟ وكذلك لو وضعها في حلال كان له أجر . إن العمل والكفاح . وزيادة وجه الله بالعمل والكفاح . من سمات الإسلام . ومن سمات رسول الله عليه السلام : ولقد ترم كيار الصوفية هذه الخطوات المباركة فكانت حياتهم عملاً وكفاحاً يريدون به وجه الله تعالى . وسار أبو العباس المرسي على هذا النسق بالنسبة لنفسه ، وبالنسبة لكل من تبعه .

روى ابن عطاء الله ، بعد أن اتصل بالشيخ ، وانتظم في مجالسه أنه سمع الطلبة يقولون : من يصحب الشايخ وأي الصوفية ، لا يمس منه في العلم الظاهر شيء . . . يريد ابن عطاء الله ، ويريد الطلبة بذلك ، أن المشايخ يوجهونه نحو العبادة ويصرفونه عن العلم للكسب . والدروس : نحواً وصرفاً كانت ، أو فقهاً وأصولاً ، أو غير ذلك ، ويقول ابن عطاء الله - وكان إذ ذاك طالباً - فشق على أن يقول العلم ، وشق على أن تقول صحة الشيخ رضي الله عنه . فأنبت إلى الشيخ فوجدته يأكل لحماً جفلاً . قلت في نفسي : ليت الشيخ يطعمني لقمة من يده . فما استممت الحاطر إلا وقد دفع في في قنينة بيده ثم قال :

و نحن إذا صحبنا تاجرًا ، ما نقول له أترك تجارتك وتعال ؟ أو صاحب صنعة . ما نقول له أترك صنعتك وتعال ؟ أو طالب علم . ما نقول له أترك طلبك وتعال ؟ ولكن نقول له أهدنا وجه الله فيه . وما قسم له على أيدينا فهو واصل إليه . وقد صحب الصحابة رسول الله عليه السلام . فما قال لتاجر : أترك تجارتك . ولا الذي صنعة : أترك صنعتك . بل أقروم على أسبابهم وأمرهم بقوى الله فيها ، أهدنا . ويشو أن ابن عطاء الله تطورت به الأحوال ، فصبح ما كان يشق عليه ، مرفوعاً وما كان يشق منه مطلوباً . فقد ذهب إلى الشيخ يوماً ، ودخل عليه . وفي

وتنزت في العوالم أمدى مالتطوى في الصفات بعد صفات صفاتي كالشمس تبدي سناها ووجودي كالليل ينجي سوائها أما معنى الوجود أصلاً وفصلاً من رآني فاجهد ليهالي أما نود لأهله مستبهم . شهدوني فقد كشفت غطائي

.....

لقد كان رضي الله عنه عالماً في اللغة : مادتها ، ونحوها . وصرفها . وعالمًا في التفسير . وفي الحديث . وفي الفقه . وفي السير . وفي التصوف .

وهكذا ينبغي أن يكون لصفوي في كل المصود إن شمار الصفوي هو شمار الإسلامى : (وقل زباً زدني علمًا) .

٤ - للكفاح

من أظهر السمات عند رسول الله عليه السلام سمة الكفاح والعمل ، وتأمين ذلك في أنه عليه السلام كان يصحبه إلى الله بكل أهله . فكانت كلها - من أجل ذلك - عبادة ولقد كافح رسول الله عليه السلام طيلة حياته في جميع الميادين التي تفره إلى الله تعالى . والتي ترق به كفره . ووزق بالجمع في دولته التي كسح متدرجة . مبتدئة من الأسرة حتى تشمل الإنسانية كلها . وما كان هذا الكفاح إلا من أجل الله . وفي الله . ورسول الله عليه السلام هو الغافل : وإنما الأهل بالنيات . وإنما لكل امرئ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته لدميا يصيبها . أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

وهو الذي أشعر أن إمطة لأذى من الطريق من الإيمان . وأن اللقمة التي تضمها في فم امرأتك تزيد بذلك وجه الله . صدقة . وأن النطفة تضمها في

والصديق ، والصديقية ، لا يتفلا من حالة إلا إلى أكمل منها .

ولكنها كانت في بدايتها متعرجاً إليها بخرق العادات ، وسقوط الأسباب فلما تكلم يقينياً أوجعت إلى الأسباب . فالحالة الثانية أتم من الحالة الأولى ولما يحصل للروضح ، حديه من التاجر الصدوق : يقول رسول الله ﷺ : « التاجر الصدوق يجتمع مع النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين » ، فقال رضي الله عنه : « وأي طريق يجتمع مع النبيين ؟ وأي طريق يجتمع مع الصديقين ؟ وأي طريق يجتمع مع الشهداء ؟ وأي طريق يجتمع مع الصالحين ؟ »

مع الشهداء ؟ وأي طريق يجتمع مع الصالحين ؟
يجتمع مع النبيين ، فإن الأنبياء شأنهم أده الأمانة وبذلك التصحية فيحشر مع الأنبياء جهلاً الوصف ؛ وهذا التاجر أدى الأمانة ، وبذلك التصحية .

ويجتمع مع الصديقين ، لأن الصديق شأنه الصفاء في الظاهر والباطن قد استوى ظاهره وباطنه ، والتاجر الصدوق كذلك ؛ فيحشر مع الصديقين بهذا الوصف

ويحشر مع الشهداء ، فإن الشهيد شأنه الجهاد والتاجر الصدوق يجاهد نفسه وشيطانه وهواه ، فيحشر مع الشهداء بهذا الوصف .

ويحشر مع الصالحين ، فإن الصالح شأنه أخذ الحلال وترك الحرام ، فيحشر مع الصالحين بهذا الوصف . اهـ .

ولا يتناقف التصوف مع الكفاح ، والعمل ، والنفي ، والثراء ؛ فلو كان أبو الحسن الشاذل رضي الله عنه من كبار المزارعين . وهو القائل : لكل ولي

حجاب ، وحجابي الأسباب . ونذكر القصة التالية : يروى ابن عطاء الله يصف فيها عارفاً بالله من كبار الأثرياء ، ولكن الدنيا كانت في يده لاني قلبه . يقول ابن

عطاء الله : « وقد يكون حجاب الولي كثرة النفي وانسياط الدنيا عليه . » وقال بعض السائغ : كان رجل بالقرب من الزاهدتين في الدنيا ، ومن أهل الجب

والاجتهاد وكان عيشه مما يصيبه من البحر ، وكان الذي يصيبه يصدق بعضه

منه ترك الأسباب ، والتجريد ، وترك الاشتغال بالعلم الظاهر وحده فنه بأن الوصول إلى الله لا يكون إلا على هذه الحالة ، وعلى هذا الوضع . فقال الشيخ

له - من غير أن يدري له ابن عطاء الله شيئاً من الأمر - صحنى بقوم إنسان يقال له ابن بابي . وكان مدرساً لها ، وباب الحكم ، فذلق من هذا الطريق شيئاً على أيدينا فقال : « يا سيدي أتوك ماأنا فيه ، وأتفرغ لصحبك ؟ »

فقلت له : ليس الشأن ذا ، ولكن : امكث فيما قدملك الله فيه ، وماقسم لك على أيدينا فهو لك وأصل . ثم قال : وهذا شأن الصديقين ، لا يخرجون من شيء ، حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجهم .

يقول ابن عطاء الله : فخرجت من عنده وقد حصل الله تلك الخواطر من قلبى ، وكأنا كانت ثوباً زعمه ورضيت من الله ما أقامني فيه . اهـ .

ومن المعروف عن أبي العباس ، أنه كان لا يحب الريد الذي لا سبب له ، وأنه كان يقضى الليل ، ويصلى بشأها ، فيسأل عن طلعها وشربها متفتناً أسوأها .

وسيراً على قاعدته هذه ، في أصلها والتخاذ الأسباب ، كانت له توجيهات جميلة في شرح القرآن ، من ذلك مثلاً : أنه تحدث عن بعض آيات تتلقى كرم رضي الله

عنها . هي قوله تعالى (كَلِمَةً دَحَلَتْ عَلَيْهَا رُكُوبٌ الْبَيْتْرَابِ ، وَحَدَّ عَيْدًا رَوْقًا ، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَمَى لَكَ هَذَا قَالَتُ هُوَ مِنْ عَيْدِ اللَّهِ ، إِنْ لَمْ يَرَوْقُ مِنْ بَيْتَاهُ يَغْتَرِ حَسَابِ) .

ثم قال الله فيما بعد : (وَمَرْيَمُ إِذْ نَادَى الثَّمَلَةَ تَشْتَغِي عَنكَ وَرَمَا حَبِيكًا) . يقول الشيخ رضي الله عنه : مذكر بعض الناس في هذا تأويلاً لارضى ،

ولا ينبغي أن يلتصق إليه . وهو أنها كان حبها لله وحده ، فلما ولدت انقسم حبها وليس الأمر كما قال هذا القائل ، لأنها صديقة كما أخبر الله عنها بقوله :

(وَأَمَّهُ حَبِيبَتًا) .

٥ - الصور

إن أبا العباس صوفى . قيل أن يكون شيئا آخر . إنه صوفى بطبيعته وفكرته . وهو صوفى بأخلاقه وسلوكه . وهو صوفى بترتيبه وثقافته . وهو كما يقول الشاذلى رضى الله عنها : وأعرف بطرق السماء منه بطرق الأرض .. . ولقد كان يأتيه أصحاب الحاجات . فيطعن إليهم في صراحة : أنه لن يجاول التحدث في حاجاتهم مع فلان أو فلان . من ذوى النفوذ . ومن يصل قضاء الحاجات فيهم ولكن سلباً في قضاء حاجاتهم إلى الله داعياً . وسائلاً . فإذا اطمانت نفوسهم بذلك . اتجه إلى الله بالتضرع والدعاء . في قضاء حاجتهم وتجاوز توفيق الله . بيان التصوف عنده في ألوانه المختلفة . ورواياه المتعددة . وستحاول - إن شاء الله - بيان رأيه في التصوف وفي معناه . وبيان ألوان من التفسير الصوفى للقرآن . وشرح الصوفى لبعض الأحاديث . ورأيه في بعض الصوفية . وفيهذه لنبهت آرائهم (١) .

التصوف لفظاً ومعنى أما عن اسم التصوف ومعناه . فإنه يقول : اختلف الناس في اشتقاق الصوفى . فمنهم من قال إنه منسوب إلى الصوف لأنه لباس الصالحين . وقيل : هو منسوب إلى الصفة . يعنى صفة مسجد رسول الله ﷺ التي ينسب إليها أهل الصفة . وهو نسب على غير قياس
ثم قال : وأحسن ما قيل فيه أنه منسوب لقبول الله به . أى صفاته الله فصورى . فسمى صورياً . ثم أشتد رضى الله عنه :

(١) إن مرجعنا في ذلك إنما هو كتاب : لطائف اللقن . أولاً وبالذات . ثم كتاب : طبقات الأئمة شريف . وكتاب : فكراتك الدرية . وكتاب دوة الأسرار ابن الصباغ .

ويتشبع بعضه . فأزاد بعض أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب . فقال له هذا الشيخ : إذا دخلت إلى بلد كذا .. فادعهم إلى أخى فلان . فأقره منى السلام . وطلب الدعاء منه لى . فإنه ولى من أولياء الله تعالى . قال فسافرت حتى قلمت تلك البلدة وسألت عن ذلك الرجل . فقلت على دار لاصلىح إلا للسلوك . فتعجبت من ذلك . وطلبت . فقبل لى : هو عند السلطان . فأزاد تعجبى . فبعد ساعة . وإذا هوأت في أصغر ملبس . وموكب . وكأنما هو ملك في موكبه . قال فأزاد تعجبى أكثر من الأول . قال فهمت بالرحمى وعدم الاجتهاد به . ثم قلت : لا يمكننى عاقلة الشيخ . فاستأذنت فأذن لى . فلما دخلت رأيت ماعالى من العبد . واخادم والشارة الحسنة قلت له : أخوك فلان .. . يسلم عليك . قال جئت من عنده ؟ قلت نعم . قال : إذا رجعت إليه قل له إلى كم اشتمالك بالدنيا . وإلى كم ابتالك عليها . وإلى منى لا تنقطع رضىك فيها قلت : هذا والله أعجب من الأول . فلما رجعت إلى الشيخ . قال اجتمعت بأخى فلان ؟ قلت : نعم . قال . فما الذى قال لك ؟ قلت لاشىء . قال : لا بد أن تقول لى فأعدت عليه مقال فيكى طويلاً . وقال : صدق أخى فلان .. هو غسل الله قلبه من الدنيا . وجعلها في يده . وعلى ظاهره . وأنا أخذها من يدي وعدنى إليها فغابا التطلع . اهـ .

ويظن بعض الناس أن الصوفية معيون عن جو العمل والكفاح . هذا يخالف ما عرف من حياتهم من أنها كانت فضلاً لا يفتقر . فضلاً في سبيل الدعوة . وهم الذين شروا الإسلام على مطلق راسخ في ربيع أفريقيا . وفي آسيا . ونصلاً في سبيل الإصلاح الأخلاقى في المجتمع . وقد كانوا دائماً مثلاً للهداية بأقوالهم وسلوكهم . وعظهم الأمل في الفضائل والكفاح هو رسول الله ﷺ

ويبين أبو العباس حوالب الإنسان التي تتصل بالطاعة والمعصية ويرسم لكل حاتب كماله ونقصه ووقايته وسقوطه فيقول :
اعلم أن الله خلق هذا الأدمى وقسمه على ثلاثة أجزاء :
طسائه جزء ، وبقواته جزء ، وقليه جزء ، وحصل على كل جزء حصيلاً .
فقال سبحانه وتعالى . (مَلْبَقِطٌ مِنْ قَوْلِهِ لَا لَيْتِي رَكِبْتُ خَيْبًا) .
وقال سبحانه وتعالى :

(وَلَا تَنْتَفِرُونَ مِنْ عَتَاقِ الْوَدَّاعِ عَلَيْكُمْ شُهَرَاءُ إِذْ تُبَيِّنُونَ رِيبًا)
وقول حفظ القلب بنفسه فقال عز وجل .

(وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ)
وسلط على الجوارح الشيطان ، وانقضى من كل جزء وقاه ما ألزم به ، فوفاه

القلب ألا يشتغل به ، ولا يعكس ، ولا يعكس ، ولا يعكس . ووفاه اللسان . ألا يعتاب ، ولا يكاتب ، ولا يتحدث فيما لا ينبغي . ووفاه الجوارح . ألا يسارع بها إلى معصية . ولا يؤذى أحدًا من المسلمين .

ومن وقع من قلبه فهو منافق . ومن وقع من لسانه فهو كافر . ومن وقع من جوارحه فهو عاص .

أوقات الإنسان ووقته منها :

ويقسم شيخنا أوقات الإنسان إلى أربعة لا خامس لها ، هي : التمتع والنية ، والطاعة ، والمعصية ، ثم يقول : وقته عليك في كل وقت منها سهم من اليهودية ، فتعصيه الحق منك بحكم الرومية ، فمن وقته الطاعة . فسيهله شهود المنة من الله تعالى إذ هداه الله لها ، ودفعه للقيام بها .

ومن كان وقت المعصية عليه فسيبه الاستفزاز والثوية . ومن كان وقته التمتع :

ليه الشكر . وهو مزج القلب بالله . ومن كان وقته النية : فسيهله الرضا قضاء . والصبر . والرضا رضا النفس من الشهوات . والصبر . مشتق من (مطبار . وهو المرض للسهام . وكذلك لصابر ينصب نفسه غرضاً للسهام بماء . فإن ثبت لما فهو صابر . والصبر ثبات القلب بين يدي الرب ، قال رسول الله ﷺ :

ومن أعطى فشكر ، وأبلى فصبر ، وظلم فاستغفر ثم سكت .
قالوا : ثم ماذا له يا رسول الله ؟ قال : أولئك لهم الأمن وهم مهتدون .

الحروف من الله :

وإذا سلطت عما يزعج الناس من الغفلة إلى خروج سبيل الله ، فإنه التبه بسبب الحروف من الله .

والحروف فيما يرى إمامنا على قسمين : خوف العامة ، وخوف الخاصة ، فخوف العامة على أجسادهم من النار (٧) . وخوف الخاصة على خطيئهم التي كسبها مولاهم أن تدنس بالخائفة . فصبوا الدنيا وقد رضوا ملابس اللئخ خشية أن تدنس بأوساخ الخائفة . حتى يقوموا عليه بخلقه التي أنهم بها عليهم . ونهضوا له بالوفاء فيما

(٧) ومعنى كلام الشيخ هذا : أن العامة لم تتعد بمسارهم إلى شهود خلق الحق عليهم من إيمان وإسلام ومعرفة وتوحيد وهدى . وطسوا أن الله تعالى قد نودى أهل المعصية بخبرته فغافروا النوع من المعصية لئلا يكون ذلك سبب وقوع العقوبة بهم . فكان عيوبهم يشفقوا على مؤسوسهم من عقوبة الله

ولما أطمع المحسوسية : فأعطاهم الحق من نوره ما لم يشعروا به ، ما كسبوا من خلقه . فصبوا على صيانتها ، لينصروا عليه بما لم تتدسس ، ولم تتصبر ، طاعة نية ، مشقة سيرة ، وفهروا معنى قوله تعالى : (وثيابك فطير) . فطسوا ملابس إيمانهم ، وأبغاثهم ، من نفس ظلمتهم وخصايئهم ، وفهروا أيضاً قوله :
حال :

(يا أي آدم قد أنزلنا عليك لباساً يورثي سواككم ودينياً ولباس الفطري ذلك غير) من لخالق اللان .

الفرج إلى الله

والعالمين من قبل ذلك ومن بعده - من حيث عروهم إلى الله على قسمين
٢٤٠ حصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله . وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله قال
قد مسجله وتعالى : (الله يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ . وَيَقْدِرُ إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ)
ولقد أس عطاه الله السكندري على هذه الفكرة أضواء توصفها فيقول : هو
٢٤١ الشيخ هذا : أن من الناس من حرك الله همه لطلب الوصول إليه . هصار
بأن مهامه نفسه . وبيداء طبعه . إلى أن وصل إلى حضرة ربه بصدق على هذا
٢٤٢ مسجحه (وَالَّذِينَ جَاءَهُمْ نِعْمًا مِمَّا كَتَبْنَا لَهُمْ مِنْ قَبْلُ مِنْ دُونِ
مَنْ النَّاسِ مِنْ فَاحِشَةٍ عَنِهَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ طَلَبُوا وَلَا اسْتَعَاذُوا . ويشهد لذلك
٢٤٣ قال (يَخْتَصِرُ رَحْمَتِي مَنْ يَشَاءُ)
للأول حال السالكين .
والثاني حال المجدوبين .

٢٤٤ إن كان مبدؤه المعاملة قهائنه الواصلة .
٢٤٥ من كان مبدؤه الواصلة . ود إلى وجود المعاملة . ولا تظن أن المجدوب
٢٤٦ له . بل له طرق طوبها عباي الله له . مسلكتها مسرعاً إلى الله عخلا
٢٤٧ مشيراً ما سجع عنه مراجعات المتسبين للطريق . أن السالك يتم من
٢٤٨ . لأن السالك عرف الطريق . وما توصل إليه . والمجدوب ليس كذلك .
٢٤٩ . منهم على أن المجدوب لا طريق له وليس الأمر كما زعموا . بل
٢٥٠ حريت الطريق له . ولم تظفره . ومن طوبت له الطريق لم تقفه . ولم
٢٥١ . وإنما فاته متاعها وطول أمدها . والمجدوب كمن طوبت له الطريق إلى
والسالك كالسائر إليها على أحوال المطايا

شوق

قال رضى الله عنه الشوق على قسمين : شوق طل النية لا يسكن إلا بقاء
شيب ، وهو شوق القوس وشوق الأرواح على الحضور والمعانية .
بإدراك رعدك إلى عمل الماضرة والشهود المسلوب عن العمل فذلك مقام التصريف
٢٥٢ . حقيقياً . وذلك ميدان تنزل الأزل .
٢٥٣ وإذا أدرك إلى عمل المارة والجهاد فذاك مقام التكليف المقيد بالعمل . وهو
٢٥٤ (سلام الحقيقى . وذلك ميدان تحمل حقائق الأبية ، والحقق لايبالي بأى صفة
٢٥٥ يكون لأن صنعك تحمل لا أنت والصفة من المين للمين . وهو ظهورك . والاسم
٢٥٦ سان . وهو نطقك . والاسم حقيقة الصفة .

والصفة حقيقة الوجود . والأسرار منتزلة عن الوجودية للصديفية والحقائق
٢٥٧ منجبة عن الصفات بالولاية لأهل العلوم الظاهرة عن الاسم بالدليل لأهل
٢٥٨ لسماية . وإليه الإشارة بقوله عَلَّمَ لأبى جميعية : يا أباً جميعية سائل العلماء .
٢٥٩ وحاطط الحكماء . وجالس الكبراء ، فالعلم يدلك بالعلم من الأسماء . ونهايته
٢٦٠ طنة . والحكيم القرب يحملك باليقين والحقائق من الصفات . ونهايته منازل
٢٦١ القرى ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : (اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) .

٢٦٢ والكبير يدلك بالأسرار من الوجود على طريق الصفاء والتزامة ، ونهايته إلى
الله وتختص المراتب الثلاثة و الكبير . فجعل قوماً بالعلم وقوماً بالحقائق وقوماً
٢٦٣ بالأسرار . وهم خفاء الأنبياء وأمدال الرسل وهم البصراء .

(قُلْ هَلْ يَسْتَعِينُ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَغْيٍ أَنَا وَمَنْ يَتَّبِعُنِي) ..

أى على معانية يعاين لكل صنف طريقهم يحملهم عليها . وهى النهاية .

وكان إمامنا رضى الله عنه كثيراً ما يندب :

وعلى لي من فني صعبت كما
وكسا حينما كانوا وكسا حينما
كما

٦ - المفسر

ان رسول الله ﷺ لم يُعلم تفسير القرآن مطولا ، أو مختصرا وإنما أُرثى
عليه كلمات شريفة وجيزة عن هذه الآية . وذلك . ومن الحق أن سلوك رسول الله
ﷺ كان تفسيراً للقرآن .

ولقد كان خلقه ، صلوات الله عليه وسلامه عليه القرآن كما قالت السيدة
عائشة رضوان الله عليها .

ومن الحق أن يقول إن أحاديثه ﷺ . كانت تفسيراً للقرآن من قريب أو من
بعيد . ولا ريب أن حياته كلها تترجم في تفاصيلها . وفي إجمالها النهج القرآني . وهو
من هذه الوجهة تفسير للقرآن

يبدأ أن التفسير النظري المباشر . وتبني القرآن كلمة كلمة وآية آية وسورة سورة
بالتفسير والشرح لا يحدث من رسول الله ﷺ . وه يُعَمِّمُ بذلك . في تصدق وتزيب
متابع أحد من الصحابة رضوان الله عليهم . وكنت تروى ذلك في عالم الملكة . -
في القرآن على نضرة الأولى عفاً بانها ونوق نبهاً فيضاً تنفجر معانيه من يابح
القلوب المستبصرة وتتثال إشارات ونوحياته من أفاق الأرواح المشرقة . وعن علي .
الزمن وعلى تتابع الدهر المارة المصيبة . بتفسير ما كل من قرب منها على قدر قومه
ولقد مثل أحد المفكرين عمر حيدر تفسير للقرآن فقال . الرمز

ولاشك أن كل يوم يمر يكشف لنا عن آفاق في القرآن كما نجهلها . ولقد كان
لتصوغه في هذا المجال الهامات والإشارات بتوفيق الله رابعة وهم في هذا الميدان

حون الهاماتهم : إشارات . يعنون بذلك أن الآيات القرآنية لها تفسير بحسب اللغة
وياب النورل وحوادث التاريخ وهو تفسير يتجاوز دقة وجمالا ، ولكنه مع ذلك
تسير لا يستند كل ماتصية الآيات القرآنية من إشارات ، ومليح عنها من أنوار
وباتصيح منها من غير طلب .

وإشارات الآيات وتوابعها وصيرها الزكي لا ينفذ ولا ينضب المعنى الذي عنه
صدر (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر
ما عدت كليات فهو . إن الله عزيز حكيم)

ومن أجل ذلك لأن الهامات الصوفية في الآيات القرآنية فبأصالة دائما ، سيالة
لستمرار . ومع هذا فينبغي أن نلاحظ أمرين :

الأول : أن هذه الإشارات لا تهدف في قليل ولا في كثير إلى أن تحمل حمل
التصوير المألوف .

الثاني : أن هذه الإشارات لا تتعارض مع التصوير المألوف . إنها إشارات
وليست تفسيراً ، ومن أجل ذلك فإنه لا تتعارض بين الصوفية والمفسرين . وعن
هذا التصوير الصوفي يقول الإمام ابن عطاء الله :

فالله : اعلم أن تفسير هذه العائمة لكلام الله تعالى ولكلام رسوله ﷺ
بالمعاني الغريبة كما مضى من فهم الشيخ رضى الله عنه . يجب لمن يشاء إتقاناً :
المسلمات ، وصحب لمن يشاء الذكور : العلوم . أو يزوجهم ذكراً وإناثاً : علومها
وصحبات ، ويجعل من يشاء عقيماً . لا علم ولا حسنة . كما مضى أبعس من قوله
عز وجل : (إن الله يأمرك أن تذرهم تفرؤ) .

قال الشيخ : بقره كل إيمان عسه . والله تترك بذبحها . وكما سيقى إن شاء الله
في تفسير الأحاديث فذلك ليس إحالة للظاهر عن ظاهره . ولكن ظاهر الآية
مفهوم منه ما جلبت له الآية ودلت عليه في عرف اللسان . ونم أفعال طائفة تفهم

عند الآية والحديث لمن فتح الله على قلبه . وقد جاء أنه عليه السلام قال
 لكل آية ظاهر وباطن وسد ومطلع .

فلا يصلحك عن تلقى هذه المعاني منهم أن يقول لك فوجدت لومعارة .
 هذه إحالة لكلام الله عز وجل وكلام رسول الله ﷺ ليس ذلك بإحالة ، وإن
 يكون إحالة لو قالوا : لآسى للآية إلا هذا ، وهم لم يقولوا ذلك ، بل بنزول
 الظاهر على ظواهرها مراداً ما موضوعاتها . ويفهمون عن الله ما أفهمهم ، وربما
 هموا من اللفظ ضد ما قصده واضمه كما أخبرنا الشيخ الإمام مفتي الآمام ق
 الدين بن علي القشيري رحمه الله قال :

كان ينداد فقيه يقال له الجوزي يقرأ النبي عشر عظاما . فخرج يوماً قاصداً
 المدرسة فسمع منشداً ينشد :

إنا المشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالبار
 ولا تشرب بأقداح صفار فقد فراق الزمان على الصغار
 فخرج هائلاً على وجهه حتى أتى مكة ولم يزل مجاوراً بها حتى مات .

وقرى على الشيخ مكي بن الأسمر رضي الله عنه قول القائل :

لو كان لي مسد بالراح يسفل لا انتظرت لشرب الراح إبطاً .
 الراح شيء عجيب أنت شاربها فاشرب ولو حسنتك الراح أوزاراً
 يامن يلوم على صهباء صافية غدا الجنان ودعني أسكن النار

فقال إنسان هناك لا تمزق فرامة هذه الايات . فقال للشيخ مكي بن الأسمر
 للفقاري : اقرأ هذا وجعل محبوب .

ويحكيت في هذا أن ثلاثة سموا منادياً يقول : يلست بري . مهم كل مسم
 عن الله مخاطبة خوطب بها في سم .

سمع الواحد اسم تو برت .

وسمع الآخر الساحة ترى بري .

وسمع الثالث ما أوسع ترى ؟

فالمسمع واحد . واختلقت أفهام السامعين كما قال سبحانه :

(يَسْمَعُ بِنَاءً وَأَحَدٌ وَيَنْقَلِبُ بِتَعْنِيهَا عَلَى بَعْضِ نَحْوِ الْأَكْلِ) .

وقال سبحانه : (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَكْرَهُمْ)

فأما الذي سمع : اسم تو بري . فريد دل على النهوض إلى الله بالأعمال ليستقبل

لطريق بالجد . فقبل له : اسم البنا بصدق للمعاملة ، تو برتا بوجود المواصل .

وأما الآخر . فكان سالماً إلى الله طارئة الأوقات فمخاف أن تفوته الوصلة قبل

٥٠ تزويجاً على قلبه لما أحرقته نار الشغف : الساحة ترى بري .

وأما الثالث : فصارف كشف له عن وسع الكلام فخوطب من حيث أنشده .

سمع : ما أوسع ترى

وقال الشيخ محي الدين رضي الله عنه :

دهانا بعض الفقهاء إلى دعوة بزقاق القناديل بمصر . فاجتمع بها جماعة من

الشايع . فقدم الطعام . وعجزت الأوعية . وهناك وعاء زجاج جديد . قد اتخذ

للبول ولم يستعمل بعد . فحرف فيه رب المنزل الطعام . فالجساعة يأكلون . وإذا

بالوعاء يقول : منذ أكرمني الله بأكل هؤلاء السادة مني لأرضي نفسي أن أكون

بعد ذلك عملاً للأذى . ثم انكسر نصفين

قال الشيخ محي الدين : فقلت للجميع سمعت ما قال الوعاء ؟ قالوا نعم .

قلت : ما سمعتم ؟ فأعادوا القول الذي تقدم .

قال فقلت : قال قولاً غير ذلك . قالو : وما هو ؟

قلت : قال كذلك فلو بكم . قد أكرمها الله بالإيمان . فلا تزصوا بعد ذلك أن

تكون عملاً لنجاسة المعصية وحجب الدنيا جعلنا الله وبياتكم من أولي القهقمة .
والنق من منه بكرمه .

وهذا الذي قاله الإمام ابن عطاء الله حتى كله . والصورة المثالية في الصب
الصفوف سوف شرح الأحدثين إنما هي الصورة التي تحيط بالموضوع كلية . أي
تشرح أو تفسر على الطريقة المثالية . وفي ثنايا الشرح أو التفسير تشير وتوجه على
النسج المتبع في الآفاق الصوفية البهتة ويقول : إن هذا هو الصورة المثالية . لأن هذه
الصورة تحيط بالكثير من أقطار الموضوع . وتلم بالعديد من زواياه . وتكون فائدة
للمتلمذين أكثر .

وما من شك في أن كثيراً من السادة الصوفية استعملوا هذه الطريقة وذكر
الآن لها مثالبين كريمين بصوران حو أمة المدرسة الشاذية في عهدنا الأول ، فخرج
ها آراء أبي الحسن وأبي العباس واس عطاء الله فتكون وحدة واحدة وطريقاً سوياً
يوضح ما ينبغي أن يكون حينما يقف الصوفى بين جمهور الناس ملربساً ومربياً . أما
إذا كان الشيخ بين تلاميذه ومريديه فله أن ينثر الألوأر نثرًا ويزيدها لآلاءة بالساً
والسناه .

والمثل الأول الذي نذكره أنى بمناسبة مقال رسول الله ﷺ لحارثة سائله
كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً . فقال ﷺ : لكل حو
حقيقة . ها حقيقة إيمانك ؟ قال : عرفت معنى من الدنيا . فاستوى عدى دهباً
ومدرها . وكان أنظر إلى أهل الجنة في الجنة يتصنون . وكانى إلى أهل النار في النار
يعذبون ، وكانى أنى عرش ربى بارزاً . من أجل ذلك أشهرت لبلى ، وأظلمات تهاوى
يقول ابن عطاء الله : وفي حديث حارثة فواتك عشرة :

الأولى : أنه لما سأل النبى ﷺ حارثة فقال له : كيف أصبحت يا حارثة ؟
يقول حارثة غيباً ولا صحيحاً . ولا شيئاً من الأحوال الدنية أو الأمور الدنيوية .

إن حارثة علم أن رسول الله ﷺ أجل من أن يسأل عن دنيا . بل فهم عنه أنه إنما
يأه كيف حاله مع الله . ولذلك قال الصحابى : أصبحت مؤمناً حقاً . أما أسماء

بينا إذا سئلوا فلا يجزئوك إلا عن دنياهم . وربما أنخبروك إذا سألتم عن الضمير
حكاهم مولاهم . فالسائل لمن هذا وصفه مشارك له فيل استأثاره بسؤاله ليريان سببه

وقال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه لرحل أتى من الحج : كيف كان
حجكم ؟ فقال ذلك الرجل : كثير الرخاء . كثير الماء بسر كنا وكذا وسر كنا

وكنا . فأعرض الشيخ عنه وقال : تسلمم عن حجهم وما وجدوا فيه من الله من
علم ونور وفتح . فجيرون برخاء الأسمار . وكثرة المياه حتى كأنهم لم يسألوا إلا عن
ذلك !

الفاصلة الثانية : أنه ينهى للمشايع أن يفتقدوا أحوال المردين ويجوز للمريدين
إخبار الأستاذين . وإن لزوم من ذلك كشف حال المردين . لأن الأستاذ
كالطيب . وحال المرید كالعمرة . والعمرة قد تبدو للطيب لضرورة التداوى

الفاصلة الثالثة : انظر إلى قوة نور حارثة في قوله : أصبحت مؤمناً حقاً . فلولا
أنه منور بنور البصيرة الموجبة لفض اليقين ، والتحقق بالسة ، ما أنخبر بذلك وأبناه
وأثبت لنفسه حقيقة الإيمان بين يدى صاحب الخبر والإثبات ، وإنما أبدى ذلك
حارثة ، لأن علم أن طراعية رسول الله ﷺ واجبة ، والرسول قد استخره عن
حاله ، فلم يسهه الكتم وأبدى ما علم أن الله تفضل به عليه ببركات متابعة الرسول
ﷺ ليعرج له الرسول ﷺ بسة الله ، ويشكر الله عنه . ويسأله شيت ما أعطاه
مثل ما ذكره بعض العلماء العارفين قال : وقعت زلزلة بالمدينة زمن خلافة عمر
رضى الله عنه . فقال عمر : ما هذا ؟ ما أسع ما أحدثتم . والله لئن عادت لأخرجن
من بين أظهركم .

فاظفر رحمك الله هذه البصيرة الثابتة ، كيف أشهدته أن الزلزلة إنعامي من حدث كان . وأن ذلك الحدث منهم ، والله بربى منه ؟
 مهمل هذا إلا من نور البصيرة الكاملة التي وهبها عمر رضي الله عنه ؟
 وكذلك عصمه لأي مريضة رضي الله عنها في صلته حين وجدته نعل رسول الله ﷺ . وقد أمره أن من لقيه من وراء الحائط يشهد أن لإله إلا الله أن يشهده بالحجة . ورجوعها إلى رسول الله ﷺ وقول عمر رضي الله عنه : يا رسول الله أنت أمرت أبا هريرة أن يأخذ بعليك ويشير من لقي وراء الحائط يشهد أن لإله إلا الله بالحجة ؟ قال . نعم . قال : لا تفعل يا رسول الله . خُطبهم يصلوا . فقال رسول الله ﷺ . خُطبهم يصلوا

وهاتان الواقعتان تروانك بعظيم قدر عمر رضي الله عنه ، وهور أحداه من رسول الله ﷺ . واختطافه من نوره وهذا الحديث مروى في صحيح مسلم . وإعانة ذكرناه هنا مختصراً .

الفائدة الرابعة : يفهم من هنا الحديث انقسام الإيمان إلى قسمين : إيمان حقيق . وإيمان رسمي .
 ولذلك أخبر الصحابي بقوله : أصبحت مؤمناً حقيقاً والحديث يشهد له أيضاً بروى البخاري يرفعه إلى رسول الله عليه وسلم . أنه قال : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسلاً » وروى أيضاً قال صلوات الله عليه وسلامه : « ثلاث من كن فيه وجد بين حلاوة الإيمان وطعمه أن يكون لله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يوقد نار عظمة فكان أن يقع فيها حير له من أن يشرك بالله ، وقد جاء في الحديث أيضاً قال ﷺ « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وفي كل خير »
 وقد قال سبحانه (أولئك هم المؤمنون حقا) .

وهما صنفان : عباد آمنوا بالله على التصديق والإدعان . وعباد آمنوا بالله على جهود ولبيان وهذا الإيمان الذي تارة يسمى إيماناً وتارة يسمى بيقياً . لأنه إيمان صحت أنواره . وظهور آثاره . واستنكس في القلب عموده . وداوم السر بهوده وعنه يكون خالص الولاية كما أن على القسم الآخر يكون ظاهر الولاية ، ليس يتوى إيمان مؤمن يطلب الهوى وإيمان مؤمن يطلب الهوى . ولا إيمان مؤمن برمس له العورس فيداعها بإيمانه . كما يكون مؤمن غسل قلبه من العوارض فلا ترد به شهوده وعيابه . ولأجل هذا اختلف أهل الطريق في عبيد : أحدهما يريد به خاطر لاسب فيجاهد نفسه حتى يذهب ذلك عنه . والآخر لا يحظر له هذا أحوال أهل المرقفة ، والأول هو حال أهل المجاهدة . ولأنه لا يكون القلب على هذه النصفة إلا والبور قد ملأ روابه ، فلأجل ذلك لم يجد خاطر اللذب مساعفاً .

الفائدة الخامسة : مطالبة الرسول ﷺ لحارة بقمة البرهان على ما شئت لنفسه يدل ذلك أنه ليس كل من ادعى دعوة سلمت له ، وقد قال الله سبحانه (أقسموا أنؤمنوا إن كنتم صادقين) وقال (قل ما أتوا بقرآنكم إن كنتم صادقين) هواريين الحقائق شاهدة للبعد أو عبيد ، وقد قال سبحانه (وأقيموا

أئورن باليسيط) .
 من ادعى حالاً مع الله أقيم عليه ميراثها . من شهد به سلمها له . وبالإعلاء وإذا كانت اللذب على حسنة قدرها عند الله . لا تسلم لك إلا سببة قيمتها من لأخرى الآ تسلم لك مراتب الموقين إلا أن يشها لك برهان ، وتسلمها لك حقيقة .

الفائدة السادسة : كان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه يقول : لو كان المسؤل أن يكره رضي الله عنه ويطا به لرسول ﷺ بأقامة البرهان على ما دعى . لأن عظم

رنية أبي بكر رضي الله عنه شمهده له من غير اظهار برهان ، فزاد الرسول ﷺ أن يعرفنا الفرق بين رتب أصحابه . فبينم من هو كحارثية ، لا يدعى حقيقة الإيمان . طلب برهانها . ومنهم من هو كآبي بكر وعمر رضي الله عنهما . يثبت لما الرسول ﷺ الرتب ، وإن لم يبينها لأنفسهما . ألا ترى الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ أن بقرة في بني إسرائيل ركبها رجل وأجهدها فقالت : سبحان الله ، لم أخلق لهذا ، وأما خلقت للحوث . فقال لصحابة : سبحان الله بقرة تكلم ؟ فقال الرسول ﷺ : ه آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر .
وما خائبان . فانظر هذه المرتبة مآلقتها . وهذه المنزلة مآلعتها ! وصحت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول : معنى قول الرسول ﷺ ه آمنت أنا وأبو بكر وعمر . أي من غير عجب ، وأنته آمنت متعجبين ! لأجل ذلك قالوا سبحان الله . أبقرة تكلم ؟ وكان أبو العباس يقول : إن اللاتكة لا بشرت روحه إبراهيم عليه السلام بالولد قالت : (الَّذِي أَنَا مَعْبُورٌ وَهَذَا يَقُولُ شَيْئًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ ١٩)

فقلت لما اللاتكة : (أَتَعْجِيبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ؟) أي أمر الله لا يتعجب منه . لم يسعها الحق صديفة . ومريم لما بشرت بالولد من غير أب ظم تعجب من ذلك صامها الله صديفة . فقال سبحانه : (وَأَمَّا صِدْقَةٌ) .
الفائدة السابعة : استدلال الصحابي على حقيقة إيمانه بزهده في الدنيا . وكذلك هو الإيمان إذا تحقق من قام به أوره الزهد في الدنيا ، لأن الإيمان بالله يوجب لك التصديق بلقائه . وعلمك بأن كل ت قريب يوجب لك شهود قربك . فيورثك ذلك الزهد في الدنيا . ولأن فرد الإيمان يكشف لك عن إقرار حقك منصف منك من الإقبال على الدنيا والتطلع إليها . مع أن الحقيقة تقتضي نزاهة في الدنيا مثبت لها . فإبه شهد لما الوجود إذا أئينها مرهوداً فيها . وإذا

بدها فالوجود فقد عظمها . وهو معنى قول الشيخ أبي الحسن الشاذل رضي الله عنه : والله لقد عظمنا إذا زهدت فيها . ومثل هذا الزاهد فيها زهد فيه فانه الغاني جسمه . وفي عنه . فإتبات أنك فان عن الشيء إتيات لذلك الشيء . لما لا وجود لشيء ينطق به فناه ولا زهد ولا ترك .

وناف في هذا المعنى آيات كتبها لبعض الأصحاب يسمى حسناً :
س بان تدع الوجود بأسره حسن فلا يشغلك عنه شاغل
من فهمت لتعلم بأنه لا ترك إلا للذي هو حاصل
من شهدت سواء فاعلم أنه من وهك الأذى وقلك ذاهل
وحديث كان وليس شيء غيره يقضى به الآن اللبيب العاقل
قد أنثرت إلى الصريح من العوى دلت عليه إن مهت دلائل
وحديث كان وليس شيء غيره يقضى به الآن اللبيب العاقل
(غير إلا نسبة مثبتة ليدم ذو ترك ويحمد فاعل

الفائدة الثامنة : قول الصحابي رضي الله عنه : عزفت نفسي عن الدنيا مستوى عندي ذهبها ومدرها ، والعزوف هو ترك الشيء بالتمزز له والإعراض عنه . إذ لو قال تركت الدنيا لم يلزم من الترك عدم التطلع . فرب تارك للشيء وهو متطلع ، فالعزوف إعراض مع كراهة وتحقير . ومن كشف الله له عن حقيقة الدنيا فهذا شأنه فيها . وقد قال الرسول ﷺ : ه الدنيا جيمة فذرة ، وقال ﷺ لصحابة : ه ما طعامك ؟ قال : اللحم واللين . قال : ه ثم يعود إلى ماذا ؟ قال : إلى ما قد علمت يا رسول الله . قال : ه فإن الله قد جعل ما يخرج من بعي آدم مثلاً للدنيا .

لمن كشفه عن حقيقة الدنيا فشهدها جيفة فذرة صغرى ان بصرف منه

عها فإن قلت : فقد قال رسول الله ﷺ : الدنيا حلوة خضرة . فاعلم أن الله
 جيمة قفزة في مرائي البصائر . وحلوة خضرة في مرائي الأبصار .
 فإن قلت : فما فائدة الإخبار بأنها حلوة خضرة ؟ فاعلم أن قوله ﷺ . الدنيا
 جيمة قفزة للتقدير وقوله : الدنيا حلوة خضرة . للتقدير . أى فلا تمرك
 بجلاوتها وخضرتها . فإن حلاوتها في التحيق مرارة ، وخضرتها يس . ولهذا ما سئل
 رسول الله ﷺ عن أولياء الله قال :

« هم الذين نظروا باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها . »

الفائدة التاسعة : وقوف الصحابي رضي الله عنه . على مستحق رنته بقوله
 وكأني أنظر إلى أهل الجنة في الجنة ينتعمون ولم يقل نظرت . وقد تقدم ذلك من
 أن الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء . والأوليه يطالعون مثلها .

الفائدة العاشرة : قوله من أجل ذلك أسهرت ليل . وأطمأت بهاري .
 محارثة عبد وصل بكرامة الله إلى طاعة الله . ألا تراه كيف قال في الأول . عرف
 نفسي عن الدنيا . ثم قال بعد ذلك : فمن أجل ذلك أسهرت ليل . وأطمأت
 بهاري فسبق عروف نفسه عن الدنيا . معاملته لربه .

وكان الشيخ أبو العباس رضي الله عنه يقول : الناس على قسمين

قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله

وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله .

قال الله سبحانه (الله يجتبي إليه من يشاء . ويهدي إليه من يبي)

ويود الله يرد إلى القلب . فيوح له الانصاف بصفة الرهد في الدب .

والإعراض عنها ثم يست مه إلى الجوارح . لما وصل منه إلى العين أوجب

الاعتبار . وإلى الأذن أوجب حسن الاستماع . وإلى اللسان أورد الذكر . وإلى
 الأركان أورد الخدمة

وبدليل على أن الور يوح عزوف الهمة عن الدنيا . والنأي عنها . قول
 ابن عباس : « إن الور إذا دخل الصدر اشرح واضح » قيل : يارسول الله .
 بذلك من علامة ؟ قال : « التجاوى عن دار الغرور . والإبانة إلى دار
 نور »

أما المثال الثاني : فهو بمثابة حديث حنظلة رضي الله عنه . فقد روى مسلم في
 حجه . قال : لقي حنظلة أبا بكر رضي الله عنه فقال : نافع حنظلة . فقال
 بكر رضي الله عنه : وما شأن حنظلة ؟ قال : نكون عند رسول الله ﷺ
 - كرا الحجة والنار حتى كانا رأى عين . فإذا خرجنا من عنده عافنا الصبيات
 بروحات فسينا كثيرا . فقال أبو بكر رضي الله عنه : إنا لنلقى مثل ذلك
 منظة . ثم أتيا رسول الله ﷺ فقال حنظلة : يارسول الله نافع حنظلة . فقال
 رسول الله ﷺ : « وما شأن حنظلة ؟ » فقال : نكون عندك فتذكرنا الجنة والنار
 في كانا رأى عين . فإذا خرجنا من عندك عافنا الصبيات والزوجات فسينا
 تريا فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده يا حنظلة . لو تدمون على
 . يكونون عبيد عدي وى الذكر لصاحبتكم الملائكة في طرقكم وعلى فرشكم
 كر ساعة وساعة » في هذا الحديث ثمانى فوائد :

الفائدة الأولى : قول حنظلة نافع حنظلة . النفاق مأخوذ من البروع . وهو أن

يجل لبيته باين متى طولك من أحدهما خرج من الآخر كذلك المنافق يظهر بظاهر

(إيمان . وله مسرب من الكفر باطن . إذا عاتبه أهل الكفر على ما أظهر من

(إيمان . فتح مسريا من باطن كرهه ليسلم من عنهم . وإذا ظهرت عليه رية أهل

لنفاق فغوتب عليها . تصون من ذلك بظاهر الإيمان الذى أظهره . ولذلك أخبر

له عنهم بقوله (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا . وإذا حلوا إلى شياطينهم قالوا
 يا معكم . إنا نحن مستهزون)

ولم يحبه أبو بكر رضي الله عنه لأن رسول الله ﷺ كان بين أظهرهم . ولم ير أبو بكر
 أن يجيب حنظلة ولو أن حنظلة أتى أباه بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ لأحياه
 القائدة الثانية : يستفاد من حديث حنظلة أن من عمله الصدق على إظهار
 ما به حصل له الشفاء . إما بأن يقال : إن ما ظنته داء ليس بداء . وإما أن يدل من
 الدواء على ما يريل الداء . فحنظلة قيل له : إن ما ظنته داء ليس بداء .
 القائدة الثالثة : قول حنظلة لرسول الله ﷺ نذركنا بالجنة والنار حتى كنا نأذي
 عين ولم يقل حتى زارهما رأى عين لما قدمناه من أن الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء
 والأولياء بطالعون مثلها . فلذلك قال حنظلة : حتى كنا نأذي رأى عين . ولم يقل
 حتى زارهما رأى عين . كما قال حارثة : وكأني أنظر إلى أهل الجنة . ولم يقل
 طرت إلى أهل الجنة . وقد تقدم هنا من قبل .

القائدة الرابعة : يسمي أن يظل الدعوى في أسباب الدنيا ما أمكن . مهد
 الصحابي يقول : فإذا خرجنا من عندك عافنا الضيمات والزوجات فسيبنا كثيراً
 وقد قال رسول الله ﷺ : « إن قليلاً من الدنيا ، يلهم عن كثير من الآخرة »
 وقال ﷺ : « ما طلعت شمس إلا يحياها ملكان يناديان : يا أيها الناس . هلموا إلى
 ربكم فإن ما قل وكفى ، خير مما كثر وألهم » ١

القائدة الخامسة : قوله ﷺ : « لو تدومون على ما تكونون عليه عدى . ولو
 نذكر لصالحكم اللاتكة . في طرقتكم وعلى فرشكم » . فيه إشارة إلى أن الدوام

١ . تلك الحالة عزيز . وأن عدم دوام العبد على تلك الحالة لا يوجب معية . لا
 عليه البشر من العلة . فكان الدوام على تلك الحالة من التضرر .
 القادة السادسة : كان الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه يقول : لم يقل
 من الله ﷻ أن ذلك محارم أن يكون أعني ما رتب على تقدير الدوام . وهو
 لصالحكم اللاتكة . و طرقتكم . وعلى فرشكم » . فقد يكون من

الله من به الله ذلك
 القادة السابعة : في حصر لرسول ﷻ لعرش والفرش . لأن العرش محسوس
 بهوت . وطرقت على لملات . فاد صدحتهم اللاتكة و طرقتهم و فرشهم .
 في الأجرى أن تصالحهم في عمل طاعاتهم . ومواطن أذكارهم

القادة الثامنة : اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ألا يستوى وقت كبيرهم
 بده . ووقت دكرهم بما سواهما . حتى يعرف عظيم قدر رتبة محاضرتهم ﷻ

برازة الذكر . وحلالة مصعبها . ١ . هـ
 هذان المثالان من نوع الشرح الصوري الذي بشرح الموضوع . وبين العاية

معد .

ولأبي العباس دور كثيرة ، والمعانيات جليلة في كثير من آيات القرآن ،
 وتحدث رسول الله ﷻ .

ولقد كنا نسمى أن تعد من ذلك الكثير حتى يكفى أن ننسق منه بقية متكاملة .
 ولكن المراجع التي حوت آثار أبي العباس لم نطعنا ما تمناه .

ونذكر فيما يلي ما استطعنا الوصول إليه . كأمانة تجزية هي لغات من البرور
 لغيره يفحصه الله سبحانه على من حققوا له للمودية فآثار أهدتهم بنوره

ولما رأى حنظلة أنه يكون عند رسول الله ﷺ على حالة . فإذا خرج وحده
 أسباب الدنيا تغير حاله . فلم يبق على نحو ما كان عليه عند رسول الله ﷺ . فزار
 أن يكون ذلك تفاناً لاختلاف حاله . فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ وحده
 الإيمان على أن يظهر ذلك ليطلب الشفاء منه . ويشكو داهه لمن يجد الشفاء عنده
 علماً شكاً ذلك لأبي بكر رضي الله عنه قال له أبو بكر : إننا لنلقى مثل ذلك باحظلة

ولم يحبه أبو بكر رضي الله عنه لأن رسول الله ﷺ كان بين أظهرهم . ولم ير أبو بكر
 أن يجيب حنظلة ولو أن حنظلة أتى أباه بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ لأحياه
 القائدة الثانية : يستفاد من حديث حنظلة أن من عمله الصدق على إظهار
 ما به حصل له الشفاء . إما بأن يقال : إن ما ظنته داء ليس بداء . وإما أن يدل من
 الدواء على ما يريل الداء . فحنظلة قيل له : إن ما ظنته داء ليس بداء .
 القائدة الثالثة : قول حنظلة لرسول الله ﷺ نذركنا بالجنة والنار حتى كنا نأذي
 عين ولم يقل حتى زارهما رأى عين لما قدمناه من أن الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء
 والأولياء بطالعون مثلها . فلذلك قال حنظلة : حتى كنا نأذي رأى عين . ولم يقل
 حتى زارهما رأى عين . كما قال حارثة : وكأني أنظر إلى أهل الجنة . ولم يقل
 طرت إلى أهل الجنة . وقد تقدم هنا من قبل .

القائدة الرابعة : يسمي أن يظل الدعوى في أسباب الدنيا ما أمكن . مهد
 الصحابي يقول : فإذا خرجنا من عندك عافنا الضيمات والزوجات فسيبنا كثيراً
 وقد قال رسول الله ﷺ : « إن قليلاً من الدنيا ، يلهم عن كثير من الآخرة »
 وقال ﷺ : « ما طلعت شمس إلا يحياها ملكان يناديان : يا أيها الناس . هلموا إلى
 ربكم فإن ما قل وكفى ، خير مما كثر وألهم » ١

القائدة الخامسة : قوله ﷺ : « لو تدومون على ما تكونون عليه عدى . ولو
 نذكر لصالحكم اللاتكة . في طرقتكم وعلى فرشكم » . فيه إشارة إلى أن الدوام

الله من به الله ذلك
 القادة السابعة : في حصر لرسول ﷻ لعرش والفرش . لأن العرش محسوس
 بهوت . وطرقت على لملات . فاد صدحتهم اللاتكة و طرقتهم و فرشهم .
 في الأجرى أن تصالحهم في عمل طاعاتهم . ومواطن أذكارهم

القادة الثامنة : اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ألا يستوى وقت كبيرهم
 بده . ووقت دكرهم بما سواهما . حتى يعرف عظيم قدر رتبة محاضرتهم ﷻ

برازة الذكر . وحلالة مصعبها . ١ . هـ
 هذان المثالان من نوع الشرح الصوري الذي بشرح الموضوع . وبين العاية

معد .

ولأبي العباس دور كثيرة ، والمعانيات جليلة في كثير من آيات القرآن ،
 وتحدث رسول الله ﷻ .

ولقد كنا نسمى أن تعد من ذلك الكثير حتى يكفى أن ننسق منه بقية متكاملة .
 ولكن المراجع التي حوت آثار أبي العباس لم نطعنا ما تمناه .

ونذكر فيما يلي ما استطعنا الوصول إليه . كأمانة تجزية هي لغات من البرور
 لغيره يفحصه الله سبحانه على من حققوا له للمودية فآثار أهدتهم بنوره

والآن نذكر - بتوفيق الله - ما أمكن حمله من ما هناك . مرتباً خمس

١ - بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين أهدنا الصراط المستقيم . صراط الذي أنصت عليهم غير المنصوب عليهم ولا الضالين .

قال الله سبحانه : (الحمد لله رب العالمين) .

قال الشيخ رضي الله عنه علم الله عمر خلقه عن حمده . فحمد لله بما

في آزله . فلما خلق الخلق اتقضى منهم أن يحمده ويحمده . فقال : الحمد لله رب

العالمين . أي قولوا الحمد لله رب العالمين . أي أن الحمد لله الذي حمد به ما

بنفسه هو له لا يستحي أن يكون له . فعل هذا . تكون الألف واللام لله . يقول ابن عطاء الله . ويحمته يقول في قوله عز وجل :

(إياك نعبد وإياك نستعين) .

إياك نعبد شريعة وإياك نستعين . حقيقته .

إياك نعبد . إسلام .

وإياك نستعين . إحسان . إياك نعبد . عبادة . وإياك نستعين . عبودية

إياك نعبد . ورق . وإياك نستعين . جمع (١٠) .

(١٠) وقد كتب لي عطاء الله الكندي عن ذلك على خاطر وحسن الله بديانته عند ربه

وحصلت من الزعيم ليهده أن الله سبحانه طلب من العباد أن يمدوا . واتقوا منهم أن يسخطوا ذلك على

مصلحتهم فطلبوا ما هو عليه . عبادته . واتقوا منهم أنهم يسخطوا ذلك على الظاهر

والظاهر وحاصل دعواتهم الدعاء والتقوى بهم ثم اتقى إليه من دعوى القويبة في العبادة صدق ذلك من الطوبى والقوى

مما قام الصلوة بالمساعدة صلا . التقوى الحق أو يتوقفها صلاً ليكون ذلك مساعدة بين المؤمنين

ثم قال سبحانه وتعالى . (اهدنا الصراط المستقيم)

هناك لشيخ رضي الله عنه . بالتثبيت فيها هو حاصل . والإرشاد لا ليس

بمحل وهذا الجواب ذكره ابن عطية في تفسيره (١١) وسطه الشيخ رضي الله

به فقال عموم التوسيع يقولون (اهدنا الصراط المستقيم) . أي بالتثبيت فيها

بمحل . والإرشاد ليس بمحل . حاصل بهم . حاصل لهم التوحيد . وفاتهم درجات

محلين

والمحلون يقولون (اهدنا الصراط المستقيم) معناه سألنا التثبيت فيها هو

محل . والإرشاد ما ليس بمحل . فإهم حصل لهم درجات الشهداء وفاتهم درجات

تجاهله .

والشهداء يقولون . (اهدنا الصراط المستقيم) أي التثبيت فيها هو حاصل .

والإرشاد ما ليس بمحل . فإهم حصل لهم درجات الشهداء وفاتهم درجات

شهادية .

والمصيبون يقولون . (اهدنا الصراط المستقيم) . أي بالتثبيت فيها هو

محل . حتى إذا ثبتت معه من القيام بالمادة . ونقل عنها ملابرة الكلي . قلب الخيرة على العبد

على الله سبحانه من الاعتزاز بالمادة له . ولأنه لا يريد غيره لقوله . إياك نعبد . واتقوا من العباد أن

تتوهم العبادة جميع جوارحهم الظاهرة والباطنة والداخلية . أي بالعبادة . وليس هذا موضع

تعمير الظاهرة بالشك . لأن الظاهر إنما تكون للواحد للعلم نفسه . أو الظاهر في نفسه . وليس هذا موضع

ممن محسب . إذ العبد لا يستدعي من يدي الله بوصف عطية . علم بين لأن يكون للواحد . ومنه غيره .

(١١) الطرد الوجيز . وقد بدأ طبعه في المغرب . وظهرت منه الأجزاء الأولى

تذهب من ولي لله إلا وفات بخير منه أو ملكه .

٥- يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته . ولا تموتن إلا

م مسنونين) فقد له القاتل : من أين للعبد أن يتق الله حق تقاته ؟

ومن أين له ألا يموت إلا وهو مسلم ؟

فقال الشيخ رضي رضي الله عنه : قيل إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى :

(فاتقوا الله ما استطعتم) .

مكأنوا قد غوطبوا أولاً أن يتقوا الله حق تقاته . وهو أن يطاع فلا يعصى .

ويذكر فلا ينسى . ويشكر فلا يكفر . ثم خفض صهم بقوله تعالى :

(فاتقوا الله ما استطعتم) .

قال الشيخ رضي رضي الله عنه ويمكن الجمع بين الآيتين :

(فاتقوا الله ما استطعتم) أي في جانب الأعمال .

وقوله تعالى : (اتقوا الله حتى تقاته) أي في جانب التوحيد .

وقوله تعالى : (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) أي لا تتماطلوا من الأعمال إلا أعمالاً

١٥- ثم علياً ثم مسلمين .

١٦- (ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك) .

قيل إنما وقع لتفصيل في العبادة أدباً من الله لنا ، فأضاف المحاسن إليه وأضاف

المساوي إليها . وإن كان فصل المبد كله خلق الله تعالى حسنة وسيئة كما قال :

(.... فأراد ربك أن يبلغ أشدهما) .

فأضاف ذلك إلى الله . وقال في السلفية : (فأردت أن أعيبها) ولم يقل :

فأراد ربك أن يعيبها أدباً في التسمير . وكما قال إبراهيم عليه السلام : (وإذا

مرضت فهو يشفين) . فأضاف المرض لنفسه ، والشفاء لله تعالى .

ومهم من قال إن ذلك دخل في مضمون القول وإن هذا التفصيل حكاه الله

حاصل . والإرشاد لما ليس بمحصل . فإني حصل لهم درجات الصديقية . وهم درجات القطبية .

والقطب يقول : (أهدنا الصراط المستقيم) . أي بالثبوت فيما هو حاصل .

والإرشاد لما ليس بمحصل فإنه قد حصل على رتبة القطبية ، وفاته علم إذا شاء الله

أن يطلعهم عليه أطلعه .

٧- قال الله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) .

كل موضع ذكر فيه المصلون في معرض المدح ، فإنما جاء لمن أقام الصلاة .

بلمط الإقامة أو بمعنى يرجع إليها . قال الله سبحانه :

(الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) .

(رب اجعلني مقيم الصلاة) .

(أقم الصلاة)

(وأقم الصلاة)

(وأقاموا الصلاة)

(والقيمي الصلاة)

ولما ذكر المصلين بالغفلة قال :

(هو بل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون) ، ولم يقل هو بل للقيمي

لصلاة

والإقامة هو أنه إذا صلى المؤمن صلاة فقبلت منه خلق الله من صلاته صورة

في مدكوته . وركعة ساجدة إلى يوم القيامة ، وثواب ذلك لصاحب الصلاة

٣ قال الله تعالى : (إن الله يأمركم أن تذبحوا القرية)

مره كل إنسان نفسه . والله أمرك بذبحها .

٤ قال الله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها تأتي بخير منها أو مثلها) أي

١٠ - قال الله تعالى حاكياً عن الشيطان : (ثم لآتينهم من بين أيديهم وهم معهم ومن آياتهم وعن شياطينهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) .
 فـ رضي الله عنه : لم يقل من عوقبهم ولا من تخبهم . لأن هوق التوحيد .
 ونجت الإسلام . والشيطان لا يمكنه أن يأتي المؤمن من توجب ولا من إسلام
 أما قوله : (ولا تجد أكثرهم شاكرين) .
 بانه لو علم ليطان أن تم طريقاً توصل إلى الله أمصل من اشكر لوقف عليها
 ألا ترى قوله : (ولا تجد أكثرهم شاكرين) ولم يقل صديري . ولا خائري

ولا رحيم .

١١ - للناس أسباب . وسببنا الإيمان والتقوى . قال الله تعالى : (ولو أن أهل

تقوى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) .

١٢ - يقول الله تعالى : (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) .
 الحق الذي خلق الله به كل شيء كلمة وكثر .

قال الله سبحانه وتعالى : (ويوم يقول كئن فيكون قوله الحق) .

١٣ - قال الله تعالى : (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) . أي من طاعتهم وأعمالهم . ومثل ذلك : (برحمة ربك خير مما

يجمعون) .

١٤ - يقول الله تعالى : (ولقد كتبت به وهم بما لولا أن رأى برهان ربه) .

١٥ - قال الله سبحانه وتعالى : (سبحان لدى أسرى بعدة بيلا) . وه يقل

مت به هم إرادة . وهم بما هم لا هم إرادة .

١٥ - قال الله سبحانه وتعالى : (سبحان لدى أسرى بعدة بيلا) . وه يقل

مت به هم إرادة . وهم بما هم لا هم إرادة .

١٥ - قال الله سبحانه وتعالى : (سبحان لدى أسرى بعدة بيلا) . وه يقل

مت به هم إرادة . وهم بما هم لا هم إرادة .

١٥ - قال الله سبحانه وتعالى : (سبحان لدى أسرى بعدة بيلا) . وه يقل

مت به هم إرادة . وهم بما هم لا هم إرادة .

١٠ - والتقدير : (فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً) في قولهم .

١١ - سايك من حسنة فمن الله . وماأصالك من سيئة فمن نفسك . ورد عليه

١٢ - تعالى : (قل كل من عند الله)

١٣ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

١٤ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

١٥ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

١٦ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

١٧ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

١٨ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

١٩ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٢٠ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٢١ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٢٢ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٢٣ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٢٤ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٢٥ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٢٦ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٢٧ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٢٨ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٢٩ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٣٠ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٣١ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٣٢ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٣٣ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٣٤ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٣٥ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٣٦ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٣٧ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٣٨ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

٣٩ - قال الله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً) .

وإبطه . فالأولياء لهم قسط من العبودية ، فلهم قسط من الإسرائ يسرى بأرواحهم
لأشباحهم

١٦ . قال الله تعالى : (إنهم فيه آمنوا بربهم وزدناهم هدى) .
التوبة : الإيمان والهداية .

١٧ . قال الله تعالى : (وما تلك بيمينك يا موسى . قال هي حصاي أتوكأ عليها
وأهش بها على غنصي ولي فيها مآرب أخرى . قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية
مى . قال غلظها ولا تخف سنبدها سيرتها الأولى) .

معاد للول : وما تلك بيمينك أيها الول ؟

قال : هي ديباي أتوكأ عليها وأهش بها على عصى .

أنت أخرى ويقال له : ألقها فناء عنها .
وعصه أعضاؤه ول بها

فألقاها . فيكشف له عن حقيقتها ، فإذا هي حية تسمى . ثم يقال له : غلظها

ولا تخف فلا يضره أخذها لأنه أخذها بإذن الله في أخذها كما أطاعه في إلقائها

١٨ - قال الله تعالى : (قالوا سمعنا فحق بذكورهم يقال له إبراهيم)

سمى إبراهيم مسمى ، لأنه كسر الأصنام . فن كسر الأصنام فهو الفنى الخليل عليه

السلام وحده أصناماً حقيقية وكسرها وأنت لك أصنام معنوية فإن كسرتها كنت

ملك أصنام حصة . العسر والحوى . والشيطان . والشهوة . والدنيا . فإن
بها فانت الفنى .

١٩ . قال الله تعالى :

(يولج الليل في النهار . ويولج النهار في الليل)

ولج المصيبة في الطاعة . ويولج الطاعة في المصيبة . يطع العبد الطاعة

بها ويستمد عليها ويستصغر من لم يعملها وطلب من الله العوض عليها

لأن حصة أساطت بها مبيات . ويذنب الذنب قليلاً إلى الله فيه ويعتذر منه ،

ويصغر نفسه ويعظم من لم يفعله . فهذه سيرة أساطت بها حسنات . فأينها
حاجة ؟ وأينها المصيبة ؟ .

٢٠ - يقول الله تعالى : (ويوم تشق السماء بالنفاس وتزل الملائكة تنزيلاً .

لك يومئذ الحق للرحمن) . إنما قال للرحمن . ولم يقل للقهار ولا للعزيز ؟

لأن تشق السماء بالنفاس وتزل الملائكة مظهران في مظاهر القهر والسطوة . فلو

قال للقهار أو للعزيز لم يطلق ذلك العبادة ، وتقطرت قلوبهم . ففرق بهم أن قال :

(اللك يومئذ الحق للرحمن) . وهكذا قوله : (يوم نحشر المقبون إلى الرحمن

وعداً) . ولم يقل إلى القهار ، ولا إلى العزيز ، لأن الحشر وهو المطلع شديد ،

ملاظمتهم برحمانته في ظهور سلطان قهره .

٢١ - يقول الله تعالى : (أمن يجيب المضطر إذا دعاه)

والولي لا يزال مضطراً (١٦) . وقال رضى الله عنه : « غير بعض الصحابة على

(١٦) ومضى كلام الشيخ هذا أن العادة اضطرابهم بعيرات الأسباب ، فإذا زالت زال اضطرابهم .

ولذلك لظنية دائرة الحس على مشاهيرهم ، فلو شهدوا قبيحة الله الدالة المحيطة لظنوا أن اضطرابهم إلى الله

دائم . لأن اضطرابهم تنطبق حقيقة اليد إذ هو ممكن ، وكل ممكن مضطر إلى مديه ومد يده به . وكذا أن

أمن سبحانه هو الفنى أيضاً فالمد مضطرب أيضاً ، ولا يزال العبد هذا الاضطراب لا في الدنيا ولا في

الآخرة . ولو دخل الجنة فهو محتاج إلى الله فيها . غير أنه نفس اضطرابه في تلك التي أقرت عليه ملازمها .

وهذا هو حكم المعلقين الآ يتخلف حكمها لا في القلب ولا في الشهادة ولا في العباد ولا في الآخرة . فالعلم صفته

الكشف أى علم كان . ول في وقت كان والإرادة صفته الشخصية أى إرادة كانت ول في وقت كانت

ومن نسبت آثاره لم يتوقف اضطرابه

وقد عاب الله نوراً اضطروا إليه عند وجود أسباب الخائهم إلى الاضطراب . فلا زالت زال اضطرابهم قال

الدهسجانه ونحوه (وإذا نسكتم الصرى اسر منكم من دعوت الإياه فلا يجاكم إلى البر انعم) وقال

سجانه ومثل (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لغيره ، أو دعاكم أو كاتكم فلا تكفوا عنه صوره مر كان لم

يدعنا إلى شرمه كذلك روى للمسرفين ما كانوا يسلطون)

وقال تعالى . (قل من يستجيبكم من طلفت البر والبحر ندعوة فصوره فأكو خيبة لى الجناس هذه وليكون من -

خاتم . وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله وهؤلاء قد هداهم .
 (سبب لمن يشاء إن شاء) . قال رضي الله عنه : صليت خلف الشيخ : صلوة
 مسح . فقرأ بحم عسى حتى انتهى إلى قوله تعالى : (سبب لمن يشاء إن شاء) . فخطب
 . أنها الحسنات .

(وسبب لمن يشاء الذكور) . فخطب لي أنها العلوم .

(أو يزوجهم ذكراً ، وإن شاء) علوماً وحسنات .

(ويجعل من يشاء عقيماً) . لا علم ولا حسنة .

من علم شيئ من الصلاة استدعاني وقال : لقد وجدت فهمك في الصلاة

(سبب لمن يشاء) زبان الحسنات . (وسبب لمن يشاء الذكور) : العلوم . (أو

يزوجهم ذكراً ، وإن شاء) : علوماً وحسنات . (ويجعل من يشاء عقيماً) : لا علم

ولا حسنة . فصحت من اطلاع الشيخ على ذلك ! فقال : أتعجب من اطلاعي

على فهمك في الصلاة !

قد فهم فلان كذا ، وهم فلان كذا ، حتى عد أنهم الجماعة الذين خلفه .

٢٥ - يقول الله تعالى : (والأسحار هم يتنفرون) .

قال رضي الله عنه : من طاعتهم ، ومن أمهاتهم التي قاموا لله تعالى بها في

اليوم . أن يشهدوا من أنفسهم .

ويقول ابن عطاء الله : ودليل ما قال الشيخ رضي الله عنه أن الله عز وجل

وصفهم قبل ذلك بقوله : (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون) .

ثم قال : (والأسحار هم يتنفرون) .

فهم يتفقه منهم في اليهم ذنوب يكون استغفارهم منها . وقد جاء في الحديث

لصحيح أبي بصير عليه السلام كان داسم من صلواته استغفر الله نللاً وقال الواسطي .

المعادت إلى طلب العفو عنها أقرب منها إلى طلب الإعواص عنها

نفس اليهود فسهم يفرعون التوراة . فخشعوا ، فلما دخلوا على رسول الله صلى

ول عليهم جبريل عليه السلام فقال : اقرأ . قال : وما اقرأ ؟ قال : اقرأ (أول

بكمهم أنا أنزلنا عليك الكتاب بطن عليهم) . فمؤثرو إذ تخشعوا من غيره . وهم إذ

تخشعوا من التوراة وهي كلام الله ، فله ذلك بمن أعرض عن كتاب الله وتخشع

للإلهي والثناء ١٩ !

٢٢ - يقول الله تعالى : (أن اشكر لي ولوالديك) .

إنما قرون شكرها لأبها الاصل في وجودك .

٢٣ - قال الله سبحانه وتعالى : (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً)

فقوم فهموا من هذا الخطاب أنهم أمروا بمداوة الشيطان ، فمثلهم عن عب

الطيب . وقوم فهموا من ذلك أن الشيطان لهم عدو . أي وأنا لكم حبيب فاشتمل

بمحبة فكفاهم من هونه . قيل لبعضهم كيف صنعتك مع الشيطان ؟ قال

وما للشيطان ؟ نحن قوم صرفنا همنا إلى الله فكفانا من دونه .

٢٤ - قال الله سبحانه وتعالى : (الله يفتي إليه من يشاء ، ويهدي إليه من

يبيد) . الناس على قسمين : قوم وصلوا بكرامة الله إلى طاعة الله ، وهؤلاء قد

الشاكرين . قبل أن ينجيكم سيوفهم كل كرب ثم أنشركون الله بغيره من الآيات الواردة منه

اسم . ولأن أصل غفول العوام إن ما تنطه حقائق وجوداتهم ، ملط طعم الأسباب الكثيرة للاضطراب ليبروا

هم رويته ، وطمعه البت وكبريائه

ومن التبدل على صمائه رنة الاضطراب ، لن الحق سبحانه . أوقف الإجابة عليه فقال : (ثم يجب

حفظ اذ دعاه)

دارد الله سبحانه ومال أن يعطى بث نشاءه للاضطراب به ، فيض بالاضطراب يعطى .

منه ان منح عبداً أمرأته للاضطراب به ثم منه يراه وفانت حجة الله عن العبد . لو اضطرت إليها

و معصاك . فلا عاف عليك أي مضطر طلب فلا يعطى بل يجاب عليك في تحريم الاضطراب . فصره

ص . أو تطلب به اضطراب صرته لنعناه .

قال . (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين) .
 مكررت لي معنى هذه الآية . فكشفت لي عن اللوح المحفوظ بأنا مكثوب فيه .
 (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) .
 روحاً وحقلاً . ثم رددناه أسفل سافلين ، نفساً واهوى .

٢٩- قال رضى الله عنه في قوله ﷺ :
 «سبعة يعلمهم الله في يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل . وشاب نشأ في عبادة ربه . ورجل فله معلق بالمسجد لا يخرج منه حتى يعود إليه . ورجل نحاه في الله اجتماعاً على ذلك وتفرقاً عليه . ورجل دعت امرأة ذمت حرم وجمال فقال ابن أخاف الله . ورجل ذكر الله خائباً فصاحت عيناه من خشية الله . ورجل تصدق صدقة فأخفاها حتى لا تعلم شمله ما تنفق بيته » .

قال الشيخ رضى الله عنه . لإمام العادل هو القلب ورجل قلبه معلق بالمسجد حتى يعود إليه . أى رجل قلبه معلق بالعرش . فإن إعرش مسجد قلوب مؤسسه . ورجل ذكر الله خائباً فصاحت عيناه . أى حالياً من العسر والاهوى . ورجل تصدق بصدقة . أى أخفاها عن نفسه وهواه .

وكذلك قال في قوله عز وجل : (إذ نادى ربه نداء خفياً) .

أى من النفس والهووى . فاعلم أن هؤلاء السبعة جازاهم الحق سبحانه من حيث معاملتهم إياه أما الإمام العادل : فإنه عدل في عباد الله . فأرى المظلوم إلى ظل عدله . فأواه الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الشاب الذى نشأ في عبادة الله ، فإنه آوى إلى الله معرضاً عن هواه ، وآوياً إلى كتب مولاه ، فصنع الحق معه ذلك في الآخرة جزاء ، كما صنع هو ذلك مع الله في الدنيا معاملة .

٢٦- يقول الله تعالى : (وإبراهيم الذى وفى) .

قال رضى الله عنه : (وفى) بمقتضى قوله : حسى الله .

٢٧- وقال رضى الله عنه في قوله سبحانه وتعالى :
 (إن المتقين في جنات ونهر ، في هذه الدار ، وفي تلك الدار ، في الدنيا ، في جنات العلوم ، وأنهار المعارف . وفي الآخرة في الجنة التى جعلوا بها ، في مقعد صدق في هذا الدار ، وفي تلك الدار ، عند ملك مقدر في هذه الدار . وفي تلك

الدار (١٧) .

يقول الله تعالى : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرآه خاشعاً متصدعاً من خشية الله) قال رضى الله عنه : في هذه الآية مدح لسيد المرسلين ﷺ . أى أن هذا القرآن لا تثبت له الجبال لو أنزل عليها . وأنت يا محمد ثبت لترويه بالقوة

لربابة التى أودعها فيك . وفيها دم للكافرين أى أن هذا القرآن لو نزل على جبل لخشع وتصدع ، وأنت ما خشعتم ولا تصدعتم

٢٨- قال الله سبحانه وتعالى : (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين) .

قال رضى الله عنه : قرأت مرة (والذين والزيتون) إلى أن انتهيت إلى قوله

(١٣) وسط كلام الشيخ رضى الله عنه : هو أن مع الجنة الكائن فيها . يكون رزقه مسبعة للضيق . هذه الدار . لا كان لهم في الجنة حساً ، يكون لهم في هذه الدار معنى . وطل هذه الآية قوله سبحانه وتعالى (رب لأمرين سمى) أى في هذه الدار . وفي تلك الدار في الدنيا . وفي الشهود . وفي الآخرة في الرؤى . وكذلك قوله تعالى (وإن الضعفاء في حميم) أى في هذه الدار . وفي تلك الدار . في هذه الدار . في حميم القطبية . وفي تلك الدار في حميم الطولية . وقوله تعالى : (في مقعد صدق) أى في هذه الدار . وفي تلك الدار . في مقعد صدق خصوصى (عند ملك مقدر) في هذه الدار . وفي تلك الدار . في هذه الدار . لهم عبادة الإيماء . وفي تلك الدار لهم عبادة الإتهام

ولا أجمع على عبدي خوير . ولا أمين . إن أمته في الدنيا . أمته في الآخرة . وإن أخفته في الدنيا أمته في الآخرة .

٣٠- وقال رضي الله عنه في قوله ﷺ : « يسروا ولا تمسروا » .

أى دلوم على الله . ولا تدلوا على غيره . فإن من ذلك على الدنيا فقد غررك . ومن ذلك على الأعمال فقد أتمك . ومن ذلك على الله فقد نصحك .

٣١- وقال في قوله ﷺ :

« رأيت الجنة فتناوتت منها عفتوراً ، لو أخذته لأكلمت منه ما بقيت الدنيا .

فقال رضي الله عنه : الأنبياء يطالعون حقائق الأشياء والأولياء يطالعون مثنها .

لذلك قال الرسول ﷺ : « رأيت الجنة » ولم يقل كأي رأيت الجنة

٣٢- وكان يقول في معنى حديث : « من عرف نفسه عرف ربه » .

معناه من عرف نفسه بذلها وعجزها . عرف الله بعزته وقدره . قلت : وهذا

أسلم الأجرية والله أعلم .

٣٣- وقال في قوله ﷺ : « السلطان ظل الله في الأرض » .

هذا إذا كان عادلاً . فأما إذا كان جائراً فهو ظل النفس وأمرى .

٣٤- وقال رضي الله عنه : « مات رجل من أهل الصفة ، فوجد في شملته

ديناران ، فقال ﷺ : كيتان من نار » .

قال الشيخ وقد مات - على عهد رسول الله ﷺ - كثير من الصحابة وتركوا

أموالاً . لا قال رسول الله ﷺ فيهم مثل ما قال في هذا . لأنهم لم يبطروا خلاف

مأظهوروا . وهذا الذي كان من أهل الصفة . أظهر العاقبة ، وكان عنده هذا

الديناران . فلما أظهر خلاف ما أظن . قال الرسول ﷺ : كيتان من نار »

٣٥- وقال : كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : المؤمن في

وأما التزجيجان اللذان نجحاً في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه . فإنيهما تواملا روح الله . وثالثها محبة الله . وكان ذلك منها انجاشاً إلى الله قارهما الله بظله .

يوم لا ظل . إلا . ظل الله .

وأما الرجل الذي دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال : إني أخاف الله . بابه

صلى بار محافنة الهوى عمارة من المولى . وحالف بواعث الطبع المارضة للتقوى ط

حاف من الله هرب إليه . ولا هرب إليه ماهنا معاملة آواه الله إليه في الآخرة

مواصلة . فأظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الرجل الذي ذكر الله خالياً ففاضت عيابه بابه لم تنقص عيناه إلا من الفرح

التي أحرقت قلبه . إما حياه من الله أو شوقاً إليه . أو خوفاً من روبيته . أو لشهود

التقصير معه . فلما فعل ذلك حيث لا يراه أحد إلا الله الواحد الأحد . كان ذلك

منه معاملة لله ، وانجاشاً إليه ، بالاعتذار إليه ، أو بالشوق إليه ، فأوى إلى الله

فأظله الله ، يوم لا ظل إلا ظله .

وأما الرجل الذي تصلى بصدقة فأخفاها حتى لا نطم شمله ماتفق بيته . فإنه

قد آثر الله على نفسه يبذل الدنيا إيثاراً لحب الله على ما تحبه نفسه . لأن شأن العسر

حسب الدنيا وعدم البذل لها . فلا يبتغوا إلا من آثر الله عليها . ولذلك قال رسول الله

ﷺ : « والصدقة برهان »

أى برهان يدل على أن المدد آثر مولاه على نفسه وهواه . فلما مال هذا العبد إلى

الله بالمعاملة . من الله عليه بأن أظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وتشترك الأقسام السبعة في معنى واحد . فلكذلك جوزوا جزاء واحداً اشتركت

في أن كلاً من هؤلاء السبعة : صلى حر محافنة الهوى في الدنيا . فلم يذقه الله حر

الآخرة . وقد قال ﷺ : حاكياً عن الله تعالى

الديا ليسير . ولا فكناك للأسير إلا ياخذى ثلاث :

إما بالهجرة - وإما بالقديية - وإما بالعناية

ومادكرة الشيخ مأخوذ من قول رسول الله ﷺ :

« الدنيا ضمن المؤمن » . وقال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه في تفسير هذا

الظلمة ، وشأن المسجون التحقيق مبنية . والإضناء بأديه . متى يدعى فيجب

٧- وحدة الوجود عند أبي العباس والصولية

على وجه العموم

هل كان أبو العباس يعتقد في وحدة الوجود ؟

وما موقف شيخه منها ؟

وما رأى تلميذه ابن عطاء الله فيها ؟

إن موضوع وحدة الوجود من الموضوعات التي استعملها أعداء التصوف و

نائب الجماهير المؤتمه . وبرجوا الله أن يوفق الآل إلى إلقاء بعض الأضواء على هذا

الموضوع . أضواء زعمها من حو المدرسة الشاذلية . ومن جو الصولية على وجه

العموم . ومن الجو القرآني .

يقول أبو العباس : كان الإنسان بعد أن لم يكن . وصيفي بعد أن كان . ومن

كلا طريه عدم فهو عدم . هذه الكلمة بشرحها ابن عطاء الله مفسرًا كلامه رأيه

الشخصي . ورأى أبي الحسن رضى الله عنهم . ومى تصوير لرأى أبي العباس .

يمكن على هذا الوضع أن نقول إنها رأى المدرسة الشاذلية في وحدة الوجود

يقول ابن عطاء الله : ومعنى كلام الشيخ هذا أن الكائنات لا تثبت لما رتبة

الوجود المطلق . لأن الوجود المطلق إنما هو الله . وله الأحية فيه . إنما للعوالم

الوجود من حيث ما أثبت لها .

واعلم أن من الوجود له من غيره فالعلم وصفه في نفسه . وقد قال الشيخ

نوح الحسن رضى الله عنه : « الصوفى من يرى المطلق على سره كالحياه في الهواء

لا موجودين ولا معدومين حسابا هم في علم رب العالمين .

وقال أيضًا رضى الله عنه وقد تقدم : « وأنا لا نرى أحدًا من المطلق هل في

الوجود أحد سوى الملك الحق ؟ وإن كان ولا بد فالهواء في الهواء إن فضته لم تجده

شيًا . وفي كتاب الحكم من كلامنا : العوالم ثابتة بإثباته . محمودة لأحدية ذاته .

وقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه : كان لي صاحب كثيرًا ما يأتيني

بالتوحيد . فقلت له : إن أردت التي لا لوم فيها فليكن الفرق على لسانك موجودًا .

والجمع في باطنك مشهورًا . وأشبه شئ . بوجود الكائنات إذا نظرت إليها بعين

البصيرة وجود الطلال . والعل لا وجود له باعتبار جميع مراتب الوجود .

ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العلم . وإذا أثبت ظلية الآثار لم تنتسخ أحدية

الثر . إذ الشئ إنما يشع بظله ويضم إلى شكله . كذلك أيضًا من شاهد ظلية

الآثار لم تنقه عن الله . فإن ظلال الأشجار في الأسماء لا يبعث السمن من السيار .

ومن هاهنا بين لك أيضًا أن الحجاب ليس أمرًا وجوديًا بينك وبين الله . ولو كان

بينك وبينه حجاب وجودي لزم أن يكون أقرب إليك منه . ولا شئ أقرب إليك

من الله . فرجعت حقيقة الحجاب إلى توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجود

موجود معه . إذ لا موجود معه . وإما حجبك عنه توهم موجود معه . وذلك

كرجل بات في مكان وأراد الخروج فسبح صوت الرياح من كوة هناك فظنه زفير

أسد . فسمع ذلك عن الخروج . فلما أصبح لم يجد هناك أسدًا وإنما هو الريح

انضط في تلك الكوة . فلما حجبه وجود أسد وإنما حجبه توهم الأسد

ويقول ابن عطاء الله في مكان آخر من كتاب لطائف المنن : الحقيقة تنفض أن

أهدى في الدنيا مثبت لها . فإنه شهد كما بالوجود إذا أُنبتا مزهودًا فيها ، وإذا هبت لها بالوجود ضد عظمتها وهو معنى قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه - والله لقد عظمتها إذا رعدت نيبا . ومثل هذا الراءد فما زهد به ماء - يأتي عما في عنه . وإثبات أنك فلان من الشيء . إثبات لذلك الشيء . فإ وجوده لا يتعلق به فناء ولا زهد ولا ترك . ولنا في هذا المعنى آيات كتبها لبعض صحاب يسمى حسنا .

من بأن تدفع الوجود بأسره حسن فلا يشغلك عنه شاغل
 ن فهت لتطمئن بأنه لاترك إلا للذي هو حاصل
 في شهت سواء فاعلم أنه من وهلك الأذى وقلبك ذاهل
 سب الإله شهوده لوجوده والله يعلم مايقول القائل
 لا أشرت إلى الصريح من الهوى دلت عليه إن هت دلائل
 دبت كان وليس حتى غيره يقضى به الآن هيب العاقل
 ير إلا نسبة مشوية ليدم ترك وعهد فاعل
 وإذا كان هذا هو رأى المدرسة الشاذلية ، فهل هو رأى الصوفية على وجه
 موم ؟

هل يحق رأى أبى العباس الرسى في هذا . مع رأى الخلاج . وابن العربي
 في الله عنهم ؟

وما هو الترجية الإسلامي في الصلة بين المبد وربه في هذا المجال ؟
 ويريد أن يبدأ مباشرة بملاحظة تزيل - بصورة غير متوقفة - سدة المناقشة في
 موضوع . وذلك أننا بصلد وحدة الوجود ، ولنا بصدده وحدة الوجود .
 حود متعدد : سما وأرضا ، جبلا وبحارا ، لونا ورائحة وطعنا متفاوت ففلا
 في الخ

ولم يقل أحد من الصوفيين المحققين - ومنهم ابن العربي والخلاج - بوحدة
 الوجود - وما كان للصوفية . وهم الفرقة من المؤمنين أن يقولوا - وحاشاهم -
 وحدة الوجود . وقد تصامله : من أين إذن أتت الفكرة الخاطئة التي يستخدمها كثير
 من الناس ، من أن الصوفية يقولون بوحدة الوجود ؟ وتفسير ذلك لا عسر فيه : إن
 يربطاً من الفلاسفة في الأزمنة القديمة . وفي الأزمنة الحديثة . يقولون بوحدة
 الوجود . بمعنى أن الله - سبحانه وتعالى عن إنكهم - هو والمخلوقات شيء واحد .
 قال بذلك هيئتيطس في العهد اليوناني : والله عنده نهار وليل ، صيف
 وشتاء ، وحرارة وقلّة ، جامد وسائل - إبه على حد تعبيره - كالنار المطرة تسمى باسم
 المطر الذي يفوح منها . ففلس سبحانه وتتره عما يقول .

رائقه سبحانه وتعالى في رأى وشل ، في المصور الحديثة . هو هذه البسمة
 الحسية على شغنى طفل جميل باسم . وهو هذه النائم العليّة التي تمنعنا ساعة
 الأصيل . وهو هذه الإشراقة المتأقّة بالنجم الحادي في ظلمات الليل . وهو هذه
 الوردة الياصة تنفتح وكأنها إنبامات شفاه جميلة . إنه الجمال أبنا وجد . ولكنه
 أيضًا - سبحانه وتعالى - القح أبنا كان . وكما يكون طفلا في نضرة . وفي
 وسامة يكون جنة ميت ، ويكون دودة تنفذي من جسد ميت ، ويكون قبرا بضم
 بين جذرائه هذه الحجة . وهذا الدرود . أستغفرك ربي وأتوب إليك .

لوحدة الوجود - بمعنى وحدة الوجود - أنصار في كل زمان
 بلما قال الصوفية . . بالوجود الواحد . . شرح خصوصهم الوجود الواحد بالفكرة
 لعنسية عن وحدة الوجود بمعنى وحدة الوجود وورق كبير بينها . ولكن المحسومة
 كثيرا ما ترضى عن التريف وعن الكذب في سبيل الوصول إلى هدم الحضم .
 والغاية تبرد الوسيلة كما يقولون .

رضى . آخر في غابة الأهمية . كان له أثر كبير في الخلاج في مهم فكرة الصوفية

(أفرايم ماخرون . أنتم تزدهونه أم نحن الزارعون) !

(أفرايم النار التي تورون . أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشون)

وعلى العكس من ذلك . لو شاء الله لما خلق هذا الفرد . ولجعل الرزق حطامًا . ولما أنزل الماء من المزن . ولما أنشأ شجرة البار . إنه سبحانه يبدد الأمر سنة وإيجابًا . ويبدد أمر الخلق إيجابًا وإعدامًا .

أرأيت إلى هذه الرمية التي ترميها ؟ إنك مارميت إذ رميت ولكن الله رمى
أرأيت إلى الانتصار في الجهاد ؟

إن هذا الانتصار من عند الله . أما القتلى (علم نقتلهم ولكن الله قتلهم)
ورزق الإنسان هذا وطعامه : (هل ينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صبينا الماء صًا
ثم شققنا الأرض شققًا . فأنبتنا فيها حبًا . وعنبًا وقضبًا . وريثونًا ونخلًا . وحدائق
عليا . وفاكهة وأبا . متاعًا لكم ولأنعامكم) .

هذه الميمنة وهذه القبومية يمر بها قوم فلا يعيرونها التفانيًا ، إنهم يمرّون بها مرور
الحيوانات عما لا تدرك ولا تفعل . إن الله سبحانه وتعالى لا يجتل من شعورهم درجة
أيًا كانت . وهم كل مهمم مصحح مسمين . إنما هو ملء الطر . أو كبر الذهب
والفضة . أو النزاع على جاه . أو العمل لتثبيت سلطان . إنهم يمرّون بآيات الله
فلا يشهدونها . وتحيط بهم آثاره . فلا ينظرون إليها . وتقرهم نماؤه وآلؤه . فلا
يوجههم ذلك إلى الحمد ولا إلى الشكر . إن الله سبحانه وتعالى لا يجتل في قلوبهم
ولا في تفكيرهم ولا في بشيم قلبا ولا كثيرًا . والطرف الآخر المقابل هذا هو هؤلاء
الذين انغمسوا حقًا في محيط الإلمية . سبحوا في بحارها ، واستنشقوا نسائمها
الندية ، وغرهم للألأها وضياؤها ، لقد بلّموا بحمد الله وشكره على نعمائه
والآله التي تحيط بهم من جميع أقطارهم ، مرادهم الله بما وآله . (لئن شكرتم
لأزيدنكم) .

لقد اتقوا الله حق تقاته فعلمهم الله .

لقد اكتفوا بالله هاديًا ونصيرًا فهداهم الله إلى صراطه المستقيم ، ونصرهم على
سهم وعلى أعدائهم وأخذوا شيكًا مشبًا يحاولون تحقيق التوحيد . قولاً
ضبة ، وتذوقًا وتحققًا ، وأخذوا يرون في «أشهد أن لا إله إلا الله» معاني
يطلع إليها غيرهم .

وبدأ معنى الشرك يتضح لهم في صورة لا تحظر على بال اللاهين الذين شغلهم
والهم وأهلومهم . وبدءوا يحطمون الشرك . يحطمون أصنامهم وأوهامهم . من النفس
عوى والشيطان . ومن الغرائز الحيوانية والغرائز الإنسانية ، وأنهار الشرك حتى من
سبات الفؤاد . لقد انهار الشرك الواضح ، وانهار الشرك الخفي . وثبت في
دوايقهم ، واستقر في أحوالهم ومقاماتهم أن لا إله إلا الله ، وأنه : (أبنا تولوا فم
بح الله)

وأبنا كانوا قائلة معهم ، وهو أقرب إليهم من جبل الوريد . وهو أقرب إليهم من
طنائهم ومعاشرهم . إنه يشركيائهم . فلا يرون غيره سبحانه . لا يرون غير قيوهم
سموات والأرض . ولا يرون غيره مصرفًا للسير من الأمور وللعظيم منها . ولا يرون
غيره مالكًا للملك : يؤق الملك من يشاء . ويتزع الملك ممن يشاء . ويعز من
يشاء . ويذل من يشاء .

لقد أصبحوا ربابين ، وأصبح الله في بصرهم وسمعهم وحوارحهم وفي قلبهم
من قبل ذلك ومن بعده . يشغله كله فلا يدع فيه مكانًا للأغيار .
وأخذ هؤلاء الصوفية يوجهون أفراد هذا القطع من البشر اللاهين عن الله .
السادق في ضلاله .. إلى الله تعالى . أخذوا في محاولة جاهدة مستمرة - لا انتزاع
الإنسان من الإحلال إلى المددة يتطلع إلى السماء لقد حاولوا أن يوجهوا نظر الناس

تسجانه وتعالى مهيبته . وجيت مسيطرة . وإلى الشعور بتوجيه سبحانه وتعالى
 - أن يفر إلى الله في كل أمر من أمورهم . وأن يسو نفسه حتى يتحقق -
 (به إلا الله . وما فعل الصوفية أكثر من ذلك . إنهم مهتمون هدى القرآن وحسب
 - . للإيمان أن يكون ربانياً . لئلا ما استمر الكثير من الناس يخلدوه و
 (رخص . وينظرون دائماً إلى أسفل . فليس ذلك ذنب الصوفية فقد أدوا وحسب
 حو التوجيه إلى الله . حمر أداه .

أما إذا لم يكن بعض الأفراد بالإخلاق إلى الأرمس . ودانظر بل أسير .
 وتعدوا ياجمبون م . يدعومهم للتفتح إلى السماء ويوجههم إلى الله تعالى . فهذا
 بما يجاريون الله وسريره . وحرازمهم معروف .

وقد تسامل : مع بدد حركم الملاح ونفس عليه بالقتل ؟ !

إبر أمر هذه نغيب قصة الملاح معروف سرها . وما كان سرها خائفاً في يوم
 من الأيام . لقد كان الملاح قوة جارفة . كان مركزاً للجاذبية لا يضارع . يتف
 حربه ساس أيا حرس . ويسير مع بها أرغبل . وكان ككل صوفى - يح آل
 بيت لأنه كان يحب الرسول ﷺ . وكان آل البيت أدراك بطمحور في ن تكبر
 الدولة لهم . وما كان نوا الماس بمشورون إلى شخصيه كشخصيه علاج همه لأ
 البيت . نسل رسول الله ﷺ . وودام الملاح دعابة قوية تسير في كل مكان .
 ونتجه إلى كل بلد . فيجب حفاظاً على أمن الدولة . وتحصيناً لاستقرارها . أن

بكل بالحلاج .

وما كان مقتل الملاح ديباً فذ . كلا . وإنما كان سياسياً بحثاً . ومن السهل
 على الملوك المستبدين أن يزينوا القصة . أو يأتوا بشهود الزور . ون يعدوا القصة
 ملال والتورية . وأن يعدوا أمراءهم .

مكاد ما كان من قصة ومن قتل . والدين من كل ذلك براء . والأعماظ التي

لى الله . عن طريق آله التي تفهمهم وعن طريق صنفه . وقد أحسن كل شيء
 حقه سبحانه

أخذوا يوجهون نظر الناس إلى الله تعالى . في الزهرة تتفتح . وفي الزرع يسوق
 متجهاً إلى السماء . وفي الشمس تشرق . وفي القمر يأتق . وفي مواقع النجوم
 ومداراتها . وفي كل هذا الإبداع السارى في الكون أخذوا يشرحون معنى تلك
 الآيات الكريمة :

(تبارك الذي بيده الملك وهو عن كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة
 ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور . الذي خلق سبع سموات طاقاً ما ترى
 في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر
 كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير (11) .

وكانت تمييزاتهم تمييزات متفرقة . وليست التمييزات الجادة لعلماء الكلام
 أو الفلاسفة . وهم في تمييزاتهم يشرحون أن الله سبحانه وتعالى الممد الوجود لكل
 موجود . إنه يمد القائم بالقيام . ويمد الماشي بالمشي . والمحرك بالحركة . إنه - على
 حد تمييز أهل السنة والأشاعرة الذي يقطع وليست السكنى هي التي تقطع . وهو
 الذي يخرق وليست النار هي التي تحرق . وهو الذي حيناً يريد . يقول للنار : كوني
 برداً وسلاماً . فتكون برداً وسلاماً

ومها عبر الصوفية في هذا الميدان عن الوجود الواسع . فقالوا في ذلك : ورمع
 الناس أنهم أسروا واشتطروا بإسهم لن يلفوا المدى الذي يلمعه تلك الآية الكريمة .
 التي تمثل في روعة رائحة هيمنة الهيمنة . والاستغراق للقاهر . والجلال الشامل .
 والتي لا نعى وحدة متحدة . ولا اتحاداً متطابقاً بين الخالق والخلق . أو العابد
 والمبود . والآية هي : (هو الأول والأخر . والظاهر والباطن)

وهذه الآيات القرآنية التي ذكرناها . हमها أن ندهننا دهناً إلى الشعور بقيومية

٨ - شخصيات - إقامات - عادات

قال رضي الله عنه : «الأنبياء إلى أنهم عطية . ونبياً ﷺ هدية . وورثيهم عطية وأهليهم» . لأن العطية للمحتاجين . والهدية للمحبوبين . قال رسول الله ﷺ : «إنما أنا رحمة مهداة» .

وقال رضي الله عنه في قول رسول الله ﷺ وسلم : «أنا سيد ولد آدم» .
 وقال في قول أبي يزيد رضي الله عنه : «خضت بجزاً وقف الأنبياء بأسحة» .
 وهو : أن أبي يزيد رضي الله عنه يشكو صمعه وعمره عن الحروف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وذلك لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خاضوا بحر التوحيد . وهو على الخراب الأحمر على ساحل المروق . يدعون الخلق إلى الحوس أي فلو

كنت كاملاً لو كنت حيث وقعوا
 قال ابن عطاء الله رضي الله عنه : «وهذا الذي فسر به الشيخ كلام أبي يزيد رضي الله عنه . وهو اللاتق بمقام أبي يزيد . وقد كان يقول : جميع ما أخذ الأولياء بالسبب إلا أحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . كزق ملق عسلاً ثم رشحت منه رشاحة ، فما في باطن الزق للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وذلك لرشاحة للأولياء رضي الله عنهم . والشهود عن أبي يزيد رضي الله عنه التعظيم لرأس الشريعة . والقيام بكمال الأدب . فالخلق تأويل أحوال الأكابر من أهل الاستقامة دون المأمرة إلى الإبتكار» .

وقال في حكاية المطرث من أسد من أنه كان إذ مد يده إلى طعام فيه شبيهة حرك عليه أضغه . مد وقد قدم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لئلا يأكل منه ثم

يسورها للحلاج ليست في كتاب من كنه الوجود لا تسد خصومه ولا يزيدهم

هذا ما كان من أمر الحلاج . وبقيت كلمة :

إن المنطق الصحيح الأيقني المهندس في أبحاث الأطباء . والآجك ذبب باعتباره أيقياً في أعمال المهندسين ..

ومن المدلاة - على هذا الوضع - ألا يحكم على هذه القسم الثامن من هرف ، الحلاج ، ابن الفارض . من لم يبلغ مداهم أوقارهم لقد قيل مرة لأحد شيوخنا الصالحين الأجلاء : إن فلاناً يتقند ابر عزز في الهللات . فقال رضوان الله عليه . وهل من حق الحفاس أن تحكم على أعمال الأسد . إن الحفاس لا تحكم على أعمال السباع . وليس من حقها أن تتحدث بما تفضله السباع . ومنطقها دائماً منطق الحفاس .

أما الإمام الياقضي رضوان الله عليه فإنه يقول عن خصوم سيدنا محي الدين : «إن حكمهم حكم ناموسة على جبل تزيد إزاته من مكانه . وتذهب الريح بأهم من الناموس» . وتبقى الجبال شوامخ راسيات ، بما تثبت الأرض ، وبها يحفظ ميزان الدنيا . اهـ .

والرأي الذي لا يتأق غيره من المصنف ، الرأي الحق . هو ما قاله الإمام الشمراني عن الصوفية عامة . وعن سيدنا محي الدين خاصة : «ولمصرى إن عباد الأوثان لم يجرؤوا على أن يجعلوا آمتهم عند الله . بل قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . فكيف يظن بأولياء الله أن يدعوا الاتحاد بالخلق سبحانه وتعالى . هذا محال في حقهم رضوان الله عليهم واهـ .

فلا بد أن يبلغ الإنسان المستوى ويقارب المستوى . وحينئذ يقول كما قال أسلافنا الذين ملعوا المستوى أو قاربوه . رضي الله عن سيدنا محي الدين . ورضي الله عن الحلاج . وعن ابن الفارض . وتقتنا بهم وبكسبهم .

وكان يوم أنعم الله على نبيه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ؟ قال : نعم يا رسول الله سأبني عن يوم أنعم الله عليّ .
 سمعت جدي وأبي يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .
 وسمعت يقول : قال رسول الله ﷺ : (يا أبا بكر أتريد أن أدعوك لأمر ؟
 قال : وما هو يا رسول الله ؟

قال : هو ذلك .

وكان يقول : أبو بكر وعمر خلفاء الرسالة . وعثمان وعليّ خلفاء النبوة
 وكان يقول : طريقتنا هذه لا تسب للمشاركة ولا للمشاركة ، بل واحد عمر
 واحد إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أول الأقطاب
 وكان يقول : دخل رجل على عثمان رضي الله عنه ، وقد كان نظراً إلى محاسن
 مرة في الصريخ .

قال : يدخل أحدكم وآثار الأثر نادية في وجهه .

وكان يقول : قد يطلع الله الولي على غيبه إذا ارتضاه بحكم النبي المرسل عليهم

لصلاة والسلام . ومن هنا نطقوا بالمعصيات وأصابوا الحق فيها

وكان رضي الله عنه يقول : كان الجنيد رضي الله عنه قطباً في العلم . وكان

سهل السذري قطباً في المقام . وكان أبو يزيد رضي الله عنه قطباً في الخلق .

قال ابن عطاء الله رضي الله عنه : قرأت على الشيخ أبي العباس كتاب

« الرعاية » للحاسبي . فقال : جميع ما في هذا الكتاب يرضى عنه كلستان : احمد

الله بشرط العلم . ولا ترض عن نفسك أبداً . ثم لم يأتني في قراءته بعد

وكان رضي الله عنه يقول : إنما بدأ القشيري في رسالته بالفضل من عباد الله ،

وابراهيم بن ادهم . لأسبابها كما قد تقدم لها زمن قطبية ، فلما أتت أول من عليها .

بدأ بكرهما سبطاً لرجاء المريدين الذين كانت تقدمت سمع الزلات وعمومات ،

وليس أن فضل الله ليس بمطل بعمل ، ولو أنه بدأ بالجنيد ، وسهل بن عبد الله ،

وليس أن فضل الله ليس بمطل بعمل ، ولو أنه بدأ بالجنيد ، وسهل بن عبد الله ،

« بعد كسوته في قلبه . فقال من أين لكم هذا الآن ؟ فقال غلام له : كنت
 كنت تقوم في الجاهلية ، فأعطوني ثم كنهني فتأباه أبو بكر الصديق رضي الله
 عنه . فلم يكن للصديق عرف يتحرك عليه إذا أكل طعاماً فيه شبهة . مع كونه
 أفضل من الحارث بالإجماع .

الحواري : أن أبا بكر رضي الله عنه كان خليفة مشرعاً للساد . حتى يعتقد به

من أكل طعاماً فيه شبهة ولم يعلم فيتكلف طرحه بعد آكله فيبيته الله على ذلك .

والحارث رضي الله عنه . ولم يكن إداركاً مشرعاً ولا قدوة . إنما يعمل شخصاً عم

نصه فقط . ومعلوم أن القدوة ممن شأنه النزول في المقام للتعليم .

ولقد كان الشيخ رضي الله عنه معبياً بأبي بكر الصديق رضوان الله عليه

مبول : كنت أخرج كل يوم من باب البحر إلى نحو المنار . فخرجت يوماً إلى المنار .

فسمعت عند الجانب الشرقي . وكان قد خطر في نفسي : ما سبب قلة رواية أبي بكر

رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ مع كثرة ملازمته له . فإذا قائل يقول لي

أعلم الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه . وإنما قلت

روايته عنه لنحققه به .

وتكلم يوماً في فضائل أبي بكر رضي الله عنه فقال : قال رسول الله ﷺ

« ما فضلكم أبو بكر بصوم ولا صلاة . ولكن بشيء وقر في صدره » ثم قال

« هو هذا الشيء الذي وقر في صدره ؟ فقال بعض الحاضرين : المراقبة

فقال الشيخ : هذا كلام هو قشور . من هو دون الصديق في الرتبة ؟ إذا وجد

المراقبة يستمر الله بها كما يستمر العاصي من المعصية وذلك أنه إذا أضاف المراقبة

لصحة كانه يقول . أنت الرقيب . وأما الرقيب . أبله مع الله . تعالى الله عما

يشركون . . .

يقول ابن عطاء الله السكندري : وسمعت يقول : قال رسول الله ﷺ

والطيب : هو ما أخذته اليد بوصف الفناء . إذ لا وصف له مع مولاه
والصالح : هو ما عاينه العبد من النبع ، يعني من عين قدرة الله سبحانه

بإلى .

وقال رضى الله عنه : قال سهل بن عبد الله : لا تكونوا من أبناء لعمور .

بلا من أبناء المد والإحصاء . وكونوا من أبناء الأزل أشق أم سعيد .

ثم قال رضى الله عنه : يقول أحدكم صليت كذا وكذا ركعة . وصوت كذا .

بكذا شهوا . خست كذا وكذا حجة . حججت كذا وكذا حجة . هؤلاء من

أبناء المد والإحصاء . فهم إلى حد سيئاتهم أئوح منهم إلى حد حسناتهم

وأما أبناء الدهور فيقول أحدكم : لى فى طريق الله سبعون سنة . لى فى طريق

فسترون سنة . وكونوا من أبناء الأزل أشق أم سعيد . يعنى لاحظوا ما سبق فى علم

له . ولا تتكلموا على ما لكم من العلم والعمل . ولكن ارجعوا إلى وجود الأزل

وقال رضى الله عنه : يقول الله عز وجل فى الحديث القدسى :

« لمن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك . وخلقتك من أجل . فلا تتنفل بما

هو لك ممن أنت له . »

وقال رضى الله عنه : « الأكوام كلها صبيد مسخرة . وأنت عبد الحضرة ،

ومعته يقول : حقيقة التبة عدم غير النوى .

وكان يقول : من صحب المشايخ على الصلوة وهو عالم بالظاهر ازداد عسره

صهور .

وكان يقول : إنما يلزم الإنسان تعييد المشايخ الذين استند إليهم إذا كان صريفة

للس الحرقه . لأنها رواية . والرواية يتعين رجال ستمها . وطريقنا هذه هدية

وقد يجذب الله تعالى العبد إليه . فلا يجعل عليه منه لأستاذ . وقد يجمع شمله

برسول الله ﷺ يكون أخذاً عنه . وكفى بهذه منه .

وحبة الغلام وأمثالهم ممن نشأ فى طريق الله . لربما قال قائل : من يدرك هؤلاء ؟
إن هؤلاء لم يستبق لهم زلات ولا مخالفات .

وقال رضى الله عنه : قال الجنيد : أدركت سبعين عارفاً كلهم يعملون الله على

طل وروهم ، حتى انتهى إلى يزيد ، لو أدرك صبياً من صبياننا لأسلم على يديه . فقال

الشيخ : معنى قوله يبديون الله على ظل وروهم ، لا يريد بذلك طناً فى المعرفة ،

ووماً فيها ، وكيف تجتمع المعرفة والظن والروهم . وإنما المراد أنهم وصلوا إلى

مقامات توهموا أن ليس وراءها للموتين مقام .

فقال الجنيد : لو أدرك صبياً من صبياننا لأسلم على يديه . أى يبين له أن فوق

ذلك المقام مقاماً . وفوق ذلك مقام إلى ما لا آخر له . ومعنى لأسلم على يديه . أى

لا نقاد له . فالإسلام هو الأضياد .

وقال رضى الله عنه : قال بشر الحافي رضى الله عنه . منذ أربعين سنة أشتى

الشواء ، فما صفنا لى ثمه . فقال الشيخ رضى الله عنه : من ظن أن هذا الشيخ

مكث أربعين سنة ما وجد درهما حلالاً يشترى به شواء فقد أخطأ ، من أين له فى

الأربعين سنة ، ما يأكل ، وما يلبس ؟

وإنما المعنى فى ذلك : أن هؤلاء قوم أصعب مراتب . لا يأكلون

ولا يشربون . ولا يدخلون فى شيء . ولا يخرجون من شيء . إلا يأذن من الله

وإشارة . فلو أذن له فى أكل الشواء لصفنا له ثمه .

وبهذه المناسبة : يتحدث الشيخ عن أنواع القوت والرزق وأوصافها فيقول

رضى الله عنه : قوت القوم على أربعة أوجه : مباح - وحلال - وطيب .

وصاف .

فالمباح : ما كان مستوى الطرفين . ما على أخذه عقاب . ولا فى تركه نواب

والحلال : هو ما لم يحظر لك بيال . ولا سألت فيه لهماً من النساء والرجال

وكان يقول عن شيخه : كل شيء نانا الله عنه - فهو في معنى شجرة آدم عليه السلام . وكان يقول : للأولياء الإشراف^(١١) على مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وما لهم الإحاطة بمقاماتهم ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يحيطون بمقامات الأولياء . وكان يقول عن شيخه : اصبروا ولا أمتكنم أن تصحروا غيبي . فإن وجدتم مهلاً أعذب من هذا الليل فردوا .

وكان رضى الله عنه يقول : قد يكون الولي مشحوناً بالعلوم والمعارف ، ولحفاً ليدى شهرة حتى أعطى العبارة كالإدب من الله تعالى في الكلام . ويب أن تفهم أن من أذن له في التعبير ، جعلت في مسامح الخلق إشاراته .

وكان يقول : كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة . وكلام الذي لم يؤذن له يخرج مكسوف الأنوار .

وكان رضى الله عنه يقول : والله ما جلست بالناس حتى هدوت . لسب وقيل لي : لمن لم يجلس لسبناك ما وهبناك

وكان يقول رضى الله عنه : لي أربعون سنة ما صحبت عن رسول الله ﷺ . ولو صحبت طرفة عين ما أعددت نفسي من جملة المسلمين .

وكذلك كان يقول في حق الجنة ، وفي الوقوف بعرفة كل سنة

وكان رضى الله عنه يقول : إذا قرئت القرآن فكأنما قرؤه على الله عز وجل وكان إذا سمع أحداً ينطق باسم الله تعالى أو اسم النبي ﷺ . يقرب له منه حتى يلتقط ذلك الاسم إجلالاً أن يبرز في الهواء .

وكان يقول : ما سمعته مني ففهمته . فاستودعوه الله ، يرد عليكم وقت الحاجة . وما لم تفهموه فكلموه إلى الله ، يتولى الله بيانه ، واستغوا في جلاء مرآء طوبكم يتضح لكم كل شيء .

(١١) معنى الاستبراف والتطلع

وكان إذا مدح بقصيدة يخر المادح بإقباله عليه . ويعضيه العطيا

وكان يقول لأصحابه : إذا جامنا رئيس قوم فأخبروني به . أخرج إليه . فإذا يرفه شئى معه خطوات ثم رجع ويقول إن هؤلاء كلهم أنفسهم إلى ريارب .

يحي لم يرحم . وكان لا يأكل من طعام عى له . ولا من طعام أعلم به قبل أن يئيه . وكان لا يدعوه حتى يخرج من مجلسه . يدعوه له نظهر الميب . وكانت صلته بوجهة في تمام . ويقول . هي صلاة الأبدال

وكان إذا سمع أحداً يقول : هذه بية القدر . يقول عن محمد الله أوقاتنا كلها بية القدر^(١٢) .

وكان يكرم الناس على نحو ريتهم عند الله . حتى أنه ربما يدخل عليه المطيع فلا يلتفت إليه ، لكونه يرى عبادته ويخل عليه العاصي فيقوم له . لأنه دخل ذمة وانكسار .

وحدثوا عنده شخصاً بالعلم ، وكان كثير الوسوسة في الوضوء والصلاة . فقال للشيخ : أين علمك الذي تكسبون به هذا الرجل ؟

العلم هو الذي ينطبع في القلب كالبيض في الأبيض . والسواد في الأسود وقال لرجل من الحجاج : كيف كان حجكم ؟

وقال : كان كثير الرخاء ، كثير الماء ، سمر كذا وكذا . فأعرض عنه الشيخ فقال أنتم عن حجهم وما وحدوا فيه من الله تعالى من العلم والعمل والفتح .

يحيون مرحاء الأسفار وكثرة المياه .

وكان لا يشي على مريد بين إخوانه خشية الحسد .

وكان يقول : إذا ضاقت الولي هللك من يؤديه في الوقت . وإذا اتهمت معرفته

(١٢) الذي قال هو ابن عمارة . فقد الكسرى

وسمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول : إن لله عبداً صورا أنفاسه
أعداه ، وأوصافهم بأوصافه . وفواتهم بذاته . وحملهم من أسراره ما يجز عامة

أولياء عن سماعه (١١٨) .

وكان يقول : لا خلق الله تعالى الأرض . اضطربت فارتب ما بالجمال وكذلك
النفس . لا خلقها الله تعالى . اضطربت فأرتبها بما بها العقل .

وكان يقول : الأكران كلها صيد مسخرة . وأنت عبد لحضرة .

وكان يقول لأصحابه : إذا وصلت إلى مكة فليكن مهمك رب البيت لا البيت
ولا تكونوا ممن يعبد الأصنام والأوثان .

وكان يقول : من عرف الله لم يسكر به . لأن في السكون إلى الله صرياً من

الأمن . ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

وكان رضى الله عنه يقول : السماء عندنا كالسقف . والأرض كالبيت .

وليس الرجل عدنا من يحصره هذا البيت .

وكان يقول : الكائنات على أربعة أقسام : جسم كذب . وهو مجردة منك

وجسم لطيف . وهو مجردة جان . وروح شفاف . وهو مجردة ملك . وسر

غريب . وهو المعنى المسجود له . فالأسمى صورته بظواهرها جهاد . ويوجد نفسه

وتغلبه ونشكته . حد . ويوجد روحه منك وبإعطائه السر التريب استحق أن

يكون خليفة .

وكان يقول : ليس العجب ممن تاه في نصف ميل أربعين سنة . إنما العجب

ممن تاه في مقدار شهر الستين . والسبعين . والثمانين سنة . وهو : البطل

وكان يقول : لمن يصل لولم إلى الله تعالى . حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى

(١١٨) السامع هو ابن عطاء الله الكندري

احتمل أذى الظلمين . ولم يحصل لأحد منهم ضرر بسببه . وكان يقول : لحم
الأولياء مسومة . ولو لم يؤخذوا . فإياك ثم إياك .

وكان يقول : نحن في الدنيا بأبداننا مع وجود أرواحنا . وسكنون في الآخرة

بأرواحنا مع وجود أبداننا . قلت : ول هذا رد لمن قال : يكون الناس في الجنة

بأرواحهم لا بأجسامهم وعليه جماعة من أهل الكشف ناقص . وسبب عظيم

شهودهم أهل الجنة يشعرون في أي صورة شاموا . وهذا شأن الأرواح

لا الأجسام . وعاب عنهم أن الأجسام هنا مطوية على الأرواح لا معدومة . كما

أن الأرواح في هذه منظوية في الأجسام

وكان سيدي أبو العباس - رضى الله عنه - يقول : معرفة الولم أصعب من

معرفة الله عز وجل . فإن الله تعالى معروف بكلامه وحاله . وحتى متى تعرف غلظاً

منك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب

سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول :

الطنى على قسمين : طنى أصغر وطنى أكبر .

فالطنى الأصغر : لعامة هذه الطائفة . أن تطوى لهم الأرض من مشرقها إلى

مغربها في نفس واحد .

والطنى الأكبر : طنى أوصاف النفوس (١١٧) .

سمعت شيخنا أبا العباس رضى الله عنه يقول : قال ملك من الملوك لبعض

المعارفين ممن على . فقال له ذلك لعارف : ألى تقول ولم ميدان قد ملكتها

وملكاك . وقهرتها وقهراك . وهما الشهوة والحرس . فأتت عبد عيسى . فكيف

أنتهى على عبد عيسى (١١٧) ؟

(١١٦) السامع هو ابن عطاء الله الكندري

(١١٧) السامع هو ابن عطاء الله الكندري

الله تعالى : أرى انقطاع أدب ، لا انقطاع ملل . نغلبة التفويض على قلبه
وكان يقول : الرول في حالة فناءه لابد أن تبقى معه لطيفة علمية عليها تنزب
التكاليف . وذلك كما يكون الإنسان في البيت المظلم . فهو علاه بوجوده . وإن كان
غير مشاهد .

وكان يقول : علامة حب الدنيا خوف المذمة . وحب الثناء ، فلو زهد لا
حاف ، ولا أحب .

وكان رضى الله عنه يقول : الورع من ورعه الله

وكان يقول : من لم يصلح للدنيا لا الآخرة . يصلح لله .

وكان يقول : من اشتاق إلى لقاء ظالم فهو ظالم .

ومعته (١١٧) يقول : لو عذب الله المخلوق أجمع لم ينلك من عذابهم شيء .

ولو نعمهم أجمع . لم ينلك من نعمهم شيء . وكأنك في الوجود وحدك .

أشد :

أنت المخاطب أيها الإنسان فأصغ إلى بلع لك البرهان

وكان من مذهبه رضى الله عنه : أنه لا يلزم أن يكون القطب شرفاً حسياً .

بل قد يكون من غير هذا القبيل (١٢٠) .

(١١٧) السبع هو ابن صفاء بن السكيتى
(١٢٠) لطائف اللذ

٤ - الأحزاب والأوراد

أخوذ بالله من شيفت الرحيم . بسم الله الرحمن الرحيم (١١)

(الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إناك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين) آمين

(الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه مية ولا نوم . له ما فى السموات
وما فى الأرض . من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه . يعلم ما بين أيديهم
وما خلفهم . ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . وسع كرسيه السموات
والأرض ولا يشوده حفظها وهو العلى العظيم) .

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسوله ، لا يفرق بين أحد من رسله . وقالوا سمعنا وأطعنا غفرناك ربنا وإليك
النعير . لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا
لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من
قبلنا ، ربنا ولا تحمّلنا . لا طاعة لنا به . واعظُ عنا واغفر لنا وارحمنا . أنت
مولانا ، فاصبرنا على القوم الكافرين) .

(٢١) حصلوا هذا الحرب : كتاب لطائف اللذ ، تأليف الإمام تاج الدين بن عطاء الله . وقد بدأ الحديث
بقوله : وما لكى ثبت حوب سلبنا ومولانا الشيخ الإمام قطب الدارين ، وراى التهذيب ، شهاب الدين
أبى العباس أحمد بن عمر البرقى رضى الله عنه ، وإن كان يفتى من كلامه بـ : إنىخ أبى الحسن للشارح
رضى الله عنها

ويقول أيضاً : فإنا حزب شيخ أبى العباس رضى الله عنه فهو صابرو ورواد . حتى بعد العشاء الآخر .

(قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر خالق ، ومن شر غاسق إذا وقب ، ومن شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد) .

(قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس

الخاس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من بينة ولسان)

اللهم يا من هو كملك ، وعلى ما وصفه به عباده الله اصصون من النبي

والصديقين ، والشهداء والصالحين ، والمساء الموقين ، والأزليين المقربين ، ومن

خل سمواته وأرضه ، وسائر الخلق أجمعين . أمألف بها والآيات والأسماء كلها .

والصميم بها . والآية (٢٢١) ، والسيدة (٢٢٢) وكهوتة سورة لقرة . وبالمدى

والخوتية . وتأمي على الموافقة . وكهه الرحمة . ومعك ليلك . ودال اللوام ،

(عبد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . تراهم ركعاً

سجداً . يفتنون فضلاً من الله ورضواناً ، سيأثم في وجوههم من أثر السجود .

ذلك مشبه في التوراة . ومشهم في الإنجيل . كروح شرح شطته قآزه فاستعظ

فاستوى على سوقه بمحسب الزراع ليعيطهم الكمار . وعد لله الذين سوا وعملوا

الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيماً) .

أخون قاف آدم حم هاء آمين .

كهيص : اغفر لي وارحمني برحمتك التي رحمت بها أنبياءك ورسلك

و ولا تخلفني بدعائك رب شتياً ،

وإني خفت ، وأخاف أن أعاف ثم لا أهندي إليك ميلاً . فاهدني إليك .

وأنت بك من كل خوف وخوف . في الدنيا والآخرة . إلك على كل شيء ، قدبر

اللهم يا بديع السموات والأرض ، يا قيوم الدارين ، يا قيوم بكل شيء ،

(٢٢٢) من القاعة

(٢٢٣) سيد آتى القرآن . قبة الكرى

(ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما به

بديه . وأمر التوراة والإنجيل من قبل . هدى للناس وأمر العرفان)

(يأيها المدثر ، قم فأنقر ، وريك فكبر ، وثيابك فطهر ، والربز فاعبر ،

ولا تمنن تستكثر ، ولريك فاصبر) .

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم .

الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم)

(الرحمن . علم القرآن ، خلق الإنسان . علمه البيان . الشمس والقمر

حسبان . والنجم والشجر يسجدان . والسما وضعها ووضع الميزان . ألا تظنوا في

الميزان) . (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) .

سيحان ربي العظيم . سيحان ربي العظيم . سيحان ربي العظيم .

(سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . له ملك السموات

والأرض . يحيى ويميت . وهو على كل شيء قدير . هو الأول والآخر . والطاهر

والناظر . وهو بكل شيء عليم . هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم

سنوى على العرش . يعلم ما يليح في الأرض وما يخبر بها . وما يرل من السماء

وم يرح فيها وهو معكم أينما كنتم . والله عما تعملون بصير . له ملك السموات

والأرض . وإلى الله ترجع الأمور . يولج الليل في النهار . ويولج النهار في الليل

وهو علم يدات الصدور) .

(هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله

يدى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر .

صاحب الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور . له الأسماء الحسى . سبح

ه ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) .

(قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد)

يا حي يا قيوم . يا الهنا لا اله الا انت . كن لنا ولياً ونصيراً وأميناً . وآمانك
من كل شيء . حتى لا نخاف إلا أنت . واجعلنا في جوارك . واحببنا بالذي
حجبت به أوليائك . فترى ولا يراك أحد من خلقك . واصبب علينا من الخير
أكمله وأجمله . واصرف عنا من الشر أصغره وأكبره . طيس . حم . عسق . مرج
الحرين يلتقيان . بينها رزح لا يخيان

اللهم إنا نسألك الخوف منك . والرجاء فيك . والمحبة لك . والشوق إليك .
والأنس بك . والرضا عنك . والطاعة لأمرك . على بساط مشاهدتك . ناظرين
منك إليك . وناظرين بك عنك . لا اله الا أنت سبحانه . ربما ظلمنا أنفسنا وقد
تب إليك قولاً وعقداً . فتب علينا جوداً وعظماً . واستعملنا بعمل نرصاه . وأصلح
لنا في درياتنا . إنا تبنا إليك . وإنا من المسلمين . يا غفور . يا ودود . يا بر .
يا رحيم . اغفر لنا ذنوبنا . وقربنا بؤسك . وصلنا بتوحيدهك . وارحمنا بطاعتك .
ولا تعافنا بالعترة . ولا بالوقفة مع كل شيء . دولك . واحمنا على سبيل القصد .
واعصمنا من جائرها . إنك على كل شيء قدير

اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه . اجمع بينا وبين الصدق والنية
والإخلاص والخشوع والهبة والحياء والمراقبة والنور واليقين والعلم والمعرفة والحمط
والعصمة والشايط والقوة والسر والمفخرة والمصاحبة والبيان والمهم في القرآن .
وحصنا منك بالحق والاصطفائية والتحصيص والتولية . وكن لنا سمعاً وبصراً ولساناً
وقلباً وعقلاً ويداً ومؤيداً وآتياً العلم اللدني . والعمل الصالح . والرزق الهني .
الذي لا حجاب به في الدنيا . ولا حساب ولا سؤال ولا عقاب عليه في الآخرة
على ساطع علم التوحيد والشرع سليم من الهوى والشهوه والطمع . وأدخلنا مدخل
صدق . وأخرجنا مخرج صدق . واجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً
يا الله . يا علي . يا عظيم . يا حليم . يا عليم . يا سميع . يا بصير . يا مرید .

يا قدير . يا حي . يا قيوم . يا رحمن . يا رحيم . يا من هو هو هو يا هو . أسألك
بعظمتك التي ملأت أركان عرشك . وبقدرتك التي قدرت بها على خلقت
وبرحمتك التي وسعت كل شيء . وعلمك المحيط بكل شيء . وبارادتك التي
لا يتازعها شيء . وسمعك وبصرك القريبين من كل شيء . يا من هو أقرب إلى
من كل شيء . قد قل حيالي وعظم افتراضي . وتعد منالي . واقترب شفائي . وأنت
لبصير محبتي وحيري وشهوتي وسوءتي . تعلم ضلالتني وعميقي وفاقتي . وما تبوع من
صفاقي . آمنت بك وأسمائك وصعدتك . وبمحمد رسولك . من ذا الذي
يرحمني غيرك . ومن لدى يسعدني سواك . فارحمي وأرني سبيل الرشاد . واهدني
إليه سبيلاً . وأرني سبيل النجى وجنتي لياها . واصحفي منك النور والحق والحكم
والمصل والبيان . واحرسني نورك يا الله يا نور . يا حي . يا من . افتح لي قلبي
سورك . وعسى من علمك . وفهمتي عنك . وأسمنني منك . وبصرفي بك .
إليك على كل شيء قدير .

اللهم إني أصححت وأنا أريد الخير وأكره الشر . وسبحان الله . والحمد لله .
ولا اله الا الله . والله أكبر . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . لاهدني بسورك
لسورك . فيما يرد عني منك . وفيما يصدر مني إليك . وفيما يجري بيني وبين خلقك .
وضيق على بقربك . واحببني بحبب عزتك وعن حببك . وكن أنت حجابي
حتى لا يقع شيء مني إلا عيب . وسحر لي أمر هذا الرزق . واعصمني من الحرص
والتعب في ظنه . ومن شغل القلب وتعلق الهم به . ومن الدل للفتن بسه .
ومن التكر والتسر في تحصيله . ومن الشغ والحل بعد حصوله . وما يعرض في
العس من ذلك وتعلقه بقدرتك على وفق إرادتك وعلمك . ومن ضرورت
الحاجات إلى حيفك . فاحمه اللهم سناً لإقامة العبودية . ومشاهدة لأحكام
الربوبية . وهب لي خفية من خفياتك . ونوراً من أنوارك . وذكراً من أذكارك .

الرحمة بين يديك؟ أهي عطفتك ملأت قلوب أوليائك . فصرخ لديهم كل شيء
فاملاً قبي عطفتك حتى لا يبصر ولا يعظم لديه شيء ، واسمع بدال حصانك
للطف . فإليك السبح من كل شيء .
اللهم ستر عني مكانك مني حتى عصيتك وأنا في قبضتك واحتوت
، اجترحت فكيف لي بالاعتذار إليك . أهي جذبتك لي أطعمني فيك . وحجابي
عك آيسى من عيرك . فاقطع حجابي حتى أصل إليك ، واجذبني جذبة لا أرحم
بعدها بحورك .

أهي كم من حصة ممن لا تحب لا أجبر لها ، وهم من سيرة ممن تحب لا وور لها .
فاجعل سباني سيئات من أحييت ، ولا تحمل حساني حسنات من أبتغيت . فإن
كروم الكرم من السيئات أتم منه مع الحسنات . فأشهدني كرومك على بساط
رحمتك . وروصي بقصصك . وصرني على طاعتك فيما أحرثت على من أترك
ويوتك . وأزرعني شكر ممتك . وعطني برداء عويتك حتى لا أشرك بك مع

الريد المسنون بكرم وعدك . إلك على كل شيء ، قدير .
أهي مصيبك نادق بالطاعة . وطاعتك نادق بالمصيبة ؛ ففي أيها أحافك ،
وق أيها أرحوك . إن قلت بالمصيبة هبتي بمصلاك . فلم تدع لي خوفاً وإن قلت
بانصاعة هبتي بمدلك فلم تدع لي رحماً . هبت شمري كيف أرى إحصائي مع
إحصائك أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك قاف جيم . سران من سررك
وكلامه دالان على عيرك . فبالسر الخاطيع الدال عليك لا تدعني لعيرك . إلك على

كل شيء ، قدير .
يا لله . يا غفار . يا منعم . يا هادي . يا ناصر ، يا عزيز ، هب لي من نور
أحسانك ما أتحقق به حقائق ذاتك . واقفح لي واغفر لي . وأنتم على واحدني .
وانصرون وأعزوني . يا معر لا تدلني بتدبير مالك . ولا تشغلني عنك بما لك . فالكل

وسراً من أسرارك . وطاعة من طاعات أنبيائك . وصحبة ملائكتك . وتوكل أمرى
بذاتك . ولا تكلمني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك . واجعلني حصة من
حسانك . ورحمة بين عبادك . تهدي بها من نشاء إلى صراط مستقيم . صراط الله
الذي له ما في السموات وما في الأرض إلا إلى الله تصير الأمور .

لهم اهدني لنورك . واعطني من فضلك . واسمعي من كل عدو حولك ،
ومن كل شيء يشغلني عنك ، وهب لي لساناً لا يفتر عن ذكرك . وقلبا يسع بالحق
ملك . وروحاً يكرم بالنظر إليك . وسراً ممتحاً غفائق قريك . وعقلاً جاثلاً يجلال
عطفتك . ووزن ما ظهر وما طعن من بأنواع طاعتك ، يا سميع يا علم . يا عزيز
يا حكيم .

اللهم كما خلقتني فاهدني . وكما أمتني فاحيني . وكما أطعمتهم فاطعمني
واسقني ، ومرضى لا يخفى عليك فاشفني ، وقد أحاطت بي خطيئاتي فاغفرلي ،
وهب لي علماً يوافق علمك ، وحكماً يصادف حكمك ، واجعل لي لسان صدق
بين عبادك ، واجعلني من ورثة جنتك ، ويخفى من النار بحفوك ، وأدخلني الجنة
حالا ومآلاً برحمتك ، وأرني وجه سيدنا محمد نبيك ، وارفع الحجاب فيما بيني
وبينك . واجعل مقامى عندك دائماً بين يديك وناظراً منك إليك . واسقط اليبس
عني حتى لا يكون شيء بيني وبينك . واكشف لي عن حقيقة الأمر كنعفاً لا طلب
بعده لبيدك ، مع الريد المفسون بكرم وعدك ، إلك على كل شيء ، قدير .
يا الله . يا عظيم . يا سميع . يا علم . يا بر . يا رحيم . عيرك قد أحاطت به
خطيئاته ، وأنت العظيم . ودلالي كأنه لم يسمع وأنت السميع ، وقد عجزت عن
سيمة نفسي . وأنت العظيم . وأنى لي برحمتها وأنت البر الرحيم ؟ كيف يكون ذنبي
عظيماً مع عظمتك ؟ أم كيف تخيب من لم يبالك وتترك من سالك ؟ أم كيف
أسوس نفسي بالبر . وضعتي لا يعزب عنك ؟ أم كيف أرحمها شيء . ونزواتي

كلك ، والامر أمرك ، والسر سررك . علمى وحودى ، ووجودى علمى . فالحق

حقك ، والجمل جملك ، ولا إله غيرك . وأنت الله الحق المبين .

يا عالم السر وأخفى ، يا ذا الكرم والوفاء . علمك قد أساط بعبك وقد شئى فى
طلبك . فكيف لا يشئى من طلب غيرك . تعلقت بى حتى علمت أن طلبى لك
جهل ، وطلبى لغيبك كفر . فأجرب من الجهل ، واصصق من الكفر . يا قريب
أنت القريب وأنا البعيد ، قريب أبأسى من غيرك ، وبعدى عنك رضى للطلب
لك . مكن لى بفضلك حتى تمحى طلبى بطلبك . يا قوى يا عزيز . إنك على كل
شئ قدير .

اللهم لا تعلمنا بإرادتنا وحسب شهواتنا ، فنشغل أو نحجب أو نمرح بوجود
مرادنا . أو نحزن أو ننسخط أو نسلم تسليم الفراق عند الفقد . وأنت أعلم بقلوبنا ،
فأرحمنا بالنعم الأكبر ، والمزيد الأفضل ، والقوى الأكمل . وغيبنا وغيب عنا كل
شئ . واشهدنا إناك بالإشهاد وانصرنا فى الحياة الدنيا ويوم تقوم الأشهاد .
يا الله ، يا قدير ، يا مرید ، يا عزيز ، يا حكيم ، يا حميد ، إنا نسالك
بالقدرة العظمى ، وبالشفقة العلىا ، وبالآيات والأسماء كلها ، وبهذا العظم منها أن
تسخر لنا هذا البحر ، وكل بحر هو لك فى الأرض والسما والملك والملكوت ، كما
سخرت البحر لوسى ، وسخرت النار لإبراهيم ، وسخرت الجبال والحديد لداود ،
وسخرت الريح والشياطين لسليمان ، وسخرت لنا كل شئ . يا من بيده ملكوت كل
شئ ، وهو يحير ولا يحار عليه ، يا عليم ، يا عظيم ، يا حليم يا عليم ، أمين قاف
دم حتم هاك أمين اهـ .

ومن دعائه وذكره :

١- لا إله إلا الله الأول الآخر ، الظاهر الباطن ، محمد رسول الله ، السيد

الكامل . الفاتح الحاتم .

٢- ومن ذكره أيضاً : يا الله يا نور يا حق يا مين ، اسى قلبى بتورك ، وأتمنى

شهودك وعرفنى الطريق إليك .

٣- ومن ذكره أيضاً : رب اغفر لى ، واجعلنى لك عبداً ذائب النفس

بأوراك ، مطموس الحسى جلالك ، واغفر لى وللمؤمنين والمؤمنات .

٤- ومن دعائه : اللهم اغفر لى ، واسئرنى ولا تفضحنى فى الدنيا والآخرة ،

ومسئنى ومهينى ، وأرحمنى وفرحنى ويرن وفرحنى من كل شئ . لا من ذكرتك

وطاعتك وطاعة رسولاك . وعماك بعقاب رسولاك ^{عليهم}

٥- ومن دعائه عقب كلامه : اللهم كن بنا ربهناً ، وعلينا عطفواً ، وخذ

بيدينا إليك أخذ الكرام عليك . اللهم قوسنا إذا اخرجتنا ، وأعنا إذا استقمنا ،

وتخذ بأيدينا إذا عذبا ، وكن لنا حيثما كنا .

٦- ومن دعائه رضى الله عنه : اللهم ارزقنى من كثر لاسول ولا قوة

لا بالله . فإنها كثر من كنوز الجنة . واضربنى بما ضرباً تمحق به من قلبى كل قوة ،

واعسى بذلك الرق من ملاحظة المس والخلق . وأخرجنى به عن دل الفقر

والشدبير والاختيار . ومن العلة والشهوة ومشية المس واقهر والاصطراب إنك

على كل شئ قدير

٧ ومن دعائه رضى الله عنه : باسم المهيمن العزيز القادر أجل كل شئ .

وهو ناصرى فى حين من انصرنى فإنك خير الناصرين . ولتغنى لى بملك حير

العالمين . وارزقنى بملك خير الرزقين . واهدنى ويخنى من القوم الظالمين

٨- ومن دعائه رضي الله عنه : يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه . اجمع بيني وبين طاعتك على بساط مساعدتك . وقرئ بيني وبينهم هم الدنيا وهم الآخرة . وبني عمر و أمرهما واجعل همي أنت ربلاً قلبي بمحبتك وبهبة بأوارك ورضخ قلبي بسطاط حفتك . ولا تكنني إلى نفسي طرفة عين . ولا أقل من ذلك .

١٠- مسجده وضرجه

أقام أبو العباس المرسي في الإسكندرية ثلاثاً وأربعين سنة ، ينشر العلم ، ويذنب العيوس ، ويضرب المثل بوجهه وتقواه . إلى أن انتقل إلى حواربه في الخميس والعشرين من ذي القعدة سنة ٦٨٥ هـ ودفن في الإسكندرية في مقبرة باب البحر . إلى أن كان سنة ٧٠٦ هـ حين رأى الشيخ زين الدين بن القطان كبير نحار الإسكندرية رؤياً . فبنى عليه مسجداً . وقد خضع هذا المسجد لتطورات كثيرة حيث أعاد باده الأمير فحاش الطاهري والي الإسكندرية في أواخر القرن التاسع الهجري . وبنى لنفسه قبراً فيه . وفي سنة ١٠٠٥ هـ جدد بناءه الشيخ أبو العباس السنقي . ودفن فيه بعد وفاته . وفي سنة ١١٨٩ هـ زار الإسكندرية الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله المرزي وجدد معظم أجزاء المسجد ووسع بعض أواجهه . وفي سنة ١٢٨٠ هـ جدهه أحمد الداخاني شيخ طائفة البنايين . وأوقف عليه أوقافاً كثيرة .

وفي سنة ١٩٢٧ م أعدت وزارة الأوقاف مشروعاً لإعادة بناء المسجد ، وإنشاء ميدان فيصبح أمامه . ووضعت الأسس للبناء الجديد في أوائل سنة ١٩٢٩ م . وتم المسد في سنة ١٩٤٤ م . فأصبح أجمل مساجد المدينة .

ولقد كان مسجد أبي العباس المرسي مركز تجمع للمظاهرات الشعبية التي قام بها السكندريون خلال ثورة سنة ١٩١٩ م . إذ كانت تخرج منه عمدة أعيان المدينة

كما اتخذ منه رجال الدين ملتقى يجتمعون عنده . ويثور من عن مثبه الدعوة إلى الكفاح والتضحية في سبيل الحرية والعدالة .

ويقول أحد المؤرخين القدامى : وحدثني قاضي القضاة بالإسكندرية قال فبر سيدى أبي العباس عندما تزيق بحرب . ما قصد الله عبده أحد في شيء إلا استجاب له كما قال أهل بغداد في فريسيها معروف الكرخي رضي الله عنه وكان قومه في جبانة عليها حائط قصير . ارتفاهه قدر ثلاثة ذرع وفي قبلة الجبانة

عرب للصلاة . وعلى قبره سارية مكتوب فيها .
(يتشرون سمعة من لله وهصل . زاب لله لا يصبح أمر المؤمنين)

إلى قوله : (واتبوا رسول الله . والله ذو فضل عظيم) .

وفها تاريخ وفاته كما تقدم

قال : فبنى عليه زين الدين المذكور . لما رأى هذه لكرامة ورد الله عليه ما ذهب عنه . بناه عظيم . ومسجداً للصلاة . وصومعة للأذان من أحسن صوامع الإسكندرية ، وحسن عيبها حسناً كبيراً للمؤذن والإمام والقم وصار رمزاً عظيماً ومقاماً كريماً .

معنا الله وبركاته في الدنيا والآخرة . إنه سمح مجيب . والحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلّم على نبيه الأمين . وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هدبه إلى يوم الدين

الفصل الثالث - دعوى الشيخ عبد الواحد

العارف بالله

الشيخ عبد الواحد يحيى

١- كيف عرفت عبد الواحد يحيى

إني لأذكر ذلك اليوم المشمس الحليل من شهر يونيو سنة ١٩٤٠ ، فقد صحت من نومي مبكراً ، أتأهب لخوض غمار معركة علمية هي : مناقشة رسالة الدكتوراه في جامعة السربون . سرت في طريق ميمساً شطر الحامية . وكنت أهب سكب لأجدد لا رحوف يحلله -رحوم، ونفوساً يصروها، اندعرو يطاردونها، تحرف وقد كان الألمان يخشون الخطى إني قلب باريس ، ويدكون ، في عصف ، كل ما يعترضهم من قلاع وحصون ، ولكنني كنت مشغولاً عن هذا كله بما يزيد في نفسي ويحول بذهني من اعتراضات سلتق وقتقد سيوجه . ووصلت إلى فرد لسربون . به . في أجد صديق بول ريفوليني - وهو من الروس اليمى اللير هجروا إلى باريس - ينتظرنى ويده كتاب هو : « صوفية دانت » وطلب إلى - وصه إلى الشيخ عبد الواحد يحيى في مصر . إذ كان من القرد عندى أن أسامر عد ذلك اليوم الذى تناقش فيه رسالتى . حاولت أن أعرف من صديقى من هو الشيخ عبد الواحد يحيى . فأثر الصمت عمداً .

وانتهت المناقشة . ومرت الأيام يجيرها وشرها وحلوها ومرها - ووصلت لى

الهيئة إلى القاهرة - ولم يكذبني في ما أقام فيها حتى يمست شرط ضاحية اللقي باحفا
من الشيخ عبد الواحد . وفي شارع نزال ، ميلا طامطة ، طرقت الباب . فأظن
الخدمة التي أعطيتها الكتاب . وظلت إليها أن تستأذن في مقابلة الشيخ . ثم وفقت
نظر الإذنه بالدخول فأذاني - أجد الخادم مقبلة نحوي . ويدها مقفلة من الحسب
عليه مسحة المشونة والنظف . ونظت إلي أن أنتظر هنيهة من الزمن .

وجلست أمام الباب في الشارع أنتظر . الدقائق تمر والانتظار يطول . أرى
الخادم مقبلة فأتيت للدخول . ولكنها تطلب مني أن أنتصرف اليوم . غير مطرود .
وأحصر في الفد في الساعة الحادية عشرة . فأنصرفت متأخياً . وفي نفسي دهشة .
وعلى وجهي شيء من طابع الخجل . ومع ذلك فقد أثارت هذه الحادثة وعني ل
أن أرى هذا الشيخ الذي يضع الكرسي في الشارع للرازيين . والذي يأمرهم
بأنصرفوا اليوم . ليحضروا إليه في المد

وحصرت من العدد في الموعد المصروب . وكنت دقيقاً كالساعة . وطرقت الباب
في قلبي إشفاق . وفي نفسي نطلع إلى الدخول . ولم يكن حظي في هذا اليوم
يسعد منه في اليوم السابق . فقد صرحت ولكن لا إلى موعد يبعث في المرس
لأمل . بل أبلعت عن لسانه ما أنكب إليه ما أريد وهو يتولى الرد على ما أحب .
وأنصرفت بعد أن أضمت يميني في محاولة ثقائه . لم أنكب إليه . فلم يكر
تسبي وده وإبجائه بقدر ما كان يعني لقاءه . ثم لم أنكب إليه . وفيه أنكب
به . . . ومرت الأيام ولم يزل من نفسي هذا السؤال . . من هو هذا الشيخ
من الواحد يجي ؟

وفي يوم من الأيام كنت أزرع مسيو دي كومين مدير البعثة العلمانية الفرنسية
مصرف وهو شخص له خطره وأثره ومكانته في الأوساط المصرية . وحري الحديث
من العادة في فتونه وشؤونه . وإذا به يسألني هل أعرف رينيه جينو . فلما أجبت

بأنني أخذ يجدهني منه ومن اسمه الاسلامي : عبد الواحد يجي . فحدثته عما كان
يقول ويديه : فرحاني أن أعود إلى محاولة ثقائه من جديد . وأن أستأذن له كذلك في
ثقائه . ولكنني مع ذلك لم أجد في نفسي عزيمة تدمعها إلى إعادة اعارلة فقد كان
الكرسي الخشب لا يزال ماثلاً أمام ناظري . . ومرت الأيام أيضاً .

وفي ذات يوم يحمل إلى البريد خطاباً من أستاذة جليل يقول فيه : إن مسيو
ميكور ماديرو ، وزير الأرجنتين للفرص في مصر قد زاره بمكتبه ، ورجاه في أن
يرشده إلى شخص يمكنه أن يتحدث معه عن الفلسفة الإسلامية ، والتصوف
الإسلامي ولم أجد من يصلح لهذه المهمة سواك وطلب إلى أن أقابله . .

والتقيت بالوزير فكان أول ما يفتخر به : أعرف رينيه جينو ؟ ومر يدهني
مرة أخرى الكتاب والكرسي الخشبي وحديث مسيو دي كومين . وذكرت كل
ذلك للوزير . وقال الوزير : إنك قد وصلت إلى نقطة حاسمة . هي معرفة بيته .
وفي هذا نصر عظيم إذ أن الصحفيين الفرنسيين والسويسريين وغيرهم يأتون إلى
مصر . فيجلبون من بعض مهامهم البحث عنه ويتجهون أول ما يتجهون نحو
الأهرم وهي سيدنا الحسين أو السيدة زينب . ولكنهم لا يعثرون له على أثر .
يهودون وفي نفوسهم حسرة . لأنهم لم يقضوا وطراً شهياً من زيارة مصر .
وصح منا الغرم ذات يوم . أنا وسيو ماديرو . على أن نغترق الحساب
المصروب بيتنا وبين الشيخ عبد الواحد . .

لا يزال أذكر ذلك اليوم . وكان يوم أحد . حيث وقفنا أمام باب فيلا
طامطة . ندق الجرس . وبعد برهة إذا شيخ طويل القامة بكاد وجهه يقضى . نوراً .
عليه سمت المهابة وطابع الوقار والجلال . نشع عيناه ذكاه . ونطق قسائمه بالصلاح
والتقى . إذ بهذا الشيخ يضع الباب بنفسه . ويقف أمامنا وجهاً لوجه . فالتقينا إليه
بالسلام فرد التحية . ثم سألنا عن مقصدنا فأبلغه الوزير سلام أحد أصدقائه . فإبان

مكر مع
شعري
وإنفاق
من آفاق
فصية مجهولة .

وتناعت لأبام وسافر الوزير ومات الشيخ عبد الواحد .
مكرات خفيه
ثم هيا لله في نفع كتاب منقذ من الصلال بلاء
مصرف
بهدية في سخط تصوف جمعت من بعض فصولها تلخيص في
الشيخ عبد الواحد . وقد نال هذا الفصل استحساناً كثيراً لدى القراء .
على أن السخيف نوعاً ما في دراسة الشيخ وكان هذا الخمر وياتر .
مركبت وزله أيب

٧ - جيد وجينو

قال صحيح^(١) :
- تحدث مع جيد عن جينو : فإنه كثيراً ما يلتقي الآن بمرود ، وهو هو السيد
عبد الله .
كثرت على صلة بالسيد عبد الله . فقد كان فرنسياً اعتنق الإسلام . وكان
ينسب روحياً بل حصر الذي كان يقيم حينئذ في القاهرة .
دون انقطاع .
كان جينو في القاهرة . الملقبة لمركزية على ما يقولون التي .
(١) من حديث حماد بن الحارث بن الكاتب ، يروي عن أبي مسعود .
فصير الحديث أندريه جيد . شرفه على فرنسا - آسيا ، باحصار .

تبع اسم صديقه حتى أدول لما بالدحم .
من المسكن أن يكون الموقف حرج .
وبسجلت دأكر آراء الشيخ عبد الواحد .
والشيخ عبد الواحد صامت لا يكاد يـ
أن يسمح لها بأن تعود لزيارته مرود .
وحتى عددا إلى المفوضية بعد نداء .
لقد قائلنا اليوم شخصية هامة .
أسعد الوزراء .

- أعظم .
- رئيس الوزراء .
- أعظم .
- ملك .
- أعظم .
- رساء .

- إنه على كل حال شخصية إلهية .
فالت في دهشة واستعراب . أخفاً الملا من سعيدين .
وعدا وتكررت الزيارة . وتحدث الشيخ .
سيرة لما أن عزله هذه إنما هي عزة بال .
سفة الوقت بالأحداث الشخصية الناهية .
بمرة فليس يتنا ويته إذن حجاب .
واستطفا بعد ذلك أن محرجه من ذكره ، وأن يصحه إلى مسجد اللطان
، الملا في الليلة الكبيرة من مولده ، وحلسا ، حلقة من حلقات الذكر . فأخذ

لا يمكن متوقفاً . و قطع جيد الصمت بصريح لم تكن بعد .
فقد قصي الأمر . و سمعت من لكر عتياً . و تحطت البربح .

في قلب الإنسان فيده حياته رأساً على عقب .

و واقع حديسنا : أني أحب الحياة . أحبها في قوة . و أحب تنوعها .

ولا أريد أن أسرم نفسي من متعتها عظيمة الأكران . لا أريد أن أسرم كل ذلك

في سبيل الوحدة . الوحدة للهمة . اللامحدودة^(٢١) .

و يمكنه جيد بقلبه في و جهاله : إن السيل عند الله . حتى اعتنق

إسلامه . قد مهد لي الفرصة لقرءة كتب جينو^(٢٢) .

ماذا كنت أصير لو صادفت هذه الكتب في ريعان شبوب .

بدي استغرقت فيه في قراءة . و طريقة للوصول إلى الحياة السعيدة .

بدي كنت أنتبه فيه إلى دروس الفيلسوف فيثت هادو و ديه

ولكن كتب جينو لم تكن قد ألفت حيتل . و إذا كانت موجوده . . . فإن الس

قد تقدمت لي . و لقد قصي الأمر ولم يعد في الإمكان عمل : سي .

لم يعد في الإمكان الرجوع الفهري إلى سن الشباب المقدم . و صح دهي

مجرداً عن الروية . وليس من السهل عليه أن يتقبل هذه الحكمة . و قد

جينو . إنني على مذهبي ديكارث و يكون . و سأظل كذلك

عند الله . و أنا ملهم و جينو .

(٢١) عن العدد ٨٠ من مجلة روبا - آسيا ملهم و جينو .

(٢٢) ألفت جينو ما يرب من سبعه عشر كتاباً بالفرنسية . و قد ترجم منها أربعة .

و بالإنجليزية . و ترجم منها إلى الألمانية و الإيطالية و الألبانية .

و من الطريف أن كتابي من كتب قد ترجم إلى لغة الحب . و لأجل أن تشر ترجم .

و سمعنا الفرحم كشرح لوصية الهالاي لاما . و ثالث عشر

و كان الشرح - وهو الترجمة - يتبعها بالعبارة : قال لاما مطم مرول . . . ولم يدم . . . من البيت ذلك و

أن هذا اللاما المرول العظيم كان يشرح حفيظة وصية وديهم اللين

في الناحية الروحية . و كنت أنا و زوجتي قد أخذنا بنظر والمر من الثقافة التي كتبها

جينو . و كنت معجباً بأرائه . و استمر هذا الإعجاب على مر الزمن

تقد انقل جيد و عبد الله و جينو . من هذا العالم إلى حيث يكونون وهم . أما

عبد الله - و كان يسمى بالفرنسية جورج - فقد توفاه الله في مكاس - توفاه الله

صديقاً . و حيناً . مضطجماً على فراش صلاته . مسجى في ثيابه البيضاء . و

بده السبعة .

لقد وجدوه نائماً على فراشه . عيناه مبلتان . و صباه تشير إلى السماء

كان عبد الله في حياته يعيش حياة الزاهد . و سير متواصلاً في ثيابه الطيبة

الطاهرة . كان متحدثاً لائماً : و كان لحديته . و هو ينساب من بين شفتيه في سهولة

و يسر . جادية لطيفة . كان قد تعلم لغة الفصاح . و كان يفهم مصورها في دقة . و

يمكن على شيء . من السج أو الادعاء الكاذب . و كان يضم بين جوارحه الإيمان

الحار و التواضع المثالي .

قال صاحبي : تحدث مع جيد عن جينو . . . و تحدثت . . .

قال جيد : إذا كان جينو على حق فإنه من الواضح أن كل آرائ تصحح عدنية

القيمة . إنها تنهار انهاراً تاماً .

فقال أحد الحاضرين : و يرافقتها في الانتصار كثير من آراء أمة الفكر . آراء

الفيلسوف . و متني . مثلاً .

فاستغرق جيد في التفكير . و بدا عليه عدم الرضا بهذا الاحتمال . بل بدا عليه

القلق . ثم أعلن في صراحة : إنني حقاً ما أجد شيئاً فقط أعترض به على ما كتبه

جينو . إن ما كتبه لا يتطرق إليه النقض .

و ساد المجلس صمت عميق . ولم يجرؤ أحد على أن يتعرض لنقض ما أعلن جيد

فنه أنه لا ينقض . بل بدا على وجوه القوم الرضا بما قال جيد . و إن كان ما قاله

مادياً ، وإذا كانت باريس تمنح ذلك للمسلمين المسيحيين ، فسيتم دفعه رسمياً ،
 ونجماً وجدانياً لمن لم تفهم الدنيا وزينتها .
 وقد كان جينو من هذا النمط الأخير . كان منطلقاً إلى الغربة . سره نهما
 الصوق . كان يتطلع إلى السماء يريد أن يخترق الحجب ، وأن يكشف عنها . وأن
 يرجع للمسيح ، وأن يصل إلى الحق .

وقد كان منظره إذ ذاك مثل الإمام الغزالي بالضبط . ولو عبر عن جينو ما
 وجدنا أيرخ من حديث الإمام الغزالي عن نفسه إذ يقول :
 «وم أزل في عنفوان شباني - منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ سن العشرين إلى
 الآن وقد أذاف السر على الحسين - أقتحم لجة هذا البحر العمير . كرسفة ل
 وأحسض عنونه خوص الجبور - لاخوض الجيان الحدور - وجرى ل كل
 مظلمة - وأتجهم على كل مشكلة ، وأتضم كل وروطة . وأتحمض عن سببة كل
 موقفة . وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة . لأميز بين حق وسحر . وتستين
 وبتبع لا أعادر باطناً إلا وأحسب أن أطلع على مظانه . ولا ظلمة لي يزيد أن
 أعلم حاصل ظهارته . ولا طليماً إلا وأقصد الوقوف على كنه طبعه .
 إلا وأجتهد في الاطلاع على عاية كلامه ومجادته - ولاصديقاً إلا وأحرم من العشر
 على سر صفواته . ولا متعبداً إلا وأرصد ما يرجع إليه حاصل عبادته .
 معطلاً إلا وأتجسس وراهه . لكتبه لأسباب جراته في تعطيله دورته»
 وقد كان التطش إلى درك حقائق الأمور ذاتي وديني . هو الذي
 ودعيان عمرى ، غريرة ونظرة من الله ، وضعت في جلتى ، لا يابح أرب رجيلتى ،
 حتى أجتلت عنى رابطة التقليد ، وانكسرت على المفائد الموقرة ، على قرب عهد
 من الصبا .
 كانت تلك بالضبط حالة جينو . ولقد أخذت باريس تشبه إلى حد بعيد عن

حداً إن كتب جينو رثمة . وإنه لمل هدى فيما يتعلق بأرائه الخاصة بالثاني
 السبة للقلق الذي يسود العالم الغربي ، ولكن الماطرة الخطرة ، والمصاراة الحديثة ،
 التي ألقينا سفناً فيها مجازفين غير متحفظين . هي أهل لأن تحصل من أهلها
 ما تشبه لما من متعصب . يربيه ذلك فإنا لا نستطيع الآن ، ولو حاولنا . أن نعود إلى
 البرواء . يجب أن نسير إزاء فيما شرعنا فيه . إلى الأمام . وأن ننشئ به إلى عايه
 معها كانت هذه المية . وانتهى باختصار .

من هو جينو ؟ كيف كانت حياته ؟ وما هي آراؤه ؟
 ذلك ما سأخذ فيه الآن إن شاء الله .

٣- حياة جينو

ولد جينو في بلدة بلوا^(١) في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٨٦ من أسرة درسية كاثوليكية
 محافظة كانت تعيش في يسر ورخاء . فقد كان والده مهندساً ذا شأن
 وحياة جينو لاتسم بموادث معينة . فقد كان هادئاً وديماً . وكانت تتوح
 عليه . منذ الطفولة يحايل الذكاء الخاد . وقد بدأ تعليمه في إقليمه الذي نشأ فيه .
 وكان دائماً متوقفاً على أقرانه . وانتهى به الأمر سنة ١٩٠٤ إلى نيل شهادة
 البكالوريا . بعد أن نال جوائز عدة كانت تمنح للمتفوقين . وفي هذه السنة
 سنة ١٩٠٤ م سافر جينو إلى باريس لتحضير الليانس ، ومكث عامين في
 الدراسات الجامعية ، ولكن باريس لم تدعه يستمر في دراسته المدرسية المحدودة
 فقد فحمت له أبواباً أخرى كلها للذة . وكلها نعيم . ولا تقصد لذة حسية . أو مبعية
 شهوة . صناعة البسكويت والشكولاته . وقد نشأ فيها كثير من الشعير

(١) هي بلدة فرنسية على سبيل الوارد . على بعد ١٧٢ كم من باريس . يبلغ عدد سكانها ٥٠٨٧٨ نسمة

حيات والشكليات . وتقدم له الكثير من التواصي القنابية الروحانية . كانت
 • ليس مفعمة بالمدارس مختلفة الألوان . كان فيها للفسونية . وكان فيها المدارس
 • في تنسب الى الهد . أوالى التبت ، أوالى الصين ، كان فيها الروحانيين . على
 • خلاف الوائهم ومشارهم وتزعاتهم ، بل كان فيها هؤلاء اللذين يبالغون السحر ،
 • والتنجيم ، والتصرف في العناصر ، وتخضير الأرواح ..
 • وتؤكد طائفا التلصم الجامعي غير آسف عليه . وأخذ ينهل من هذه المايح الخلفه .
 • قد انشعب إليها . واتصل بها عن قريب . وعرف ما تهدف إليه . بل أسهم في
 • نشاطها . ومنحته هذه المدارس فوجاتها الكهنوتية السامية ...
 • ولقد كانت حصة الويقة بهذه المدارس المباشرة في انفصاله عن أغلبها .
 • بعد أدرك الطبيب منها واخيث . وهدته بصيرته القنادة . وهداه رأيه القوم إلى أن
 • حجة الكثيرة من هذه المدارس إنما هي شكلية سطحية لاتصل بالإنسان حقيقة
 • • معرفة ماوراء الطبيعة . أو إلى اعتزاق حجاب الحاسن . فأتخذ في الانفصال عنها
 • شيئاً وثيقاً . وما إن تخلص جيتو من هذه التزعزعات حتى أنشأ سنة ١٩٠٩ م مجلة
 • سماها « المرقة » . وهذه الملة اتسمت بالطلع التي كانت تدير عليه مجلة أخرى
 • سقتها كانت تسمى « الطريق » ، وهي ذات طابع صوفي .

كان يسهم في إصدار مجلة « الطريق » ، ويشرف على تهجيرها ، عالم فرنسي
 • تته شمبرينو . وقد اعتنق شمبرينو الإسلام ، وتسمى باسم عبد الحق ، واستمر
 • يسهم في إصدار مجلة الطريق من سنة ١٩٠٤ إلى سنة ١٩٠٧ . ثم . لأسباب
 • ملة . انتهى إصدار الملة . وفي هذه الأثناء تعرف جيتو بعد الحق ، وساعد
 • مد الحق جيتو في تحرير مجلة المرقة . وكانت الملة تنشر الأبحاث عن الإسلام .
 • من البداية الهدية ، وعن البداية البودية . وكنت في الوقت نفسه تنفذ كل
 • ما لا تراه مستقبلاً في المدارس التي تنسب إلى الروحانية .

استمرت هذه الملة إلى سنة ١٩١٢ وفي هذه السنة اعتنق جيتو الإسلام

وتسمى باسم الشيخ عبد الواحد يحيى .
 كيف اعتنق جيتو الإسلام ؟ ولم اعتنقه ؟ وهل يد من أسلم ؟

هذه أسئلة وضعتها التريون وأخذوا يفترضون مختلف العروض للإجابة عنها
 ولكن آراءهم لم تخرج عن أن تكون مجرد فروض .

ولقد قال جيتو إنه اتصل بمسلي الأديان الشرقية عن طريق مباشر . وكيف
 اتصل بهم ؟ ونحن منهم اتصل أ ثم إن جيتو أهدى أحد كتبه إلى نبيه
 عبد الرحمن طيش (١) . فمن هو هذا الشيخ عبد الرحمن طيش ؟ وكيف عرفه
 جيتو ؟ وهل هو الذي هداه إلى الإسلام ؟ وكيف ؟

كل هذه الأسئلة كانت غامضة حتى التي عليها الأستاذ طلس الذي اعتنق
 الآخر الإسلام . وأتقن لغة القرآن . شيئاً من الضوء في بحث مستفيض نشر في عد
 يناير - سنة ١٩٥٣ من مجلة « إند ترايسبول » الفرنسية . وهذا البحث ملحه
 فيما يأتي .

(١) أسرة الشيخ طيش طيش أسرة مغربية أشهر حلالاً هو الشيخ عبد طيش الكبير ١٧١٨ - ١٧٩٩ م .
 درس الشيخ عبد طيش في الأزهر ثم جلس التدريس في ١٢٤٥ م . وكان يحضر عليه ما يعرف عن أدب
 اللغة . وقد نقلت شريحة السادة المالكية والإمام بالخير المصرية سنة ١٢٧٠ م . وتذكر لملحظ يومه
 كان في حال حياته مستقراً رسمه في التأليف . والتدريس . والعبادة متصفاً من الدنيا وأهلها . لا . . .
 قد لوما لأم ، ا . وقد ألف الكثير من الكتب في مختلف العلوم التي تدرس بالأزهر
 والطريف هو أن لشيخ طيش في ١ بوية سنة ١٨٨٢ م حطب مملحاً والجيش الذي حطس في
 الفروع في ندى الكفار ، وأنش على رؤسائه وهل وطنيتهم . وكانت هذه الملة تتعارض كل له
 سياسة الخلفه نوبن . ولكن الشيخ طيش لم يبال به
 ثم اتقى الشيخ طيش طيش طريف الخليلي توفيق من الذين كسروا السهم من الرية ، حيات به ووطا .
 الشيخ عبد هذه الفتوى في الجمعية العربية في ٢٢ بوية سنة ١٨٨٢ م ، وكان الخليلي قد أساء
 منزل حرابي ، وقد اوال الأفضله في المؤلف . وفيما يجب حله لا تفتك آرائهم على عدم قبول مر .
 وقوت الجمعية وقف أوامر الخليلي وعدم تعديها .

بمالية كانت تصدر في القاهرة سنة ١٩٠٧ تسمى : مدني .
 كانت الروح التي تتود هذه الجلة ، هي روح الشيخ الأكبر محمد بن عبد الوهاب .
 وكانت هذه الجلة تغير طبيعة طبقات أجيال أخرى صدرت فيما بعد . وهم فيها
 جينو بنظ والر . وكان من ألم محرري مجلة النادي - سوهاج في ذلك نفسه العربي
 وقسمها الإبطالي - هو عبد الحادي . وعبد الحادي هذا من أصل كرتاوي وينتمي
 وبأسميها . وكان اسمه : إيفان جوستاف ، ثم اعتنق الإسلام . ونفسه لبرية
 ونجد يكتب في مجلة القلائد . ويطلع فيها الرسائل الصوفية الإسلامية من
 بزهد ، الشيخ الأكبر . ويترجم بعض النصوص وقد تحدثت هذا مجلة كثيراً
 عن الشيخ عبد الرحمن عيش . ولقد كتب فيها الشيخ عيش نفسه مدحة خاصة

بمحمد الدين بن عربي .
 وكان عبد الهدى عل صلة شخصية طمناً بالشيخ عبد رحمن عيش . قد
 أعطانا عن مطومات نفيسة . إنه يراه من أشهر رجال الإسلام . وروى عن كبار
 رهبان لدهب الملكي . بما هو نفسه فقد كان حكيماً عميقاً بحكمة . كان عذراً
 من جميع . سواء في ذلك الرجال المديون ثم الأمراء والسلاطين .
 كثير من الجماعات الدينية المنتشرة في جميع أنحاء العالم الإسلامي . وكذا رجاس
 رضاء الإسلام . سواء في ذلك ما يتصل بالجانب الصوفي . أو جانب الفقه
 أو الجانب السياسي ؛ ومع ذلك فقد ابتعد هو ووالده عن الأوسد السياسية
 ومزماراتها . وكانت صفاتها الكريمة . وقشورها في الحياة . ومعرفتها
 المستقيمة العميقة ، وحسها المريق . كل ذلك مما يربها إلى مركز يرب في العالم
 الإسلامي ، يد أنها لم يغير ذلك الفناء والزما مرضاة الله .

أما شهرتهما بالتصعب التي لا أساس لها . فقد كان مصدره مروي شهيرة
 كانت نتيجتها كما يقولون ثورة عراقى باشا سنة ١٨٨٢ . وفي هذه سنة - سنة

الشيخ عيش والشيخ عبد الواحد :
 إن الصلة بين الشيخ الأكبر ، سيدنا محي الدين بن عربي ، وبين الشيخ
 عبد الواحد يادية ظاهرة .

ولقد اعتنق جينو الإسلام بواسطة شيخ يتسب إلى روحانية الشيخ الأكبر .
 أعنى الشيخ طيش الكبير وهو الشخص الذي أهدى إليه جينو أحد كتبه في هذه
 العبارة : وإلى الذكرى المقدسة . ذكرى الشيخ عبد الرحمن عيش الكبير .
 الملكي . للمعروف . الذي أدين له بالفكرة الأولى لهذا الكتاب . من مصر القاهرة
 ١٣٢٩ - ١٣٤٧ هـ .

وهذا الشيخ المصري يمتنا من ناحية أخرى ، لأنه فضلاً عن صفته الصوفية
 السامية ، كان له صفة أخرى ، فلقد كتب جينو في أحد خطاباته يقول : « كان
 لشيخ عيش شيخ مع من الطريقة الشاذلية ، وكان في الوقت نفسه شيخ للدهب
 الملكي بالأزهر » .
 والشاذلية طريقة أسسها في القرن السابع الهجري الشيخ أبو الحسن الشافعي وهو
 صورة من أروع الصور الروحية في الإسلام .

كان الشيخ الذي يتسب إليه جينو ، إذن ، يجمع بين صفتين ، هما : الحقيقة
 والشريعة ، كان شيخ طريقة ، وشيخ مذهب ، وهذا له أهميته بالنسبة لتطعيمه
 فيما يتعلق بتقديرنا لآرائه من الناحية الإسلامية .

وبما يبين ملاحظته في عبية ، أن هذا الشيخ هو الذي يدين له جينو بالفكرة
 لأول لكتابه : « رمزية الصليب » ، وهكذا كان هذا الشيخ يفتح السبل أمام
 جينو ، ويهديه الطريق ، ولذلك ينبغي أن نعرف للقراء بهذا الشيخ ، وبالواسطة
 التي كانت بينه وبين جينو . والمعلومات التي ستصلحت عنها مصدرها مجلة عربية

التفلي ، وإلى السور الرومي للشيخ جبريل .
وقد نشرت مجلة النادي مقالة للشيخ جبريل عن معنى الدين وقد اختتمها بشكراً
لهدى الهادي بسبب ماأداه للحضارة من خدمة جليلة هي تعريف الناس
بمعنى الدين ، ثم ينتهي الشيخ بأن بحث هدى الهادي على أن يستمر في متابعة
درساته الصوفية غير معنى بما يثيره حوله من من لم يفهموا الإسلام على حقيقته .
وما إن نشرت مقالة الشيخ في مجلة حور عس في العدد الثالث أنه تألفت جمعية في
إيطاليا وى الشرق لدراسة ابن عربي ورحمته والأكرية ، ووضعت منهاجاً هو
التالي :

١- دراسة ونشر تعاليم الشيخ هجى الدين سواء مايتصل منها بالشريعة
ومايتصل بالحقيقة ، والتمسك على صبر مؤلفاته ومؤلفات تلاميذه ، وشرحها ،
وإلقاء محاضرات خاصة به وأحاديث نصح آراءه .
٢- جمع أكبر عدد ممكن من معسى الشيخ ابن عربي ، وعقد صلة قوية
بينهم ، تقوم على لأخوة وتؤسس عز التراط الفكرى ، بين النجبة المثقاة من
الشرقيين والغربيين .

٣- تقديم المساعدة المادية والتشجيع الأدي لمن هم في حاجة إلى ذلك ممن
يتبعون الطريق الذى اختطه هجى الدين بن عربي .

ينشرون دعوتهم بالقول أوبالعمل

٤- ولا يقتصر عمل الجمعية على ذلك

الصوفية الشرقيين ، كجلال الدين الرومي مثلاً

يستمر ابن عربي .

٥- ولا صلة للجماعة قط بمائل السياسة ،

عن دائرة البحث في الدين والحياة .

يسامر

عقل

عقل

عقل

عقل

١٨٨٢ - زج بالشيخين في السجن ، وحكم عليهما بالإعدام ، وقد مات الأب
في السجن ، أما الشيخ جبريل الرحمن فقد استبدل حكم الإعدام فيه بالنفي .
ولكن الحفظ السببي ناعمه في مناه ، كانت شهرته وكان حسيبه وسله الداني
كان كل ذلك من عوامل الشك فيه ، وانتهت في حماقة ، بأنه يتطلع إلى إقامة
الحلقة الإسلامية لحسابه أو لحساب سلطان مراكش ، فوضع في السجن من
جديد ، ولكن وضعه في السجن هذه المرة كان بناء عن أمر أمير مسلم .
ومكث عامين في زنزاعة لا تطاق ، حيث العقوبة والروائح الكريهة . وغير ذلك
مما تضيق به النفس . ولأجل يمث الرعب في نفسه كانوا يعملون أن يقتلوا أمامه
بعض من حكم عليهم بالإعدام ، ثم أخرج من السجن ونفى إلى رومس .
ولقد أقام أيضاً في دمشق ، حيث التقى بطمو الفرنسيين العتيد : الأمير
عبد القادر الجزائري ، فتألفت بينهما صداقة وطيدة ، كان من أسسها الحب القوي
في نفسيهما للشيخ الأكبر الذى كان الأمير يكرمه وفيه ، في آخريات حياته ،
لدراسه ، وحمله إصعابه به ، على أن يمولى الطبعة الأولى لكتاب الفتوحات
المكية . ذلك الكتاب الذى تبلغ صفحاته حوالي ٢٥٠٠ ، ولما مات الأمير كتبه
الشيخ وصل عليه ودفنه في الصالحية بجوار مقبرة الشيخ الأكبر هجى الدين بن
عربي .

وأصدرت الملكة فيكتوريا العفو عن الشيخ . فعاد إلى مصر وأقام في القاهرة ،
وأحد نوره يتبعث من القاهرة إلى جميع أقاليم العالم الإسلامى . وكان يتعد ،
ويعد تلاميذه عن جميع الصفائر ، وكان تأثيره قوياً إلى درجة أنه حيسما تلقى
برجل شرقى ، ترى فيه سمو الأخلاق وسمة المعرفة ، فيجب أن تعلم أنه شادلى ،
والشادية^(١) لا شك مدينة ، في احتفاظها بالمثل العليا للسه التى أقامها أبو الحسن

(١) هذا رأى هدى الهادي . ورجل الصفوف الخفيفيون كلهم عجم وكلهم بركة

ول هذه السنة نفسها توقفت مجلة المعرفة عن الصدور فأخذ الشيخ عبد الواحد يكتب في مختلف المجالات ، أخذ يكتب ضمن الجرح الماسوية ، فأثار سخط الماسويين . وأخذ يكتب عن الجرح البرونستانية ، فأخذ سخط البرونستانيين وانقد الروحانية المريفة أنى وجدت ، ففتقبت منه سلفين يتسربوا إلى الروحانية الحديثة .

في سبتمبر سنة ١٩١٧ عين الشيخ أستاذاً للملعة في الحرير ، مصر بها عاماً عاد بعده إلى فرنسا ، وعين في مدرسة بلده ، ولكنه استأن بعد عدة نضاه في التدريس ليشرح لأخائه ، وكان من ثمره هذا الضريح أن نشر في سنة ١٩٢٦ كتابين هما

١ - مدخل للدراسة العقائد المتولية .

٢ - التيزوقية : تاريخ دين مزيف .

وتوالى نشر كتبه ، وتوالى مقالاته في مختلف الجرائد .

وفي سنة ١٩٢٥ فتحت له مجلة : « قناع إيروس » صدرها فأخذ يكتب فيها ، وانتهى به الأمر في سنة ١٩٢٩ أن أصبح أهم محرريها ، ذلك أنه مصر - عرضته عليه المجلة من رئاسة التحرير .

ومن بين من التفوا حوله في تحرير المجلة العالم الصليح الأستاذ شير - سي ألف كما بالفرنسية من بينها كتاب : « عين القلب » ، وقد اعتنق هذا نه الإسلام أيضاً ، وهو يدين ، برغم أصالته وعبقريته ، إلى جيو بكثير من عذماته .

ثم عرض بيت من بيوت النشر في باريس ، على الشيخ عبد الواحد أن يسافر إلى مصر ، ليتصل بالثقافة الصوفية ، فينقل نصوصاً منها ويترجم بعضها . فقبل العرض .

وفي ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٠ سافر إلى مصر لهذا الغرض ، وك - عرض أن

وبدأ عبد الهادي ينشر دراساته الصوفية ، وقد ساعده الخط . فوجد حوالي عشرين رسالة لابن عربي مخطوطة ، فادرة الوجود . نقيصة القيمة ، فأخذ في تحليلها ولكن المجلة للأبغ لم تسلم من شر أعداء التصوف ففضي عليها ورأى عبد الهادي ، مناعاً لإشارة الشيخ عليش ، أن يحاول إقامة صلة روحية بر - لشرق والغرب ، فسافر إلى فرنسا حيث التقى بيجينو .

وكان جيو إذ ذاك يصدر مجلة باسم « المعرفة » ، فأخذ عبد الهادي في سنة ١٩١٠ يساهم فيها بجد ونشاط . لقد نشر فيها أبحاثاً . ولكنه نشر فيها على الخصوص ترجمة كثير من النصوص الصوفية إلى اللغة الفرنسية . وأثمرت مرافقته لجيو أن عقد به وبين الشيخ عليش صلة قوية مبنية عن طريق تبادل الرسائل والآراء . وكنت النتيجة أن اعتنق جيو الإسلام سنة ١٩١٢ ، بعد أن درسه دراسة مستفيضة . وقامت الحرب سنة ١٩١٤ فأوقفت كل نشاط يتصل بالدين والروح والفكر وسافر عبد الهادي إلى أسبانيا ، وهناك ، في بلدة برشلونة ، توفاه الله سنة ١٩١٧ وحمل جيو راية الجهاد فاستمر بيني على ما أسسته ، الأكبرية : : تلك الجماعة التي نتجت نبع الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي .

والواقع هو أن الذي وجه جيو هذه الوجهة ، هو الشيخ عليش ، والشيخ عليش إعا كان امرأة تعكس صورة الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي . وهو أسبق مظهر للتصوف الإسلامي والعقيدة الإسلامية . وإذا كان الشيخ عييش مالكياً محافظاً ، فإن تصوره لا يخرج عن العالم الإسلامي . وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة له فإنه كذلك أيضاً بالنسبة لتلميذه جيو .

• • •

وفي السنة التي اعتنق جيو فيها الإسلام وتسمى باسم الشيخ عبد الواحد بجي . أعنى سنة ١٩١٢ . تزوج من فتاة فرنسية من إقليم

كانت هذه السيدة أديبة مشهورة ، وصحفية لامعة ولا عجب في ذلك فقد كتبت من أسرة لامرئيين ، وقد اعتنقت الإسلام ، وواصلت عنه حزنا لله خير خير ، ولقد وصف الكاتب المشهور أنكريه روسو - حيث كان في القاهرة إذ ذاك - حدة الشيخ عبد الواحد مكعب في حريدة الفيحانزو الفرنسية يقول :
 « شيعت حنارته في اليوم التالي لوفاته ، عذب تحت معشه ، كما هي العادة ، كمش وأسيل دمه على حبة المنزل ، وسار في الجنازة وزوجه وأطفاله الثلاث ، وبخزفت الحماره اللدة بل أن وصلت إلى مسجد سيدنا الحسين حيث صلى عليه ، ثم سارت الحماره إلى مقبرة الدراسة . لقد كانت جنازة متواضعة مكوبة من الأسرة ومن بعض الأصدقاء . ولم يكن فيها أي شيخ من مشايخ الأزهر ومن أسبق عبد الواحد في مقبرة أسرة الشيخ محمد إبراهيم .

وكان آخر ما قال لزوجه : « كوني مطمئنة : لن أتذك أبداً . حقيقة أنت لابرتيني ، ولكنني سأكون هنا وسأراك » .

ويضيف روسو : « والآن حينما لا يلتم أحد أطفالنا المدعو فإننا نقول : « كيف نحرؤ على ذلك مع أن والدك بطر ابلك ، فيلتم الطفل السكون في حضرة والده اللامرئى » .

وفي ٩ يناير وصلت إلى باريس بوقية نعلن : « وفاة ربييه جيترو العيلوب والمستشرق الفرنسي » . وما إن وصلت هذه البرقية حتى أخذت المصحف والحلالت ونشر مختلف المقالات عن الشيخ تحت عناوين مختلفة منها : « حكيم كان يعيش في ظل الأهرامات » ، « نيلسوف القاهرة » ، « أكبر لروحانيين في العصر الحديث » ، « ووصفوه « بالوصلة المصوبة » ، « وبالدرج الحصين » . ثم خصصت « علة « إيتودترا ديسوبيل « عدداً ضخماً كتب فيه الكثيرون من كتاب فرنسا . ربح

المقالات

يقضى فيها بقصة أشهر قط . ولكن هذا العمل اقتضاه مدة طويلة ، ثم عدل بيت النشر عن مشروعه ، فاستمر الشيخ عبد الواحد يحيى في القاهرة ، يعيش في حي الأزهر ، متواضعا ، مستخفياً لا يتصل بالأوربيين ، ولا ينتمس في الحياة العامة ، وإعاً يشغل كل وقته بديراساته .

كاتب والده وزوجه ووالده قد توفاهم الله قبل حضوره إلى القاهرة ، فحضر إليها وحيداً ، ووجد الكثير من المشاق في معيشته متفرداً ، فخرج في سنة ١٩٣٤ كريمة الشيخ محمد إبراهيم ، فهدت له حياة من الطمأنينة والهدوء . وانتقل بها من حي الأزهر إلى حي الدقي . واستمر يرسل المقالات إلى فرنسا ، وينشر الكتب مستريحاً إلى عطف زوجته ووعايتها ، وورقه الله بفتاين ، سمي إحداهما خديجة ، والأخرى ليل ، وورقه بولد سماه أحمد ، كان له قره عين ، وبعد وفاته بأربعة أشهر أتت زوجته بولد سمته عبد الواحد .

ولقد حاول الشيخ عبد الواحد بمجرد وصوله إلى القاهرة ، أن ينشر فيها الثقافة الصوفية ، فساهم مالياً وأديباً في إخراج مجلة « المعرفة » . وقد بدأت المجلة وعليها طابع التصوف ، ولكنها ، فيما يبدو ، لم تجد الإقبال المنتظر ، فأغلقت تسم شيئاً شيئاً بالطابع الأدبي . ثم توقفت عن الصدور بعد ثلاث سنوات من حياتها . ومكث الشيخ عبد الواحد في القاهرة يؤلف الكتب ، ويكتب المقالات ويرسل الخطابات إلى جميع أنحاء العالم كان حركة دائمة . حركة فكرية وروحانية ترسل رسائلها إلى كل من يطلب الهداية والرشاد .

واستمر هكذا إلى أن أتاه المصير المحروم في ٧ يناير سنة ١٩٥١ تحيط به أسرته الكريمة ، ويحواره السيدة فلتين دى سان بوان ، تلك السيدة العظيمة التي أقاتت في القاهرة منذ سنة ١٩٢٤ ، واستقبلت الشيخ عند حضوره . واستمرت صديقة له طيلة إقامته بالقاهرة ، ثم ودعت الوداع الأخير .

وكذلك خصصت له مجلة « فرسا - آسيا » عدداً ضخماً كتب فيه كذلك كتب من الكتاب الفرنسيين ولكن جيو كان عالمياً. ولذلك أوسعت المحتل صدمم - ليكتاب - الألائل ، والإنجليزية ، وغيرهم من عربيين وشركيين . فكسروا المقالات - المستقيمة التي تناولت آثوره بالتحليل والتقدير . وأخيراً خصه الكاتب الفرنسي الشهير بول سران بكتاب حاصم تناول فيه بواجبه المتعددة ميدياً إعجاباه العظم وتقديره السامى .

ولكن ما كتب عنه لم يكن كله من هذا النمط . فقد كان هناك أعداؤه . كان هناك الماسونيون المنحرفون . وكان هناك المسيحيون الحاقنون . وكان هناك المشاهير هذه الحضارة المادية التي هاجمها جينو ولمسا في غير ماراتة أرحمة . وقد كتب هؤلاء كلهم ضد جينو . وأخذ الخلاف بين أنصاره وأعدائه وكانت النتيجة من ذلك كله حيراً وبركة . حدث ذلك الكثيرون على قراءة كتب جينو . وفي قرأته الخير كل الخير وكانت النتيجة الماسرة لذلك كله أن اضطرت وبهاقت حجج المبشرين ضد الإسلام . وأخذ الإسلام يفتز أوروبا في بعض أفراد من طبقها المثقفة . وتكوت الجماعات في فرنسا وسويسرا تريد أن تنهج نهج الشيخ صد الواحد وتسير على منواله

ولا يتألى أن تزك المجال دون أن ذكر بعض ماسبق أن كتباه عن الشيخ لقد كتبنا عنه في الكتيب الذي نشرناه بعنوان : « أوروبا والإسلام » . مايل : أما الذي كان إسلامه ثورة كبيرة . هزت ضمامر الكثيرين من ذوي الصائر الطاهرة ، فاقننوا به ، واعتنقوا الإسلام ، وكونوا جماعات مؤمنة عظيمة ، تميد الله على يقين في معاقل الكاثوليكية في فرنسا . وفي سويسرا .. فهو العالم الفيلسوف الحكيم . الصوفى « ريبه جينو » الذي يدوى اسمه في أوروبا قاطبة وفي أمريكا .

والذي يعرفه كل هؤلاء الذين يتصلون اتصالاً وثيقاً بالدراسات الفلسفية الدينية في أوروبا ، أو في أمريكا :

وكان سبب إسلامه بسيطاً منطقياً في آن واحد :
لقد أراد أن يمتص بعض مقدس . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فلم يجد - بعد دراسة عميقة - سوى القرآن . فهو الكتاب الوحيد الذي لم ينله تحريف ولا تبديل : لأن الله تكلم بصفه ، وحفظه حقيقة . زابا نحن زلنا الدكتور وأنا له لحافظون .

لم يجد سوى القرآن نصاً مقدساً صحيحاً ، فاعتم به . وسار تحت لوائه فصره الأمن التسامى في رحاب الفرقان .

ومؤلفاته كثيرة مشهورة من بينها كتاب : « أزمة العالم الحديث » و« بين الانحراف المائل الذي تسير فيه أوروبا الآن ، والضلال المين الذي أمسى العرب عمر سواء السبيل

أما كتابه : « الشرق والغرب » فهو من الكتب الخالدة ، التي تجعل كل شرق يفتخر بشريته . وقد رد فيه إلى الشرق اعتباره ، مبيناً أصالته في الحضارة ، وعموه في التفكير ، وإنسانيته التي لا تقاس بما مادية الغرب وفساده وامتناعه للدم . وعلوانه الذي لا يقف حد حد . وظلمه المزيس على المادية والامتلاء . ومظهوراً في كل صفحة من صفحاته نيل الشرقين وعصفهم وفهمهم للأمر بهما يفتق مع الفضية ومع أسمى المبادئ الإنسانية .. !

وقد كتبنا عنه تقريراً لإحدى جامعاتنا المصرية ، للتعريف به ، ونشره فيما بعد . ريبه جينو من الشخصيات التي أنقذت مكابها في التاريخ ، بصفه المسبور بخوار الإمام القرألى وأمثاله . وبصفه غير المسلمين بخوار أطولطين ، صاحب الأملاطونية الحديثة ، وأمثاله .

وإذا كان الشخص ، في بيتنا الحالية ، لا يُقدَّر التقدير الذي يستحقه إلا بعد وفاته . فقد كان من حسن حظ : « ربييه جيو » أنه قُدر في أثناء حياته . وقد حدد وفاته . أما في أثناء حياته فكان أول تقدير له أن حرمت الكنية قراءة كنه . والكنية لا تفعل هذا إلا مع كبار المفكرين . الذين تحسنى خطرهم . وقد وضعت بذلك مجوار عباقرة الفكر ، الذين اتخذت تجاههم نفس المسلك ، ولكنها رأت في « ربييه جيو » خطراً يكبر كل خطر سابق ، فعزمت ، حتى الحديث عنه . وإذا كان هذا تقديراً سلبياً له قيمته ، فهناك التقدير الإيجابي ، الذي لا يقل في أهميته ، عن التقدير السلبى ، فهناك هؤلاء الذين استجابوا لدعوة « ربييه جيو » فألموا جمعيات في جميع العواصم الكبرى في العالم . وعمل المخصوص ، في سويسرا . وفي فرنسا ، والكوتون لهذه الجمعيات . احتلوا حلو « ربييه جيو » فاتخذوا الإسلام ديناً ، والطهارة والإخلاص وطاعة الله . شعاراً وديناً ؛ ويكفون ، وسط هذه المادية السابغة ، وهذه الشهوات المغلقة ، واحسات جسية ، يلحاً إليها كل من أراد الطهر والطمأنينة .

ومن التقدير الإيجابي أيضاً ، أن كنيه . برسم تحريم الكنية لقراءتها . قد انتشرت في جميع أرجاء العالم . وطبعت المرة بعد الأخرى . وترجم الكثير منها إلى جميع اللغات الحية الناهضة . ماعدا العربية . للأسف الشديد .

ومن الطريف : أن بعض الكتب ترجمت إلى لغة : الهند الصينية . ووضعت كشرح للوصية الأخيرة من وصايا « الدالاي لاما » . ولم يكن يوجد في الغرب شخص متخصص في تاريخ الأديان . إلا وهو على علم بآراء « ربييه جيو » . كل هذا التقدير كان في حياته .

أما بعد مماته . فقد زاد هذا التقدير . لقد كتبت عنه جميع صحف العالم . ومما بعض الصحف المصرية العربية . كالمصور مثلا . الذي كتب عنه . و

سغافه . والصحف الإروغية أيضاً ، كمجلة « إيبيت نوبل » . وكتب عنه . عدة أسابيع . ثم أصدرت نكتب عنه كل عام في « برزبان » . وقد خصصت له مجلة « فرنسا - آسيا » وهي مجلة معتزة ، عند « آسيا » . كتب في كبار الكاتيب الشرقيين والقرين ، واقصحه بتقليد شاعر « ربييه » وألمرية جيدة ، له « ربييه جيو » وقوله في صراحة لا ليس فيها . . . « ربييه جيو » لا تنقص .

وحصصت محبة ، « بيوندر ، ديسوبيل » . وهي مجلة التي تصدر في « ربييه جيو » من التصوف الصحيح . عدداً ضخماً من أعدادها . كتب في « ربييه جيو » الكاتيب الشرقيين والقرينين .

ثم خصص له الكاتيب الصحى الشهير « بول سيران » كتاباً صحه . بحث فيه عن حياته وعن آرائه ووضعه كما وضعه الآخرون . الذين كتبوا عنه . المكان للاتق به مجوار الإمام المنزالي أو الحكيم أفولطين .

شأ « ربييه جيو » في فرنسا من أسرة كاثوليكية . نزيه محصه . مرهف الحس . مرهف الشعور . مرهف لوحدان . منجهاً طبيعه فأخذ والأعدث القديمة . وهاله . حينما صحح تفكيره . ما عليه قومه من « ربييه جيو » . فأخذ يبحث في حد عن حقيقة ؛ ولكن أين هي ؟ أتى الشرق أم في نهر . وعمل هو في لسماء . في لأرض .

أين الحقيقة ؟ سؤال وجهه « ربييه جيو » إلى نفسه . كما وجهه « ربييه جيو » نفسه للإمام الحاسبي . والإمام المنزالي . والإمام محيى الدين بن عربي . ونأق من ملهم عشرات من المفكرين الذين أبوا أن يستقيموا للتقليد الراسخ .

فترا الشك والحيرة والألم للمض . ثم يأتي عمون الله . وكان « ربييه جيو » بالنسبة له « ربييه جيو » أن هوته أشعة الإسلام الخالدة . وغمره ضياؤه « ربييه جيو » . فاعتنقه

٤- دفاعه عن الإسلام

تعد أخذ المشركين مدد زمن بعيد يخلفون الأباطيل مد الإسلام . ولكنهم كانوا كناطق الصحرة يرتد عنها وامن القوى . والله غالب على أمره

(إنما نحن كذآنا الذكُور وإنآ له لحافظون) .

لقد اتهم المشركون الإسلام بأنه لا يشر الرحابة لعميقة . مرد الشيخ عبد الواحد هذه الشبهة ردآً عنيفآً في فصل عن التصوف الإسلامي . مقارناً بين

وبين التصوف المسيحي ، وستحدث عنه فيما بعد .
واتهم المشركون الإسلام بأنه دين سيف . لم يشر بالبرود . وإنما اتشر بعد الحسام . وأرجحوا بأن الحضارة الإسلامية لم تسم بالقوة الدتية . التي تجعلها تؤثر في أقاليم غير التي نشأت فيها . ولذلك كانت حضارة أقليمية محببة تسهم في التقدم الإنساني .

وكما رد الشيخ عبد الواحد على التهمة الأولى في أبحاثه عن التصوف الإسلامي . فقد رد كذلك على التهمة الأخيرة مما لا يدع لأراحييف المشركين مكانآ ، ونحن نذكر رده فيما يأتي :

١- الإسلام والسيف :

تعود الغريون أن ينظروا إلى الإسلام على أنه دين يتميز طامعه الحربي . وإذا ذكر السيف في المصوص الإسلامية فهمة الغريون فهماً حروبياً . ولم يأت لهم قط أن يسألوا أنفسهم عما إذا كان له معنى آخر .

وعما لا شك فيه أن الإسلام لا يتلوس جانب حربي . ولكن ذلك ليس عاصماً

وتسمى باسم الشيخ عبد الواحد يحيى . وأصبح جنديآً من جنوده يدافع عنه ويدعو إليه . ومن أمثلة ذلك ماكتبه في كتابه : « رمزية الصليب » فتنبأاً للقرية التي تقول : إن الإسلام اتشر بالسيف . ومن أمثلة ذلك أيضاً ماكتبه في العدد الخاص الذي أصدرته مجلة : « كايه دي سود » . في عددها الخامس بالإسلام والمغرب وطامآً عن الروحانية الإسلامية . لقد أنكر الغريون روحانية الإسلام أو قتلوا من شأنها . وأشادوا بروحانية المسيحية وأكبروا من شأنها . ووضعوا التصوف المسيحي في أسنى مكانة ، وقلوا من شأن التصوف الإسلامي .

كتب الشيخ عبد الواحد يحيى . مبنياً سمو التصوف الإسلامي وروعته ، وقارن به وبين مايسمونه بالتصوف المسيحي . أو « المسيحية » وانتهى بأن هذا « المسيحية » لا يمكنه أن يبلغ ولا عن بُعد . ما بلغه التصوف الإسلامي من سمو ومن جلال . على أن الشيخ عبد الواحد يحيى لم يشد بالإسلام فحسب ، وإنما أشاد في جميع كتبه ، وفي مواضع لا يأتي عليها الحصر ، بالشرق ، ثم خصص كتابآً ضخماً بعنوان : « الشرق والغرب » قزبل قراءته من نفس كل شرق مركب النفس الذي غرسه الاستعمار في نفوس الشرقيين في هذه السنوات الأخيرة . لقد ذآب الاستعمار على أن يخرس في نفوس الشرقيين أنهم أقل حضارة بل أقل

إنسانية من الغربيين

وأتى الشيخ عبد الواحد : قلب الأوضاع رأساً على عقب ، وبين للشرقيين فينتهم ، وأسم منح النور والمداية . وشرق الوسى والإلهام .

إن كل شرق يفخر بشرقيته بمجرد قراءته لهذا الكتاب ، وهو ليس كتابآً يشيد بالشرق على الأسلوب الصمعي ، أو على الطريقة الإنشائية ، وإنما هو كتاب علمي بأدق المعاني لكلمة علم ، وهذا وحده يكفي لأن يفهم الشرقيون مظاهر التكريم للشيخ عبد الواحد ، اعزازآً منهم بالجليل . والله الموفق .

ونظراً أننا لسنا في حاجة إلى أن نبين العلاقة الوثيقة في اللغة العربية بين كلمة الإسلام والسلام ، فإن ذلك من الواضح بحيث لا يحتاج إلى تبيان ، وفي الشئ جلية في حديث شريف قوله الرسول ﷺ عند رجوعه من إحدى الغزوات وهو :
 « رحمنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » ، فالجihad المقننة الخارجية حتى جهود الأصغر ، في حين الحرب الداخلية ، حرب النفس ، هي الجهاد الأكبر ، وأهمية الجهاد لأصغر أدنى تعتبر ثانوية بالنسبة لأهمية الجهاد الأكبر ، وفي مثل هذه الأحوال يكون من الطبيعي جداً أن ما يستعمل في الحرب الخارجية قد يتخذ منها ما يتعلق بالحرب الداخلية ، وبمثل ذلك على الخصوص فيما يتعلق بالسيف وما ينبغي ملاحظته أن الخطيب في أثناء خطبة الجمعة ، يمكن بيده سبب وإنه لمن الواضح أن الخطيب حينئذ ليس في حالة حرب بلغة العادي منه ، وما ينبغي ملاحظته أن الخطيب في أثناء خطبة الجمعة ، يمكن بيده سبب

كلمة ، على أن يسهه عادة يتحدد من حسب ، فلا يمكن والحالة هذه إلا أن يتحد

رمزاً ، إنه على الخصوص رمز لقوة تأثير الكلام في النفس .

أما حديثه فإنها رمز للبناء والدمم بواسطة الأسلوب ، إن الخطيب يتحد

بالخطابة أن يقوم المستمعين إلى الإيمان بفكرة ، أو أن يبتني من رؤوسهم الإيمان

وهذه المعاني الرزوية لسيف لا توجد في الإسلام فحسب ، وإنما وجدت في

غيره من الديانات ، والسيف ، أحياناً ، رمز للمحور ، وهذه الفكرة فيها تـ

الهدف الذي اتخذته الإسلام للحرب فتمسك ، سواء كانت داخلية أم خارجية -

تعني التناقض والانحزام - ومن البين ، أصبح أن المحور هو المكان الذي يستند

عنده المتعارضون ويرون تعارضهم . . . بعد أكثر : هو مكان التوازن الدائم ،

وهو الوسط الذي لا يطرأ عليه التغيير

وما ينبغي ملاحظته بالنسبة للإسلام ، يهرف بين الحرب ، وهو

بالإسلام ، فإنه يوجد في أكثر الأديان ، ويوجد في المسيحية إما لا يريد في هذا المقام أن تذكر كلمة المسيح نفسه : « لم آت لأهمل السلام سلافاً وإنما أتيت بالسيف ، لأنها قد تحمل حمل السخريه .

ولكن تاريخ المسيحية ، في المصود الوسيطى ، أعنى تلك المصود التي انتشرت فيها وادهرت ، يقدم لنا الدليل الكافي على جانبها الحربي ، بل إن الديانة الهندية ، التي يأخذ عليها كثير من الناس أنها لا تدعو إلى العمل ، لا تخلو من الجانب الحربي الذي يتمثل في بعض نصوصها .

إن أي شخص لم يعمه رأى فطير من رؤية الحق ، من السهل عليه أن يفهم أن الحرب ما دامت موجية ضد هؤلاء الذين يعشرون بالنظام الاجتماعى ، فلها تعبير مشروعة ، من أجل إعادة النظام واستنابه ، إنها ليس إلا مظهرًا من مظاهر العمل ، حينما يفهم العمل بمعناه الأعم . لا بد إذن من الجانب الحربي في كل دين لتحقيق العدالة ، وإشاعة الأمن ، ونشر الطمأنينة والنظام .

ومع ذلك فإن هذه النظرة إلى الحرب إنما هي النظرة الظاهرة الشكلية ، أما النظرة الحقيقية الباطنة ، فإنها تنظر إلى الحرب على أنها رمز للجهاد المنيق الذي يجب أن يقوم به الإنسان ضد أعدائه الذين بين جنبيه ، أعنى ضد كل العناصر التي تعمل في داخله ضد النظام والوحدة . وسواء كنا بصلد النظام في المجتمع أو بصلد النظام الرومى للشخص ، فإن الحرب يجب أن تنهه أيضاً واستمرار إلى توحيد التوازن والتناسق من أجل ذلك تعلفت حقيقة ، بالمدل - - وإعادة الوحدة بوعاً ما بين مختلف العناصر التي تتعارض وتتصارع فيما بينها ، وهذا يرشد في وصوح إلى أن نتيجة الحرب الطبيعية هي الانسحاب

والعلة الوحيدة التي تبرر وجودها في الإسلام إنما هي السلام ، والسلام لا يتأتى حقيقة إلا بالامتثال التام للمشيئة الإلهية : الإسلام .

فإذ كان الأمر أمر ميادى عليا ، أمر إعلانه كلمة الله : فالواجب ، الجهاد ، أمي الحرب المقدسة ، الحرب من أجل الحق وذلك هو للشروع في الإسلام أما غير ذلك فيه حرب وليس جهاد . وهكذا يبرر الصيغ في الإسلام إلى التوارف الاحتشامي ، العدالة ، . وإلى سيطرة الإنسان على أمواته ، الجهاد الأكبر ، وإلى وجوب إسحاح المرء والجمع في وحدة لا تتأخر عن فيها كوحدة المرء الذي لا يميزه التعبير أبدأ

إن ما سبق إنما هو جمع لبعض الملاحظات التي كان من الممكن أن تتوسع فيها وتتعمق ولكنها ، على ما هي عليه ، تبيّن في وضوح أن الدين لا يفهمون من معنى السيف في الإسلام إلا المعنى المادي يعيدون كل البعد عن الحقيقة

٧ - أثر الثقافة الإسلامية في الغرب :

إن كثيراً من الغربيين لم يدركوا قيمة ما القبوه من الثقافة الإسلامية ، أو يفقهوا حقيقة ما أخذوه عن الحضارة العربية في القرون الماضية ، بل ربما لم يدركوا مسهما شيئاً مطلقاً ، وذلك لأن الحقائق التي تلقى إليهم - حقائق مشوهة ، حطها من الصحة قليل ، فإنها تبلغ كل المبالغة في الحط من شأن الثقافة الإسلامية ، والتقليل من قدر المدنية العربية ، كلها أتاحت الظروف لأصحابها ذلك ويلاحظ أن دراسة التاريخ في المعاهد الغربية لا توضح هذا التأثير . بل إن لحقائق سارلسها يد التشوير والتعريف - فصلاً في كثير من الحوادث عظيمة الشأن جليلة الخطر . مثال ذلك ما هو شائع معروف من أن إسبانيا ظلت تحت الحكم الإسلامي عدة عرون في حين لا يذكر التاريخ الغربي أن صقلية والجزيرة الحويري لحالي لغرسا كانا تحت الحكم الإسلامي أيضاً وربما عزوا البص هذا الإهمال من المؤرخين إلى تعصّب الدين . ولكن ما هي حجة المؤرخين المعاصرين . وعالمهم

لا يدعى - في مواضعهم أسلافهم في قلب الحقائق ؟ لهذا ينبغي أن تدرك مقدار زهو الغربيين وكبرياتهم ، مما منحهم عن إدراك الحقائق الصحيحة ، ومقدار طابعهم مدنيون به للشرق . والأغرب من ذلك كله : أنه بينما يعتبر الأوروبيون أنفسهم الورثة لماشرين للمدنية اليونانية القديمة ، فإن الحق يفضي زعمهم هده ، إبدان الواقع المعروف من التاريخ نفسه ، يثبت لنا أن علوم اليونان وظلمتهم لم تنتقل إلى الأوربيين إلا بواسطة المسلمين ، ومعاراة أخرى ، تصل المخططات العقلية للبرنانيين إلى الغرب ، إلا بعد أن دروسها الشرق . ولولا علماء الإسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون جاهلين بتلك العلوم زماناً طويلاً ، بل ربما لم يدركوها كلية . وينبغي أن نلاحظ أننا نبحث هنا عن مقدار تأثير الحضارة الإسلامية لا العربية محسب ، كما يحط على العصر أحياناً . وذلك لأن معظم من حاولوا نقل هذه الثقافة الإسلامية لم يكونوا من العرب الخالص ، وإذا كانت لغتهم عربية ، فإن ذلك ناتج عن تأثيرهم بمدنيهم الإسلامي . وما دعما قد ذكرنا اللغة العربية - فإننا نلاحظ دليلة واضحا يثبت لنا انتقال المؤثرات الإسلامية في الغرب . وهو تلك الكلمات العربية الأصل والنبت ، التي تستعمل تقريباً في كل اللغات الأوربية ، بل ما زالت تستعمل حتى وقتنا هذا . هل أن معظم الغربيين الذين يتصلطوا بجهلون حقيقة مصطلها كل الجهل . وإنما أن الكلمات هي التي تستعمل لنقل الأفكار ، وإظهار ماتكته النفوس ، من من السهل عيباً حدّاً أن مستتبع انتقال تلك الأفكار والآراء الإسلامية نفسها ، وفي الحق أن تأثير الحضارة الإسلامية ، قد تناول لدرجة بعيدة ويشكل محسوس . كل العلوم ، والفنون والفلسفة . وغير ذلك . وقد كانت بلاد الإنسان مركز الوسط العام الذي انتشرت منه تلك الحضارة . وليس عرضنا الآن أن نحصي كل هذه الأنواع بالتفصيل . ويري مقدار ما خلطته الثقافة الإسلامية فيها ، ولكننا نركز هنا في بعض نقاط ، يعتقد أنها من الأهمية بمكان ، وإن قل من يدركها

في وقتها هذا .

أما عن العلوم فمن السهل أن نفرق بين العلوم الطبيعية . والعلوم الرياضية .
 فقد عن الأول عابا علم علم الفيزياء انطلقت بكلياتها وجزئياتها إلى أوروبا ، عن
 طريق الحضارة الإسلامية . مصورة بالقصة الإسلامية تماماً فالكيمياء استعطف
 دني باسمها العربي الذي يرجع أصله إلى عصر القديسة . والذي كان له معنى من
 معنى المعاني التي لم يعرفها الكيميائيون الحديثون حقيقة . ولصرب مثلا أسرهم
 هذت . فإن أكثر اصطلاحاته الخاصة ما تزال محتفظة في كل اللغات الأوربية
 ومنها العربي . كما أن كثيراً من النجوم ما يزال علماء الفلك في كل الأمم يطبقون
 علم أسماء العربية . وهذا يرجع إلى أن مؤلفات الفلكيين اليونانيين القدماء . مثل
 هيبوس الإسكندرية . كانت معروفة في التراجم العربية . وعصمة مع المؤلفات
 لإسلامية . ومن السهل جداً أن نوضح أن كثيراً من المعارف الجغرافية الخاصة
 بعصر السجدة في آسيا وأفريقيا . عرفت من الرحالة العرب الذين حاربوا كثيراً من
 بلادهم . وحملوا معهم معلومات قيمة أما من ناحية الاحتراعات . وهي تامة
 بصورة الغيبية - فقد انتقلت أيضاً بمس الطرق أي بواسطة المسلمين . وما تزال
 قصة صناعة الآتية التي أهداها الخليفة هارون الرشيد إلى الإمبراطور شارلمان . عاقلة
 لأدهم . نائفة الواقع .

في الرياضيات فيجب أن نبرها التفاتاً خاصاً . وذلك لأهميتها في هذا
 البحث . فإن ميدانها الواسع لا نرى فيه علوم اليونان فحسب ، بل نرى في أكبر
 الثقافة الإسلامية . مصافاً إليها علوم الهند أيضاً . أما اليونانيون فقد بلغوا
 أعلى تكون في الهندسة . وعلم الأرقام . وبلا حظ فن الأسيخ يرتبط دائماً مع الأول
 . لأنشكو الهندسية الخاصة . وهذا التوافق الذي كان للهندسة يظهر لنا جلياً و
 صحت في صهرها افلاطون على منسل مدرسة : لا يدخله إلا عالم بالهندسة .

ولكن يوجد علم آخر من الرياضيات يتبع علم الأرقام . ولكنه لم يكن
 معروفاً - كالعلوم الأخرى - في اللغات الأوربية بالاسم اليوناني . لأنه لم يكن
 معروفاً بين اليونانيين القدماء ، هنا هو علم الجبر الذي كان مصدره الأول الهند .
 والذي يسهل علينا من اسمه العربي أن نعرف طريق انتقاله إلى الغرب .

حقيقة أخرى حان حين ذكرها ولو أنها قليلة الأهمية . ولكنها تذكّر أيضاً على
 ما قدمناه . وهي أنه من الشائع في كل مكان أن الأرقام التي يستعملها الأوروبيون
 هي نفس الأرقام التي استعملها العرب . ولو أن مصدرها الأول هو الهند . لأن
 علامات العدد التي كان العرب يستعملونها قديماً ما هي إلا حروف الهجاء نفسها
 وإذا انتقلنا من بحث العلوم إلى بحث الفنون . فإننا نلاحظ أن كثيراً من المعاني
 التي جادت بها فرائح الكتاب والشعراء المسلمين في الأدب والشعر . قد أخذت
 واستعملت في الأدب الغربي . بل أكثر من هذا . فإن بعض كتاب الغرب وشعرائه
 قد قلدوا تمام التقليد بعض كتاب المسلمين وشعرائهم . وكذلك نلاحظ أن أثر
 لقائمة الإسلامية واضح كل الوضوح . ووصفة خاصة في فن البناء . وذلك في
 المصور الوسطى . فن ذلك شكل القوس المقنود الذي صار مشيراً بنفسه حتى
 صار يدل على طريقة خاصة للبناء كان يستعمل فيها . وقد كان مصدره من البناء
 الإسلامي . ولو أن كثيراً من النظريات الخيالية اخترعت لها هذه الحقيقة
 وما هدم هذه النظريات وجود رواية تناقلها دائماً البتاءون أنفسهم . وهي تشبه
 انتقال هذه الطريقة من الشرق . وقد كان لهذه الحقيقة صفة سرية جعلت لعبه
 معنى رمزياً . فكانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الأرقام . وقد نسب هذا العلم إلى
 مصدره الأول مؤلفه الفين بنوا هيكل سيدنا سليمان . ومها يكن من أمر مد
 لصبر البعيد فلا يمكن مجال ما أن يكون انتقاله إلى أوروبا بواسطة الماء
 الإسلامي . وما ينسب ذكره أن هؤلاء المصورين - وقد كانوا هيتات متحدة في

به . أويضمده عليه من أنواع المعرفة الأخرى الثانوية . التي تختلف عن تلك العلوم التي يدرسها الحداثيون كل الاختلاف .

وليس للغرب في وقتنا هذا شيء من أمثال تلك العلوم على حقيقتها . بل أكثر من هذا أن الغرب لا يعرف أيضاً من المعارف الحقة كالصوف أو ما يمثله شيئاً مطلقاً . على أن هذه الحال لم تكن من الحال في القرون الوسطى . وهذه المعارف لها أيضاً أثرها الإسلامي البين الواضح بأجلى وسوح في تلك المصود . ومن السهل جداً ملاحظة أثر ذلك في بعض المؤلفات التي تختلف معانيها الحقيقية عن التراث الأدبية كل الاختلاف .

وقد بدأ هذا النوع يتضح لبعض الأوربيين أنفسهم . وذلك خلال دراساتهم لأشعار دانتي « الإيطالي » . ولكنهم لم يدركوا ماهية طبيعتها الحقة . ومنذ سنين عدة كتب المستشرق الإسباني « دون ميغيل آسين بلاثيوس » كتاباً عن المؤلفات الإسلامية في مؤلفات « دانتي » جاء فيه أن جزءاً كبيراً من الرموز والإشارات التي استعملها « دانتي » كان يستعملها قبله بعض المحققين والكتاب المسلمين . وبخاصة سيدي محيي الدين بن عربي . ولكن لسوء الحظ نرى أن ملاحظاته لم تمتد التحليلات الشعرية . على أن هناك كاتباً آخر يطال الجنس . هو « لويجي فاللي » . نعمت بعض النصف في البحث . فذكر أن كاتباً لم يكن وحده الذي استعمل الإشارات المائة لا كان مستملاً في الشعر الصوف . الفارسي والعربي . بل إن كثيراً من الشعراء المصيرين لدانتي في مملكته كانوا أعضاء في اتحاد أوهية سرية تسمى « أمثال الحلب » وكان دانتي نفسه أحد رؤساء تلك الهيئة

ولما حاول « لويجي فاللي » أن يمل الفأر لفتهم السرية لم يتمكن من إدراك ما كانت تشير به تلك الهيئة . أو ما يمثله من الميقات التي وجدت في أوروبا أيام القرون الوسطى . على أن الحق هو أن بعض لشخصيات السرية كانت تستخر خلف

شعائر خاصة - كانوا يعتبرون أنفسهم كأهم أجناب في الغرب حتى في مساقط «هم» وقد طلت هذه التسمية حتى الآن على أن هذه الأمور صارت غير معروفة إلا لقليلين جداً

في هذه الطفرة لعلمى . ينبغي أن نذكر بصفة خاصة نوعاً آخر هو الفلسفة فقد بلغ التأثير الإسلامي في القرون الوسطى مبلغاً عظيماً لم يستطع أحد خصوم الشرق تعصب أن ينكر قوته . وهذا صحيح فإن أوروبا لم يكن فيها من وسيلة أخرى لمعرفة الفلسفة اليرودية في ذلك الزمن . وذلك لأن التزاجم اللاتينية لأعلامون وأرسطو وهي التي استعملت حينئذ - لم تنقل أو تترجم من الأصل اليوناني مباشرة . بل أخذت من الترجمة العربية السالفة . وأضافوا إليها ما كتبه للمعاصرون المسلمون في الفلسفة الإسلامية . من أولئك المعاصرين : ابن رشد . وابن سينا . وغيرهما

والفلسفة التي كانت معروفة في ذلك الوقت باسم « الفلسفة المدرسية » كانت تتميز بها الفلسفة الإسلامية . واليهودية . والمسيحية . ولكن من الإسلام استمد الوجودان الآحزان مصدرهما : بل إن الفلسفة اليهودية . وهي التي ازدهرت في أسبانيا . كانت لها عربية . وذلك ثابت ويرى في المؤلفات العامة لموسى بن ميمون . وعنه نقل فيلسوف يهودي آخر بعد قرون عديدة - كثيراً من فلسفته الخاصة . ذلك هو « سبينوزا » .

وليس من الضروري أن نصر على بحث أشياء مطوية لكل من درس شيئاً من تاريخ الفكر . بل يحسن أن يبحث شيئاً في أشياء أخرى من نوع مختلف لا يعرفه معظم الحداثيين . خصوصاً في الغرب . بل لا يكاد يكون لأحد ما أبه فكرة ذات أهمية عنه . ولكن من وجهة نظراً نرى له أهمية كبيرة أكثر من كل المعارف الخارجية التي تحتويها العلوم والفلسفة . وما نقصده هنا هو التصوف . وما يتصل

الروحانية الحديثة . أم عن طريق الفلاسفة الحديثة ؟
 سذكر بها بل رأى الشيخ عبد الواحد في حديث الأمرين اللذين بعدها معص
 الناس خطاً وسائل للمعرفة
 ثم تتبع ذلك بالوسيلة لصحيفة للمعرفة في نظره وهي التصوف

١- الروحانية الحديثة وخطورها :
 من أخطر الأخطار الغربية الحديثة . واحدة نبئت في أمريكا منذ أقل من مائة
 سنة (١٨٤٧ م . وعرفت باسم [الروحانية الحديثة] ويمكن تحميد
 معناها بأنها ثبوت إمكان الاتصال بالوحي بواسطة وسائل مادية . أما كيف بدأت
 ولا ، فإنها لاحت في بعض ظواهر طبيعية كانبعاث أصوات . وتحرك أشياء في
 حد المدول بدون سبب وضح ما . أما هذه الظواهر فقد لوحظت في كل زمان
 ومكان . فلا يمكن القول أنها ظواهر شاذة . فلماذا إذن يتولد منها الغريزون عقيدة
 جديدة في تلك الحالة الخاصة ؟ في حين لم يفكر أحد في شيء من ذلك من قبل
 الحق أنهم ناروا على تلك المادية المنتشرة في العالم فعملوا على إبعاد وسيلة سرية
 تعمل على هدمها . ولكن إذا عثرتنا أن غايتهم من ذلك حسنة فإن الوسائل التي
 استعمالوها للوع عبيهم ، نكر كذلك

وحقيقة أن الباطل هو شر دائماً ، ولذا يمكننا أن نوافق على ما يدعيه البعض
 من أن المية تمر بواسطة . وفي الواقع أن الوسطة إذا لم تكن صالحة تماماً فإنها
 كثيراً ما تنقلب سرياً ضد الغاية المرجوة . وإنما إذا تحيلنا صورة الحياة بعد الموت ،
 على مثال صورة حياة الجسم على الأرض . وهي التي انقاد إليها أتباع العقيدة

(٧) عقلة المعرفة : صفر سنة ١٣٥٠ هـ ، بولي سنة ١٩٣٦ م

تلك الهيات لتكون مصدر إرشاد لها . وقد كانت تلك الشخصيات السرية ،
 تعرف بأسماء مختلفة ، من أهمها تلك التسمية « إخوان الوردة والصلب » وليس
 هؤلاء قواعد مكتوبة بسيرون علياً . كذلك لم يكن لهم اجتماعات معينة . وكل
 ما كانوا يعرفونه به . هو أنهم وصلوا إلى حالات روحية خاصة . ويمكن أن نصدهم
 بأنهم صوميون غريزون ، أو على الأقل متصوفة في درجات عالية
 وقد قيل إن هؤلاء « الإخوان » الذين كانوا يستنون بأبسة البائسين ورموزهم ،
 كانوا يطعمون الكيمياء وعلوماً أخرى مماثل ما كان مزدهراً من العلوم في العالم
 الإسلامي .

والحق أنهم كانوا حلقة اتصال بين الشرق والغرب . وكانوا على اتصال مباشر
 بالصوميين المسلمين . وقد كان ذلك الاتصال يستتروا به رحلات مؤسسهم الخيالي .
 وليس هذا معروفاً في التاريخ الذي لا ينتمى كثيراً في البحث ، بل يكفي فقط
 بمظهر الحوادث الخارجى ، مع أن هناك الفتح الحقيقي الذي يفتح لنا معالين كبير
 من الأشياء ولولاها لاستمرت دائماً غير واضحة بالمره .

هذا جزء من كل من أثر الثقافة الإسلامية في الغرب ولكن الغريبين لا يريدون
 أن يتعرفوا به في وضوح . لأنهم لا يريدون أن يتعرفوا بفضل الشرق عليهم . ولكن
 الزمن كصقل ببيان الحقائق التي يريدون إخفاءها .

٥- في المعرفة

تحميد :

كيف نصل إلى المعرفة ، المعرفة الحقة ، معرفة ما وراء الطبيعة ؟ كيف نحرق
 الحجب . ونكتشف المسابير . ونزيل النقاب عن اللام الأعل . نصل إلى الروح .
 وإلى اللانهاكة . وإلى الله ؟ كيف نصل إلى اليقين ؟ أيكون ذلك من طريق

المجربة ، فيمكننا أن نعتبر أن مايسمى «الروحانية الحديثة» ، ما هي في الحقيقة إلا مادية من نوع آخر . بل أكثر صراحة من المادية ، لأنها تخلق الأوهام والتخيلات في حقيقة طبيعتها حتى تتمكن من التأثير في الدين لم يقبلوا الآراء المادية الصريحة الشائعة ، أكثر من هذا أن فيها خطأ آخر ، ويمكن أن نرى كم من الأشخاص - بواسطة مايسمى الاتصال بالروح - أسيروا بالهجوم أو الخراب ثم الانتعاش . حد ذلك يكون لنا الحق في التصريح بأن هذا التعليم الذي يطلب مثل هذه العواقب ، هو لمة على يد الإنسان ، وهذه المدة الزمنية التي رسمت في عقول الكثيرين من الأشخاص الطاهري السريرة ، وذوي النوايا الطيبة ، هذا الخطر يشترى في الشرق . بل لا ندري إذا قلنا إنه امتد إلى الشرق الأقصى حيث نلاحظ - منذ سنوات قليلة - اسعاث دين جديد من الهد الصيبة يسمى «كاوداي» ، ويدعى أصاره أنه لا يستمد تعاليمه من طرق الوحي بل يستمدتها مباشرة من الله بواسطة «صلة» متحركة .

ويسمى أن يهم القارئ أننا جيلون جداً عن إنكار حقيقة أنواع الظواهر المختلفة التي يرى فيها «الروحانيون الحديثون» برهاناً على وجهة نظرم . فإن هذه الظواهر - كما سبق القول - كانت معروفة دائماً عند القدماء ، بل كانوا أكثر علماً بها ممن يعرفونها الآن .

ولكننا نذكر تفسيرها الحديث الذي نفسر به هذه الحقائق بنسبتها إلى فعل الأرواح المجرمة ، . وهي التي يقصد بها الشخصيات الإنسانية التي رالت عن عالم الوجود الأرضي .

كيف يقل التفكير السليم أن «الأرواح المجرمة» يمكنها تحريك مائدة ، أو استيلاء قوة خفية على اليد لجعلها تكتب أو ترسم ، أو تفعل أشياء أخرى كثيرة من هذا القبيل ؟

مثل هذه الإبياتات لا تدل إلا على عدم العلم - الذي أصبح تقريباً عاماً و وقتاً هذا - باختلاف الظروف في حالات الوجود الثابتة . وينبغي أن نذكر أنه إذا انكسر الإنسان أو ينصل بالأرواح - إنسانية أو غير إنسانية - فإن ذلك لا يكون إلا بأن يصير نفسه متيقظاً في حالة وجوده الخاصة التي تطابق الحالة نفسها . والتي تكون فيها تلك «الأرواح» هلا . ولكن هذه مسألة أخرى ليس لها أية صلة بتعاليم وأعمال «الروحانية الحديثة» .

وفي الحقيقة توجد عناصر كثيرة من أنواع مختلفة ربما ساعدت على إيجادها . على حسب الحالات المختلفة . ولكن ينبغي أن نفرق بين هذه العناصر بدقة . وسشير بإيجاز إلى أنواعها المختلفة حيث لا يمكننا أن نقرر كلا منها تفسيراً كاملاً منفصلاً . لأن ذلك لا يتسع للبحث فيه الآن :

(١) من أهم العناصر التي تحدث هذه الظواهر تلك التي تحدث في معظم الحالات . وكثيراً ما تكون متفرقة . وهي التي في قوى الإنسان العقلية . هذه القوى التي يمكن أن تتسع وتكبر أكثر مما يطه علماء النفس الحديثون . أو الذين يشتغلون بدراسة الحالات الشاذة .

هذه القوى كامنة في كل إنسان . وإذا تمت واتسعت طبيعتها فإن ذلك يكون في حالات نادرة . لكن يمكن تسميتها صاعياً في بعض الأشخاص بوضعهم في حالات خاصة . مثل تلك الحالات المعروفة تحت الاسم العام «التنويم المنطبي» . وهي التي فيها يمكن الإنسان أن يحس بأشياء بدون أن ينصل جسمه بها . وكذلك يمكنه تحريكها . كما يمكنه أيضاً رؤية أشياء مخفاة عن حواسه العادية . أو بعيدة عنه في الزمان أو في المكان وغير ذلك .

ولا يمكن لغير الرجل المادي - في أضيق حدود معنى هذه الكلمة - أن يقول بأن الإنسان محدود بالقياس إلى جسمه . ولكن الروحانيين - بتسميتهم هذه التي

درجت في الفلسفة الغربية - يشكون جداً في قدرة الإنسان على احتمال ما هو فوق مسوى قواه الحسية . أولئك القوي اتي تتصل وثيقاً بالجسم وتظهر في الحياة المعتادة لأي فرد . ومن جهة أخرى ينبغي أن نذكر أن تلك التي تسمى القوى الشاذة - وهي التي تتكلم عنها - ليس فيها شيء روحى في الحقيقة أكثر من القوى المعتادة .

وإن التصور الذي جعل الإنسان الحى يتكون من جزأين أو عنصرين فقط - وهو ما انتشر في الفلسفة الحديثة خاصة وفي العقل الغربي عامة - هذا التصور هو الذي سبب هذا الاضطراب . لأنه صير لناس جاهلين بالفرق الأساسي بين النفس والروح . وإن طبيعة القدرة التي تظهر في الأشخاص الذين يأمون تنوعاً معتادياً - وهم الذين يسمونهم «الروحانيون الحديثون» بالوسطاء - ليست «روحية» بل هي «نفسية» تماماً، وهي تخص الحالات التي يمكن وصفها بأنها أطف من الحالات العادية كما أنها أكثر اتساعاً . وأعل منزلة أيضاً في درجات الوجود . كما يجب أن تكون الحالات الروحية .

وبما مثل هذه القوى في الإنسان هو إتمام الإحساس بالاتساع لا الإحساس بالارتقاع
هذه الحالات النفسية التي تظهر إما في التوهم المناطيسي . أو في بعض حالات من الأمراض العقلية ينشأ عنها ما يسميه علماء النفس خطأ «بالشخصيات المتعددة» لأنها تظهر منفصلة عن الحالات العادية . وربما كان هذا خطأ في احتمال الكليات . والإجابة يكون خطأ فاحشاً لأنه لا يمكن لعقل ما أن يتصور أن لإنسان الحى له أكثر من شخصية واحدة .

وحقيقة أن كل حالات الكائن ما هو الا مظاهر جزئية لشخصية واحدة غير متغيرة .

وصحيح أن الإنسان في حالته العادية لا يحس بالأعمال التي يؤديها ، أو المعارف التي يستجيبها في الحالات الأخرى . ومن السهل جداً أن ندرك هذا ، لأن الحالة العادية هي أصعب الحالات عمالاً . كما أنها لا تعتمد إلا على الشروط الجسدية . في حين الحالات الأخرى تكون مطلقة الحرية . وإنما لا تعد حرماناً في حد لو فكرنا فقط في التفرقة التي توجد عادة في كل فرد بين شعوره حالة اليقظة وشعوره بحالة النوم

يبقى أن نوجه بحثنا نحو نقطة واحدة : هي أن كل ما يسمى «بالظواهر» إما أن يصدور من القوى العقلية في الحالات العادية ، أو من قوى الحالات النفسية الأخرى . هذه الظواهر تمثل فقط الجزء الظاهري من الكائن ، وواضح من كلمات نفسها أن «الظواهر» - من أي نوع أو درجة - هي كلها من الظاهر وليست من الباطن ، أي أنها تعديلات سطحية للكائن وليست عناصر مكونة لذاته المادية العميقة ، والقوى التي يمكن تسميتها تماماً باطنية يبقى أن يبحث عنها في حالات تختلف تماماً عن الحالات النفسية ، وتسمى كثيراً عن الظواهر العادية أو الشاذة .

(ب) إذا رجعنا إلى الحالات النفسية التي نكلمنا عنها فيبقى أن نقرر أن الإنسان في هذه الحالات كما في الحالة العادية يخاط قوى عمالة مختلفة أطف من تلك التي في عالم الجسم والحس ، ولكن بعضها ربما كان مشابهاً - لا ذاتياً - لقوى مثل الكهرباء ، وغيرها ، ولا يخفى أن هذه القوى يمكن للطبيعي العادى الاستدلال عليها تأثيراتها المحسوسة .

هذه القوى الممية التي كان يمر عنها [الطاو - صوي] الصييون بأنها قوى ساعية ، كان لها قوانين مثل أي قوانين أخرى طبيعية . وربما كان المرص منها علمياً فإذا أمكن أن تجمع وترتكب شروط خاصة . فإنه يبحث منها تأثيرات ربما تظهر غريبة

لم يجهلون مثل هذه الأشياء . مثلها في ذلك مثل ظهور التأثيرات الكهربائية لم يجهلون الظهيميات .

أضف إلى هذا أن الإنسان إذا اتصل بمثل هذه القوى يمكنه - بدون أن يشعر - أن يلبسها لوقت ما شخصية ظاهرية بزوال شخصيته الخاصة . ومن هذا يمكننا فهم ظواهر كثيرة .

وهنا يمكننا أن نرى أحد الأسباب للأحطار التي يقع فيها من ممارس الروحانية الحديثة ، أو ما يئانها ، يمرض الفرد نفسه لتأثيرات ربما أثرت فيه أعمال كثيرة في كائنه الخاص عناصر الاضطراب ، وعدم الاتزان النفسى ، تذهب به أحياناً إلى موع من الوحدة والعزلة . ويمكن أن يحدث ما يئان هذه الوحدة في بعض ما يسمى ، بالشخصيات المتعددة ، التي تكلمنا عنها سابقاً .

هذه الأخطار لا يستهان بها . وربما لا يمكن تجنبها إذا كان الأشخاص الذين يتصلون بهذه القوى جاهلين تماماً بطبيعتهم . كما هي الحال مع الأكثرية العظمى لمعاصرينا ، وخاصة ، الروحانيين الحديثين ، الذين هم في الحلق كالأطفال يلهون بالدار .

(ح) الإنسان في حالته العقلية أو النفسية يجد نفسه متصلاً - كما في الحالات العادية - بكائنات أخرى موجودة في حالات تتفق مع حاله . وأهم ما مقصدها بالكائنات هم بنو البشر . وهذا هو ما يحدث لهؤلاء الذين يشتركون في جلسات الروحانية الحديثة بدون وعية منهم أو معرفة يوصلون أفكارهم إلى الوسيط ، وليست أفكارهم هي الطاقة للواقع حينئذ فحسب . بل أيضاً وعالاً أفكارهم السعيدة التي تلوح لهم كأنهم نسوها لئلا يلمد المهدي بها . فيصيرون جداً من اكتشافها ، ويمكن للأشعاص الفائين أيضاً أن يتصلوا بأنفسهم بها كما كانوا يعيدون إذا كانوا في مثل هذه الحال مشغولين من كل القوي الحديثة . ويمكن إجراء هذه التجربة

يشعور من الأشخاص . أو يدون إحساسهم بها . وتحدث الأول في الحالات الدائرة للأشخاص الذين هم معارف خاصة . والذين يعملون هذا لحرص محدود كما حدث عند ابتداء انعم ، بالروحانية الحديثة ، وتحدث الثانية في الحانة العامة وهي اتصال أى فرد - وخاصة في أثناء النوم - ويحضر بنا أن نصيب إلى ما ذكرناه يوجد بعض المظاهر في الحيوانات لأن لهذه أيضاً حالات طبيعية في كائنها الخاص .

(د) وفي بعض الحالات تحدث الطواهر - طبيعية كانت أو مفتعلة - بمفاهيم نتمت حقيقة من الرقى . ولكن ليس اتصال فوس شخصياتهم لطيفية ، وهذه العناصر ما هي إلا بداية نمية مشابهة لبقايا الجسم التي يتركها الميت بعده بتخله . لأنه يوجد في الطبقة الدسية عناصر تلازم الخالد من الكائن . وهذه العناصر أقرب إلى الحالة الجسمية . ولذا يمكن أن تولد تأثيرات حسية . وهذه البقايا النفسية تتخل حقيقة حالات خاصة من القوى السابعة ، التي سبق ذكرها قبلاً ، وإذا ذكرناها على حدة فإن ذلك لأن مظهرها جسيماً يمكن اعتبارها كمظاهر حسية للموتى ، ولكن في معنى يختلف تماماً عما يقصده ، الروحانيون الحديثون ، ، مثل هذه العناصر يمكن أن تأخذ مظهراً مؤقتاً للحياة ثم تعطل حينئذ إجابات آلية تمكس بعضاً من أفكار الفرد التي سبق أن كانت مخصص به .

وهذا الطيف من الشخصية - إذا أمكن تسميته كذلك - هو ما كان يسمى اليهود القدماء [أوب] كما يرى في بعض الكتب المقدسة . وقد أعطى إجابات في الاستحضارات ، التي استعملت بين معلم الناس . ولو أن الذين يجرمها بصفة عامة

(هـ) وأخيراً ليكون الموضوع ثامناً ، ينبغي أن نذكر إمكان تداول تلك الكائنات التي ليس لها حياة حسية . هذه الكائنات - التي تعتبر غير إنسانية -

ليس لها مطلقاً طبيعة روحية خاصة ، ولكنها بالمعكس تقرب جداً من العالم الحسي . ولهذا يمكننا أحياناً أن نحدث تأثيرات فيه . ويريد هنا أن يشهد حصصاً إلى فضل الجن - ولكن ليس هنا مجال الإفاضة في هذا الموضوع . يبدو لا يوجد شيء روحي في كل هذه الأشياء أكثر من تلك التي لها اقتصاد بالجزء الأرضية ، فلا ضرورة للقول بأنه لا يمكن المقارنة بينها وبين الأشياء الأخرى . تنفد في طفتها ، كوحى الأبياء - عبيد السلام - أولئك في طفتها أو رتفاع . كالقدرة الخاصة للأولياء - رضى الله عنهم - وهي التي تبعث في ميدان من العباد الروحي . ويبقى أن نقرر أن هذه المبادئ تختلف في حقيقتها . في حين تتفق في المظاهر الخارجية . ولكن هذه أيضاً مسألة أخرى تلك مسألة المؤثرات الروحية ، وليس لها صلة بموضوعنا الحالي . أما من حيث الظواهر النفسية فإننا نصف هذا بعض الغربيين - وليس هؤلاء الذين يقولون بحسب وجهة نظر الروحانية الحديثة . بل الذين يسويها أعراض عقلية . يحاولون بكل جهدهم أن يكتشفوا أشياء كانت معروفة تمام المعرفة في الأزمنة السحيقة عند الأمم الشرقية . ويلاحظون بعض الحقائق ، ولكن يهملون عن تفسيرها . في حين يوجد - كما سبق أن أوضحنا باختصار - كل ما يحتاج إليه لتفسير هذه الحقائق نفسها . بل حقائق أخرى كثيرة لم يكن لديهم أقل فكرة عنها

والنتيجة :

أن كل من يود معرفة حقيقة مثل هذه الموضوعات ، لا يمكنه أن يجد ضالته في البحوث الغربية الحديثة . بل عليه أن يرجع إلى المعارف الشرقية القديمة

٦ - الروحانية الحديثة ورد على رده :

توكان لأستاذ فريد بك وجدي قد قرأ ما كتبه منذ عشر سنين تقريباً عن موضوع الروحانية الحديثة ،^(٨) فإنه ما كان ليكلف عناء جمع هذه الملاحظات التي كتبها في الجزء الخامس من هذه المجلة ، لأننا أجبنا عن كل منها إجابة نعمة ، وأكثر إسهاماً مما يمكننا ذلك في هذه الصفحات القليلة . ومع ذلك سنحاول هنا ثانياً ، أن نحدد مركزنا في مثل هذا الموضوع ، حتى لا يبق مجال آخر لذلك الاضطراب الذي نشأ من هذا البحث .

بذلك علينا أولاً ألا ننكر أنه منذ ابتداء ما يسمى بالمصوّر الحديثة - أي منذ حدث لأهم ، يدركو تماماً معنى وطبيعة هذه المعارف - وفي نفس الوقت يظهر بهم ، يستنبطون ، أن يتصور أي شيء ، خارج عن دائرة التحدوت الحسية . وكانت النتيجة الطبيعية لذلك ظهور ونشأ المادية والتوسع دائرة البحث اتساعاً غير عادي في بعض علوم خاصة تخص المادة فقط .

وقد كان هذا الأمر في الغرب محسب ، أما الشرق فإنه لحسن الحظ لا يزال محسباً للآن بمعرفة القديمة . ولم يقبل هذه المجهود المتعمدة ولم يستخ أيضاً تعاليم رئيسيس باكون . أو تعاليم ميكارت التي لا توضح شيئاً ما للعقول الشرقية النقية . أي التي لم تتأثر بسوم الأفكار الغربية .

والآن إن فكرة محاربة المادية المنتشرة في الغرب بواسطة العمل المادي نفسه هي فكرة خاطئة . ولا تؤدي إلى نجاح ما . لأن هذه الوسائل ليس لها من قيمة .

(٨) مجلة الشرقية ، ربيع الثاني ، ١٩٥٠ م ، سبتمبر سنة ١٩٣٦ م

إلا في دائرة خاصة صيفة جداً . وإذا تعذرت تكون عديمة القيمة . ويظهر أن هذه الفكرة نشأت من توهم أن مثل هذه الوسائل هي الوحيدة [الوسائل العلمية] التي يمكن الاعتماد عليها في عمارة الادي . ولكن هذه أيضاً أوهام عمرية . وفي الحق أن لها علوماً أخرى لا تقا في أهميتها وحقيقتها عن سابقاتها . تستخدم وسائل عالمه تمام المخالفة . غير معروفة للمعريين الحديثين

وإذا قلنا ذلك ينبغي أن نميز بين حقيقة مسألة الطواهر الشاذة التي نتحدث عنها . والتفسيرات المختلفة التي أعطيت لها هناك . وإنما نستغرب جداً أن الأستاذ مريد بك وحده لا يزال يصر على النقطة الأولى ، والطواهر ، لأننا قلنا إن حقيقة هذه الطواهر لا تقبل الشك . وإنما كانت معروفة في كل التصور . وفي كل الأقطار . فإن مثل هذه الحقائق شائعة الوجود وليست نادرة . ولما من الأنواع ما يكثر عما يدركه الفرييون ، والروحيون الحديثون ، أو غيرهم من الذين يحاولون دراستها . وإنما للأسف على أن الأستاذ مريد بك وحده - في هذه المسألة - يبعد كثيراً من أسماء العلماء الأوربيين والأمريكيين ، الذين اشتروا في هذه الدراسة . كأننا لم نعلم أن عقل ما يليه علي هؤلاء العلماء ، وإنما للأسف لأنها لا يمكن أن نسيج للشرق أن يعتقد أنه مبره أن يتبع الغربيين . ويتقبل تعديهم . وخاصة في أشياء لا تزال حقيقتها معروفة دنيماً في الشرق . في حين أن العرب ليس إلا ما حكاه مريد فقط . وليس من حاجة بل القول بأن الذين يبحثون عن شيء هم الذين لا يعرفون حقيقة هذا الشيء .

وأخيراً إلى ذلك أن الأشخاص الذين ذكروا ليست قيمتهم متعادلة فلا يمكن أن نضع في صف واحد رجلاً [يدياً] قدها حتى قدره مثل : ولم كروكس ، مع آخر نعتهم ، متحراً ، ناموه ، بل كاشح فلا ميريون ، تأ عليها أن نصيب أنه إذا كان بعض الرجال قد قبل ، الرحابة الحديثة ، فإن كثيراً منهم اختلفوا في وجهه

خرهم . أو ربما صدوا أنفسهم عن أي نظرية أو تفسير . وإنما نجد بين هؤلاء الذين صاروا روحانيين حديثين ، من اشتغل - لأسباب لا صلة لها - بالعلم مثل : جيزار لوسوردو ، وأولف لودج . فإن الأول اشتغل بما بعد موت والدته ، والثاني بعد أن قتل أمه في الحرب ، وهذا يظهر لنا أن مثل هؤلاء الرجال - بصرف النظر عن علومهم الخاصة - ضفاف القول جداً .

وينبغي أن نصيب إلى ذلك أيضاً أن بعض العلماء لم يمنهم تعليمهم من أن يجسروا بالطواهر المصطنعة . كما حدث لوليم كروكس مع وسيطه فلورنس كوك . وكما حدث حديثاً مع شارل مريشي في الجزائر . وحدث ذلك سهل الإدراك جداً . لأن هؤلاء الأشخاص - وهم يجلبون عن حدود علومهم - ليس لهم أية كتابة أكثر من أي إنسان جاهل آخر . بل رعا وقصوا في الخطأ بسهولة أكثر من أي شخص آخر . لأنهم حين ذلك يبحثون في أشياء تختلف طبيعتها وقوانينها اختلافاً تاماً عن تلك التي اعتادوها ، ولأنهم يحاولون استعمال وسائلهم العادية في هذه الأشياء . في حين هذه الوسائل لم توضع لمثل ذلك مطلقاً .

وماذا نقول في ذلك التاجر العمى الذي كان يتاجر بالنبيذ . جان ماير ، الذي مات . ولقد صرف هذا الرجل ملايين عديدة ، لأنه طمع في أن يصير يوماً ما بابا ، والروحانية الحديثة ، وقد أثار حرباً بلا شفقة على هؤلاء ، الإخوان الدينيين ، الذين تمسكوا أن يؤسسوا جمعيات ومكاتب مستقلة ، واضطروا أن يدعوا لفكرة الماد . وكان ذلك بالطبع تحت اسم [الإخوة - والإخوة] . وقد أسس هذا الرجل نفسه في باريس معهداً (علمياً) لغرض إخصاح لباحثين الأحرار . ونقصد هم الذين لم يكونوا روحانيين حديثين ، وتسلمهم منه إعانات مالية لم يكونوا قادرين على أن يجازروا شيئاً من الروحانية الحديثة .

وفي الحق إننا لنجد عاراً في اضطرابنا إلى التصريح بتلك هذه الأسماء والوقائع

والآن ينبغي أن نضيف ما يأتي :

توجد أشياء لا يمكن أن نتخضع لوسائل العلوم الغربية الحديثة المادية . ولذا يقال عنها إنها حرافات أو من خيال القدماء . في حين هي في الواقع المعد الذي يؤدي إلى نوع آخر من العلوم يختلف تماماً عن العلوم المادية . وهذا العلم القديم هو الذي يجسر بنا أن نسميه - بحق - العلم الصحيح .

وإننا لا نحاف إذا قرنا وجود نفوس بالكواكب ، وأن لها تأثيراً فعلاً على الحوادث الأرضية ، ولا نحاف أيضاً إذا اعرفنا - كما علمنا القدماء - بأن العناصر ليست أربعة بل خمسة ، وأنه لا يوجد أكثر من ذلك أو أقل ، وأن هذه العناصر ليس لها أية صلة بما نسميه الكيمياء الحديثة و المواد الأولية البسيطة و لها - أي العناصر - ليست أجساماً بل هي تلك التي تكون منها الأجسام .

لا يمكننا أن نعطي أي أهمية - إذا نظرنا إلى المرفة الحقة - للعلوم الحديثة . وهي على الدوام منتصرة غير ثابتة في تفسيراتها ، وإذا سلمنا بالنتائج العلمية التي نتج من أشياء كثيرة كالكهرباء مثلا بدون معرفة طبيعتها ، فلا نسي هذا علماً . بل يجب أن يسمى فقط صناعة .

فلا نستطيع مشاركة الأستاذ فريد بك وجدى في تفاوله بنتائج البحوث الغربية ، التي تظهر لنا كأنها غاميل لا نهاية لها ، ظاهرية لا نفع فيها . وعما أننا نرى أن التقدم في هذه البحوث يؤدي إلى عكس كل ما هو طبيعة روحية . فإننا لا نشك في صعوبة ، بل استحالة الوصول بهذه البحوث إلى فتح الطريق إلى العالم الروحاني .

وإذا افترضنا حدوث ذلك بأي حادث كان ، فإن ذلك سيكون نهاية العلم الحديث ، والمدنية كما يفهمها الغربيون ، ومع ذلك فن المحتمل جداً ، أن يصل الغربيون إلى ذلك

وأخيراً نقول : إن الشرق يجب أن ينسبط بعلمه الخاص ، فإنه أصدى وأتم

وأكثر انتشاراً في كل الوجود بدلا من تخسيق دائره في عالم المادة فقط . ولذا كما بطلنا الأستاذ فريد بك وجدى نعيش في زمن غير زمتنا ، لأن زمتنا يختلف عن زمن الغربيين . فبينما يحلم هؤلاء ، بالتقدم ، حتى يستيقظوا على صوت إحدى الكوارث . صرف أن المعهد الذهبي كان في الحق عند ابتداء التاريخ البشري . إذ أعطيت كل المرفة للإنسان في الدنيا . أخذت تخفق عن تميز مجيئنا حوالي المصور . وتقتل رويدا من عالم الروح إلى عالم المادة . وأخيراً نحن تؤكد أن تلك المقول التي تأثرت بالصكر . الغربي صرف تهمنا بأن كل ما نقرره حرافات . ولكن ذلك لا قيمة له من جهتنا . وإنما نحن توجه كلامنا هذا لا إلى مثل هؤلاء الأشخاص . بل إلى الشريكين الحقيقيين الذين يصرون دائما على أن يكونوا - كما هو الواجب عليهم - محافظين على الحكمة الأبدية .

٣ - القوى السابعة :

عندما بينا العناصر^(١) المختلفة التي تتصافر في إحداث تلك الظواهر التي ينسبها الروحانيون المحدثون إلى ما أسماهه بالأرواح ، أشرا بصفة خاصة إلى واحد منها يلعب دوراً خطيراً : هو عنصر القوى اللطيفة التي أسماها الطاو - صي ، والصيرون [بالقوى السابعة] . ولقد يكون من المهم الآن أن نعطي تفسيراً تكليفاً لهذه النقطة . حتى نتجنب الخطأ الذي يقع فيه بسهولة أولئك الذين لهم دراية بالمعارف الغربية الحديثة أكثر مما لهم من علوم الشرق القديمة . وهم لسوء الحظ كثيرون في أيامنا هذه .

(١) علم المرفة : جادى الأسراء ١٣٥٠ هـ . نوفمبر سنة ١٩٣١ م .

تدبير هذه القوى والتصرف فيها على الوجه المتقدم ، يمكن أن يكون بواسطة كلمات تشعب لمس العالم الطيف كالكائنات المعروفة بالخر أو بواسطة أناس حياء يوجد لديهم حالات معاناة لذلك العالم الطيف مما يؤهلهم للتأثير فيه ، وهؤلاء الذين يتصرفون في هذه القوى بإرادتهم - سواء أكانوا من الإنس أم من حي - يفسرون تلك القوى نوعاً من الشخصيات المطلقة المؤقتة ، وتلك شخصية في حقيقة الأمر ليست إلا امكانيات لشخصيتهم الدائمة وطبعاً لها ، ولكنه يحدث حياءً أيضاً أن هذه القوى حينها يمكن أن تختب وتلبر من غير شعور بواسطة كائنات تجهل قوانينها ولكنها هيئت وأعدت لذلك بما لها من خصائص شاذة في طاعتها . ومثل تلك الكائنات ما اتفق اليوم على تسميته [بالوسطاء] وهؤلاء أيضاً يميزون القوى التي يقفون بها شخصية ظاهرية . ولكنهم يفسرون باراء ذلك سلامة حالاتهم النفسية التي يعتبرها من تلك القوى اضطرابات قد تصل إلى حد الاعمال الخلق في الشخصية .

ولنا على هذا النوع من الاستحواز اللاشعوري ، أو اللاإرادي الذي يقع فيه كائنات تحت رحمة القوى الخارجية بدلاً من تسلطه عليها .
ملاحظة هامة هي أن حادية هذا النوع يمكن أن تؤثر في هذه القوى ليس فقط بواسطة أساس [وسطاء] كما تقدم ذكره ، ولكنه يحدث أيضاً بواسطة كائنات حية أخرى ، بل حتى بواسطة أشياء غير حية ، أو بواسطة أمكنة معينة تتركز فيها تلك القوى فتشع بعض الظواهر الشاذة ، هذه الكائنات والأشياء إذا حاز لنا أن نستعمل اصطلاحاً بمره الشاذة بقوانين القوى الطبيعية ، إنما نقوم مقام الاحمرة الكفمة ، ، وهذا التكيف قد يتم من تفاء نفسه ، من جهة أخرى يستطيع الذين يعرفون قوانين هذه القوى الطبيعية أن يركزوها أيضاً بطرق خاصة وذلك بالاستعانة بمواد أو أشياء معينة طبيعتها توافق النتائج المرغوب في تحصيلها .

لقد سبنا إلى أن القوى التي نسميها هنا - لكننا نوات طيبة نفسية - نكدر بالضرورة أطلب من قوى العالم الحسي أو الجسسي . ولهذا فينبغي ألا نخلط بينها حتى ولو تشابهت نتائجها مع نتائج القوى الحسية بمض الشبه ، مثل هذا التشابه يوجد في الواقع على وجه الخصوص مع نتائج الكهرباء . ولكن هذا التشابه ما يوجد من تطابق بين سائر القوانين التي تسيطر كل العوالم وكل الحالات . ذلك التطابق الذي واسطته يتحقق التماس والانسجام في درجات الوجود كلها وطمه القوى السابجة أنواع متباينة تمام التباين . ونحن نجد في العالم الحسي أنواعاً عديدة من القوى . ولكننا نعد في العالم المعنى أن الأمور أكثر تعقيداً مما هي هنالك ، ولهذا الميدان النفس أكثر امتداداً من الميدان الجسسي . وأقل ضيقاً منه إلى حد كبير ، ويندرج تحت هذه التسمية العامة « القوى السابجة » كل القوى الخارجة عن الأفراد . وأسمى بذلك كل القوى التي تقبل وتؤثر في الوسط الكون من غير أن تدخل في تركيب أي كائن معين . وفي بعض الحالات تكون هذه القوى بذاتها ، وفي حالات أخرى تكون صادرة عن عناصر نفسية منحلة كانت تخصها سبق كائنات حية . ومن بينها الإنسان . كما أوصحنا ذلك في المقال السابق على أن المقصود في كل الحالات إنما هو وصف معين من القوى الطبيعية التي لها قوانينها كما لغيرها من القوى . والتي لا تشد عن تلك القوانين كما لا يشد غيرها من القوى عن قوانينه . وإذا لاح أن عملها إنما يجري عالمًا اتفاقاً ومصادفة ومن غير نظام . فذلك إلا لطمهنا بقوانينها . ويمكن أن نلقى نظرة إلى نتائج صاعقة مثلاً ، النتائج التي ليست أقل غرابة من هذه القوى لنعلم أنه لا يوجد البتة شيء في هذا العالم لا يجري وفق قانون .

وهذه القوى - كثيراً ما - يمكن أن يجمعها ويستخدمها أولئك الذين يعرفون قوانينها ، وهنا يجب علينا أن نميز بين حالتين :

عاطر مهلكة من جزء ذلك الاستخدام .
 وصيف إن ما تقدمه أنه علاف ما سبق من وسائل التكيف . نوجد وسيلة
 أخرى عمالة ه نذام . لا تقوم على مبدأ تكيف القوى للطبيعة في كائنات أو أشياء
 خارجة عن لشخص لدى يقوم به العمل . ولكنها تقوم على مبدأ تكيفها في
 معه . وذلك كما يتجدها وفقاً لإرادته . وكما يوجد تحت تصرفه إمكان مستخدم
 لإنتاج ظواهر معينة . واستعمال هذه الطريقة أمر مرادف في الهند على وجه
 الخصوص . ونحن - نأشير هنا إلى أن هؤلاء الذين يتورطون على الحصول على
 نتائج غير عادية بهذه الطريقة . أو غيرها مما سلف ذكره . ليسوا أهلاً لا يسمى
 الناس عليهم من حدة وتعمق . وإنما هم في الحقيقة ناس وقف نومهم السطحي في
 درجة معينة - لسبب من الأسباب - فلم يستطيعوا أن يسيروا إلى أبعد منها . فتتح
 عن ذلك أنهم تفرغوا على بذل نشاطهم في أشياء من نوع أعلى .

على أن معرفة التمه الدقيقة بتلك القوانين التي تسمح للإنسان بأن يتصرف في
 القوى الطبيعية إنما كانت على قدر م مقصورة على عدد يسير من الناس . وذلك لـ
 نتج من انحصار إذا ما ذهبت بين من لهم مقاصد سيئة . ويوجد في الصين كتاب
 مشتمل حذاً على القوى الساعنة . ولكنه لا يتناول غير تطبيق ضيق لتلك القوى على
 نشأة الأمراض وكيفية علاجها . وما عدا هذا ألا يكون في الحقيقة غير موضوع
 دراسة شغرية محضة . ومع ذلك فإن الذين يعرفون قوانين القوى الساعنة معرفة
 تامة . يكتفون تلك المعرفة ويرهبون تمام الزهد في تطبيقها واستخدامها عملياً .
 وهم يتكروا على أنفسهم أن يشيروا أي ظاهرة من ظواهر تلك القوى بقصد إدهاش
 الناس أو بقصد إشباع رغبة حب الاستطلاع عليهم . وإذا ما سمع مع ذلك -
 يحدثوا بعض الظواهر - لأسباب مباحة تماماً لا تقدم ذكره . لا يربون في ظروف
 خاصة - فهم يفتنون ذلك بوسائل عاقلة تماماً لا هو معروف . ويستعملون به

وعلى عكس ما تقدم يمكن هؤلاء أيضاً أن يحملوا تكاليف تلك القوى الطبيعية
 التي كونوها قصداً بأنفسهم أو بواسطة غيرهم . أو التي تكونت بذاتها من غير
 تدخل
 ولهذا التحليل لم يجعل الإنسان - في أي عصر من العصور - ما للأطراف
 المدعية المدية من منفعة في تحليل أو تفريح القوى الكتمة . ول هذا مشابهة شديدة
 نظرياً للظواهر الكهربائية ، وإنه ليحدث إذا ما لمس الإنسان بطرف معدني مديب
 لمس النقطة التي يوجد منها ما يمكن أن يسمى عقدة التكاليف . فإنه يصدر عن
 ذلك شرار . ولو أن هذا التكيف قام به ساحر - كما يحدث كثيراً فإنه يجوز أن
 يخرج أو يقتل بره فعل الضرية مها كان موضعه . ومثل هذه الظواهر شوهدت في
 كل زمان وفي كل مكان .

وعلى هذا التكيف والتحليل للشار إليها لما ظلت في حالات تستخدم فيها قوى
 من نوع آخر كما في علم الكيمياء . لأنها إنما ترجعان إلى قوانين كلية شاملة كانت
 معروفة في العلم القديم وخاصة في الشرق . ولكنها معهولة عند الحديثين نتائج على
 ما يظهر . وفي المرحلة التي تنحصر بين هذين الطرفين والتكيف والتحليل يستطيع
 الشخص الذي يدبر هذه القوى اللعيفة أن يبسطها نوعاً من الشعور مما يجعل لها
 شخصية ظاهرة تمدح الذين يواجهون تلك القوى الكتمة فيطرون أنها أمام كائنات
 حقيقية .

وإمكان تكيف تلك القوى اللطيفة في أشياء تختلف طابعها تمام الاحلاف .
 ثم الحصول على نتائج ذات مظهر شديد غير عادي من ذلك التكيف . إنما يجب
 اللتام عن خطا الرأي الذي يحتفه المحدثون والذي يذهب إلى أن الوسيط لا بد
 أن يكون إنساناً . وينبغي أن تنبه هنا إلى أنه قيل الروحية الحديثة كان استعمال
 الإنسان كمكشاف أولاً مقصوراً على أخط أنواع السحرة . لا يجوز أن يربط من

قوى من نوع آخر . ولو تشابهت النتائج الظاهرة .

وإذا وجد هناك تشابه بين القوى الحسية كالكهرباء . وبين القوى السببية أو النفسية . فإنه يوجد أيضاً مثل هذا التشابه بين هذه الأخيرة . وبين القوى الروحية التي يمكن - مثلاً - أن تتكرر بدورها في أمكنة معينة . أو في أشياء معينة أيضاً . ويمكن أن تصغر نتائج تشابه في الظاهر عن تلك القوى المتشابهة و طياتها وهذه المشابهات الظاهرية . هي مصدر الخلط والاعتداع الكثير .

الذين لا يمكن أن يتعاشها الذين يتفرون على تحقيق تلك الظواهر .

والسحرة بكنهم - ولو إلى حد محدود - أن يقلقوا بعض كرامات الأولياء .

ومع هذا التشابه الظاهري في النتائج . فإنه ليس يوجد شيء مشترك بين مصادر المتشابهة فيما بينها تماماً .

وليس يدخل في موضوعنا هذا التكلم عن فعل هذه القوى الروحية . ولكن مما تقدم نستطيع على أقل تقدير أن نستمد النتيجة المهمة . وهي : أن القوى غير مكرهة لا تقوم دليلاً . ولا تنهض جمعة على شيء من الأشياء . وأنها لا تستطيع أن تفتت صحة نظرية من النظريات كما كانت . إذ أن نفس الظواهر غيب أحياناً أو تفسر بصورة تختلف باختلاف الأحوال والظروف . وإبه ليندر ألا يوجد لظواهر معينة إلا تفسير واحد محكم

وخلص من هذا كله إلى أن العلم الحقيقي لا يمكن أن يتكون إلا إذا بدأ من فوق . أي من " مبادئ عالية " نطقها على الواقع التي ليست و الخفيف إلا سابع لتلك المبادئ تقرب أو بعد عنها . وهذا يقضي بصلته العلم البرهان عندئذ . ذلك العلم الذي يريد أن يبدأ من الواقع ليستخرج منها تفسيراً شاملاً لو كان الأكل يمكن أن يستخرج من الأكل . وكما لو كان الأوسع ينصير الأوسع . وكما لو كانت المادة يمكن أن تكون معياراً للروح وحداً لها

في الحضارة الروحية لا يتصور أن إنساناً يزعم أنه صاحب فكرة معينة ابتدعها أو اخترعها . وإذا زعم ذلك شخص ، فإن هذا يمكن في إزالة الثقة بفكره . لأنها قد حيث مجرد خيال ، إذ أن المكروه إذا كانت حقيقة ، فهي مشاع بين كل من هم أهل لفهمها . أما إذا كانت خطأ فإنه لا يفتر أحد بادعاء اختراعها . والفكرة الحقيقية لا يمكن أن تكون حادثة ، ذلك أن الحقيقة ليست نتاج العقل الإنساني . إنما موجودة مستقلة عنا ، ومهمة أن نعرفها ، أما إذا خرجنا عن دائرة هذه المهمة فإنه لا يمكن أن نخرج إلا خطأ . ولكن أبحاث الحليين عن الحقيقة ، وهل يعلمون معنى هذه الكلمة ؟ إن الكلمات قدمت معانيها في هذا العصر الحديث ، فأصحاب مذهب و البرجماتم و المعاصرون يعرفون و الحقيقة و بأنها كل ما يصلح للإنسان إلى منفعة عملية . وهم في هذا يتعدون كل البعد عن النظام الروحاني .

إن الفلسفة الحديثة ، لأنها فردية شخصية ، قد وصل بها الأمر إلى إنكار النبوة ، ووضع العقل فوق كل شيء . ولقد جعلت منه - وهو الملكة الإنسانية الخفية - الجزء الأسمى من القوة الداركة ، بل إنها ذهبت إلى أبعد من ذلك فصورت القوة الداركة على العقل ، وهذا هو مذهب و العقليين و (١٠) و المؤسس الحقيقي له هو و الواقع ديكرارت . وقصر القوة الداركة على العقل ليس إلا مرحلة أول ، إذ أن العقل نفسه أخذ يترن شيئاً فشيئاً عن صفته النظرية إلى أن حدد عمله بأنه على الخصوص الناحية العملية . وهذا التعديد كان ثابتاً لزيادة الاهتمام بالتطبيق العملي ، ذلك الاهتمام الذي يجعل الناحية العملية النظرية في المرتبة

(١٠) Rationalisme مطلب للعقل وليس كمنهج للنبوة ، ويؤم ضد كل شيء .

بالارتقاء . وهذا المذهب هو الذى ينهى إلى معارضة ، المذهب العقلى ، في أنه
يُخذ على العقل أنه لا يمكن أن يقوم بدوره قياماً صحيحاً في دائرة التغير والضرورة
والكثرة . إنه يعجز عن أن يجعل قواعده تحتوي على التغيرات الحسية اللانهائية
لتأرجحة . ومن هنا كانت الصورة الحديثة التي لبسها مذهب النشوء والارتقاء ،
نقح مذهب « الحنسن » لبرجسون وهو مذهب فردى لا يمتشى مع الاتجاه
لروحاني . مثله في ذلك مثل « المذهب العقلى » . وإذا كان صاحب مذهب
الحنسن قد انتقد المذهب العقل فإنه قد نزل إلى مرتبة دنيا حينما التمس إلى ملكة أكثر
من العقل هي الحدس الحسى الذى لم يجدده برجسون تمام التحديد . والذي امتزج
قبلاً أو كثيراً بالخيال والفرزعة وبالعاطفة ، وهكذا وصل بنا الأمر أننا لم نعد نصد
البحث عن « الحقيقة » ولكن بصدد البحث عن « الواقع » . بل « الواقع »
انفصر على الدائرة الحسية مفهومة على أنها في جوهرها متغيرة متأرجحة . بين هذه
النظريات جردت القوة الدائرية عن جميع أقسامها السامية . واقتصر فيها على أدنى
أجزاءها ، بل إن العقل نفسه لم تعد له من قيمة إلا في الأفعال الصناعية . وللمعرفة
ذلك لم يعد إلا خطوة واحدة هي الإنكار لطلق لقيمة القوة الدائرية . وللمعرفة
روضع « المنفعة » بدل « الحقيقة » . وهذا هو مذهب « البرجماتسم » (١٥) . وهو
مذهب لا يستشرف المعرفة الروحانية . ولا يتجه إلى السماء يستلهمها الرشد
الحق . بل إنه لا يقف بنا عند حد المعرفة لبشرية الإنسانية كالمذهب العقلى . إنه
يرول بنا إلى مرتبة أقل من المرتبة الإنسانية ، مرتبة تستغنى « باللاشعور » الذى
يحملة ولم يجسس الوسيلة إلى الاتصال بالأولية . وفي هذا قلب للأوضاع
الطبيعية .

(١٥) طريقة تحمل الدائرة الحسية مقياس الحقيقة ، والحقيقة في هذا للمذهب تطلق بكل بساطة على كل

ماله فائدة حسية

الثابتة . على أن ديكارت نفسه كان في الحقيقة معيماً بالتطبيق العمل أكثر من عاينه
مالمع البحث . وليس هذا كل شيء ، بل الفردية الشخصية في الفلسفة قد أدت
بالضرورة إلى المذهب الطبيعى (١٦) لأن كل ما هو خارج عن الطبيعة بعيد من
منازل الفرد باعتباره فرداً . والمذهب الطبيعى وإنكار ما وراء الطبيعة ، مما شء .
وإذا كانت الفلسفة الحديثة قد أنكزت البصيرة ، فإنه لم يعد هناك محل
للبحث فيما وراء الطبيعة . يد أنه إذا كان بعض الأشخاص لا يزالون يصرون على
إقامة مذاهب « مزيفة » فيما وراء الطبيعة ، فإن غيرهم قد اعترف في صراحة بعدم
إمكان ذلك ، ومن هذه النظرة نشأ « النسيون » (١٧) في عطف صورهم ، سواء في
ذلك « للمذهب النقدي » (١٨) وكانت ، أو « الفلسفة الوضعية » (١٩) لأوجيت
كونت ، وما أن العقل نفسه نسى ، ولا يمكن أن يشر حقيقة إلا في محيط نسى
كذلك ، فإنه من الواضح أن مذهب « النسبية » هو النهاية المنطقية للمذهب
العقلى .

وبذلك يهدم المذهب العقل نفسه ، ذلك أن « الطبيعة » و « الضرورة »
يعيان في الواقع شيئاً واحداً ، ولذلك كان الطبيعى المنطق للمسيح مع مطلقه
فيلسوفاً من فلاسفة الضرورة ، ومثله الأهل يتحقق في مذهب « النشوء

(١٦) Naturalisme للمذهب الطبيعى ، هو للمذهب الذى يزود كل شيء إلى الطبيعة ، ويرى أنها
لبداً لأول

(١٧) للمذهب نسبي Relativisme معبى عقل يرى أن المعارف الإنسانية كلها نسبية .

(١٨) Criticisme بلعب عقل وكانت ، يبحث في المعلوم الذى يجب أن يتخطاه العقل إذا أراد التمس
في دائرته حتى يخلق ما

(١٩) Positivisme هو مذهب عقلى لسه أوجيت كونت ، يزعم أن الإنسان لا يمكنه أن يعرف في ذلك
إلا الحقائق التى تستمد من طريق للاسقاط أو البصيرة

تلك هي خاتمة الفلسفة في العصر الحديث وهي خاتمة ما كان يمكن أن نوجه في حضارة روحانية .

لا يريد أن تظيل في الحديث عن الفلسفة الحديثة فإنه يجب ألا نستطيع من الأهمية أكثر مما ينبغي لها ، إنها من وجهة نظرنا لا تعدو أن تكون نصاً يعبر عن الحياة البينة في زمن معين . إنها تعبر عن اتجاه البينة ولكنها لا تنشأ . وأنه لمن المؤكد أن الفلسفة الحديثة تنتسب في أصولها إلى ديكارت . ولكن تأثير ديكارت في عصره أولاً ، ثم فيما تلاه ، ما كان يمكن أن يوجد لو لم تكن الآراء التي قال بها تتجور مع اتجاهات سبقته وعاصرته . إن الروح الحديثة وجدت في الديكارتية مرآة تصورهما . فلما طرقت في المرأة نبتت معها في وضوح أوضح . على أنها تجد في كل المبادئ أن الظواهر التي تشبه الديكارتية هي نتائج أكثر منها مبادئ مبتدعة . إنها ثمرة عمل موجود وإن كما لا يشعرك في وضوح وبداهة ديكارت أوضح مثل للاختراف الحديث فإنه ليس المستول عن ذلك وحده ، بل ليس أول مستول عن ذلك

• من جو الفلسفة إلى جو التصوف :

و يعرف نفسك بنفسك .. (١٧)

كثيراً ما نقال هذه الجملة - عرف نفسك بنفسك - وكثيراً ما نجنى القصد .

وبين هذا القول وذلك التصور يمتزجا سؤالات :

أولها : ما هو المصدر الأصم للمعلمة ؟

وثانيها : ما مدلولها الحقيقي وما ترمى إليه من أغراض ؟

(١٧) مجلة للشرق ، في الحلية سنة ١٩٢٩ م ، مايو سنة ١٩٣٦ م

قد يجيل لبعض القراء - عند أول وهلة - أن السؤالين معزقان . لا رابطة إلا صلة تشعبها . وعند تدقيق النظر والبحث والمحيص ، سيثبت هؤلاء أن

سؤالين مرتبطان ببعضهما كل الارتباط .

إذا سألتنا أفلطون عن دروسه الفلسفة اليونانية ، عن الإنسان الذي فاه بهذه

حكمة ، لا نرود فريق منهم في الإجابة بأن القائل سقراط . في حين يقول فريق

بأن أفلطون .. ويقرر فريق ثالث بأنه فيثاغورث .

من هذا التصارب في الرأي . وذلك التبين في القول نستطيع الحكم بأن

لجملة تقرأ في كتاب لأحداهم باعتبارها مصلوفا .

وقد يبدو حكماً هنا جائزاً ، ولكنه في الحق حكم صحيح ، ثبت للقارئ

صحة عندما يعلم أن الذين من أولئك اللاسفة - هما فيثاغورث وسقراط - لم يختلفا

شيئاً مكتوباً أو منقوشاً . وأما ثالثهم أفلطون فإن أحداً - بالفاً ما بلغ من العلم

بالفلسفة - لا يستطيع أن يميز على التحديد ، ما قاله أفلطون نفسه ، أو ما قاله

لسان أستاذه سقراط ، الذي لم نعرف أكثر آراءه إلا بواسطة أفلطون . وقد يكون

أفلطون استقى من مدرسة فيثاغورث بعض التعاليم التي نشأ في محاوراته ، كما استقى

من سقراط نفسه .

من هذا نرى أن من الصعب جداً أن نحدد نسبة بعض العبارات إلى أحد

الثلاثة ، فما ينسب لأفلطون قد ينسب لسقراط في حين قد يكون سابقاً لوقت

الآخرين مما . فيكون صدر من المدرسة الفيثاغورية . إن لم يكن من فيثاغورث

نفسه .

والحق هو أن المصدر الحقيقي لهذه الجملة لأقدم تاريخنا من أولئك الفلاسفة

أنفسهم ، بل لأكثر قديماً من تاريخ الفلسفة نفسها . وأكثر من هذا وذلك ، إنها

أسمى مجالاً من مجال الفلسفة ذاته .

هذه العبارة ، وجدت محفورة على باب هيكل «أبولون» في «دلفي»
 واتخذها سقراط كما اتخذها غيره ماعدا لتعاليمهم - وإن احتلمت التعاليم ، ونابت
 المقاصد - ومن المحتمل جداً أن فيتأخروث استعمالها قبل سقراط نفسه .

والذي فهمه من هذا هو أن أولئك الفلاسفة حاولوا أن يظهرُوا لنا ، بل
 أظهرُوا لنا بالفعل ، أن تعاليمهم لا تكن من تلقاء أنفسهم فحسب ، بل كانت من
 مصدر أسمى ، ومترلة أربع ، يتناسبان مع مصدر الوحي ، ومترلة الإلهام .

لهذا نراهم مختلفين جد الاختلاف عن الفلاسفة الحديثين ، الذين يحاولون جهد
 طاقاتهم أن يقولوا شيئاً حديثاً يدعون أنه من سات أفكارهم الخاصة . وإن
 ما يدورونه من آراء وقف عليهم .. كأن الحقيقة تلك لشخص معين .

والآن لماذا كان يود الفلاسفة القدماء أن يروطوا تعاليمهم بهذه العبارة ؟
 أو عبارات مماثلها ؟ ولماذا بمكسأ أن يقول . إن هذه العبارة أسمى مترلة من الفلسفة
 نفسها ؟

للجواب عن الفقرة الأخيرة من هذا السؤال ، نقول : إنه منحصر في المنق
 الأصل المقصود من اشتقاق كلمة الفلسفة نفسها . التي قيل إن أول من استعملها
 فيثاغورث .

كلمة « فيلسوفيا » تعني غاماً « حب الحكمة » والميل للحصول عليها . وقد
 استعملت لتدل دائماً على كل تخضير للحصول على الحكمة . وعلى الأخص فيها .
 حيث تساعد على أن يصير « سوموس » أي « حكيماً » وبعاً أن الوسيلة لا تزهد
 على أنها غاية ، كذلك « حب الحكمة » ليس هو « الحكمة » بذاتها .

وبعاً أن الحكمة هي بذاتها المعرفة الحقيقية الباطنة ، فإنه يمكن القول بأن المعرفة
 العلوية . إن هي إلا المعرفة السطحية الخارجية . وليس لها قيمة في نفسها ، أو من

سها . وما هي إلا درجة أولية . في الطريق المؤدية للمعرفة السامية الحقة التي هي
 حكمة

معروف لمن درسوا الفلسفة . أن معظم الفلاسفة القدماء ، كان لهم في
 مدارسهم ، نوعان من التعليم : خارجي ، وداخلي .

أما الأول : فهو ما كان مكتوباً . وأما الثاني : فيصعب علينا معرفة طبيعته على
 التحقيق . وذلك نقصوه على القديين أولاً ، ولصفته السرية ثانياً . وهذه الصيغة
 وتلك القلة ديلان على وجود عرض أسمى من تعلم الفلسفة الذي لا يستطيع
 تأديته . على أن نتفق أن لهذا تعليم السري أقوى صلة مباشرة بالحكمة ذاتها ،
 والذي ما كان مرده - في حاله ما - العقل أو الاستدلال المنطقي : كالفلسفة التي
 تعتمد عليها . وبها سميت المعرفة العقلية

وسلم من الفلاسفة القدماء بأن المعرفة العقلية - أي الفلسفة - ليست هي
 المعرفة العليا الحقة ، وعبارة أخرى : ليست هي الحكمة ذاتها .

لكن . هل يمكن أن نُعلم الحكمة كما نُعلم المعرفة الخارجية بواسطة التقني
 أو الكتب ؟ هذا مستحيل كل الاستحالة . وسرى سبب ذلك والذي يمكننا أن
 نقره هو أن التخضير الفلنسي ما كان ليكن مطلقاً . لأنه لا يختص إلا بقوى محدودة
 هي نفسها العاقلة . في حين يستمد التخضير للعكمة من الكون الكلي للإنسان
 نفسه

وإذن هناك تخضير آخر للحكمة أسمى مترلة من التخضير الفلنسي . لا يلبغ فيه
 إلى العقل . بل إلى النفس والروح . وهذا ما نستطيع تسميته بالتخضير الباطني ،
 الذي عرف أنه من الصعفات التي امتاز بها تلاميذ فيثاغورية المتمازرون . والذي ظل
 حتى مدرسة أفلاطون . بل حتى وصل إلى الأعلامطوية الحديثة بمدرسة

الإسكندرية . التي ظهر فيها ذلك التحضير بوضوح تام . كما ظهر جلياً في نفس الوقت عند أتباع القيناعورية الحديثة .

مثل هذا التحضير الباطني . تتصل الكليات على أنها صور رمزية لإحدى الوسائل التي تساعد على تركيز التامل الباطني وبهذا التأمل ينقل الإنسان إلى عصر حالات نفسية . وروحانية يمكنه فيها أن يسور فوق درجة المعرفة العقلية . التي وصل إليها سابقاً . وبما أن هذه فوق مستوى العقل فإنها - منطقياً - فوق مستوى المعرفة . إذ يتحيل علينا أن نعلمي الفلسفة غير المعنى المعروف عنها . فهي دائماً لتعيين ما يحثه العقل فحسب .

ومن الغرابة أن الفلاسفة الحديثين كثيراً ما يقدرون الفلسفة بهذا القيد كأنها كاملة في نفسها . وغاب عن أذهانهم أن فوق فلسفتهم ما هو أسمى بكثير .

وقد عُرف هذا النوع من التعليم الباطني في الأقطار الشرقية قبل أن يعرف في اليونان . حيث كان معروفاً عند الأخيرين باسم « ميتيرا » ، أي [الماتيرا]^(١٧) وقد أدخل أولئك الفلاسفة - وخاصة فيثاغورث - تلك الميتيرات في تعاليمهم لأنها كانت بالنسبة إليهم نوعاً جديداً . ومعنى حديثاً للآراء القديمة . فقد كان يوجد أنواع كثيرة من تلك الميتيرات لما مصادر مختلفة . ولكن التي أهمها فيثاغورث وأفلاطون كان لها صلة بطقوس معبد [أبولون] .

وقد احتفظت الميتيرات دائماً بصبغة سرية . ولذلك صار اسمها مرادفاً للسر . فالعنى الأصل لتلك الكلمة هو الصمت التام . فكل الأشياء التي تتصل بالمعبيات غير قابلة للتفسير بواسطة الكلمات . وبهذا لم يكن لها من طريق التعليم غير

(١٧) ، سم على حبه ومعنى يؤدي المقصود من كلمة (ميتيرا) وقد راجعنا الأستاذ فريدريك وحدي لى هذا صرح بها بكلمة (الماتيرا) وكما نرى أنها قد تكون المعينات أو الرموز ، أو الخفايا . فمثل أحد مصرات التراث عند ما معنى أدنى

فرقة الصمت . وحاء الفلاسفة الحديثون فلم يعرف أكثرهم تلك الطريقة ، فهربوا خلف استعمال الكلمات التي تدعوها من طريق التعليم الصامت كانت طريقته الأشكال والرموز

ويكفينا أن نتأكد أن هذا التعليم الصامت كانت طريقته الأشكال والرموز برسائل أخرى ، يراد بها تهيئة الإنسان لحالات باطنية يمكنه بها - بعد حطرات تامة - أن يصل أخيراً إلى المعرفة الحقيقية ، وهذا هو الغرض الأساسي العام من « ميتيرات » وما يشابهها عرض . أما « الميتيرات » التي تتصل بطقوس [أبولون] أو [أبولون] نفسه ، فإنه ينبغي أن نشرح للقراء بأنه كان معروفاً في عرفهم بأنه رب شمس والنور ، والمعنى الروحي للنور وهو المبدأ المشرق الذي منه تنبعث كل شعور والنور ، والمعنى الروحي للنور وهو المبدأ المشرق الذي منه تنبعث كل شعور من علوم وموت .

وقد قيل إن الطقوس الدينية لمبدأ « أبولون » جاءت من الأقطار الشمالية ، وقد ثبت هذا في الكتب المقدسة « كالقيدا » الهندى . و « الأقتنا » الفارسى . وقد كانت دلتى معروفة بأنها المركز العام . وقد وجد في ميكنها حجر يسمى « مملوس » يرمز إليه بأنه مركز لعالم .

يظهر أن تاريخ فيثاغورث . بل اسم فيثاغورث معه له صلة وثيقة بالطقوس الدينية لأبولون . فقد كان يسمى « بيثوس » . وقد قيل إن « بيثو » هو الاسم القديم لدليل . وإن المرأة التي كانت تطلق وحى الألهة في الهيكل كانت تسمى « بيثيا » ومعنى « بيثيا جوراى » هو دليل « بيثيا » . ودليل بيثيا هو نفسه . وقيل أيضاً إن البيثيا هي التي أعلنت أن سقراط أحكم الرجال . ومن هنا نستطيع أن ندرك أن لسقراط اتصالاً خاصاً بالمركز الروحي في دوس كفيثاغورث أيضاً مدعى أن لسقراط اتصالاً خاصاً بالمركز الروحي في دوس كفيثاغورث أيضاً أضف إلى ذلك أن كل العلوم كانت تتسب إلى أبولون . وبخاصة الهندسة والطب . وقد كان أبولون يمثل نفسه كأنه يمارس هذه العلوم عامة والهندسة منها ووجهاً خاصاً . وفي مدرسة فيثاغورث كانت الهندسة وسائر فروع الرياضة هي الجزء

فإنها أولاً تفيد أن التعليم الخارجي لا يمكن أن يتبع معرفة حقيقية - وهي التي يهداها الإنسان في نفسه فقط - ولا يتحقق أن أي معرفة لا يمكن الحصول عليها إلا بالإدراك الشخصي - وبدونه لا يكون التعليم ذا نتيجة فعالة ، والتعبير الذي لا يوقظ بينم يتلقاه ما يناسب لا يمكن أن يعطى أي معرفة بالرة ، ولذلك قال أعلامون : إن كل ما يتعلمه الإنسان هو في قرارة نفسه ، وإن تجاربه وما يحيط به من الخارج ما هي إلا أسباب تساعد لتبصر عدلنا بما في نفسه وهذا التيقظ الهام يسمى «أناسيس» أي التذكر ، وهذا كان هذا صحيحاً لأي معرفة بالأخرى أن يكون أصبح بالنسبة للمعرفة الأسمى والأعمق . فإذا شُخص الحصول على تلك معرفة فإن كل الوسائل الخارجية -حسية نصيح - شيئاً فشيئاً - غير كافية ، حتى أنها أخيراً تكون عديمة الفائدة - ومع أنها ربما تساعد على الاقتراب عدة درجات نحو الحكمة فإنه لا يمكن بواسطتها الحصول عليها تماماً ، ومن الشائع في المهد أن «الجور» الحقيقي أي ، الشيخ « هو في نفس الإنسان - ولا ينبغي البحث عنه في العالم الخارجي ، أما المساعدة الخارجية فربما تكون ضرورية في البداية ، وذلك لتبوير نصير قادراً على أن يحد في نفسه نفسه ما لا يمكنه أن يجده في العالم الخارجي ، وحضوره ما كان فوق مستوى المعرفة العقلية ، بأنه يحتاج إلى تحقيق حالات تتعمق دائماً في باطن الكائن ، وتوجه نحو المركز الرموز إليه بأنه القلب . وعندئذ ينبغي انتقال إحساس الإنسان حتى يصبح قادراً على الحصول على المعرفة الحقيقية . وهذه الحالات التي كانت تتحقق في [الغيبات] كانت درجات في الانتقال من العقل إلى القلب - وقد كان في هيكل دلتق حجر يسمى « الأوفالوس » يمثل به مركز الكائن الإنساني ، وفي نفس الوقت مركز العالم ، وذلك للصلة التي بين « العاة الأكبر » ، و « العالم الأصغر » أي الإنسان ، ولذا تعد ن كل ما في أحدهما يتصل اتصالاً تاماً بما في الآخر

العام في التحضير للمعرفة العليا ، وعند هذه المرة لم يكن لتلك العلوم تذكراً حائياً ، بل كانت تستعمل كرموز للحقيقة الروحية ، وقد كانت الهندسة لدى أعلامون - تحصيلياً ضرورياً لكل فرع من فروع تعاليمه ، حتى صح عند قوله لدى حمره على مدخل مدرسته ولا يدخله إلا عالم بالهندسة « - ويظهر معنى هذه الكلمات جلياً إذا قوربت بقول آخر لأعلامون نفسه « الإله يصنع الهندسة دائماً ، وهذا يجب أن نذكر أن المقصود بالأله المهندس هو أبولون

وإذا ن فيجب ألا ندهش إذا ما رأينا الفلاسفة القدماء استعملوا تلك التسمية المحفورة على مدخل هيكل دلتق ، بعد أن عرفنا صلة الاتصال بهم وبين طقوس أبولون وزموره

من كل ما تقدم يمكننا أن ندرك بسهولة ما القرض الحقيقي لهذه الجنة . وبمكس يصح أن ندرك أخطاء الفلاسفة احديثين فيها ، وأساس حطام هذا الشئ من أنها أخذوا الحملة باعتبارها صادرة من أحد الفلاسفة الذي كثيراً ما يسون إليه فكره كعقوبتهم ، مع أن الحقيقة هي أن لمكة القديمة كثيراً ما تختلف عن الفكرة الحديثة كما الاحتلاف ، ولذا يعطى كثير منهم لهذه الحملة معنى سيكولوجياً وعلم النفس « . مع أن علم النفس هو دراسة الظواهر العقلية محسب . أي دراسة الوصف الخارجي - لا الداخلي - للكائن الحي . ويرى بعض الحديثين - وخصوصاً الذين يسيرونها إلى سقراط - أنها وصفت لعرض غشي ، هو البحث عن قانون داخل لاستعماله في الحياة العملية . وكل هذا بالسيارات الظاهرة - ولو أنها أحياناً لا تكون باطلة - فإنها على الأقل لا تنكي تماماً ، ولا تحقق الصفة المقدسة التي كانت لهذه الحملة في أول الأمر . وهي التي لها معنى أعمق كثيراً من هذه التسميات الظاهرة .

قال ابن سينا :

وتحسب أنك حرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ومما يدعو إلى التسلية حقاً هذا الاعتقاد الذي سار قديماً بأن « الأومالوس » كان قد سقط في السماء ، وإنك لتدرك ثمة اعتقاد اليونان القدماء في هذا الحبر إذا علمت أنه يقرب من اعتقادنا في الحبر الأسود الذي في الكعبة المقدسة . وهذا التشابه الذي بين العالم الأكبر والعالم الأصغر [الإنسان] هو الذي لا يعمل من أهدمها صورة للآخر . وهذا الاتصال بين العناصر التي يحويها كلاهما يبرهن أن الإنسان يجب أن يعرف نفسه أولاً لكي يتمكن أن يعرف كل ما حوله . لأنه يمكنه أن يجد كل شيء في نفسه ولهذا السبب نجد أن لبعض العلوم - وخاصة تلك التي كانت حراً من المعرفة القديمة - والتي أصبحت غير معروفة تقريباً عند الحديثين

معينين :

ففي الشهود المعينة تشير هذه العلوم إلى « العالم الأكبر » فتعتبر صحيحة من هذه الوجهة ، كما يوجد لها في نفس الوقت معنى أكثر عمقاً ، وهو يشير إلى الإنسان وإلى الطريق اللاطني الذي بواسطته يمكنه إدراك المعرفة الحقيقية في نفسه ، أي إدراك كائنه الخاص ، وقد قال أرسطو في ذلك « الكائن هو كل من يعرف ماهيته » ولذلك حيث توحد المعرفة الحقيقية - لا طواهرها ولا شحها - تدمج المعرفة والكون ويصيران شيئاً واحداً .

والشيخ فسره أفلاطون بأنه كان معرفة بالحس ، حتى المعرفة العقلية . فإنها برغم أنها تكون من درجة أعلى من مصدرها فإن مصدرها الأول هو الحس . والمعرفة الحقيقية هي يوف مستوى العقل . ولهذا يرى أن تحقيقها أو تحقيق مديها الكائن نفسه يشابه أو يطاقن تكوين العالم كما ذكرنا سابقاً . ولذا فإن بعض العلوم

من ظواهر هذا التكوين قد استعملت « الفيات » القديمة على هذا المعنى بلى . كما وجد أيضاً في كل أنواع التعاليم التي كانت ترمي إلى نفس الغرض بين الأمم البشرية . وفي العرب يظهر أن مثل هذه التعاليم وجدت في رسم القرون وسطى . وبما أنها فقدت الآن كما ، بدرجة أي عالية لتربيتها ليس عديم عقل فكرة عن طبيعتها أو وجودها أو مكانها .

فما سبق ترى أن المعرفة الحقيقية ليس طريقها العقل - بل طريقها النفس وزوج . ويمكن أن نصيب إليها كائن الكون . لأنه ما هي إلا الإدراك الكلي مد الكائن في كل حالاته . وهذا هو هدية وكسب المعرفة . والحصول على الحكمة سانية . وحقيقة كل ما يخص بالحس وما يخص بالروح أيضاً . يظهر فقط الدرجات في هذه الطريق إلى الجوهر الباطني : أي النفس الحقيقية .

وهذا يمكن إدراكه فقط عندما يصل الكائن إلى مركزه الخاص : متحللة كل أجزاء بواده ومركبه في نقطة واحدة . عندها تظهر له كل الأشياء تخريباً جسيماً تلك النقطة كما كانت في مبدئها الأول . وهذا يمكن أن يعرف كل الأشياء كما هي في نفس ومن معه . كما يظهر الوجود الكلي الأوجد في وحدة جوهر الفرد . ومن لسهل أن يرى الفرق بين هذا . وبين علم بالحس في المعنى الحديث . فإن الأول يسمو على الذي معرفة للحس صبح وأعمق . والثاني ما هو إلا حظوه أول في لطريق . ويجب أن نلاحظ أن المعنى لا يسمى أن يقصر على الحس . لأن كنهية « الحس » مسخمة في اللغة العربية في يطبقها في اليودية « يسبحي » لا يظهر معاه إلا في اللمنة لأصلية لني نحوي . في مثل هذه الحالة لا يمكن أن يسرى هذه كنهية المعنى بساح . من لاند أن يكون ما معنى كثر متراً يجعلها مصدفة لكلمة « ذات » ويجعلها تطابق النفس الحقيقية . ولدينا ما يثبت هذا المعنى في

الحديث الشريف الذي يطابق الحصة اليونانية هو « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

صمدية يعرف الإنسان نفسه - فهو يعرفها حقاً في جوهره الباطني . أي في مركز كائنه ؛ حينئذ يعرف ربه . فإذا عرف ربه عرف كل الأشياء التي منه تصدر وإليه ترجع . يعرف كل الأشياء في الوحدة السامية للسبب الإلهي الذي لا شيء خارج عنه على الإطلاق . وهذا معنى ما قاله سيدي عبي الدين بن عربي من أن لا شيء ، يحلو من اللا محدود .

٦- التصوف الإسلامي هو الوسيلة الصادقة للمعرفة الخلقية :

وعما كانت العقيدة الإسلامية ، من بين العقائد الموحدة (١٨) ، هي القيدة التي يظهر فيها بوضوح التفرقة بين حرائق متكاملين هما : « الظاهر » و « الباطن » . أي « الشريعة » ، وهي الباب الذي يدخل منه الجميع ، و « الحقيقة » و « لا يصل إليها إلا المصطفون الأجيار وهذه التفرقة ليست تمكينية . وإنما تفرغ منها طبيعة الأشياء . ذلك أن استعداد الناس متفاوت ، وبعضهم معد بفضائه لمعرفة الحقيقة .

وكثيراً ما نجدهم يشيرون بالشريعة والحقيقة بالمثل واللب . أو بالذلة ومركزها والشريعة تنصص فضلاً عن الحاجة الاعتمادية الحاجة الشرعية والناحية الاجتماعية . وهما جزءان لا يتجزآن عن الدين الإسلامي . إنها تزوا قبل كل شيء قاعدة للسلوك . أما الحقيقة (١٩) فإنها معرفة محضة . ولكن يجب أن

(١٨) ترجمنا هذا المقال عن مقالات باللغة العربية نضج عبد الواحد يحيى . وحازنا استكناه واستنباط المصنفات الكثيرة التي اقتطعناها من كتب أئمة أوف الإسلامي

(١٩) الشعرية أثر التراث السويدي . والحقيقة ، قاعدة الربوبية . وكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة غير صالحة . أي من غير مقصده بالشرعية فالشرعية حامت بتكلف الحق ، ولعقد إياه عن .

لمن هذه المعرفة هي التي تعطى الشريعة معناها السامي الصحيح . بل هي التي تدور حول الشريعة إنما في الحقيقة - وإن لم يشعر بذلك المؤمنون - المركز الأساسي ، مثلها في ذلك نقل مركز الدائرة بالنسبة لمحيطها .

بدأ أن « الباطن » لا يعني فقط الحقيقة ، وإنما يعنى كذلك ناسل الموصلة إليها . أي الطرق التي تقود الإنسان من الشريعة إلى الخبيثة .

بماذا رحمتنا إلى الصورة الوزرية ، الدائرة ومركزها ، قلنا : إن الطريقة هي الخط - هب من محيط الدائرة إلى المركز . وكل نقطة على محيط الدائرة هي مبدأ لخط وهذه الخطوط التي لا تلتصق - تنتمي - كلها - إلى المركز .

وهذا يقال : « الطرق إلى الله كثفوس بني آدم »

وبهذا اختلفت فلهذا واحد . لأنه لا يوجد إلا مركز واحد . وإلا حقيقة واحدة على أن هذه الاختلافات الموجودة في الباب تزول شيئاً فشيئاً مع زوال لابه . وذلك حينما يصل السالك إلى درجات عليا تزول فيها صعوبات العبد ، التي يست لا . حق . ، ، ، ، . فلا تبقى إلا الصعوبات الربانية ورد محفقت ، الدات «

٦ . ولقاء «

والطريقة والحقيقة مجتمعتان يطلق عليهما : التصوف . وهو ليس مذهباً خاصاً ، لأنه الحقيقة المطلقة . وليست الطرق مدارس عظيمة ، لأنها طرق ، أي

« صير من الحق ، فالشريعة أن تصببه ، والحقيقة أن تشهد ، والشريعة قيام عامل ، والحقيقة شهود لا نفس وهم وحسن وظهر

صحت الأساس أما على دعوى رحمه الله يقول لي بوبه : إياد جيد محيط للشريعة ، وإياد نسيخ الحلال بالحلف واقع أن الشريعة حقة من حيث إنها وحيت نامره . والحقيقة أيضاً شريعة من حيث إن العارف به مسنده أرفق وحيت نامره . عن الرسالة الشريفة «

بمعنى تكون جزءاً جوهرياً من الدين (٢١) . إذ أن الدين بلونه يكون ناقصاً ،
 لا يكون ناقصاً من جهته السامية أعني جهة المركز الأساسي . لذلك كانت فروصاً
 جسيمة تلك التي تذهب بالصوفية إلى أصل أجنبي - يوناني ، أو هندي فارسي ،
 وهي ممارسة بالمصطلحات الصوفية نفسها ، تلك المصطلحات التي ترتبط باللمة
 عربية ارتباطاً وثيقاً . وإذا كان هناك من تشابه بين الصوفية وبين ما يمثّلها في
 لغات الأخرى ففسّر هذا طبيعي لا يحتاج إلى فرض الاستعارة . وذلك أنه
 بادامت الحقيقة واحدة فإن كل العقائد السنية تتحد في جوهرها وإن اختلفت فيما
 سببه من صور .

وتجب الأنطى عناية كبيرة - حينما نتحدث عن أصل التصوف - لتلك
 تناقضات التي لا تنتهي بين مؤرخي التصوف وخاصة لتحديد الفترة الزمنية التي
 وجدت فيها لفظة صوف .

بأن الشيء قد يوجد قبل اسمه الخاص ، سواء وحد تحت اسم آخر أو وجد ولم
 يكن هناك الحاجة لسميته (٢٢) وعلى كل حال فيحصل الحق في مسألة أصل

(٢١) ص الأستاذ ماسبيرون في دائرة المعارف الإسلامية . الدرجة العربية . مادة (صوف) أما دراسة
 مصادر التصوف فإن اللغة بها وبين شكوكها مدارك جيدة . وقد حصر علماء الإسلاميات الأول في تحليل
 دون خلاف الكثير في العية بين مدعب الوحدة الخليل ومدعب عمل الية الصحيح ، فذهبوا إلى أن
 تصوف مدعب دخل في الإسلام بنحو ، إما من رعاية الشام (وهو رأى مركس) . وإما من أفلاطونية
 البرابطينية ، وإما من ردة نشية القوس . وإما من مبدأ الملوذ (وهو رأى جوس) وقد بين (بيكولسون)
 أن جذابي الحكم بين التصوف دخل في الإسلام عبر مقبول ، عاجزاً - بلا حظ - من ظهور الإسلام في الأندلس
 التي انتهى بها منصوره . لسمين شأف في قلب طهارة الإسلام - سبها في أداء مفكره المسلمون على تلاوة
 القرآن والحديث وتفرّجها . وأثرت عما أصاب هذه الحركة من أحداث . وما حل بالأفراد من بزل . على أنه
 بد كانت مادة التصوف إسلامية عربية خالصة فما لا يخلو من فائدة أن تتفرّد على المصنّات الأجنبية التي
 دخلت عنه وقت في كفة

(٢٢) اشترى هذا الاسم قبل لانتني من الجيرة ، فهو اسم علمت منه عهد الصحابة والتابعين
 (ابن خلدون)

سبل موصلة جميعها إلى الحقيقة المطلقة : « التوحيد واحد » .
 ويجب أن يلاحظ أنه لا يمكن لأحد أن يطلق على نفسه أنه صوف . اللهم
 إلا إذا كان ذلك منه جهلاً محضاً ، لأنه بذلك يبرهن على أنه حقيقة ليس بصوف .
 وذلك أن هذه الصفة « ص » بين الصوفين الحقيقيين وبين « ره » ويمكن أن يفرد
 الإنسان عن نفسه أنه متصوف ، وهو عنوان يطلق على « السالك » في أي مرحلة
 كان ولكن الصوف بماء الحقيقي لا يطلق إلا على من بلغ الدرجة العليا أن
 أصل هذه الكلمة : صوف (ص) . فقد اختلف فيه اختلافاً كبيراً ، ووضعت فروص
 متعددة ، وليس بعضها بأول من بعض ، وكلها غير مقبولة ، إنها في الحقيقة تسمية
 « رمزية » ، وإذا أردنا تفسيرها ينبغي لنا أن نرجع إلى القيمة العددية لحروفها ،
 وإن لمن الرائع أن نلاحظ أن القيمة العددية لحروف « صوف » تماثل القيمة العددية
 لحروف « الحكمة الإلهية » ، فيكون الصوف الحقيقي هو الرجل الذي وصل إلى

الحكمة الإلهية ، إنه « العارف بالله » إذ أن الله لا يعرف إلا به ، وتلك هي الدرجة
 العظمى « الكلية » فيما يتعلق بمعرفة الحقيقة .

من كل ما سبق يمكننا أن نستنتج أن الصوفية ليست شيئاً أضيف إلى الدين
 الإسلامي ، إنها ليست شيئاً أتى من الخارج فالصق بالإسلام ، وإنما هي ،

(٢٠) هذه التسمية طينت على هذه العاطفة ذيل : رجل صوف وللصناعة صوفية ومن يتوصل إلى ذلك
 يقال له متصوف وللجماعة للتصوفة . وليس يشهد هذا الاسم من حيث العربية قياس ولا انشقاق والأظهر به أنه
 كالقلب . فما تولد من قال : إنه من الصوف وتصوف إذا ليس الصوف ، كما يقال تجسس إذا ليس
 التيس . فذلك وجه ، ولكن القوم لم يخصوا بليس الصوف . ومن قال أنهم مشربون إلى صفة سجدة
 رسول الله ﷺ . فالنسبة إلى الصفة لا تأتي ، على نحو الصوف . ومن قال : إنه من الصفاء فانشقاق الصوف من
 الصفاء سيد في مقتضى اللغة . وقول من قال : إنه مشتق من الصوف ، فكأنهم في الصوف الأول فطورس من
 حيث الحاصرة من الله تعالى فلتلصق صحيح . ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصوف . ثم إن هذه العاطفة
 أشهر من أن يحتاج في تسميم إلى قياس فقط ولانشقاق انشقاق . « عن الرسالة الشعرية » .

التصوف هو ما يأتي : إن السنة ترشد في صراحة لابس فيها إلى أن الشريعة والحقيقة كليهما يبعان مباشرة من تعلّيات الرسول صلوات الله عليه . والواقع أن كل طريقة صحيحة تتخذ على سلسلة ، فصل دائماً إلى الرسول . وإذا كانت بعض الطرق ، فيما بعد ، « اصغارت » أو يتصير أصحح ، ثبتت ، بعض التفاصيل و الطرق [وإن كان التشابه هنا أيضاً يمكن أن يترى إلى الخائل والمعارف وعلى الخصوص فيما يتعلق « بعلم المقاطع والأوزان » في مختلف فروعه] فإن أهمية ذلك لا تتعلق أن تكون أهمية ثانوية لا تحس الجوهر من قرب أو من بعد . والحق أن التصوف عربي إسلامي . كما أن القرآن - الذي يستمد التصوف أصوله منه

- ويقول بعض العلماء : إن هذا الاسم معروف في اللغة الإسلامية من قبل ذلك بل يذهب بعضهم إلى أنه لفظ جاهل عرفه العرب قبل ظهور الإسلام . قال أبو نصر عبد الله بن علي السراج اللطيفي المتوفى سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) في كتاب « في الصوف » : « وأما قول القائل إنه اسم حدث أحدثه الصديقيون لجمال ، لأنه في وقت الحسن البصري كان يعرف هذا الاسم وكان الحسن قد امرهم به ، إذ من أصحاب رسول الله ﷺ وروى عنهم . وقد روى عنه أنه قال : « رأيت صورياً في الطوفان فأخذ : شيئاً لم يأخذه ، وقال من رآه : « موتين فيكهي ما هي » (

وردى عن سيان القنري رحمه الله أنه قال : « زلأ أبو حاتم الصوفي ما عرفت فقهرت الرياء . وقد ذكر في الكتاب الذي جمع أخبار مكة من محمد بن إسحاق بن يسار ومن غيره يذكر فيه حديثاً : « إن ليل الإسلام قد طلب مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت أحد . وكان يحى من بلد جيد رحل صوفياً يطوف بالبيت ويصوف . قال صحح ملك يدل على أن قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم . وكان يسب إلى « علم القنصل والصلاح وفيه أعلم » .

ويضيف للمرحوم الشيخ مصطفي عبد الرزاق على ذلك فيقول : « استعمل لفظ صوف وتصوف لم ينشر في الإسلام إلا في القرن الثاني وبأخذه . سواء أكان هذا التصوف من الزاهد ، والصوف ، وحدث في أثناء ذلك ، كما هو رأي من حددوا صوف عام ٨١٦ هـ (١٤١٦) . فحدثت ، ثم كان لفظاً جاهلياً على ما ذكره صاحب « الفصح » الذي يحاول أن يبرهن الصوفية من الضعاف .

سلخ لم يروه الصحابة ولا التابعون

« عن دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية »

مباشرة - عربي إسلامي إذا كان التصوف يستمد أصوله من القرآن . فمن الطبيعي لا يوجد قبل أن يفهم القرآن ويفسر ويظهر تليقاً تصغير عنه يتابع « الحقائق » التي هي في الواقع معناه التام . وقد فُسر القرآن أولاً لغويًا ومنطقيًا . وكلاميًا . ولكن تسميته صافيًا اتصفت مرود من لفظه في عمق وشمول . وإذا كان القرآن يصير شريعة وحقيقة معاً فلا يوجد بينها ناقص أو اختلاف . وكيف يوجد اختلاف ومصطلح واحد ؟ وكيف يوجد الاختلاف والحقيقة لا تقوم إلا على الشريعة في أساسها وفي سندها . . .

٧- التصوف الإسلامي والتصوف المسيحي للزعم :

عنى أنه يجب ملاحظة أن التصوف الإسلامي - حلاقاً للفكرة الشائعة حاليًا عند الغربيين - لا يبت دابة صفة إلى ما برعمون أنه تصوف مسيحي . أعني ذلك النوع الذي يطلق عليه « المينيسيم » . أما أسباب ذلك فلها سهلة الفهم وقد فصلنا ما سبق من حديثنا وهي :

١ - يبدو واضحاً أن « المينيسيم » شيء خاص بالمسيحية . وإنه لشبيه قائم

على ضلال . ذلك الذي يتندون إليه في ادعاء وجود ما يخالل « المينيسيم » في الأوساط التي لا تعتق المسيحية .

ولا شك في أن هذا الفهم الخاطئ يرتكز على شيء من التشابه الخارجي الذي يتشابه في استعمال بعض التصورات ولكن هذا لا يبرر أياد دعوى التشابه . وذلك لأن الفروق الجوهرية تفجأ النظر ولا تدع للتائل بمجالاً . فالمينيسيم خاص بالمسيحية بدون .

٢ - ثم إنه جزء من الشريعة . إنه من قسم الظاهر ، وهنقه بعيد كل البعد عن

أن يكون المعرفة المحضنة في حين التصوف على خلاف ذلك

ثم إن الشريعة والحقيقة متصلتان اتصالاً يجعل منهما مطهرين لشيء واحد ،
أحدهما خارجي والآخر داخلي ، أو أحدهما ظاهر والآخر باطن .

لذلك كان ما يوجد في الغرب الآن ، من جماعات تدعى أنها على السبيل
الصوفي ، وهي مع ذلك لا تركز على أية شريعة إلهية . مجرد خداع . ومن
البديهي أن هذه الجماعات - ومن وجهه النظر الصوفية الصحيحة - ليست على
شيء .

ولشرح الأشياء بأبسط الطرق نقول :

إن الإنسان لا يشيد القصر في الهواء . إنه لا يشيده على غير أساس - وكل فكرة
لا تركز على أساس من السنة الصحيحة إنما هي بناء في الهواء . إنها بناء على غير
أساس . والبناء الذي يمكن أن يبقى على الدهر لا بد له من أساس مدعم . وعلى
الأساس يرتكز البناء كله . حتى الأجزاء العليا منه . والارتكاز على الأساس يستمر
حتى بعد انتهاء البناء .

وعلى هذا الخط تكون السببية بين الشريعة والتصوف . فالشريعة الصحيحة
هي الأساس الذي لا بد منه لكل سالك ، وكالأساس تماماً . لا يمكن طرح
الشريعة بعد سلوك الطريق

بل نقول أكثر من ذلك : إنه كلما سار التصوف في طريقه واستغرق فيه . بدت
له ضرورة الشريعة واستارت معرفته . وأصبح فهمه لها أكثر عمقاً وأكثر دراية
بحقيقتها من هؤلاء الذين درسوها وآمنوا بها بدون أن يضرروا بسهم في الميدان
الصوفي . ذلك أنهم لا يرون من الشريعة إلا مظهرها الخارجي ، ولكن الصوف
يعيش في جوها الروحي ، ويتعابها . إذا أمكن هذا التعر

على أن هذا الذي لا يمتنع شريعة صحيحة ولا يلتزمها ، لا يمكن أن يجا إلا

حياة دنيوية بحتة . فلا يمكن أن يطلق عليه رجل دين ، فضلاً عن أن يطلق عليه
صوف الصوفي .

عنى أن الغربيين الذين يعملون الدين معزل عن شطوهم اليومي . كما هو شأن
الأكثرية الساحقة منهم . لا يمكن أن يوصفوا بأنهم متدينون . وإن آمنوا بعيسى
بأدوا الشعائر الكنسية .

وإذا كان لا يقبل من رجل الدين أن يعرض تدينه بدون أن يجعل للشريعة
سيطرة على قياده . فإنه لا يقبل من باب أولى من رجل التصوف أن يزعم اتساقه
في الصوفية دون أن تسيطر شعائر الدين والتزاماته على حياته .

وهناك ، لا شك ، نوعان من الحياة : حياة دنيوية ، وحياة دنيوية ، ومع ذلك
فالفرق بينهما إنما هو من جهة ما تصطبغ به فكرة الإنسان عن الأعمال التي
يؤديها .

أريد أن أقول : إن الأعمال في نفسها لا توصف بأنها دينية أو دنيوية . وإنما
تأتي لها أحد الوصفين بسبب سيطرة الفكرة لدينية عند القائم به - لأعمال أو عدم
سيطرتها . وقد يكون العمل واحداً في نوعه ويؤديه شخصان ، فيوصف عند
أحدهما بأنه ديني ، وعند الآخر بأنه دنيوي . من كان القصد ، لله ، والعمل ديني .
وإن كان القصد شيئاً آخر فالعمل دنيوي . والحديث الشريف يوضح هذه الفكرة
كل التوضيح . « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » ، من كانت هجرته
إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة
يكرهها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه .

ومن البديهي أن الحديث في أوله عام بالنسبة لكل الأعمال . وإن مسألة
الفتحة فيه تطبق جزئياً لقضية عامة .

وفي العصور القديمة لم يكن هناك تفرقة بين دين ودنيا . بل لم يكن هناك مجرد

117
 118
 119
 120
 121
 122
 123
 124
 125
 126
 127
 128
 129
 130
 131
 132
 133
 134
 135
 136
 137
 138
 139
 140
 141
 142
 143
 144
 145
 146
 147
 148
 149
 150
 151
 152
 153
 154
 155
 156
 157
 158
 159
 160
 161
 162
 163
 164
 165
 166
 167
 168
 169
 170
 171
 172
 173
 174
 175
 176
 177
 178
 179
 180
 181
 182
 183
 184
 185
 186
 187
 188
 189
 190
 191
 192
 193
 194
 195
 196
 197
 198
 199
 200

117
 118
 119
 120
 121
 122
 123
 124
 125
 126
 127
 128
 129
 130
 131
 132
 133
 134
 135
 136
 137
 138
 139
 140
 141
 142
 143
 144
 145
 146
 147
 148
 149
 150
 151
 152
 153
 154
 155
 156
 157
 158
 159
 160
 161
 162
 163
 164
 165
 166
 167
 168
 169
 170
 171
 172
 173
 174
 175
 176
 177
 178
 179
 180
 181
 182
 183
 184
 185
 186
 187
 188
 189
 190
 191
 192
 193
 194
 195
 196
 197
 198
 199
 200

117
 118
 119
 120
 121
 122
 123
 124
 125
 126
 127
 128
 129
 130
 131
 132
 133
 134
 135
 136
 137
 138
 139
 140
 141
 142
 143
 144
 145
 146
 147
 148
 149
 150
 151
 152
 153
 154
 155
 156
 157
 158
 159
 160
 161
 162
 163
 164
 165
 166
 167
 168
 169
 170
 171
 172
 173
 174
 175
 176
 177
 178
 179
 180
 181
 182
 183
 184
 185
 186
 187
 188
 189
 190
 191
 192
 193
 194
 195
 196
 197
 198
 199
 200

على الطريقة المدرسية بل إن ما كتبه كبار مشايخ الصوفية أنفسهم لا يستخدمه إلا كحافز مقو للتأمل ، والإنسان لا يصير بمجرد قراءته متصوفاً ، على أن ما كتبه كبار الصوفية لا يفهمه إلا من كان أهلاً لفهمه . ولأجل أن يسير الإنسان في طريق التصوف لابد له من :

- ١ - استعداد فطري خاص (٢٧) لا يبقى عنه اجتهاد أو كسب .
- ٢ - الانتساب إلى «سلسلة» صحيحة ، إذا أن البركة التي تحصل من الانتساب إلى السلسلة الصحيحة هي الشرط الأساسي الذي لا يصل الإنسان بدونه إلى أي درجة من درجات التصوف حتى البدائية منها
- ٣ - ثم يأخذ المتصوف ، الطيب لفطرة ، الذي ياركة شيخه . في الجهاد

مظهر أن أخص جوانبهم ، مالا يمكن الوصول إليه بالصوم ، بل بالبرق والحال ، ويبدل الصفات وكمن من البرق بين أن يعلم حد الصحة ، وحد الشح ، وأسايبها وشروطها ، وبين أن يكون صحيحاً وشحاً ، وبين أن يعرف حد السكر ، وأنه ما في حالة تحصل من ابتلاء أثره تصاعد من لفظة على الفكر وهي أن يكون سكراناً

بل السكران لا يعرف حد السكر وطعمه وهو سكران . وما منه من علمه شيء .
والخاص يعرف حد السكر ، وأركانه وما منه من السكر شيء .
والطيب في حالة الرقص يعرف حد الصحة ، وأسايبها ، وأثرها ، وهو طائفة الصحة وكذلك فرق بين أن تعرف حصة الزهد وشروطها ، وأسايبها ، وبين أن يكون حالك الزهد ، وهورف النفس هو السب فطفت صفاتهم أرباب الأحوال لا تصطب الأقران . و من ما يمكن تحسده يعرف العلم قد حصله ، ولم يبق إلا مالا سبيل إليه بالصوم والتمتع ، بل بالبرق والسلوك . « . المقتد من الضلال » (٢٧) يرى الإمام الزاري أنه لابد - لتكون الرياضة نافعة - أن تكون بحس أريد . (استعداده الحديث ، ملازمة له ، إذ لو لم يكن كذلك ، لحدث فيه الرياضة أملاً ، لأن تأثير الرياضة ليس إلا في إزالة الغموض ، وبيع الحجب والأشبار . وروال العائق لا يمكن في حصول الطلوع ، بل لابد معه من الدال المستند ، فإذا لم يكن لمستند لم تعد الرياضة صادقة أصلاً ، لكنها تجيد السلامة)

« شرح الإشارات ص ١١٢ »

الأكبر ، التأمل الروحي . « . وفي الذكر : أي استحصار الله في كل ما يأتي وما يذيع . وفي تركيز الذهن في اللام الأعلى فيصل موقفاً من درجة إلى درجة حتى يصل إلى أعلى الدرجات . وهي حالة تسمى على حدود الوجود المؤقت فيصبح راسياً . ذلك هو الصور الحقيقي

- ٩٩ - مقامات الوصول :
- وحسباً يقطع الإنسان لطريق يصل إلى الولاية .
- والقول إن أن يكفث ويث فقط فتكون معرفته خاصة به . أو يختاره الله لتأديته رسالة إن الآخرين فيكون راسياً . أو يكون رسولا

والرسول نبي ولكن رسالته تأخذ صفة عالية . أما رسالة النبي فإنها معددة الأهداف معدودة الكائن . إن الرسول مظهر الصفة الإلهية «الرحمن» في جميع أنحاء العالمين . إنه «رحمة للعالمين» فلا تقتصر رسالته على دائرة خاصة .

ولاشك أن النبوة أسمى من الولاية . ومع ذلك فقد رأى بعضهم أن مقام الولي «القرب» من الله في حين أن النبي متجه بطبيعة رسالته إلى الخلق . ولكن ذلك خطأ محض . فإن نبوة تتضمن الولاية . فهي متضمنة لقام القرب . ثم إننا أكثر من الولاية . وعلى ذلك فإن حالة الولي «بالقصة» بالنسبة لحالة النبي . إننا ليست قصيرة بالنسبة لطبيعتها الخفية . ولكنها قصيرة بالنسبة لدرجتها في العموم . وهذا العموم يصل إلى أعلى درجات ازدهاره في الرسالة : إذ هي عالية ، والرسول - لا غيره - هو حقيقة «الإبسان العلي»

- والرسول كما ينبغي اتجاهان :
- ١ - اتجاه داخلي . إنه الاتجاه نحو الحق .

- ٢- اتجاه خارسي : إنه الاتجاه نحو الخلق .
 ودرجة الرسول العالمة أسمى من درجة النبي المحدودة ، ودرجة النبي المحدودة .
 أعلى من درجة الولي الخاصة ، ومقام الجميع القرب .

الفصل الرابع

العارف بالله

الشيخ عبد الفتاح القاضى

١- كيف عرفت الشيخ عبد الفتاح القاضى

صلينا العصر في رحاب مولانا الإمام الحسين رضوان الله عليه ، وكنا على موعد في المسجد المبارك .

ثم يمينا شطر محلة مصر لناخذ القطار إلى بلد القطب المنكّم .

كان ذلك في شهر أكتوبر سنة ١٩٦٠ ، وكنا نستقل في المساء الليلة الكبرى

لمولد السيد البديوى وصلى الله عنه .

وركنا القطار في صعوة ، وحسبنا الله على أن وجدنا في القطار مكاناً للوقوف .

وقتنا لتسير مع الزمن متحدثين قارة وصامتين أخرى ، وكلنا أمل في أن نخطى مليئة تسم بالإشراق وتفيض بالمدد في رحاب شيخ العرب .

وسار القطار

وكان في مواجهتنا - جالسا - رجل رقيق تنمو عليه سمات الصالحين ، يلبس جلباباً من الصوف ، وعلى رأسه عمامة ، وعلى حبه علامة الإقبال على الصلاة .

وحينما أعلنت الجرائد عن موعد قبول الطلاب . تذكرت الفأل الحسن .
وتذكرت البشرية التي ... يميز أن تحقق .

ولكن هاهي ذي ليلة الهدية لقبول الطلاب تنفسي يوماً هيوماً . حتى
زينت على الانبهاء

فلم أحرك ساكناً . وكأن عوفي هذا أتمدى سوية من الشيخ . تلك السوية
لي . يخورنا نتحقق ثم ثم استلمت لمدة وصعب بانها الأمل في أداء

فريضة الحج هذا لعمري . وإن لم يضعف الأمل في أن تحدث معجزة .
وبدأت أفواج من استجابوا للأذان بالحج توجه نحو الأرض المقدسة . تخيير

لزعابيد ، وتودعهم الدعوات
وكانت محطة كبرى الليمون تقع في طريق اليوم المعتاد ، فكنت أرى هذا
النظر السار البهيج وأتخسر إذ لم أكن في الركب .

ولم يبق على سفر آخر فوج إلا ستة أيام .

ودات يوم
في صباح اليوم السادس قبل سفر آخر فوج اتصل بي أحد الأصديقاء يتخسر
عن أسماء كتب الشيخ عبد الواحد يحيى . وعن كيفية الحصول عليها ثم قال :
إن السيد حسن عباس زكي يجب أن يشترى بعضها وكلها إذا أمكن . ويجب

أن يعرف أسماءها والسبيل إلى شرائها .
وبعد حديث بيبي وبين هذا الصديق انفتحت على أن أحضر له المجموعة كاملة
ينظر بها السيد لوربر حتى إذا ما رقه بعضها اتصل بالكتاب المرصبة في القاهرة

لتحضر الكتب من باريس

وفي عصر اليوم نفسه سلمت صاحبي مجموعة الكتب
وفي مساء اليوم نفسه أيضاً . ثم على صاحبي قائلاً :

وكان على يمينه سيدة ، رفيقة هي الأخرى ، لعلها أخته أو لعلها زوجته ، فقد كان
يتحدث إليها في ألمة بادية ، وفي إسماة سهلة لانكاد تفارق شفثيه ، لقد كان
منظرو وهو يتحدث مع السيدة بشر أنه نسي العالم من حوله ، وتلاشى بالنسبة له
كل شيء . كان وجهه سمحاً ، وقصائه لا توتر فيها . وكان كل شيء به يدل على
أنه لا يحتمل في قلبه كراهية لأحد ، ولا حقدًا مخلوق ، لقد كانت نرسم على وجهه
صورة البرامة أصلي ماتكون البرامة .

ورأى مطرو . مطر الزيادة والساحة . ورأى أن أطر إلى هذا الوجه السمح
وهذه البرامة النادية . وتعلقت عيني به

ويبدو أنه وصل في حديثه مع السيدة إلى نهاية قصة أو خاتمة حديث . فأحد
بلمور بوجهه في من حوله . جالسين وواقفين . ثم نظر إلى . فد عينيه نحوى .
وتركزت عيناه على وجهي . وزال من وجهه شيء قليل من سمائه . وحل محله

فوج خفيف من الترتز وبدأ عليه الاهتمام .

وأردت أن أنسى هذا الموضع فانجهت إلى صديق أحدثت إليها متكلمة
الحديث . وكان أحدهما يجوار الرجل . فانتز الرجل فرصة صمت منا وانتهى إلى من

بجواره قائلاً له : بشر صاحبيك - شيئاً إلى - بالحج هذا العام

وأحدث الأمر على أنه فال حس ، وعلى أنه بشرى من الجائز أن تتحقق .
وكان في هذا النبا على كل حال تخفيف من الشعور بزحمة القطار ، وسلوى عن

حرارة الجو .

ومضت الأسابيع والشهور ، وقرب موعد الحج ، ثم أعلنت الجرائد موعد

قبول الطلاب .

ولم أكن قد اتخذت المدة للحج فلم أقدم بطلب وإن كنت في شوق ملج

للحج والزيارة إذ لم أكن قد أدبت الفريضة بعد .

إن السيد الزبير يجب أن يراك . فها بنا لزيارته . ولم أكن قد التفت به من قبل

والتفتنا بالسيد الوزير وأخذنا نتحدث عن الشيخ عبد الواحد يحيى . ثم ذهب السيد الزبير ليجيب على نداء التليفون . وأراد صاحب الأمر الوقت و صمت وأن يقطعه بالحديث . فقال كمادة الحجاج :

الأربع في شيء من الحجاج منتظرًا أن أقول له سبعة مثلا . أوشيا من هذه الأمور التي يتزود بها الحجاج في عودتهم

مراتب عسى منشفةً إلى أن أقول له فوراً وكأني مسخر بقوة لا قبل لي بردها مع أرغب في أمر سهل بالنسبة لك وأرجو أن تقوم به مشكوراً ونسباً صاحب لساع الطلب في انشاء طاهر

فقلت : أرجو أن تقف أمام المصريح الشريف وتقول

إن عد الحليم بقل البد الشريفة . ويرسل تحياته . ويبلغ أشواقه إلى سيده رسول الله ﷺ . ويرجو منك يا أكرم المخلق على الله أن تدعوه لزيارتك . وهذا إذا فعلت زالت كل العقبات . وأنى يسمى ليلى النداء .

وقال صاحبى في نوع من التأمل البادى على ملامحه : أرجو أن تكون قد استحييت . ولعلها قد استحييت .

ونسى أمير الحج من الحديث التليفونى - فقد كان السيد حسن عباس زكى هو أمير الحج في ذلك العام - وحينذاك - صاحبنى ما أخذنا به في عيبه . فقال أمير الحج : إنه يدعو الله أن يتحقق الرجاء . وانتهى الحديث عند ذلك

ثم اتفقا على أن نذهب متاً إلى منزل الشيخ عبد الواحد يحيى لزيارة أسرته وليأخذ السيد الوزير صورة أوضح عن حياته .

ولن أنسى صورة السيد الزبير وهو واقف في غرفة المكبة بجوار المكتب الذى

كان يجلس عليه الشيخ قارا كاكابا . وقف مستغرقاً وكأنه يسامر بروحه في الزمن عوده إلى الماضى . يريد أن يصرف إلى الشيخ في حياته . أو كأنه بمباراة أدق يسامر في الحاضر إلى عالم الأرواح . يريد أن يرى في عالم الغيب صورة الشيخ الحقيقية . إن شيئا من آثار الشيخ رضوان الله عليه . مارال باثنا - لاشك - في هذا المكان . ونحيل إلى حينئذ أن السيد الوزير بروحه النفاثة . وبروحانيته القوية . ويصيرته النافذة ينطلق مسترشداً بالأثر إلى .. صاحب الأثر

إن صير الشيخ الزكى . مازال يملأ أرجاء المكان . ولا يزال الأريج الطيب يعطر الهواء . يشمر بذلك كل من رن شعوره . وشمت نفسه وأثار الله بصيرونه ..

والذوقنا .

وفى اليوم التالى - الحامس قبل سفر آخر فروح - بينا أنا جالس في كلية أصول الدين مشركاً في أعمال الامتحان . إذا بالنداء : احضر لانقاذ الإجراءات للحج ... فقلت : صلوات الله وسلامه عليك يا أكرم المخلق على الله وتكرر اللقاء بأمر الحج في أثناء الحج . ثم لم ينقطع الاتصال به بعد العودة . وفى يوم من الأيام دعانى السيد الوزير لتناول الغداء في منزله .

وكان الشيخ عبد المناح القاضى هناك : بسمة الرقور . وهيئة المطمئنة . ووجهه المشرق نوراً .. وكان يتحدث

ولم يكن الشيخ عبد الفتح القاضى يتحدث حديثاً شعبياً . ولا حديثاً مالوفاً . وإنما كان يتحدث حديث قه . إنه يناجى الحاضرين بالمشكلة . بشرحها باختيارها مشكلة . ويوضح جوانبها من حيث الإشكال . ثم يطلب من السامعين حلها .

وما كان رحمه الله يطلب الحل إلا ليبر انتباههم بصورة أعمق . حتى إذا كان انتباههم كاملاً بدأ في ذكر الحل

هذه المشاكل كانت تدور حول آيات من القرآن . فيرى السامع في النهاية أن القرآن مازال - يَكْرُ .
- وتدور كذلك حول أحاديث للرسول - ﷺ فيرى السامع في النهاية أيضاً أن
- ﷺ - أوفى حقاً جوامع الكلم

وهكذا كانت مجالس الشيخ . إنها تفسير للقرآن الكريم . أو شرح للسنة
الشريفة . لقد كان الناس ينسون الدنيا في مجلسه . ولم يكن مجال في مجلسه للمو
الحديث . ولا للزور والباطل . سواء ألبس هذا الزي . أم ذلك . لم يكن للشيطان
إلى مجلسه من سبيل . هذا التفسير . وهذا الشرح . أما عقليان ؟
أكان الشيخ يتحدث عقلياً ؟ أكان يتحدث علمياً ؟ أكان يتحدث إلهامياً ؟
إن العقل والعمل والإلهام ، إن البصيرة والإشراق والنص ، إن كل ذلك .
كان يتكاتف ويمتزج ، ويتألف منه باقة ترضى الذوق المترف والعقل الراشد .
والتدين المستنير .

لقد فوجئت بالشيخ . فوجئت به شخصية متكاملة متناسقة . وفوجئت به
شخصية قوية مسيطرة . وفوجئت به شخصية ودودة متحبة . وفوجئت به
شخصية عالمة ناقدة . وفوجئت به شخصية ملهمة تستمد النور من منابع النور
لقد كانت العين معلقة به . والآذان مشدودة إليه ، والعقل يدور فيها بينه من
محال لتصكيره . والقلب راضى منتشط

ثم يسكت الشيخ ويتجه نحو الشيخ عبد الحليل ويقول له . في مودة بادية
تكلم أنت الآن « يا ولد يا عبد الحليل » .

وهذا الذي يحاطبه الشيخ بقوله : « يا ولد يا عبد الحليل » من علماء الأهرم
الناهين . يعمل مدرساً بوزارة التربية . فنى في الشيخ حباً ، وإجلالاً . وتقديراً .
وعيناه دائماً معلقتان بالشيخ ، وسمعه على الدوام مصغ إلى الشيخ .

إنه يسمع الحمس من حديثه . ويرى مالا يكاد يرى من إشارات . ويلبى كل
ما يريد الشيخ من أمر ولو لم يعلن الشيخ عن رغبته .
ومع أنه فنى في الشيخ فإن شخصيته بالنسبة للآخرين عبر غاية ولاخفية .
إن أتباع الشيخ يعرفون ذكاءه اللماج . وعلمه لحم . وانزاه فيما يأتي وهما
بدع . ويعرفون تصرفه الحكيم فيما يمرض لمجتمعهم الخاص من مث كل . ويعرفون
اجتهاده في العبادة ويعرفون حب الشيخ له ..

ويقوم الشيخ عبد الجليل ويتحدث مفسراً آية أو شارحاً حديثاً .
وقد أمره الشيخ في تلك الجلسة أن يفسر قوله تعالى : (أَلَمْ نَرَأِ رَأَى رَأَى رَأَى رَأَى)
مُدَّ الظِّلُّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ حَمَّاتُ الشَّمْسِ عَلَيْهِ ذَلِيلًا) .
وقلت في نفسي حينما سمعت أمر الشيخ له بتفسير هذه الآية
ومادا عسى أن يقول الشيخ عبد الحليل في هذه الآية الواضحة المعنى . السلسلة
لتركيب ، إن مجرد قراءتها بيان لمعناها ...

وتحدث الشيخ عبد الجليل . فأجاد . وأعاد . وكرر .
وكان من الواضح أن الشيخ بعد الشيخ عبد الجليل للحلقة .
لقد كان يريه بالتعليم . ويريه بالأوامر . ويريه بالعبادة . ويريه بالصمت .
لقد كان يريه يجلأ مركز المرشد بعده .

ولقد كان عند الشيخ عبد الجليل الاستعداد التام للخلافة .
وقد كان انتهاء الشيخ عبد الجليل من كلمته إيذاناً بانتهاء الجلسة .
وافترقتا جسدياً ونفسي ذكري الشيخ في القلوب حية نابضة
وتكرر اللقاء بالشيخ في داره بشبلجة ود القاهرة
من هو الشيخ عبد الفتاح القاضي ؟

٢ - حياته

إنه الإمام العارف بالله تعالى . الشيخ (عبد الفتاح من سيد أحمد بن محمد القاسمي) المحتفي بأبا الحسين أمّا . الشافعي مذهباً . المهدوي تربية . الشاذلي طريقة . الشبلنجي داراً ومزاراً .

ولد رضي الله عنه في شبليجة^(١) من أبوين شريفين في آخر صفر ١٣١٧ من هجرة خاتم المرسلين ، الموافق ٨ من يوليو ١٨٩٩ ميلادية .

وبرغم الوثائق الظاهرية التي تؤكد انتسابه إلى الدعوة النبوية المباركة . كان شديد الشغف إلى ما يحقق له سبه الشريف عن طريق كشي لا مجال للشك فيه فمن الله تعالى عليه بذلك . إذ سمع في مسامع من مصدر علوي دلكم البداء . أنت شريف أباً وأمّاً .

فاستراح فؤاده . واطمأن خاطره . وحمد الله تعالى . على هذه المنة العظيمة وبعد سنوات ست من ميلاده تقريباً . توفى والده إلى رحمة الله . وتركه يتيماً في رعاية أمه الهاشمية .

ولانسأل هنا قامت به الهاشمية - مع صغر سنها - من تربية صادقة له وإلحونه البنائي . وتوافرها وعكوفها على أداء ما يلزم هؤلاء الصغار . الذين لا عائل لهم إلا الله . وهي مستعينة - بعد الله - على تربيته بما ورثته من قراريط من المرحوم والدها الشيخ « حسن هاشم » وبما تركه المرحوم زوجها « الشيخ سيد أحمد » من عقار يسير .

ثم أرسلته أمه إلى المكتب . لحفظ القرآن الكريم . فاشترى بين لداته وأثره

(١) بالقرب من بها

معرفة الحفظ وحدة الذكاء . مما جعل معلم المكتب يقبل عليه ويخصه بمزيد من رعاية والعناية . ولشديد تعلقه به . اختاره مساعداً له في تعليم القرآن بالمكتب بعد حفظه وجوده . وأتقن أحكام قراءته . في سن مبكرة . وظل في تعليم القرآن . أولاد قريته . حتى اجتباه الله . فجدده إليه . فاخلى في بيته متعبداً لله ذاكراً . وقد تجلت فيه رجولة مبكرة . فما إن خطا خطواته الأولى . في طريق الشباب حتى خالط الرجال . وجالس أصحاب الرأي واستمع منهم وأصغى لحكمهم . فبدأ يسير سيرهم . حتى لقد كان أحياناً يشير عليهم فيجدون عنده الرأي . فاشترى بهم . وعرف عددهم بالرأي السديد . والحكم العادل التريه . فصار الشيوخ والمسنون من أهل البلدة وذوو الخبرة والتجربة . يستعينون به . ويستشيرونه في مهام الأمور . ويدعونه في مجالس الصلح . ويصبحونه لفض المنازعات وللحكم في القضايا والنصومات .

وكانت عادته البكور . فيستيقظ قبيل الفجر ليؤدى فرض ربه ويذكره ويسبحه . ثم يتناول فطوره . ويغدو معتزداً على الله تعالى إلى المكتب لتعليم القرآن . حتى وقت الظهر . فيعود إلى داره . فيتناول عداة ويستريح قليلاً وقت القبلولة . ثم يشغل بالإشراف على الراحة . وترتيب شئها ثم يعود إلى البيت لتقضاء مهامه . وبعد ذلك يفرغ بقية يومه لقراءة كتب الدين وسير الصالحين . وقص ماثرهم وكراماتهم على أصحابه وأهل مجلته . إذ كانت هذه هوايته لتبع سنهم والسير على طريقهم

وذاث يوم حضر إلى منزله أحد شيوخ القرية من العلماء المسنين . وبعد حديثها عن الصالحين ومناقبتهم قدم هذا العالم للشيخ مخطوطاً جمع صيغاً متعددة الفضل . مضاعفة الثواب والأجر . في الصلاة على المصطفى ﷺ وقال له :

« خذ هذه وانقلها . واجعلها وردك . فإنها عطيمة النفع والبركة »

فقال له فضيلة الشيخ : « ومن نقلنا ؟ »
فقال : « نقلنا عن الشيخ الأشعري رضي الله عنه عالم الأهرام المشهور
وأوصاني قراءتها لأنها ذات سر عظيم في الفتح . ومفردة من حصره الرسول
ﷺ » .

علم الشيخ أن هذه منة من الله تعالى مساقاة إليه على يد هذا العالم . وفضلا
سحها في أيام قليلة . كما كانت عادة المسارعة والتصجيل في أمور الدين
والآخرة . وحفظها الشيخ ورده . فكانت معناه كل خير له . وكان يقول عنها :
أخذ في طريق الله أسرع سبيلا لي الفتح وأقرب طريقاً إلى حصره الرسول ﷺ .
واجلب لرضا المولى سبحانه وتعالى . من هذه الصلوات . إنها سبب في تخليل
صعوبات الحياة كتفريج الكرب . وإدراج الرزق . وقضاء الحاجج . وكان كلما
حزب الشيخ أمر فرغ إلى الصلاة إلى قراءة هذه النسخة .
أما فرغته إلى الصلاة فاقفاد بحضرة الرسول ﷺ ، إذ كان يفرغ إلى الصلاة
كلما حزبه أمر .

وأما فرغته إلى قراءة هذه النسخة فما جرى كثيراً أنه ما همه أمر أو انحاط به
مكرره وفرأ هذه النسخة إلا وجد بعدها الفرح والتيسير . لذا كان حرض الشيخ
عليها شديداً جداً . ووصيته لأولاده بالمحافظة عليها وتلاوتها أشد . لالمسه فيها من
النور والبركة . ورضا النبي ﷺ . ولما يعلمه من أن الصلاة على الرسول ﷺ .
مفتاح لمغاليق الأمور وسبيل السعادة في الدارين (٢) ، وكانت هذه الصلوات
ديده وشعاره . وكان يفرؤها في اليوم مرات ، وإذ استل عن ذلك يقول : إنما قرأ

(٢) ولقد جمعت هذه الصلوات مع بعض أنوار الشيخ الشاذل رضي الله عنه وغيره وطبعت في
حرف أبي الشيخ بأمره على غفلة الدارون بالله تعالى السيد الدكتور « حسن عباس زكي » بجزءه الله خير
عونه . وطلبه منه في الدارين . لهم الفتح يا

لي مرة . وأجبر قصير أولادي بالمرات الأخرى . ولشغفه الشديد بها سمع منه مراراً
تلاوته لها مرتبة بصوت مسمع في أثناء نومه يسمعه من حوله . وعندما كان
يستيقظ يكمل تلاوتها حيث وقف وكان هذا قبيل انتقاله بقليل . وحسبك دليلاً على
عظم فضلها ، وكبر فضلها وخيرها أن الرسول ﷺ أسكنها بيده الشريفة وقال
للشيخ مناماً : « إني أحبها . إني أحبها » .

لما لم يتزكها الشيخ قط لاق سفر ولا في حصر . ولا في صحة . ولا في مرض .
حتى اليوم الذي لقي الله تعالى فيه قرأها كمادة . وتعلق الشيخ بها وولوعه عنها رلى
كثيراً في المنام ممكناً بها . تالياً لها . حاثاً عليها . ميئاً فضلها . حتى قال لبعض من
رآه كذلك مناماً : إنها أهم ورد في الطريق . بل هي الطريق كله .

وهذه الصلاة هي للشيخ عبد الله بن عبد الباروش المغربي القاسمي منشأ
وداراً . ثم التونسي رحلة ومزاراً . وهو مدفون في تونس وقبره مبارك . ومن
الشهور بين أهل تونس أن من زار قبره متصمماً عظماً كان هذا علامة على قبول
الله له وعلى أنه من أهل الجنة .

ونقل هنا أزهاراً موفقة من هذه الصلوات المباركة فعمنا الله بمن قبلت فيه
وقضاها بها ومصاحبها وزوجوه سبحانه أن يمن الرضوان على من عرف بها أتباعه
ومريديه :

اللهم إنا قد عرفنا من حيث إحاطة عقولنا . وغاية أفهامنا . ونسبى إرادتنا
وسوانق همتنا أن نصل عليه من حيث هو وكيف نقدر على ذلك وقد جعلت
كلامك خلقاً وأسماءك مظهره ونشأ كونك من أنت ملجؤه وركنه وملوك الأعل
عصائبه ونصرته . فصل اللهم عليه من حيث تعلق قدرتك بمصنوعاتك وتخلق
أسمائك بأرادتك منه ابتدأت الملوذات وإليه جعلت غاية الغايات وبه أقيمت
الحجج على المخلوقات . فهو أميك خازن علمك حامل لواء حمدك معين سر

تظهر عزمك نقطة دائرة ملكك ومحيطه وبركته وبسيطه .

اللهم إنا نسألك أن تحبنا في زُمرته وأن تحبنا من أهل بيته ولا تخالف ما يمولانا عن ملته ولا عن طريقته إنك سمح الدعاء بحب لمن دعا أو اتقى التسخ وهو شهيد . اللهم كما كتبت علينا الصلاة عليه فاشحن علينا بقسم الكتاب الذي أرسل إليه لأنه شفاء للمؤمنين ورحمة للعالمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

اللهم صل على سيدنا محمد المبعوث رحمة لكل الأُمم اللهم صل على سيدنا محمد المختار للقيادة والرسالة قبل خلق اللوح والقلم اللهم صل على سيدنا محمد الموصوف بأفضل الأخلاق والشيم اللهم صل على سيدنا محمد المحض بجوامع الكون وخصائص الحكيم . اللهم صل على سيدنا محمد الذي كان لا يشتهك في عمامه الحرمة ولا يبغي عيش ظم اللهم صل على سيدنا محمد الذي كان إذا منى نُظله الغامة جيتا بنم . اللهم صل على سيدنا محمد الذي اشتق له القمر وكلمه الحبر وأقر بوساته وصمم . اللهم صل على سيدنا محمد الذي أتى عليه رب المرة معاً في سالم القدم اللهم صل على سيدنا محمد الذي صل عليه رسا في محكم كتابه وأمر أن يصل عليه ويسلم اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه وأرواحه ودريته وأهل بيته ما هلت الذئب وما حرت على المنسرين أذيال الكرم وسلم تسليمًا كثيرًا وشرف وكرم . والحمد لله رب العالمين .

اللهم صل على أشرف الموجود وأفضل مولود وأكرم عصوص وعمود . سيد سادات بريائك ومن له التصميل على جملة عظرائك صلاة ناسب مقامه العالي ومقداره ونعم أهله وأرواحه وأولياؤه وأنصاره اللهم صل عليه وعلى خلة رسلك وأسيائك وورث ملائكتك وأصحابك . صلاة تم بركاتها المطهين من أهل أرضك وسخاتك اللهم إني أعوذ بملكك من جهل ومعادك من فقرى . وبمرك من دلي .

وبحملك وقوتك من عجزى وضعى . وأعوذ بك أن أرد إلى أدول العسر اللهم إني أعوذ بما فاتك من عقوبتك وأعوذ برضاك من سخنتك وأعوذ بك منك لأنجسني ناء عليك أنت كما أتيت على نفسك اللهم إني أعوذ بك من مسكرات الأخلاق والأحوال والأهواء والأقواء والآراء .

اللهم يامن يسه خزانق السنوات والأرض عافنا من صخر الزمان وحوارض لغن وبأ صخفاء عن حسمها وإن كنا أعلأ لما معاميتك أوسع لما يواضع يا عليم اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها . وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمرى . وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي إليها معادى . وأصلح لي الحياة زيادة لي في كل خير . وأصلح لي الموت راحة لي من كل شر . اللهم اجعل خير عمري آخره . وخير عملي خواتمه . وخير أيامى يوم ألقاك به . اللهم لا تجعل عيشى كئيباً . ولا تجعل دعائى رداً . ولا تجعلنى لعيرك عينا . ولا تجعل في قلبي لسوءك رداً . إني لأقول لك ضيقاً ولا شريكاً ولا يداً . اللهم ارزقنى نفساً قانمة مطا لك . موقنة لظفلك . شاكراً لتعاك . حبة لأوليائك . مبيضة لأعدائك . اللهم وسع على رزق في دنياى . ولا تجعلنى بها من أخراى . واجعل مقامى عندك دائماً بين يديك وبك ناظر إليك . وأرنى وجهك الكريم . وآرنى عن الرؤية وعن كل شىء دونك . وارفع التين بى ويبك يامن هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم .

اللهم صل على سيدنا محمد كما أمرتنا أن نصل عليه . اللهم صل على سيدنا محمد كما هو أهله . اللهم صل على سيدنا محمد كما تحب وترضى له .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخريين ، قائد المر السخطين . السيد الكامل العاتق الخاتم الحبيب . الشفيع الرؤوف

الرحيم ، الصادق الأمين . السابق للخلق نوره . والرحمة للعالمين ظهوره . عدد من ماضي من خلقك ومن بقي ومن سدد منهم ومن شق صلاة تستفرك المدّ وتحيط بالحدّ ، صلاة لا غاية لها ولا تنتهي ولائماً ولا نقصاء . صلاة دائمة يتوأمك باقية بقائك وعلى آله وأصحابه وأرواحه ودررته وأصحابه وأصداره وسلم تسليمًا مش

ذلك ، واجبر يا مولانا حتى لطفك في أمورنا كلها وأمور المسلمين .
اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة أهل السموات والأرضين عليه واجبر يا مولانا لطفك الخفي في أمرى وأرلى سرّ جميل صنعك فيها أوله منك يا رب العالمين .

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم . إلى عهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمدًا ﷺ عندك ورسولك ملا تكتفى إلى نفسي طرفة عين . إني إن تكفني إلى نفسي تُقريني من الشر وتبعدني من الخير ، فإني لا أتق إلا برحمتك . فاجعل لي عندك عهدًا تؤدبه إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد .

اللهم لك الحمد كما أنت أهله ، فصل على سيدنا محمد كما هو أهله وافعل لي ما أنت أهله . يا رب هل التقوى وأهل الغفرة اللهم بنى أسدك غفمة عبيك الذي أنته ، وبصيتك بعثه الذي شركته به وفضلته ، وبمكانه منك الذي خصصته واصطفيته . أن تجازيه عنا أفضل ما جزيت به نبيًا عن أمته وتؤديه من الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة فوق أمينته . وتطلم عن بين العرش نوره بما يورث به من قلوب عبيدك . وأن تصعف في حضيرة القدس حثوره بما قاسى من الشدائد في الدعاء إلى توحيدك ، وأن تجلّد عليه من شرافك صلواتك ولطائف بركاتك وعوارف تسليمك وكرامتك ما تزیده به في عرصات القيامة إكرامًا وتعليه به في عليين مستقرًا ومقامًا . اللهم وأطلق لساني بإبلاغ الصلاة عليه والتسليم . وأملأ

جاني من حبه . وتؤديه جنته - تعظيم . واستعمل أركان بأوامره وبواجبه في النهار الواضح والليل البهيم . وارزقني من ذلك ما يوتق جنات التيم ويشيرون رحمتك وفضلك العقيم . ويقرني إليك زلفي في ظل عرشك الكريم . وتعلني دار المقامة من نصيبك وترحمي عن بارحهم . وتعطيني شدة عن يوم العرصي وتورثني مع ربرته على الخوض . وتؤمنني يوم الفزع الأكبر يوم يُبذل الأرض غير الأرضي . وارحمي معه في الريق الأعنى وارحمي معه في الفردوس وجنة المأوى وارحمي لي وتقرحظ من كانه الأوفى . وعيشه الخي الأصمى واجتلي مش شق عليه برابرة قهره وتشتي . وأفاح ركابه بعصوات حزبك وحزبه قبل أن تتوفى .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ما أكرمك على الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله ماخاب من توسل بك إلى الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله كل من دوتك محب رأيت حبيب لله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله الأملاك تستغيث بك عند الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله الأنبياء والرسل سُكُون من مَدَدِكَ لدى

خصصت به من الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله الأولياء أنت الذي واليتهم في عالم الغيب

والشهادة حتى تولاهم الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من سلك على محبتك وقام بحببتك أيده

الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله المخلوق من أعرض عن الاقتداء بك

إلى والله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من أطاعك فقد أطاع الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من عصاك فقد عصى الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من أتى لبادك متوسلاً بك قبلة الله
الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من حطَّ رحل ذنوبه في عتباتك غفر له
الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من دخل حركتك خائفاً أنه الله
الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من لاذ بمنادك وعلق بأذيال جاهلك أكرم
الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله من أم لك وأنتك لم يخب من فضلك
لا والله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله أمنا شفاعتك وجوازك عند الله

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله توثقنا بك في القبول عسى ونمل نكر
بمن تولاها الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله بك نرجو بلوغ الأمل ولا نخاف العكس
حاشا لله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله شجرتك من أميتك واقفون ببابك يا أكرم
الخلق على الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله قصدناك وقد لارقنا سواك يا وسيلتنا إلى الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله قد جنتناك بشوق المحبة ضيقاً نرجو القربى
فاجعل قرآنا ما يلقى بكرمك من إحسان ربك يا عزيز القدر عند الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله العرب يحسون الزيل ويحيون الدخيل وأنت
سيد العرب والمجم يا رسول الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله قد نزلنا بحبك واستعبرنا بمنادك وأنتنا
عيناك على الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله أنت النباث وأنت اللاد فأغشنا بجاهك
الوجه الذي لا يرده الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله .

الصلاة والسلام عليك يا حبيب الله .

الصلاة والسلام عليك يا نبي الله .

الصلاة والسلام عليك يا رسول الله . مادامت ديمومية الله صلاة وصلانا

ترضاهما وترضى بها عنا يا مولانا يا رسول الله .

الصلاة والسلام عليك وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى سائر الملائكة

أجمعين . اللهم وارض عن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين وتابع
التابعين ومن تبعهم بحجر وإحسان إلى يوم الدين .

اللهم يا على يا عظيم يا حليم يا حكيم يا كريم يا غفور يا رحيم إنا نتوسل إليك
بجاه هذا السيد الكامل الذي من جميع خلقك اختاره واصطفاه ، وبجميع المكارم
خصصته واجتبه أن تبتنا على الإيمان والإسلام ، وأن تسعدنا به وبلغناك يا رحيم
بارحمن يا سلام .

واجعل اللهم ما مننت به علينا في جميع هذه المواهب التي وجهتها لنا نلتها في
قلوبنا وعقولنا لذنوبنا ونوراً في يقيننا وقوة في إيماننا وتركية لأصماتنا وزخراً لآخرتنا
وارحم بها والدينا وإخواننا وأشباهنا وكل من اتقى إلينا .

واقنع اللهم بما كل من طالها واقبس منها نوراً بزيك ، وخيراً ينسبه
ولا تتأخذنا بذنوبنا وسوء أفعالنا ، وعاملنا بما أنت أهله من الجود والكرم يا أرحم
الرحميين . اللهم إنا نتوسل بك إليك ، ونسألك لانسأل غيرك بحضك وحق نيك
أن تبتنا على دينه وملكه ، وأن تحشرنا في زمرة تحت لوائه وغايته ، وأن تغفر ذنوبنا
وأن تسر عتق عيوبنا ، وأن تطهر من صدام الغلظة قلوبنا .

استطعت . أعوذك من شر ما صنعت . أبوء لك بنعمتك علي . وأبوء بذنبي
 فأعمر لي بأبه لايعمر الذوب إلا أنت (ثلاثاً) أستعمر الله لعطه لدى لإله إلا هو
 لمي القبول لا تأخذه سنة ولا نوم وأنوب إليه .
 اللهم معترفك أوسع من ديويد . ورحمك أرحم عدى بن عسى (ثلاثاً)
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .
 وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم .

هذه بعض مقتطفات مما ورد في الصلاة التي كان يهيم بها جلياً شيخنا رضي الله
 عنه . ركل قرة مها تعبر ذكراً قائماً بنفسه وقد أوردناها على هذا الاعتبار .
 لما فيها يتعلق بالنصح المبردة فقد سئل الشيخ رضي الله عنه عن فصل صيغة في
 الصلاة على رسول الله ﷺ . فقال : إنها :
 اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك خلقك ورضاء
 فضك ووزة عرشك ومداد كلماتك .

فسأله أتباعه : أي أفضل من :
 اللهم صل على سيدنا محمد النبي الذي والسر الساري سره في جميع الأسماء
 والصفات ؟ وكان الأتباع يعرفون حبه أيضاً للصفة الأخيرة . فقال :
 إن المبردة في قولنا - في الصيغة الأولى - محمد عبدك أفضل من أي
 صيغة أخرى .

وكان رضي الله عنه يقول عن الصلاة الإبراهيمية : إن الصلاة التامة ، لأنها
 من جميع المقامات . فكما أن إبراهيم عليه السلام له مقامات كثيرة - الحلة -
 التسليم كونه أمة . بلح يُصلى عليه من جميع ذلك فكذلك محمد ﷺ مع
 عدم الاتحاد في الحكم والكمية بل المعنى .

وانح اللهم زلله وخطايانا - وأن تتجاوز عن وعن سيئاتنا ، وأن تُهون عيب
 سكرات الموت وما بعد من فتنة القبر والحشر . وأن تطيبنا للموت ، وأن تجعل من
 راحتنا . وقد اللهم من الأهرال العظيمة التي لا يمتحن حسمها ولا صفتها إلا ما كان
 من عفتك وخودك ورحمتك فأنت المواد الكرم القفور الرحيم .

• الصلاة والسلام الثامن الأكملان على سيدنا ومولانا محمد الذي امتدحت له
 العزة في الأزل ، والنسب فضلها إلى الأبدال وعلى آله وأصحابه وأرواحه وذريته
 سبحان الله عدد ما خلق في السماء . سبحان الله عدد ما خلق في الأرض ،
 سبحان الله عدد ما بين ذلك . وسبحان الله عدد ما هو خالق . والحمد لله عدد
 ما خلق في السماء . والحمد لله عدد ما خلق في الأرض . والحمد لله عدد ما بين
 ذلك . والحمد لله عدد ما هو خالق . ولإله إلا الله عدد ما خلق في السماء . ولإله
 إلا الله عدد ما خلق في الأرض . ولإله إلا الله عدد ما بين ذلك . ولإله إلا الله
 عدد ما هو خالق . والله أكبر عدد ما خلق في السماء . والله أكبر عدد ما خلق في
 الأرض . والله أكبر عدد ما بين ذلك . والله أكبر عدد ما هو خالق . ولأحو
 ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق في السماء ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق في
 الأرض . ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما بين ذلك . ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد
 ما هو خالق .

اللهم إني أستغفرك من كل ذنب ثبت إليك منه ثم عدت فيه . وأستغفرك من
 كل ما وعدتكم به من نفسي ثم لم أوف به . وأستغفرك من كل عمل أردت به
 وجهك مخالطه غيرك . وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستغنت بها على
 مصيبتك . وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتته في بياصر النهار
 وسواد الليل في ملأ وخلاء ، وسر وسلانية يا حليم

اللهم أنت ربى لإله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك . وأنا على عهدك ووعدك

كما صليت عليه في جميع المقامات صلاة تليق به . فكذلك صل على محمد
صلاة تليق به في جميع المقامات ، وكذلك آل كل وصحب كل .
ويعود من جديد بعد هذه التوجيه في الدعاء والصلاة على الرسول ﷺ إلى

صيرة الشيخ العطرة فنقول :-

.. وظل الشيخ في الجهاد الأكبر حتى تجاوزت منه الثلاثين تقيل ، فأخس ربة
ملكته . ودفع قوى وميل شديد إلى نسخ القرآن الكريم بيده أجزاء ، ولم يلبث أن
سارع مستجيباً لهذه الرعبة كعادته ، فاعتكف لهذا العمل الجليل ، خمسة وعشرين
يوماً ثم بانتهائها كتابة المصحف كله أجزاء بخط النسخ الواضح مع وضع علامات
الوقف والشكل والرموز التي بالمصحف . وزخرفته أوائل السور والأجزاء . وتخلد
كل جزء من الأجزاء الثلاثين بخلاف جميل متن . وكان في هذه الفترة قليل النوم
والطعام . يشعر بروحانية عجيبة وحة عليه ونشاط كبير . فلم أن هذا الأمر من
الله . وأن له ماعده .

ولعلمه بأن لمن كتب القرآن الكريم دعوة مجابة فسامع نفسه ، أي دعوة أدمع
بها ؟ ولم يجد في قلبه غير الإبتها إلى الله عقب الفراغ منه أن يقبل هذا العمل
خالصاً لوجهه . وأن يسلك به السبيل إليه . وأن يوقفه لما يجبه ويرضاه ، ويعس له
الحق . وبعد كتابته القرآن الكريم مباشرة . رأى في نومه جمعية من رجال الله
تقلب صفحات أجزاء هذا المصحف . وينظر بعضهم إلى بعض نظرة إعجاب
وتقدير ، ثم قررت هذه الجمعية قوله ، وتداوله في المناسبات بين أهل القرية ،
لتواضع الإخلاص في كتابته . وملا تداول المسلمون هذا المصحف في مناسباته
الدينية .

قولته :

وبعد كتابته المصحف الشريف بأيام ، وجد هذه نزوعاً إلى الاعتكاف وميلا
إلى عزلة الناس ، فترك المكتب ، واعتكف في منزله بعيداً عن الحلق ، واشتغل
بالعبادة والذكر ، ولجج بقراءة القرآن الكريم ، والصلاة على النبي ﷺ .
واستمر الشيخ في عبادته وذكره وعزله العامة . ثم خطر على قلبه ، ما يراود
له ؟ أأسلك طريق القوم بلاشيخ ؟ فأناه الرسول ﷺ في المنام وقال له :
«خير الأمور أوسطها الروح الحمدي بزلاك» .
فاستيقظ الشيخ مستبشراً مطمئناً وزاد ذلك في مهته .

خلواته :

ثم أمر الشيخ رضي الله عنه بالخلوة في الأيام التسع الأولى من ذي الحجة ،
إذ لما فضل عظيم ، ولقد نزل فيها قوله تعالى : (والفجر ولبال عشر) وهذه أول
خلواته . ثم أمر بعد ذلك بخلوة أربعين يوماً .

وكان في هذه الخلوات مأثوراً ناسياً نفسه مسلماً إلى ربه ليظهرها . فكنت
تسمع منه أنه لا يمكن في أمور الحياة حتى يرغب عن الطعام ، فصار لا يتناول منه
إلا القليل . وتوجب منه حاله إذ يقول :

«كنت أظفر على خمس زيبات أوسع . وعند السحر قد أكتفى بلقمتين
أو ثلاث ، ومع ذلك لأحس بضعف ولافتور» .

ومن شروط الخلوة عدم الخروج إلا لحاجة الشيخ رضي الله عنه لا يخرج من
خلوته إلا لصلاة الجمعة في المسجد . ويخرج على هيئة محصورة حتى لا تتحرك
جميعته بربه . وبعد الصلاة مباشرة يعود إلى خلوته .

فلقد اشترى أرضه وأعد مواد بنائه ، وهياً له ما تيسر من مال لإقامته وإيثاره
 والطمان على رحمه وأشار بتنفيذها ولكن المنية عاجلته . وهذا المسجد يعد واحدة في
 صحراء الحلياة ، فيه يجتمع المريدون كل يوم على الذكر وعلى العلم تحفهم
 للاحتكاك . وتربل عليهم الرحمة . ويذكرهم الله فيمن عنده
 أما عمله الخالد حقاً فهو تربية هؤلاء الصغرة الذين تعلموا عليه ، وعلى
 رأسهم حلبيته الشيخ عبد الحليل قاسم واسم الأستاذ سليمان القاسم . مع الله بهم
 وحلهم منارة يستضيء بها المهتدون .

٣ - جهاده

أساس طريقته رضى الله عنه هو أساس الطريقة الشاذلية عادة . وهو ما لبى
 استغفر الله ومائة ، اللهم صل على سيدنا محمد وعبيك وبنيك ورسولك
 الذى لأسمى وعلى آله وأصحابه وسلم تليماً بقدر عظيمة ذلك في كل وقت وحين
 ومائة . لإله إلا الله ومائة ، سيدنا محمد رسول الله ﷺ مرة .
 وإذا فات لا يقضى ولكن القضاء أولى من تركه إذا فاته اضطراباً . وهذا
 الأساس هو الورد اليومي للشيخ والمريد على حد سواء . ومن أوراد الشيخ
 اليومية .

١ - تسعون

٢ - سفية النجاة لسيدى أحمد زروق .

٣ - ما الأسمى ، التى يجب على المريد سلوكها في بدايته هي :

١ - الأصول : : لإله إلا الله ، الله ، هو ، حتى ، واحد ، عزيز ، ودود .

٢ - والفرع : : حتى ، قهار ، قويم ، وهاب ، مهيب ، باسط

وقد أذن للشيخ في بعض خلواته ، برادته لأمه في حجرتها الخاصة بها في
 المنزل . فكان يدخل عليها بين الحين والحين ، ويقدم لها الطعام . ويطعمها بيده .
 وقد يكون هذا الطعام من الأطلعمة عموماً المباحة له في الخلوة كالمسك واللحم .

ويطل يطعمها حتى تشبع ، ويحدثنا عن ذلك يقول :

كنت أجد في ذلك لذة لا نملها لذة ، وكان لذة هذا الطعام تدخل بطنى .

ولذا كانت أمه لا تنفر عن الدعاء له . وكان الشيخ يقول في ذلك :

إنى أعتقد أن ماأنا فيه من خير إنما هو بركة دعاء أمى لى ورضاهما عنى طول

حياتها ، إذ أن أكبر سعادة هو رضا الأم ، وبعد هذه الخلوة الأربعينية أمر بخلوة

أربعينية أخرى . وبعدها بجنة قليلة أمر بخلوة تسعينية أى ثلاثة أشهر ، وحدودوا له

وقتها من يوم كذا إلى يوم كذا . فوجدناها أشد أيام الصيف الشديد الحرارة وأطولها .

وكان في كل خلواته بصوم النهار . ويقوم الليل . ويطعمه من غير دى روح مع حشر

الشعير ، وكان إدامه أحياناً في بعض هذه الخلوات الملح فقط . وفي البعض الآخر

السكر فقط

ثم اختتم الشيخ خلواته بالخلوة الصمدانية ، وهى التى أمر بها في شهر رجب

القرود . وشرطها فوق شروط الخلوات السابقة ، يعرفها أهل الله . وسببت

بالصمدانية لمخارطة التحلق فيها بأحلاف الله وما استطاع الإنسان إلى ذلك سبلا

وبعد انتهاء فترة الخلوات تلك ، وكانت نحو ثلاث سنوات أمره الرسول ﷺ

تماماً بالتوجه إلى السيد العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ : عبد الوهاب . ابن فضيلة

مولانا الكبير الشيخ حسين الحصافي الشافلى ، رضى الله عنها . ليأخذ منه الخلاه

لتكون هذه الخلافة كصلاح له في المجتمعات . وحنة على من يعترض طريقه في

الإرشاد والدعوة . وكان من آخر الأعمال الخلية التى قام بها في آخريات حياته .

هذا المسجد العظيم مئذنته الساقطة التى تجذب الأنظار من بعيد .

محمد أكمل أهل الأرض والسفوات وسلم عليه بارئنا أركن التحيات في جميع الحضرات .

اللهم يا من لعطفه بخلقه شاطل ، وخيره لمهده واصل ، لا تخيرجنا عن دائرة الألطاف ، وآيتنا من كل ماغاف ، وكن لنا بطمك الحق الظاهر بإطمن يا ظاهراً ، بالطيب نسألك وقاية اللطف في القضاة ، والتسلم مع السلامة عند نزوله والرضا . اللهم إبتك أنت العليم بما سبقت في الأرض محضاً لطفتك بما برل . بالطيماً ، برل ، واجعلنا في حصن التحصن بك يا أول يا من إليه الانتحاء وعلية الممول اللهم يا من أتى عطفه في بحر قضاة ، وحكم عليهم بحكم قهره وإبتلاة . احفظنا ممن حمل في سفينة النجاة ووفى من جميع الآفات .

إنها من رعته رعابك كان ملطوقاً في التقدير ، عموماً ملمحوطاً بمايتك يا قدير يا سمح يا قريب يا مجيب الدعاء ارفعنا بعين رعابك يا خير من رمي .

لهم لطفتك الحق اللطف من أن يرى ، وأنت اللطيف الذي لطفت بجميع الوري ، حجت مريان سرك في الأكوان فلا يشهده إلا أهل المعرفة والميان . طاب شهدوا سر لطفتك بكل شيء آموا به من سوء كل شيء فأشهدنا سر هذا اللطف الواقى مادام لطفتك الدائم الباقي .

إنها حكم مشيتك في الصيد لا تروه همة عارف ولا مرید ، لكن صحت لنا أبواب الألطاف اسخية الماسة حصونها من كل بنية فأدخنا سطمك تلك المحصورن باسم يقول للشيء كن فيكون .

إنها أنت اللطيف بما دك لاسميا بأهل محبتك وودادك ، فبأهل المحبة والوداد خصناً بلطائف اللطف بأجواد .

إنها اللطف صنعت والألطاف خلقت ، ونعبد حكتك على خلقتك حفت . ورواة لطفتك بالخلوقين تمنع استقصاء حقتك في العالمين

يقرا كل اسم مائة مرة على مدى الأيام حسب قدرته وقواه . ولا ينقل من اسم إلى آخر قبل تمام العدد ، إلا إذا رأى رؤيا وعرضها على شيعه ، ووجد منها الانفعال نقله ، وإلا عليهم العدد .

ولكن الشيخ رضي الله عنه لم يكن يكتب بهذا ، وقد جمعت أرواده فيما عدا ما سبق - في كتاب طبعه السيد / حسن عباس زكي بعنوان « كنز الأسرار » في الصلاة والسلام على النبي المختار ، وفي هذا الكتاب صلوات الشيخ عبد الله الطروشى الفاسى ، وقد اقتطعنا منها زهرات ما سبق ، وفي الكتاب صلوات أخرى مباركة كثيرة ، وفيه تسييح ودعاء مأثور ، ووصايا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه من الأثرات للشافلى ، رضي الله عنه ، حزب اللطف ، وحزب الإخفاء ، وحزب الشكوى ، وحزب البحر ، وفيه مناجاة واستغاثات وقصائد وصيغ لتفريج الكرب .

وكان الشيخ رضي الله عنه يداوم على قراءته ويحتمد في أن يقرأه يوماً وما كان يقرؤه يوماً في هذا الكتاب حزب اللطف ، لسيدى أبي الحسن الشاذلى ، فتيه هنا يتامه لا فيه من لعف ، ولما لمزته من لعف الله ، ورعايته لمن يقرؤه .

حزب اللطف :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم
 و الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إيتاك بعد وبتاك نستعين . أهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المنحرفين عليهم ولا الضالين . آمين .

اللهم اجعل أفضل الصلوات ، وأتمى البركات في كل الأوقات على سيدنا

إليها لطمت ما قبل كوننا ونحن لطم غير محتاجين أنصفنا منه مع الحاجة له
وأنت أرحم الراحمين . حفنا بلطفك الكافي وجودك الوافي

إليها لطمك هو حفنك إذا رعيت وحفظك هو لطمك إذا وقيت . فأدخنا
سرادقات لطفك واضرب علينا أسور حفنك بالطفيف نساك اللطف أبداً ،
ياحفيظ فما الشؤ وشرا اليدوا بالطفيف وللاًنا ، من لصدك العاخر الخائف الضعيف
اللهم كما لطفت في قبل سؤالي وكؤوني ، كن لي لاعلى يا أمين وعودي
الله لطفيف بعباده يبرق من يشاء وهو القوي العزيز .

آيسى بلطفك بالطفيف أنس الخائف في حال الخيف تآنس بلطفك بالطفيف .
وقيت بلطفك الردي ، وتحييت بلطفك عن العدا ، بالطفيف يا حفيظ والله من
وراثهم عيط . بل هو قرآن . عجد لي لوح محفوظ .

تجزت من كل خطب جسيم بقول لي : ولا يترده حفظهما وهو العمل العظيم .
تلتت من كل شيطان وحاسد بقول لي : وحفظاً من كل شيطان مارد . كُتبت
كل هم في كل سبيل بقول : حسبي الله ونعم الوكيل . الله لا إله إلا هو الحي القيوم
لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده
إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع
كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظها وهو المل المظلم . لا إكراه في الدين قد
تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها والله سميع عليم . الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور
والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون .

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنت حرص عليكم بالمؤمنين .

رءوف رحيم . فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش
العظيم .

سب الله الرحمن الرحيم : لا يلاف قريش إيلامهم رحلة الشتاء والصفيف .
فليمدوا رباً هذا البيت الذي أطلمهم من جوع وآسهم من خوف .
اكتسبت بكهيمص واحسبت عمتسق . قوله لحق ونه الملك . سلام قولاً
من رب رحيم أخوياً في آدم خم ماء آمين اللهم بحق هذه الأسرار فما الشؤ
والأشرار . وكل مانت عخالقه من الأكدار . قل من يكلؤكم بالليل والنهار . بحق
كلاءة رحايتك اكلاًنا ولا تكلنا إلى غير إحاطتك .

وب هذا دل سؤال في بابك لاجول ولاقوة لإبك .
اللهم صل على من أرسلته رحمة للعالمين . محمد حاتم البيت ^{عليه السلام} . ومحمد
وعظم وشرف وكرم . سيدى لاخلقى من الرخمة والأمدار باحسان يمشان .

وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين .
أمد الوسيلة الكبرى لغرب الشيخ من الله سبحانه وتعالى . فهو مالا حظناه عن
من تلق قلبه دائماً بالله سبحانه وتعالى .

لقد كان جلله ذكر الله . وكانت علوانه ذكر الله .
لقد كان من أولى الأبواب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم
ويتكفرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه .
إن ذكر الله سبحانه وتعالى كان شعاره الدائم . وطمسه . ودينه الذي لا ينفك
عنه . والذكر كما يقول القشيري ركز قوى في طريق الوصول إلى الحق سبحانه
وتعالى بل هو العمدة في طريق القوم ولا يصل أحد إلى الله إلا مداوم الذكر

رقد وصل شيخنا بلوام الذكر إلى الله سبحانه وتعالى .
والشيخ رضي الله عنه سيادي وصانع ميمية في أصول الصريق . ومها يعين على

الطاعة ويغرب إلى الله . وفي آداب الذكر . وكتبتها بخطه . نقلها على صورتها
حرفياً .

أصول الطريق :

- يقول رضي الله عنه ، مما يجب على المرید :
- ١ - أن يتقرب إلى الله تعالى بما شرعه وسنه رسول الله ﷺ .
- ٢ - أن تكون عبادته لوجه الله تعالى محضاً في قوله وعمله . دون رياء .
- ٣ - أن يحفظ جوارحه عن المحرمات ، وليدع الفضول في الأقوال والأفعال .
- والتدخل مما لا يبيح . وأن يظهر قلبه من الرذائل والخواطر النفسية . والآيتمل
نفسه بهم الرزق وخوف المطلق . فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .
- ٤ - ألا يمرض على المطلق . والألا يركن إلى دنيا أو جاه . وإنما يعتد على الله
وحده . وأن يفوض الله تعالى في جميع أموره . ويرضى عنه في السراء والضراء .
- ٥ - أن يكون عموراً صموحاً عن رأت أنية ناصحاً إن أمكن . والألا يهجر
أهله فوق ثلاث . وأن يبدأ بالسلام إذا التقى به .
- ٦ - أن يتجمل بالصدق في الأقوال والأفعال . وأن يتجمل بالصبر في كل
أموره .
- ٧ - أن تلازمه مراقبة الله تعالى في السر والعلن .
- ٨ - أن يحسن الظن بربه والناس .
- ٩ - أن يكثر من الصدقات فإنها أقرب الطرق الموصلة إلى الله تعالى .
- ١٠ - أن يحدد التوبة كلما وقع في هفوة أو شهوة أو غفلة .
- ١١ - أن يديم الاستغفار ويكثر من الصلاة على الرسول الأعظم ﷺ .

١٧ - أن يحاسب نفسه وبهتتها في كل شيء ، متوسلاً بجاه سيد البشر ويعتز
الطاهرة .

١٣ - وعليه التسليم الكامل لشيخه ، والتعاقب في خدمته . واتباع أوامره .
والأ يبرم على أمر حتى يستأذنه فإذاه سبب نجاحه .

١٤ - أن يشغل أوقات فراغه بمجالسة أهل التحقيق أو مطالعة كتبهم .
وعما يبين على الطاعة ويغرب إلى الله تعالى :

أن يلا بطنه من طعام حلال ، وأن يتعد عملاً فيه شبهة من طعام أو شراب
أقول أو عمل واجتناب اللغو من الكلام والفرار من أهل الدنيا ما أمكن ، والألا
يسهر إلا في طاعة ربه ولا ينام إلا عن غلبة ، وعليه باستعمال السواك ودوام الوضوء
وكما أحدث توصياً ، وكما توصياً ، صلى ركعتين مع المواظبة على الصلوات الخمس
في أول وقتها مع الجماعة ، والألا يتخلف عن رباط الصلوة إلا لعذر والألا حرم
بركعتهم ، وأن يصوم من كل شهر حرمي ثلاثة أيام ، الثالث عشر ، والرابع عشر ،
والخامس عشر .

وتلاوة مائتس من القرآن يومياً وعليه بقيام الليل فهو سبب الخير .

ومن آداب الذكر فيما يروي الشيخ رضي الله عنه :

الأ يتلو ورداً إلا ياذن من شيخه . أولفته إياه . وأن يحبس في الذكر على
هيئة الشاهد ، متوسلاً مستغبل القبلة ما أمكن منفصلاً عينيه . والألا يشغل قلبه حال
الذكر بالذكور ، وأن يراقب صورة شيخه في جميع عباداته . وأن يستمد قلبه
من شيخه . وأن يلاحظ أن استمداده من شيخه هو الاستمداد من النبي ﷺ .
لأن الشيخ الصادق نائب عنه

والأ يشرب عقب الذكر مباشرة ، وليتظر قليلا في مكانه بعد الذكر صامتا مستحضرا لطق مايرد عليه من وارد الذكر ، وليؤد أرواده كاملة في أوقاتها ولا يجرم المدد ، وينبغي ألا يتقدم أحد المريئين في بدء ذكر ولاحزب ولاورد على من قدمه شيخهم مادام حاضرا .

٤ - إجماعات عن الطريقتين

وطريق الشيخ يتلخص - مع المحافظة على الفروض - في أمرين :
 ١ - ذكر كثير .
 ٢ - خلق كرم .

وكان مما يذكره رضي الله عنه لمريديه ماقاله أبو العباس الرمسي رضي الله عنه :
 طريقنا : المداومة على الذكر ، وترك الغيبة ، وترك سوء الظن بعباد الله ، فن واجب على ذلك رزقه الله من حيث لا يحسب .

ومن وارداته رضي الله عنه في شأن المريد :

١ - لزوم الجهد في الطاعات ، وارتكاب خطر أعمال المجاهدات وذبح النفوس سكيرا الخالعات ، وجسها في سجن الرياضة حتى يفتح الله عليه بالسراج في رياض المعرفة .

٢ - ومن شأنه أيضا المريد ، أن يذكر في كل وقت حتى يصل إلى النيّة والحضور . والنية عمّا دون الحق حتى يغيب عن نفسه إلى درجة الأبطر إلى نفسه في حال عيبة نفسه والحضور مع الحق ، فإن الغيبة عن النفس حضور مع الحق وموقف المريد من العلوم ظاهرة وباطنة ، قد حدهه الشيخ فيما يلي :

من لم يستمد بالعلوم الظاهرة تكون العلوم الحقيقية بالنسبة له ، ظلمات في القلب . ومن لم يستمد بالعلوم الباطنة تكون الظاهرة بالنسبة له ، ظلمات في القلب أيضا .

من المريد يحتاج في البداية أن يكون عارفاً عميقاً . فتكرد سايته عارفاً حقيقياً وينصح الشيخ المريد قائلا :

راقب صورة شيخك وأنت تقرأ صورة وردك ، واستمد منه ، واعلم أن الرسول محيط نكاح ، والله محيط بالكل ، مهده أسس الجمعية التي يتأتم الملاح والنصيحة الحقة بالنسبة للمريد هي :

المجاهدة في إزالة رذيلة ، وإحلال فضيلة عملها كسحر البخل وإحلال الكرم

عمله ، أو استبدال الكبير بالتواضع .
 وقد نصح الشيخ مرة مريديه - وكان ذلك يوم الجمعة ٢٤ من دى الحجة ١٣٨١ هـ - فقال :

من عمل هذه الصالحات أبشرو بدخول الجنة :
 حفظ الجوارح جميعها إلا فيما يرضى الله .

ترك الغيبة أو نهش أعراض الناس .
 عدم الاعتماد على حب الشيخ من غير عمل .
 أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك .

المخلوب والسالك :

والإنسان في سيره إلى الله إما أن تكون بدايته جديبة من جذبات الحق ، وإما أن تكون سلوكيا ، وفي المخلوب والسالك يقول الشيخ رضي الله عنه :

المخلوب : من جذبته الله إليه ، ولذالك كان سيره من أول خطوة في الطريق بالله لا بنفسه ، وهذا جاء من باب القدرة : كمن فيكون . ويوضح ذلك من فاجأته العناية فتغيرت حاله فجأة وانقاد إلى طريق مولاه وهذا هو الملتجئ مباشرة

والشهادتين وأقر بالوحدانية لكنه لا يرى هذه الوحدانية للآراء على قلبه بما سد باطنه
صبرته .

وهناك قسمان آخران للبصيرة وهما :

١ - عين البصيرة

٢ - حق البصيرة : « وما دخلان في نطاق مقام الإحسان » .

(١) فعين البصيرة : نور الإحسان لأهل المشاهدة .

(ب) وحق البصيرة : نور الإحسان لأهل المكالمة .

وكل ما بعد ذلك ترقى في مقام الإحسان .

وقد أشار إلى ذلك ابن عجيبة . واقرء عجي الدين برأى خاص به . بأن هناك
مقاماً فوق مقام الإحسان ، وهو ما بعد الصديقية الكبرى وقبل مرتبة النبوة . وهو

مقام الإيقان الذي فيه الخضر . وقد دافقه ابن عريف .

واسبق أنها ترقيات في مقام الإحسان ، وليس بعد مقام الإحسان إلا مقام
النوة ، ويشهد لذلك حديث الإسلام والإيمان والإحسان .

وجمع الطريق الوارد التالي :

لقد يجانبنا والطرح أنفالك برحابتنا ، واجعل مطالبك مطالبنا ، بحسبك إماماً

لنا ، أي من أئمتنا في الأرض الموالين لنا .

يقول الشيخ . إن هذا الوارد يقصد بذلك المشايخ السالكين . وهذا الوارد

كما يقول - جمع الطريق كله مجتمعاً .

أما السالك فأشواع :

(أ) نوع يقدر الله له الوصول . وهذا يقال له : مُجْتَبَى من وراء حجاب .

لأنه أتى من باب الحكمة .

(ب) نوع ظل سائرًا ولم يصل . وفاجأته النبوة . وذلك بكل الله سبحانه له

الوصول في قرة

(ج) نوع لم يقدر الله له الوصول . وذلك هو النوع المستخرج والعباد بالله .

والسالك المقدر له الوصول أفضل من المجتبي مباشرة لأن المجتبي لم يجاهد .

والمجاهد يجاهد نفسه وهواه وهذا هو مقام الجهاد الأكبر .

والمجلوب : فاته هذا المقام والدليل على ذلك قوله سبحانه :

(لا يستوى منكم من أتى من قبل الفتح وقتل أولئك أعظم درجة من الذين

أنفقوا من بعد وقتلوا ، وكلاً وعدّ الله الحسنى ، والله يمتلئون - خبير) .

وهناك مرتبة أعلى من المرتبتين :

مرتبة « المحلوب المجاهد » . وهي مرتبة الجهاد الذي سلك بنفسه ثم أدركه

الغاية فيجذب واجتئبي قبل الوصول ، فقد أحرز المزلتين .

البصيرة :

وينتهي السلوك ، بتوفيق الله ، بالكشف عن البصيرة .

والبصيرة ناظر القلب ، والبصر ناظر القلب . وهي أي - البصيرة - أقسام :

صيرة فاسدة : للكمار إذ أنها أنكرت نور الحق .

وصيرة مسلوذة : لمرض أصابها ، إنها عاطلة بالنور ولكنها لا تقوى على

مشاهدته ولا تشهد قربه منها ولا يبعده عنها ، وهي لعامة المسلمين . فاسلم نطق

الحلقة تفتضي عدم المنفرة لهم ، فكيف يخالف الحلقة ؟
المراء السر في المواقف من الفضيحة .

٥ - (لا تذكروا الأنبصار وهو يدرك الأنبصار وهو اللطيف الخبير) .
المارغون يدركونه بصائرهم ، والآية نبي للإدراك بالبصر ، لا البصيرة .
٦ أهل الأعراف : (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم . ونادوا

أصحاب الجنة أن سلام عليكم ثم يدخلونها وهم يطمنون) .
مدحوا بقوله : رجال . سواهم الله يبدى الجلال والجمال . فهم بين الغضب
والرحمة ، النار والجنة . ظلوم أمدحهم إلى أيها لا يكون كاملا . بل إن وضعه
كاليزان لا يميل إلى الجنة ولا إلى النار . ويسلمون على أهل الجنة ، وقلوبهم مع الله
لا مع الجنة .

ويقول الشيخ مرة أخرى .

هناك من خلقه الله بيد . إما جمال محض . أو جمال محض .

ومناك من خلقه الله يدين : الجمال والجلال ، فهو الخلية . كآدم ، يقول

الله تعالى : (ما منك أن تسجد لما خلقت بيدي) .

نكل من خلقه الله خليفة يكون مخلوقاً باليدين جسماً وروحاً . وله تسجد

اللائكة كآدم

٧ (قد أقرنا على الله كذباً إن عدنا في مليككم تد إدخانا الله منها .
وما يكون كما أن تعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسبح ربنا كل شيء . عدنا على الله توكلت
ربنا افصح بيتنا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين)

ذلك المصوم فكيف يرجع إلى ملة الكفر ، وذلك بناي العصمة .

فلما من باب ملاحظة العلم المطلق ، فليس هناك فيه قيد ولا عصمة

ولا غيرها ، لأن الشرع مقيد ، وعلمه المطلق لا اطلاع لأحد عليه .

٥ - إلهامات في التفسير

ويبدأ بعون الله الآن في ذكر ما نحدث به الشيخ رضي الله عنه في تفسير آيات من
القرآن الكريم .

١ - بسم الله الرحمن الرحيم :

اتصح السور بالبسلة ، لأن السور بيوت ومنازل ، فباب كل بيت البسلة

ومعناه أن من دخل آمن ، لأنه طمأنه بالرحمة التي في البسلة التي هي الباب

٢ - (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتقبل من

من يقصد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم

مالا تعلمون)

وموقف الملائكة من خلق آدم عدم منهم

والأمر بالسجود للخليفة تشرية للحليفة

وإليس زعيم فرقة النار . ومحمد ﷺ . زعيم فرقة الجنة

إليس من الجنة وملا بالمادة إلى ربة الملائكة ، فلما أمرت الملائكة بالسجود

له وهو معهم ، شمله الأمر ، فقلبت عليه نفسه باختيار أصله ، فلم يسجد . أما

الملائكة فلائهم أرواح محضة سجدوا .

٣ (وادكروا معنة الله عليكم وبيناقه الذي اتقاكم به . يد قلم سمما واضم

وانقوا الله إن الله عليم بلذات الصدور)

أي اشكروا معنة الكبري الرسول ﷺ . ووارثه في كل عصر . وشكروه

نادب في حصرة والعمل في جمه . والرسول خير معنة . عما أن رحمة مهدية .

٤ - (إن تعلمتهم فأنهم عبادك وإن تغفّر لهم فأنك أنت العزيز الحكيم)

والرحمة التي عليه خاصة . هي أقل يقول . لو أن الرحمة التي ممي تطلب
تغضب الذي عليكم . أو آوى إلى ركن شديد معناه : أو يتجمل على مولاي
بأرحمة الهممة تغلب كل عصب . ولقد كان لوط في كل حاد يأوى إلى مولاه ولم
يبرح حضرة الإلهية . ولا يلبث يبي إلا كذلك . ولذا قال الرسول ﷺ :

« رحم الله أخى لوطاً كان يأوى إلى ركن شديد »

فيشير إلى أنه كان دائماً آوياً إلى مولاه . وإنما كان يطلب غلبة الجبال الجلال .

و الرحمة الكلية العامة الغضبية . والله أعلم .

١٢ - (واستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا به بما تعلمون نصير)

قوله ﷻ : « استقم كما أمرت » . لقوله تعالى : (واستقم كما أمرت)

فأدى شبه قوله (أمرت) لأن الأمر خلاف لإرادة الأمر قد يفرض

ولكن الإرادة لا تفرض أبداً . فلو قال كما أمرت لما شبه ذلك ولم يكن ذلك له .

بل لأنه . لأنه قائم بالأمر وزيادة لأنه مراد الإرادة

١٣ - (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجتنبه ونسئ أن يعبد

الأصنام) . كيف ذلك لإبراهيم المصوم ؟

المراد بالأصنام الأعيار والعلائق . وكل ما يشغل عنه . إذ أن ما يشغل العبد عنه

بأسرها . ويكون الإنسان عبيداً له : « تمس عبد الدرهم »

١٤ - (وثقه غيب السموات والأرض وثما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو

أقرب . إن الله على كل شيء قدير) .

أو للتفتيح فأمر الساعة لناس كلمح البصر . وهو أقرب للأنبياء والمرسلين

١٥ - (ما عبدكم بئد وما عد الله ناق . وسخر من الذين صرنا آخريهم

ياخس من ما كانوا يعملون) الذي عند نفسه فان . والذي عد الله في مقام المندية

لا يند عليه . ولا يعنى عرفاه

ومن دعاه النبي يوم بدر .

ومن قول أبي بكر : لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي في الجنة

ومن قوله : (وأنا أولياكم لتلقى هدى أوفى صلاح ميين) .

٨ - الأفعال من الله : (بحسب وعيونه) .

في الحقيقة مأنحياً لإلا نفسه . لأنه لا يجيبهم إلا لفعلهم . وهو منه .

نعم الأفعال كلها منه .

والفعل في حالة صدوره من الله لا يكون إلا خيراً . ولكن الوعاء الذي تنزل

عليك تلك الأفعال هو الذي يشكلها . فلذا نسب لله في الصدور إن كان خيراً .

والعبد في الظهور إن كان شراً . لأن العبد هو الذي شكله .

٩ - (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها

لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل

ما كانوا يعملون) .

دليل على زيادة أوزاق الظلمة وكل من كان يريد يصله الدنيا .

وقوله تعالى : (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة ...) الخ .

فصاء عليهم . وقسم لهم ريبان لصياغهم بها هو أهم في الآخرة

١٠ - (وَيَضَعُ فَالْكَ وَكَلِمًا عَلَيْهِ مَثَلًا مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا بِهِ ، قَالَ إِنْ

سَخِرُوا بِمَا فَإِنَّا نَسْخَرُكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) .

لما كان نوح يصنع السفينة في البرية . ويقول لهم سأعجل بيثا يسجد على الماء .

فكانوا يسخرون منه . وكذلك المصلح يكون ظاهر حاله يدعو للاعتراض

والمعجب . ولكنه على حق والمعبرة بالنتيجة .

١١ - قول لوط : (قال لو أن لي بكم قوة أو آرى إلى ركن شديد)

مهم يقول : لو أن لي بكم قوة . يعنى الجلال والمغضب عليهم عليهم شديد .

١٦ (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا ملائكتنا أن يمسروها فمسروا فيها حتى عليها القدر
 فقتلناها كليًّا). هناك أمر تشريعي . وهو ما جاء على لسان الرسل ، وهناك أمر
 الإرادة . والآخر لا بد من وقوعه وتحققه . والأمر قد يقع وقد لا يقع . ومثل
 الأمر مطاعة الله . ومثل الثاني (أمرنا مؤذينا ففسدوا فيها)
 فهو أمر الإرادة أما قوله : إن الله لا يأمر بالفساد ، فهو أمر تشريعي ظاهري
 وأدم عليه السلام . رأى أمر الإرادة فأكل من الشجرة وكان الأمر الظاهري مخالفاً
 لذلك . ففكر لأنه رأى أنه غير واقع . ولذا نال بعد ذلك الخلافة
 ١٧ (وتخشعوا أيقاظاً ونم زجوداً . وتغلبهم داب اليمين وودت اليسار
 وكلهم باسط دراعيه بالوحيد لو اضممت عنهم لوليت بهم مراراً وللت سهم
 رعياً)

وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة والهيبة التي كانوا عليها من طول الشعر والأظفار
 وصبر ذلك . ولم يجعل الله على سبينا محمد ﷺ ، مثل ذلك . وكانت أعينهم
 مفتحة كالمنيفظ الذي يريد أن يتكلم .

١٨ - (لأيتسّمون فيها لئلا سلاكم ولهم رزقهم فيها نكرة وعين)
 الجنة في الدنيا . والراء الحث على الأوراد . لأنها تسبب الأرزاق المصوية
 والحسية . وفي جنة الآخرة التي ستقعها عرش الرحمن . وهم يطعمون مقدار اليوم
 علامات

١٩ - (قال هي عصاى أوتىّا عليها وأهش بها على غشى لى فيها مآرب
 أخرى) .

قول سيدنا موسى عليه السلام : (هي عصاى) : معروف بك ، أعتد عليها

(٢) بل جعل الله عليه دابة واحدة ما

(أهش بها على عصى) : أولادى في التربية .
 (ول فيها مآرب أخرى) : من باب لى وقت مع روى لاتسمى فيه أرض
 والاسماء .

٢٠ - (فأكلأ منها قيتت لهما سواهما وطيقاً يخصياناً عليهما من ورق
 الحية وعصى آدم ربة فحوى) . فكيف يعصى وهو مصوم ؟
 الحق أن هناك أمر إرادياً لا يعصى أبداً وأمرأ شرعياً ، وهو قد يعصى ، وقد
 لا يعصى ، وعصمته تقتضى عدم عصيانه . إذ أنه اطلع على ماى علمه ورأى عدم
 وقوع ذلك الأمر ، فصصى الأمر الظاهري ، وغوى أمر الإرادة ، فهو طائع حقاً ،
 إذ أنه يعلم أن ماعله هو الواقع حقاً .

والفرق بيننا وبين مثال الأبياء والمطاعين على علمه وعلى ماى اللوح أنهم قبل
 الإقدام على العمل يرون ماى علم الله وشاهدونه ويأتون ما أراده الله سواء وافق
 الأمر الظاهري أم خالاه . ومثلنا لا اطلاع له . فلا يدري ماى الإرادة . وإنما يعلم
 أن هذا كان في العلم بعد وقوع المقدور . والمعقب والحساب على القدم وعلى
 مخالفة الأمر وهو لا يدري ما أراد الله . أما هم فيرون ماى علمه . ويأتون الأمر

الإرادى استجابة لما فى العلم لاشهوية ولا لهوى وحوى .
 ٢١ (وذأ الثور إذ دُفب شُدصاً فظأ أن لى تُدبر عليه فنادى فى العظاات
 أن لا إله إلا أنت سبحانك إى كنت من الظالمين)

أى خرج من قومه من غير إذن . (لن تقدو عليه) :

لن تقتر عليه بالرحمة وضيق . وهناك غيب الرجاء . والميران استواء الرجاء

والحورب

٢٢ - (ومن سمككم . نيلب والنهار وانعاؤكم من فصله . إن فى ذلك

آيات لقوم يسمعون)

ولم يقل بالنهار ، دليل على أننا في لحظة تامة ، بالليل والنهار ، لأن النوم غفلة . ومع غفلتنا التامة عنه ، وعن شهوده ومعرفته ، نرجوه وطلب منه .
٢٣ - (إنك لأنتهى من أحببت وكبر الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمؤمنين) . إنك بشريةك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء .
٢٤ - سأله مرة سائل في قوله تعالى
(إن الله عليمٌ الساعية ، ويترق القيت ، ويتلم بما في الأرحام وما تدرى نفسٌ ماذا تكسبُ غداً وما تدرى نفسُ بأى أرضٍ تموت ، إن الله عليمٌ خبير) .
قال : كيف يتقن أن النفس لا تدرى ما تكسب غداً مع ما يختص الله به

أوليائه من أسرار ومغيبات المستقبل ؟
مكان جوابه في إيجاز يليخ : لقد قال سبحانه : (وماترى نفس) ولم يقل روح ، ويوضح ذلك كما سمعناه منه وبروه بالمعنى لا باللفظ :

أن النفس بما على عليها من ران الطباع ، وما عشاها من كثافة ذمغ الحصار لا يمكن أبداً أن تترك شيكاً من أسرار الله . وهذه هي النفس المرادة في الآية فإذا مالزقت من نفس نقارة بالسوا إلى نفس لواقمة ، ومن لواقمة إلى ملهمة . ومن ملهمة إلى مطمئنة ، ومن مطمئنة إلى راضية ، ومن راضية إلى مرفوعة دخلت في حير النفس الكاملة ، وحينئذ تكون قد تخلصت من ران الطباع وكثافة ذمغ الحصار وتحكم سجن الجسد فيها . يكون لها الشافية والإطلاق ، فتحكم في الجسد ولا يتحكم الجسد فيها ، ويكون صاحبها روحانياً . وهذه الرتبة هي التي تسمى فيها النفس روحاً ، والروح سر من أسرار الله . ولأنها سر الله فهي حزاكة عالة عما كان وما يكون . فإذا ما وصل صاحبها إلى هذه الرتبة انكشف المطاء ورأى أمامه غرائب الماضي ، وغفابا الحاضر . وعجائب المستقبل ، وكل روح في أصلها كذلك فإذا ما غيبت في الجسد سيطر عليها بكثافة ، وعطى ما تحويه من أسرار . فمن

حامد وأخرجها من هذه الكثافة عاد بها إلى أصلها واستحقت أن تنادي :
(يا أيها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) .

وأوليائه الله الذين احتصم بأسراره مسم من وصل إلى هذه الرتبة . ومسم من تخارضا ، وبذلك تتحل الشبهة في السؤال ولا تعارض الآية ما يختص الله به أحيائه من أسرار ، لهم علماء الله بحق ، الذين عناهم بقوله : (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) وهم عبيد الذين تناولهم الآية الكريمة (إما يحشى الله من عباده العلماء) (١)

٢٥ - (إما تحزنتم الأمانة على السموات والأرض والبحال فأتين أن يحسبتم وأنفقتم منها وتحملها الإنسان ، إنه كان ظلوماً جهولاً) .

الأمانة المرفة الحقة . وهي للنفوس لما فوق ، وهي الخلافة الحقيقية . والإنسان الحق ، كان قبل حملها ظلوماً جهولاً .

٢٦ - (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء . وإليه ترجعون) . كيف يكون شيئاً . ويقول له كن ؟ فإن كان موجوداً فلا داعي لوجوده . وإن لم يكن موجوداً فلن يقول له كن ومن يخاطب ؟ يخاطب هذا الشيء المعلوم لله . الموجود في علمه . الحاضر لديه ، المعلوم في ذاته . الذي لم يأت أوان خلقه . إذ أن العلم تعلق بالمعلومات كلها وبالإلا كان علماً . لأن العلم لا يد له من معلوم يتعلق به . إلا أن هذا المعلوم قد معدوم في ذاته في حاجة إلى تكوين و بروز ، فيخاطب هذا المعلوم بالتكوين والخروج إلى حير الوجود

(٤) من مذاكرت لأستاذ سمان القاضي من والده

٢٧ - قلنا بلغ معه السعي قال يا بني أرى في المنام أرى أذنبك فانظر ماذا ترى . قال يا بئس أهل منزل ما يؤمر متجددني إن شاء الله من الضالين .
فوله تعالى : (إني أرى في المنام أرى أذنبك) .

قال إسماعيل : (يا بئس أهل ما تؤمر) .

ولم يقل : ما رأيت . فلم يكن مارآه أمراً ، ولو كان رآه أمراً لقال : إني أمرت . وكيف يدعوه ولم يؤمر بذلك ؟ إنما ذلك شدة مسارعة لتنفيذ ما رأى .
رؤيا الأنبياء والصالحين على قسمين :

١ - رؤيا كشف .

٢ - رؤيا تحتاج إلى تأويل .

الأول : لا بد من حصوله كما هو . والثاني : يؤول .

هوزيا الخليل عليه السلام . من الثاني إلا أنه لم يوقن أنها منه ، من الثاني فسارع إلى تحقيقها . ولذا قال تعالى : (صدقتم الرؤيا) ولم يقل صدقتنا . أما الرسول ﷺ . فكان عنده علامة يعرف بها رؤيا الكشف من الرؤيا التي تؤول . مثال ذلك لما رأى أنه شرب لبناً . وأعطى الفضلة لسيدنا علي . فقالوا له : ما أدلته ؟ قال : العلم .

ومثله رؤيا يوسف عليه السلام : رأيت أحد عشر كوكباً .

احتاجت إلى تأويل . الكواكب : إخوته .

أما عن عروج النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج . فقد كان ﷺ يرى جسمه

الشريف ويطلق بما يتناسب والروحانية العلوية . فكان يرى تدريجياً من سماء إلى سماء حتى يصير في شعاعية ملائكة كل سماء . حتى وصل مع جبريل إلى مدرة الشهي . فكان عمية في الشفافية والروحانية . وهنا توقف جبريل وطلب منه سيد البشر أن يواصل سيده فقال :

٢٨ - (وما لنا إلا له مقام معلوم) . تقدم أنت يا محمد بهذا مقامك . وما رح سبباً محمد ﷺ في الأنوار موصل بل حيث لا يرى ولا بين ولا زمان ولا مكان . فقد سبق حين ذلك لكاد . وهما لا يحال للقول ولللفظ . وكل ما يمكن أن يقال : إنه رأى مولا بهين بصيرته ويمكن تفسير قوله صلى الله عليه وسلم :

« رأيت ربي بعيني رأسي » . أي أنه قد انعكس نور بصيرته على بصره فزاد

عيناه بنور بصيرته من ليس كمثلته شيء .

٢٩ - (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي

سينزلون جهنم فانيخربون) .

قال رضي الله عنه : إجابة عن سؤال كيف تعبد الله بلا علاقة ؟

مع أنه تعالى قال : (ادعوني أستجب لكم) قال ادع الله انهاراً للالطلب

ولكن إظهاراً للمعبودية والتذلل . ومثل ذلك سيدنا أبي الحسن عطاءً الشيطان :

أعوذ بالله ملك . ومن أنت حتى أستعبد ملك ؟

ولولا ما أمرني ربي ما استعبدت بالله ملك

٣٠ - (ولن يخاف مقام ربه جتان) .

المراد : جنة في الدنيا . وهي جنة الخبير العارفين . وهي معصوية : لما

يستغفرونه من ذنبة ومنة في عباداتهم . وأسهم برسم . ومن هنا يدرك معنى

قوسم . « من في لذة لو عصمها الملوك . لخالدو . عبد بالسيف » وهذا هو المعنى

لمراد من جنة الدنيا . وهو الأنسب والأليق .

وهل المراد بجنة الدنيا الجنة الحقيقية الحسية ؟ فالله يعلم أحواله في الدنيا من

الجنة هذه . وذكر رضوان الله عليه قصة الولي الذي استضافه ملك . فقدم إليه

فاخر الطعام . فحرف الولي عن هذه الألوان . فسأله الملك عن سبب امتناعه .

لائحصى ، فلما جاءت البشرية كانت لانعرف شيئا ، فكان يجب موافقة البشرية للروحانية ، فالبشرية ضالة عمّا في الروحانية .

ومضى عليه لسلام قال : وقلنا وأما من الضالين ، أى الضالين بطريقتكم

٣١٣ - (الهاكم الكائن) . حسب المال : الخلق عن الخالق ، المعرفة عن

صاحب المعرفة . الصفات عن الذات ، والأخيرة رحمة . لأنه لولا ذلك

لأخربوا

٢٤ - (ثم كَسَّالٌ يَوْمئذٍ عَنِ النَّجْمِ) . السؤال يشير إلى رحمة الله ، لأن فيه

تعداد النجوم التي أنعم الله بها على المبدى في الدنيا ، وإن تعددا نعمة الله لا تحصوها .

٦ - واردات

١ - من غلبته شهوته فهو حيوان ، ومن غلبت شهوته فهو إنسان . ومن غلبت

ناسوته روحانيته فهو من الغافلين ، ومن غلبت روحانيته ناسوته فهو من

الأرايين

الأور معاملات يعامل نفسه والثاني عدوت سائر في مقام العبودية

٢ علم من آدم طلسم لا يدري به إلا من اجتهده الله ، وأطلعه على سره

نعمص فيه من سرانه مرقوم على كفه الأيمن رقم ١٨ وعلى كفه الأيسر رقم

٨١ وعمود الرافدين ٩٩ أعى أسماء الله الحسنى . يتجلى بها عليه على حسب

استعداده من الأزل

أما خليفة الله في كل عصر ، المورث ، فهو متحل به صبه . على رأى منه وهذا

سر قوله تعال لإبليس عليه اللعنة (مسمك) نتخذ لما حكمت بيدي

بني كور السجود آدم شكلا . ولكنه في الحقيقة كان لله لا لآدم عليه السلام

فقال : مثل لا يأكل من هذا الطعام ، ثم أمسك بنوع منه وعصره ، فكانت

عصارتها دما ، وأمسك اللحم وعصره فكانت عصارتها قيحا وصديكا ، فتصعب

الملك ، ثم نظر إليه العارف قائلا أنرضى أن آكل من هذا الطعام ؟ كله من

حرام ، ومثل لا يأكل الحرام . فسأله الملك ماذا تأكل ؟

فأجاب طعامي سيأتيني . وإذا بالباب يطرق . ثم يفتح فيدخل خادما يحمل

طعاما على رأسه . ويقدمه للول قائلا : سيدي الأكبر أمرني أن أقدمه إلى سيدي

الأصغر ، ثم وضعه الولي أمامه وأخذ يمك ويغضه ويعصره فنزل العصارة لتأ

خالصا ، ويمسك بعض ثاب ويعصره . فيجده عصلا خالصا ، وبعض ثالث

فيجده خمرًا لا تحول فيها ولا هم عنها ينزفون ، وبعض رابع فيجده ماء غير آسئ

وهي من أنهار الجنة الأربعة ، ولعل الولي عمل هذا الحكمة . وهي عمل الملك .

ليحتمه على البعد عن الحرام عن طريق هذا التصور البشع ، فبجة الدنيا إما المنعة

واللذة المنوية التي تفوق كل لذة . وإما جنة المأكولات واللذات .

وكثير من الأولياء ، كان يخرج إلى الناس . ويشم منه ريح الشواء وغيره من

الروائح الأظلمة ، ولم يعهد أنها عنده ، أو طليخها في بيته . إذ لم يكن لديه أد

لجلب ذلك . ولذا كان الرسول يقول : وإني أبيت عند ربي يطعمني ويسقي .

والمراد طعاما حقيقيا حسيبا يشبع منه أما الجنة الثانية : فهي جنة الآخرة .

٣١ - (إن تطش ريتك لتشيد) . فرت هذه الآية أمام أبي يزيد البطامي .

رصى الله عنه فقال : إن تطشى أشد .

ومثل رضوان الله عليه في معنى ذلك . فقال : حقا ما يقوله أبو يزيد . لأن

بطش الله بمزوح بالرحمة . أما بطش أبي يزيد فبخال من الرحمة .

٣٢ - (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى)

مع قوله : كنت نيبًا وآدم بين الماء والطين . فكان نيبًا للأرواح ، وعلم علوما

وهذه الأسماء جامعة للبين : أعى الخيال - والجلال - والقنص والبسط .
والأسى واهية . والعز والدل . والفقر والمعنى . والكمال
من أسعده الله ونحقق بهذه الأسماء . كان العبد الكامل . ويطبق بالحكمة وحرع
صدوق نفسه إلى جوهر روحانيته ودررها ونزولها ويواقيتها . وكان غيبته الله في
أرضه . ومن عمل عن ذلك فهو في مشيئة الله تعالى وعاش كحيوان يرنح في
اصلاة

وإذا أوردت الرقم الذي في الكف الأيمن نطق باسمه الحى ، وإذا أوردت
الرقم الذى في كفه الأيسر نطق باسمه الأحد الهيبى .

فمن عبد الله باسمه الحى ودام عليه واستغرق فيه بلا وهياراً شاهد حياة كل
شئ . وكوشف بسر الملك والملكوت . ومن عبد باسمه الأحد الهيبى وأكثر منه .
ولاحد لأكثره . شاهد حياة كل شئ . ومحيه . ومن ذكرهم جميعاً صعدت روحه
إلى الملأ الأعلى . وصعدت روحه إلى العرش . ليكتب عند الله من الكاملين
الصدقين . وكان أعزوبة زمانه عرف من عرفه وأكر من أنكر

٣ - أكمل الكمال أن تعبد الله بالإخلاص وتعنى عن الإخلاص بالإخلاص
لله بالله

فالأول : لمن له تطلع للمقامات في البداية .

والثاني : لمن طريقه عبودية الربوبية ، فهو النجم الذى لا يدرك .

٤ - أهل الخصوصية مزهود فيهم أيام حياتهم . متأسف عليهم بعد مماتهم .
وهناك يعرف الناس قدرهم حين لم يجدوا عند غيرهم ما كانوا يجدونه عندهم .
ولات حين مندم

٥ - رأى من يقول له : اكتب هذا الكتاب الجامع لميزان الأعمال

فقال له : نعم

فقال : ليس لعبد أن يشغل قلبه بالاختيار بعمل شئ . أو تركه في المستقبل .
وإنما عليه أن يعطى ما أبرئناه على يديه حقه . فإن كان طاعة حمدنا عليها واستغفرا
من تقصيره فيها . وإن كان معصية استغفرا من ارتكابه مخالفة أمرنا . وإن كان
عملة أوسهوا فعل ما هو اللائق عفاه . وقد قرب لك طريق الأدب معاً في كل
ماتجره عليك . سلم سلاماً باطنياً وطاهرياً سلم وتغم .

٦ - لا تركن إلى عمل ولا علم واركن إلى حب من يحبب الله ورسوله . وصارع
في هواهم تغلج دينا وأخرى والسلام

٧ - الله الصادق الوعد الأمين . ويتجاوز عن الوعيد لأحبابه المخلصين .

٨ - القلب للمشاهدة . واللسان للعبارة عن المشاهدة . فمن لم يشاهد فهو
شاهد زور

٩ - آدم قرع باننا يدخلك علينا بوينا . وثق أمك لا تدخل علينا إلا بواسطة
بوينا . واعلم أن بوينا حيينا ، وهو لكل خلقنا .

١٠ - الأقطاب الأربعة هم : السيد البدوى . سيدى إبراهيم اللسوقى .
سيدى الرفاعى . سيدى الجيلانى .

أما السيد البدوى فهو حى في قبره يجلس وبضطجع ويقابل جميع زواره هذا
حاله

أما سيدى إبراهيم اللسوقى فهو من الأفراد . والمراد أنه ترك المقامات وزهد فيها
حتى القوية تولاهما وتركها راهلاً فيها .

(أ) السر في الأشياخ لافى الأذكار .

(ب) ومعنى قولهم لسر في الأشياخ يعنى في الإذن بالذكر

(ج) الورد الحقيقى الذى يبلغ المرید هو اهبة من المرید لشيخه محبة صادقة .

- (د) كل إنسان مركب من عقل - نفس - روح - فكر - قلب - فؤاد
وما عدا ذلك فهو للأرض
- (هـ) الأولياء عرائس محضرة ، من نظر إلى محمد رسول الله آمن به . ومن نظر
إلى نبيم قريش كفر به
- (و) الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة . لأن مدة الرسالة ٢٣ سنة
والمنام نصف البقطة . ف $23 \times 2 = 46$ والله أعلم . كم من مصباح أطفأته
الريح .
- (ز) من لا أول له ولا آخر : هو الله سبحانه جل شأنه .
ومن له أول وليس له آخر الروح : وملائكة المذاب والنعم .
ومن له أول وآخر : الإنسان والجن والحيوان والطيور .
- (ح) من طلب الحكمة للذات وكلفه الله إليها . ومن طلبها له وكلفها إليه
١١ - قلوبهم أعجب من ذكر التائب ربه . معناه والله أعلم : أن قلوب أحبائه
أعجب شيء . إذ صاحب هذا القلب ذاكر ربه وهو تائب .
- ١٢ - رُجِدَ بنحط فضيلة مولانا الشيخ - في كتاب من أنى شجاع دققه
شافى . . ويظهر أنه كُتِبَ أيام الخلوة الأولى أو الثانية - مكتوباً : وارد اليوم :
الإخلاص هو الشكر بالعمل والعمل بالشكر ، وله ظاهر وباطن ، مظاهره العمل
وباطنه الشكر . والحافظ له ونفوه باطنه : أخلص لى عملك ولا تسألنى وأنا أعطيك
أفضل ما أعطى السائلين ، وأما الشكر فهو تصرف كل جارحة لما خلقت له ، ثم
ينسى ذلك وإن لم ينس فما شكر : (لأن شكرتم لأزيدنكم)
- فالإخلاص يقتضى العطاء والشكر يقتضى المزيد . فالإخلاص هو الأب
الصالح ، والشكر هو الابن الفالح ، والفاعل لها هو المقرب النافع . فاعرف قدر
ما وصل إليك . واعمل به تكن من الناجحين .

- ١٣ - العبادات كالحلواء المعجونة بالماء . فكأنها لا ترضى النفس بالقليل منها
فتسلم . كذلك لا تنصير على الكثير منها فتعتم .
- ١٤ - أشد المذاب سلب الروح . وأكمل النعم سلب النفس . وأشد العموم
معرفة الحق . وأفضل الأعمال الأدب . وبداية الإسلام التسليم . وبداية الإيمان
الرضا .
- ثم الإيمان يتلون بحسب الجسد . والجسد بحسب المصنفة . والمصنفة بحسب
إصلاح الطعمة . إياكم والجرع في مواطن الامتحان يتمحكم الحق بأشد من
ذلك . لا يكفل المرید حتى يحمل عن شيخه . فإن رمى أشغاله على شيخه فهو
سبب الأدب . مع أنه إذا تعود ذلك ألفت نفسه ذلك فينقص استعداده .
فإذا جاءت صلته هدت جداره وشيخه ليس بمقيم له
لا تأكل أبداً طعام أحد إلا إن كنت وليه في التربية . أو من أهل آية : (ليس
عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم) . فإن كل لقمة رلت في جوفك نقص من
عبوديتك بقدرها . ونسرتك لصاحب تلك اللقمة .
- من اجتمع فيه خصال أربع : الكبر . والمناق . والغرور . والبخل لا بد من
العلاج فإن دواء الكبر التواضع . والدق دواء الإخلاص والغرور دواؤه
لعجز والانكسار . وأما البخل فدواؤه التسخى .
- فلا يصلح أبداً إلا بهذا العلاج . ويحتاج إلى جهد كبير وعناية ربانية . وطريقته
وعر وأعوذ بالله من غضب الله .

١٥ - وارد بصيغة سؤال :

س ١ : ما ملك الحسم ؟

ج : ملاك العقل ، والعقل عقلان : عقل للنفس لتدبير أموال الدنيا ،

يقف بين الحين والحين ، بينه الإنسان من صلته ويوقظه من انشغاله .

٢ - وهناك معنى ثان لا يجاطب به إلا أهل الخاصة . وهو مقام التوسيط ، منه

ويتلخص في أن كل ركن إذا أداءه الإنسان بحشوع وتبهر كامل ، يقال به من الله درجة ، فحشاه بلفظ الله أكبر ، بمعنى أنه سبحانه وتعالى ، أكبر من أن يقتصر

عطاؤه على هذه الدرجة ، فإذا أنت أدبت ركن الوضوء مع العائنة والسورة بالتبهر الطلوب ، حين ذلك تطلق الله أكبر وتركع ، وسماه أن عطاء الله أعظم . ثم تؤدي

ركن الركوع بحشوع هنال درجة أرق ، ثم تعدل لتكبر من جديد ويكون معنى

ذلك أن الله أكبر من أن يقتصر عطاؤه على ذلك المقام أو تلك الدرجة . فكما

أدبت ركنا تلت درجة وسلك هذا الركن إلى ركن ثان ، وهكذا تصعد من درجة

راقية إلى درجة أرق حتى تم الصلاة ، وكالات الله لانتهاه ، وذلك هو العروج

إلى أعلى المقامات الذي قصده الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « الصلاة

معراج أمشي » . وهذا مقام المتوسطين .

وحلاصة أن معنى الله أكبر في هذا المقام أن نحل الله في صلاتك وهي بما

يورده عليك - أكبر من صلاتك التي تؤديها ، أي ماورده عليك من تجليات أكبر

عما تورده من صلحك .

أما مقام المشهور الصليبيين المقربين فهو عند تكبيرة الإحرام التي يدخل بها في

الصلاة يحس كل منهم بما يأتي : عند ألف لفظة الحلاية ، يحس أنه تدبر كل ما في

الصلاة من حركات وتكبير وتسييح وقراءة .. الخ .

وإذن فقد تدبر الصلاة عند نطقه بألف لفظ الحلاية ، وتكون بقية الصلاة بعد

ذلك من أولها إلى آخرها شهوةً لدى الحلال والمطمئة ، يرقون في مقام الشهود عند

كل تكبيرة حتى يفنى الحس فلا يكون في الشعور إلا الله .

وبالطبع كل ركن يقال فيه مقامًا من مقامات الشهود ، ويسلمه ذلك الركن إلى

وعقل للروح لتدبير أمور الآخرة ، فإذا طغى عقل النفس على عقل الروح اندمجا

معًا ، وصارا عقلاً واحداً ، وكانا عقلاً لهواجس النفس ، ووساوس الشيطان ،

وإذا طغى عقل الروح على عقل النفس اندمجا معًا ، وصارا عقلاً واحداً ، وكانا

عقلاً للتزلزلات الإلهية ، والمعارف الربانية ، وسعدا مسادة لاشتهاء بعدها .

س ٢ : وما ملاك العقل ؟

ج : ملاكه الدين ، والدين هو التوحيد المطلق الكامل ، والوحدة في الكثرة

والكثرة في الوحدة - واعتبار الأركان كلها رسلا إليك ، تؤدي مآلديها من الأمانة

من خير وشر . ولذا وجب شكرك له . وأما شكرك للسكون لجميع ماوصل إليك

من الرسل لأنها تهزرت . وجميع ماوصل إليك منه من القدرة : (أن اشكر لي

ولوالبديك)

س ٣ : وما ملاك الدين ؟

ج : ملاكه النور المهدي ، والنور المهدي هو أول الصيغيات الربانية ،

والتجليات الذاتية . وأول ظهور المظاهر الذاتية في وجودها الهائية

س ٤ : وما ملاك النور المهدي ؟

ج : ملاكه الله جل جلاله ، وهما تتطمس العقول والأبصار ، والقلوب

والبصائر . (ماقدروا الله حق قدره) .

١٦ - الله أكبر في الصلاة : فما معنيان :

١ - التسيب من العفة لأن الله أكبر من كل شيء . فلا يسمى أن تشمل

أدهانها في الصلاة بشيء من شئون الدنيا . وإلا فلا معنى لقولك الله أكبر . إذا لم

يكن أكبر مما يشغلنا عنه . ومن ذلك : تتكرر التكبيرية في كل ركعة نحو ست

مرات . ويطلق بها المصل في كل ركعة فهي تتخلل أصصال الصلاة وكأنها ناقوس

ركن آخر يقال فيه مقاماً أسمى وهكذا حتى يخرج المبدأ من الصلاة ومعه من العلوم والمعارف أفكار الأفكار التي لم تدون في كتاب .

أما الاستغفار بعد الصلاة كاستغفار الرسول ﷺ . واستغفار الأنبياء طريقتي الميراث من آتة : ، لبنان على نبي لتركتم المقامات والأقارب .

واستغفاره لتزقيه من الأدنى إلى الأعلى ومعنى ذلك : أن ما كان فيه من مقدم أدنى غير لائق فيستغفر الله لذلك وهكذا . وكل استغفار للرسول ﷺ من هد القليل .

مقدمة . . وخاتمة (١)

في هذا العصر الذي أخذت فيه الأرض زخرفها وزينتها من العناصر المادية ، وقامت فيه الحضارة الأوربية على المنهج الحسي المادي ولانكاد نتميزه من الماهج ، ما زال في البيئات الإسلامية ، والحمد لله ، طوائف من أصحاب الفطر لسلبية الذين يرجون للبشرية مستقبلاً يضرب بأسهم وأقزرة في عالم الخير والحق ، عالم الدين والروح ، عالم الإخاء والإيتار .

وهذا العالم الذي تتبع أصوله من وحى السماء ، والذي يسير أفراداً ، أوجساعات - هادفاً إلى تحقيق المنهج الإلهي والمبادئ الإلهية . يمثله كهاجج أصوات ماتكون الحاجج ، أئمة التصوف ، وأعلام الصوفية . إنهم يمثلونه في المنهج الذي اتبعوه ، ويمثلونه كحقائق واقعية في المبادئ والقواعد ، إن حياتهم - منهجياً وموضوعياً - تنرم النظرية الإلهية ، وهدى الرسول ﷺ بما عظم من الأمور . وهذا هو سهل يسير . وهم يحاولون ما يمكن أن يكونوا قدس الاستطاعة ورتة الأنبياء علماً ، وورثة الأنبياء سلوكاً ، وورثة الأنبياء أخوالاً ومقامات ، بيد أن بعض الناس لا يتبين في وضوح معنى التصوف ، ولا مدى الصلة بين الإسلام والتصوف .

(١) لقد فكرت في أن أجعلها مقدمة وفكرت في أن أسهلها خاتمة ، ثم سألت نفسي إذا كانت هذه هي المقدمة لما هي الخاتمة ، فوجدت معنى شيرها لها - إما في حقيقة الأمر معلنة ومخفية ، وإما في الأهمية عندى بحيث لو كان مستغفاً أن يكتبها مرة كقائمة ثم أعود فأكتبها مرة أخرى كحقيقة لمصلحتي طسكن مصدرة ، ولكن خاتمة ، وأرجو الله أن يبرها بهاتين ، وأن يهديها قفراً

ويتساءل عن ذلك بمناسبة الكتابة عن الشاذل مثلا ، أو عن أبي العباس الراسي ويقولون في صراحة :

حل هذا النوع من السلوك الذي أخذوا فيه ، والذي يسمى « التصوف » : من الإسلام أو ليس من الإسلام ؟ ولقد تسامل عن ذلك الكثيرون ، بمناسبة إخراجها كتاب « الشاذل » رضى الله عنه ، وكتب بعضهم في المجلات كتابه تبنى عن عدم وضوح الرؤية في موضوع التصوف ، وتنبى عن حصول لبس في مدى صلته بالإسلام .

وكل ذلك يحدث كلما ظهر كتاب عن شخصية صوفية ، وكلما نشر كتاب عن التصوف نفسه وسيحدث حتماً - والزمن يكرر نفسه - في مناسبات أخرى ، ومن أجل ذلك نكتب هذه المقدمة عن صلة الإسلام بالتصوف ، ونحاول ما أمكن الاستدلال فيها بالنصوص الشرعية ، وأقوال الصوفية ، مبيّن - في غير تحيز ولا عصبية - وجهة النظر السليمة ، ليتدى من يتدى عن بصيرة ، وليسلك من يشاء طريقهم على هدى وعلم ، وهي مقدمة أصبحت ضرورية ، ولعلها تأخرت نوعاً ما . بعد أن نشرت سلسلة أعلام العرب عدة كتب عن كبار الصوفية فنقول ونناقله التوفيق :

١- ماهو النتج اللازم ؟

إن صلة التصوف بالإسلام - منهجاً وموضوعاً - لايتأتى فهمها صحيحاً إلا إذا عرفنا التصوف تعريفاً يطق على حقيقته أكمل ما يكون الانطلاق ، يد أن تعريبه ليس من السهولة بمكان ، ذلك أن تعريفات التصوف - كما يقول مؤرخو التصوف القلماء - آويت على الألف ، وكلها تعريفات لها وزنها وقبيلتها ، إذ أنها بأقلام الصوفية أنفسهم ، وإذا كانت هذه التعريفات بأقلام أرباب الشأن فإنه من

الصعوبة بمكان أن يقف الإنسان مها موقف الحكم ، بعض بعضها على بعض ويحفل بعضها في الرتبة الأولى ، ويحفل البعض الآخر ثانوياً ، ثم يتسنى تعريف جامع مانع ما هو المقياص ؟ وما هو الميصل ؟ ثم بأي سلطان يتدخل الإنسان بين هؤلاء القوم سوى المداعاة الريفية ، والشاعر الروحية الدقيقة ؟ سلطان العلم ، ملاحظة واستقراء ؟ أم سلطان العقل ، حكماً واستنتاجاً ؟ أم سلطان الروح ، إشرافاً وإلهاماً ؟ !

٢- التصوف والعلم :

هل يلج العلم بملاحظته واستقراءه حصص التصوف ؟ إن إذا عمل ذلك فإنه لن يلاحظ إلا الشكل الخارجى . ولايستقرئ إلا المظهر الشكل ! ولاشئ بعد ذلك من روح التصوف وجوهره . ومعنى هذا الانعقاد التام .

وحقاً لقد أنفق - بل الآن - علم النفس . وأنفق علم الاجتماع . إخفاقاً كاملاً في الوصول إلى كنه التصوف وحقيقته

بل إن الدراسات النفسية الحديثة . والدراسات الاجتماعية المعاصرة أصبحت الفكرة عن تصوف إفساداً تاماً . شذها في ذلك شأن كل من تصفت به من الدراسات التي تتصل بالروح - وبالوحي . وبالإلهام السامى ، وباللين على وجه العموم

إن الدراسات النفسية والاجتماعية الحديثة حددت نفسها بالمادة وتقيدت بالظواهر المادية الحسية الملموسة : الرئية أو المسموعة . أو المدركة مذاقاً حسياً . لوللمسومة !

وهي تعترف اعترافاً صريحاً لاليس فيه أن إيجادها إنما هو المجال للمدى - وأن كل

مانحج عن الجبل ندى فيه لا يدخل تحت مرصعها ومخبرها ومسرهما ، وإن
لا يدخل في إطار بحثها .

والتصوف روح وإلهام وإشراق ، فلا يدخل في مجالها .
ومن هنا كان اكتفاء هذه الدراسات بالظهر والشكل . ومن أجل ذلك كان
إختصاقها كاملاً ، ومنها يقبج النظر

إن مانسية و العلم الحديث ، إنما هو العلم السائد في أوروبا وفي أمريكا ، وفي
العصر الحاضر . وقد أزم نفسه الزماناً نائماً ألا يخرج عن دائرة المادة ، وحدد -
مختاراً - دائرته تحديداً دقيقاً بأنها : المادة ، وربط نفسه بذلك ربطاً محكماً ، إلى
درجة أن كل من يخرج عن المادة لا يسمونه عالماً ، وأن كل بحث في غير دائرة
الملاحظ . النفس لا يسمونه بحثاً علمياً . ولستأ - الآن - بصدد تخطيط العلم الحديث
أو تصويبه بما أزم منه به . وإعازر يرد أن سر في و صوح أن هذا الالتزام بين ميا
نائماً أن يتصل العلم الحديث - من قرب أو بعد - بجمهر التصوف ومفهومه الحقيقي
ومن أجل ذلك فإن كل ما قيل بلسان العلم عن التصوف لا يس منه إلا الظاهر
والشكل ، ولا قاعدة فيه بنائاً من حيث الروح والجوهر .

٣ - التصوف والعقل :

أليجا إذن إلى العقل ؟ يبحثه المنطق القياسي . وإلى استنتاجاته الناشئة عن
المقدمات والأقيسة ؟

أيقودنا العقل - آمين - في بحار التصوف اللاعبدودة ، وفي رياضه التي
لا تنسى من حيث كونها صفحات من التجليات الإلهية اللانهائية ؟ ولكن المعروف
أن العقل لا يدور إلا في ملك المادة . إنه يتسامى إلى السماء ، فيبحث بأفكاره وصفته
وصورايته بين أرجائها الشاسعة ، وساحاتها الرحبة . ويغوص في أعماق البحار فيظهر

مكوناتها ويكشف عن أسرارها . ويتصق في طبقات الأرض ، فيخرج منها
أقلاماً ، ويريزل القروض عن معيبتها .

إبه متبع الصناعة من الإبرة إلى الصاروخ . ويخترع الكيماويات سهلة كانت
أوسقطة . ومكتشف التوليس الكونية في الأرض وفي السماء . وهو أساس العلم
الكسي : علم التوالد . والاستنتاج . والانسساط على أشكاله المخطفة . وسامحه
المتصدة . ولكن العقل - وبجمله للمادة استنتاجاً . واستنباطاً .

لا شأن له بالغييب : الغيب الإلهي .

لا شأن له بالمسائير : مسائير للأ الأعلى .

لا شأن له بكشف المحجوب : المحجوب الروحي .

لا شأن له بمسارح القدس . ولا بتنازل الأرواح .

لقد أختق العقل في إيجاد مقياس عقلي يقيس به الصحة والخطأ في عالم
الروح . وعمر عن اختراع فيصل يفصل به بين الحق والباطل في مجال الغيب . لقد
أختق مسج أرسطر وأختق - مسج ديكرارت وأختق إلى الآن كل منح عقلي
يرود منه أن يصل بنا إلى عالم الإلهية ، يعرفنا أسرارها ، ويسير بنا في مسائيرها .
وإختاق العقل في عالم التصوف قضية اعترف بها اعترافاً صحيحاً فيثاعورث ،
وأفلاطون ، وأفلوطين .

واعترف بها الكندي ، والقاراني ، وابن سينا . واعترف بها الفزالي . وجميع
الصورية على الإطلاق .

وقد اعترفوا بها لما علموا أن العقل لا يتائق له أن يخرج عن دائرة للمادة . بل إن
الخيال نفسه . بل الهمم . كل ذلك لا يخرج عن دائرة للمادة . واعترفوا بها لما رأوه
من حلال التاريخ المكرو للإنسانية ، من أن العقل وقف أمام منازل الروح
وسارح القدس عاجزاً لا يجير جوارياً ، لقد اعترفوا بها وورسوا . وكان منقطعهم من

السلامة بحيث صلته الواقع التاريخي وليس ذلك بكادح في العقل . فله مجال الضمير في رحاب الكون . ول أنوار الأرض . ول أنظار السماء وعليه وبه قامت الحضارة المادية الحديثة . متسلطة غلاة .

٤ - السج الصوف :

وإذا عبث السج العلى المادى من دراسة التصوف في حقيقته . وجوهه وعسر السج العقل كذلك فإن الصورية حبيبة وعلامة الإشراف مد حيثأعورث وأفلاطون إلى الآن يملنون منهجاً محدداً يقرنه حبيماً . ويقنون فيه نقة تامة . ذلك هو السج الفلجى . أو السج الروسى أو السج البصرية . وهو منيع معروف أقرته الأديان جميعها . واصطفته مذاهب الحكمة : القديم منها والحديث يقول الله سبحانه : (إن السج والبسر والنزاد كل أولئك كان عنه مستولاً) إنه سبحانه ذكر الفزاد على أنه سائر مثله و ذلك مثل السج و محبته والنسر و محبته . والإمام الغزالي « مبعث عن رأى الصوفية وعن رأى فلاسفة الإشراف » يرى أن الدليل القاطع على أن هناك معرفة ليس مرجعها إلى الحس . ولا إلى العقل . إنما هما أمران :

أحدهما : عجائب الرؤيا الصادقة . فإنه يتكشف بها الغيب . وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضاً في اليقظة فلم يفرق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالهضات . فكم من مستيقظ غافض لا يسمع ولا يبصر لا يشاهد نفسه

الثاني : أعيان رسول الله ﷺ عن الغيب وأمور في المستقبل

وإذا جاز ذلك للنبي ﷺ جاز لتعبه . إذ السى عبارة عن شخص كوشف محقائق الأمور . وشغل بإصلاح الخلق . فلا يستحيل عليه أن يكون في الوجود

شخص نكاشف بالحقائق ولا يشغل بإصلاح الخلق . وهذا لا يسمى « نبياً » بل يسمى : « ولياً » . اهـ .

فمن آمن بالأنبياء وصدق الرؤيا الصحيحة لزمه لامحالة أن يمر بالصورة أو بتعبير آخر بمراتب القلوب يفتح على عالم الملكوت . هو باب الإهام . والنسب في الروح والوسى .

والإمام الغزالي يشبث بالرؤيا كبرهان . ودليل على أن هناك آلة للمعرفة غير الحس والعقل . ويردد ذلك في كثير من كتبه .

إنه يتحدث في المقدم (٢) عن النبوة فيقول :

« وقد قرب الله تعالى ذلك على خلقه بأنه أعطاهم أنموذجاً من خاصية النبوة وهو النوم إذ النائم يدرك ماسيكون من الغيب . إما صريحاً وإما في كسوة مثال يكشف عنه التعبير . وهذا لو لم يحربه الإنسان نفسه وقيل له : إن من الناس من يسقط منفيّاً عليه كالبيت . ويزول عنه إحساسه ويصبره فيدرك الغيب لأنكره . وأقام البرهان على امتحانه . وقال القوى الحساسة سبب الإدراك من لا يدرك الأشياء مع وجودها وحضورها . مبالاً يدركها مع ركودها أول وأحق . وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشاهد » اهـ .

ولكن الإمام الغزالي لا يكتفى بهذين الوجهين من الاستدلال . بل يأتي بشواهد الشرع . ويذكر التجارب والحكايات .

أما الشواهد فيما يرى فهي قوله تعالى : (وللذين جاهدوا لينا لهنديهم صلنا) .

وقوله ﷺ : « من عمل بما علم . ورثه الله علم ما لم يعلم »

وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تكفوا الله يجعل لكم فرقاناً)

(٢) انظر بحثنا للسج من الصلاة وعلينا عليه . شر دار المدارس

وأخلاقهم ، ويدلوه بما هو خير منه . لم يملوا إليه سيلا . فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهريهم وباطنيهم عقوبة من نور مشكاة السرة . وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به . وبالجملة فإذا يقول القائلون في طريقة طهارتها - وهي آزل شروطها - تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها - الجارى منها بحرى التحريم من الصلاة - استمراق القلب بالكلية بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكلية في الله .

وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوتانها . وهي على التحقيق أول الطريقة . وما قبل ذلك كالتطهير للسالك إليه .

ومن أول الطريقة تتدعى الكاشفات والمشاهدات ، حتى أنهم في يظنهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء . ويسمعون منهم أصواتا ، ويتصورون معهم قوائد . ثم يترقى في الحال من مشاهدة الصور والأمناء إلى درجات يضيئ عنها نطاق النطق ، أ هـ .

وعن هذا النهج يقول الأستاذ ريبه جينو : الحكيم الفرنسي - في محاضرة ألقاها في جامعة باريس - يقول متهمكا بجزالة الذين - يشكون في هذا النهج ، ساخرا من موقفهم الذى يصور الكسل الزرى - ويساهل قوم : أمن الممكن أن تنحطى الطبيعة فمصل إلى ما وراءها ؟ إما لا ترد في أن يحتمل في وصور واضح . ليس ذلك ممكنا محتم . ولكن ذلك واقع وموجود . سيتولون . تلك قضية تقتضى إلى برهان ؟ ولكن أى برهان يمكن أن يقدمه الإنسان على وقوع هذا الأمر ووجوده ؟ إيه لى العريب حقا أن يطلب البرهان على إمكان بوع من المعرفة . بدلا من أن يحاول الإنسان أن يصل إليها بتحريته الشخصية ، سالكا إليها ماتتله إن الشخص الذى وصل إلى هذه المعرفة لا يمتنيه في قليل أو كثير ما يبور حولها

فيل نور يفرق به بين الحق والباطل . وتخرج به من كل الشبهات وسئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى :

(ألم نشرح الله صدره للإسلام . فهو على نور من ربه) .

شاهدنا الشرح ؟ فقال : هو التوسعة . إن النور إذا قذف به في القلب اتسع له الصلور وانشرح . وقال عليه الصلاة والسلام :

« إن من أمتى محدثين . ومعلمين . ومكلمين . وإن عمر منهم » .

والحدث : هو اللهم . واللهم هو الذى انكشف له الحق في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسات الخارجية . والقرآن مصرح بأن القوى مفتاح الهداية والكشف .

ولم يكن علم الحضرة عليه السلام علما حيا أو عقليا . وإنما هو العلم - العلم الرباني . وبالله الإشارة بقوله تعالى : (وعلمناه من لدنا علما) .

٥ - النهج الصوفى منهج إسلامي :

النهج إذن : منهج إسلامي صحيح سليم لا غير عليه .. ثم هو منهج فلسفي برغم معارضة الفلاسفة الغنطيين بقوله الكثير من كبار الفلاسفة الغربيين والشرقيين . ومن القدماء والحديثين .

ثم هو منهج جرب فتجع . جربه الإمام الغزالي فتجع . وجربه غيره فتجع . وعنه يقول الإمام الغزالي : « وانكشف لى في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستعصاؤها . والقدر الذى أذكره ليعتصم به . لنى علمت يقبا أن الصورية هم السالكون لطريق الله خاصة . وأن سيرتهم أحسن السير . وطريقهم أصوب الطرق . وأخلاقهم أزكى الأخلاق . بل لو جمع عقل العقلاء . وحكمة الحكماء . وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء لغيروا شيئا من سيرتهم

من جدل ونقاش. وإنه لمن الواضح ان إحلال « نظرية المعرفة » محل « المعرفة » نفسها إعلان صريح على عجز الفلسفة الحديثة « اهـ ».

٦- لا يكتسب التصوف عن طريق القراءة :

والمنهج إذن : إنما هو تركبة النفس ، أو إجلاء البصيرة .
كيف يتأتى ذلك ؟

هل يتأتى ذلك عن طريق القراءة والدرس ؟ هل السبيل إلى معرفة الغيب مباشرة هو البحث والدرس والاستقصاء . ويتفاوت الناس في الإشراف بتعاونهم في شمول الدراسة ، وعموم التحصيل ؟ كلا قطعاً .

يقول الإمام الغزالي معبراً عن الرأي الصحيح المبني على التجربة نفسها .
« ابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم : مثل « قوت القلوب » لأبي طالب المكي ، رحمه الله ، وكتب الحارث المحاسبي ، والمفرقات المأثورة عن الجنيد ، والشبل ، وأبي بريد السطامي قدس الله أرواحهم وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلية ، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، فظهر لي أن أحسن خواصهم ، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالدوق ، والحال ، وتبدل الصفات .

وكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة ، وحد الشيع وأسبابها وشروطها ، وبين أن يكون صحيحاً . وشبان . وبين أن يعرف حد السكر ، وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أجرة تتصعد من المعدة على معادن الفكر . وبين أن يكون سكران . بل السكران لا يعرف حد السكر . وعلمه وهو سكران وما معه من علمه شيء . والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد الصحة »

كذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها وبين أن يكون حالك الزهد ، وعزوف النفس عن الدنيا . فطلعت يقيناً : أنهم أرباب أسرار . لا أصحاب أقوال . وأن ما يمكن تحصيله بطرق العلم قد حصلت . ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم . بل بالدوق والسلوك

وإين سينا حينها أراد أن يحدد طريق البصيرة حتى يصير سر الإنسان - على حد تعبيره - مرآة محلوة . لم يحدده بقراءة وبحث . وإنما حدده بإعادة ورياضة . وأبو الحسن النوري يرى في صراحة أن التصوف ليس علماً ، ويعطل ذلك بأنه لو كان علماً لحصل بالتعلم ولكن الأمر ليس كذلك وليس طريقه تركبة النفس إذن العلم كسبي

٧- التصوف والأخلاق :

أهو الأخلاق العلية ؟

إن الكثير من الكتاب الحديثين - متابعين في ذلك الكثير من الصوفية - قد حددوا التصوف نفسه - لا تركبة النفس وحسب - بأنه الخلق الطيب . يقول أبو بكر الكتاني [المتوفى سنة ٣٢٢ هـ] « التصوف حق . من راد عليك في الخلق قد زاد عليك في الصفاء »^(٣)

ويقول أبو محمد الحريري [المتوفى سنة ٣١١ هـ] وقد سئل عن التصوف - « الدخول في كل خلق سني ، والخروج من كل خلق دني »^(٤)
أما أبو الحسن النوري فإنه يفتي عن التصوف أن يكون رسماً منهجياً تخطيطياً . أو أن يكون علماً كسبياً ، ويجزم بأنه خلق . ويعطل النفس والإثبات فيقول :

(٣) رسالة العشيبة ص ١٤٩

(٤) الرسالة الفقيهيه ص ١٤٨

تكون الأخلاق في أسمى صورة من صورها ثمرة التصوف .
ومن الطبيعي أيضاً أن تكون الأخلاق الكريمة شعار الصوفى بما بين الأسس
والثمرة . فهي إذن ملازمة للتصوف ، وللصوفى ملازمة تامة ، لا تتحلل عنه
ولا يتحلل عنها . ويبرهن سينا عن بعض ما يتحلل به الصوفى من أخلاق ، معللاً
ذلك فيقول : « المعارف شجاع ، وكيف لا وهو يعزل عن غفيرة الموت ؟ !
وجواد ، وكيف لا وهو يعزل عن حجة الباطل ؟ ! وصفاح ، وكيف لا يفضيه أكبر
من أن تجرحها زلة بشر ؟ ونساء للأخقاد ، وكيف لا وذكره مشغول بالحق ؟ ! »
ولكن ليس معنى ذلك أنها هي التصوف .

٨- التصوف والزهد :

عمل الطريق هو الزهد ؟
إن كثيراً من الناس لا يكادون يفقهون بين التصوف والزهد وكثير منهم يرون أن
الزهد هو الطريق المؤدى إلى التصوف ، أو هو هو الطريق المؤدى إلى جلاء البصيرة
والمواقع أننا حينما نفكر في الزهد نرى منه ألواناً عديدة :
إن منه هذا اللون النطق الفلسفى ، الذى يرى صاحبه أن أسمى ما فى الحياة ،
إنما هو الهدوء والسكينة ، وراحة البال ، وطمأنينة النفس ، ولإيقاظ ذلك بالجرى
وراء الدنيا . والكفاح فى سبيل الثراء والاعتماد من ورائه فى الملاذ .
إن الناس يتكلمون على الدنيا تكالماً شديداً . واللقاء الإنسان بنفسه فى المركة -
مركة التنازع على الدنيا - لا ينتج غالباً إلا انشغال البال ، والحلم ، والتفكير .
والقلق . وسبيل السكينة والراحة إنما هو البعد مصدر التراجع .
وهؤلاء الذين يفكرون هذا التفكير . فيؤدبهم إلى الزهد يكون زهدهم زهد
سطحياً . طليقاً يقول ابن سينا : « المرغض عن متاع الدنيا وطياتها يحص باسم

ليس التصوف رسماً ولا علماً ، ولكنه خلق . لأنه لو كان رسماً لحصل
بالمحاكاة ، ولو كان علماً لحصل بالتعليم . ولكنه خلق بأخلاق الله . ولن تستطيع
أن تقبل على الأخلاق الإلهية بعلم أو رسم .
على أن أما الحسن النورى نفسه يحدد الأخلاق التى يرى أنها التصوف ويقول فى
موضع آخر معرّفًا التصوف :

« التصوف : الحرية ، والكرم ، وترك التكلف ، والسخاء . »

على أن هؤلاء الذين ذكروا هذه التعاريف الأخلاقية للتصوف ، ذكروا هم
أنفسهم تعاريف أخرى وذلك - على الأقل - بدلالة لا لبس فيها على أنهم لم
يروا كفاية الجانب الأخلاقى فى تحديد التصوف ، وتعريفه ..

والواقع أننا لو نظرنا إلى كثير من لأشخاص الذين اشتهروا بالسمو فى الحجاب
الأخلاقى الكريم . وانصفوا بأروع الصفات الأخلاقية ، واتخذوا الفضيلة مدعماً
وشعاراً ، فإننا نجدهم أشخاصاً مثاليين ، فى المحيط الأخلاقى وفى المجتمع .

ولكن ليس معنى ذلك أنهم لا عمالة من الصوفية . ولو نظرنا فى البيئة لوجدنا
داعية إلى الفضيحة ومتذمبياً بها . وعارلاً بشرها بشئى الوسائل . وبمختلف الطرق
سواء أكان ذلك بالدعوة الإقناعية أم بالمطلق الجليل . أم بالأسوة الكريمة ذلك هو
سقراط . ومع ذلك فإن سقراط هذا لم يكن صوفياً بالمعنى الدقيق لكلمة
« صوفى »

وإذا انتقلنا إلى البيئة الإسلامية فإننا نجد الحسن البصرى - رضى الله عنه - من
أروع وأجمل الشخصيات الأخلاقية العالية . لقد كان مثلاً صادقاً للشعور الأخلاقى
فى ظهوره وصفاته . وكان ينشر الفضيحة بوعظه المؤثر . ومطغنه القوى ، وسلوكه
المثال ومع ذلك فلم يكن الحسن البصرى صوفياً بالمعنى الدقيق لكلمة « صوفى » ،
على أنه من الطبيعي أن تكون الأخلاق الكريمة أساساً من أسس التصوف . وأن

١٤١" وهذا الزاهد إما أن يكون هذه سكية في الدنيا ، لا يتطلع إلى غير
 وهو ماسبق أن تحدثنا عنه . وأما أن يتخطى الدنيا ، فلا تحط له على
 أو يكون أمرها في نظره ثانويًا . ويتجاوزها إلى الآخرة . يزهد من أجلها .
 عن متاع الدنيا وطيباتها من أجل نعيم الآخرة فيكون الزهد عنده - على
 منبر ابن سينا - معاملة ما كان يشتري بتتاع الدنيا متاع الآخرة ، وعناية
 "أهد من الانتفاع عن طيبات هذا العالم أن يمنعه الله في الدار الآخرة طيبات
 واسع . إن مظهره . فيما يروى ابن سينا : كمثل التاجر الذي يشتري بتتاع الدنيا
 الآخرة . وهؤلاء الزهاد لهم أسرهم وثوابهم عند الله في الآخرة ، ولم
 هم في الدنيا . ولكن هذه الطريقة من الزهد المنظور فيه إلى الجزاء واللكافة
 الأمر فيما يروى الصوفية - لا يقصد الله فيها مباشرة بالمصل ليكون الله سبحانه
 "هو المطلوب . وإنما يقصد في قليل أو كثير بطريقة شعورية ، أو لاشعورية إلى
 الآخرة وملاذمها
 والزهد الفلسفي ، وزهد الراغبين في الأجر . لا يؤدي إلى أن يصبح السر مرآة
 "وإن شئت في أن طريق الكشف عن البصيرة يتطوى على الزهد ويتضمنه
 "وهو زهد . هو تسامي عن أن يكون لغير الله شأن يشغل نفسه به . مكل ماسراه
 "سواء لإسباوى يحتاج موضة ، ليه ، تزه ما . إن الطريق يتطوى على الخلق
 "تروم ، وعلى الزهد الخالص ، ولكنه يتجاوزها إلى شيء آخر .

١٤٢ - تصوف والمادة

١٤٣ هذا الشيء - الأجر هو المادة ١٤٤
 هو الطريق هو المواظبة على فعل العبادات : فرائض ونوافل ؛ هل هو الإكثار
 هو كل . فإنا ناليل وصومًا بالهار ونحو ذلك ؟

إن العبادة أثرًا لا ينكروه أحد في تصفية النفس وتزكية الروح ، ولكنها إذا كانت
 تهدف من وراء ذلك إلى دخول الجنة وسبل الأجر والثواب . بقيت عبادة مشكورة
 مأجورًا صاحبها ، مثلاً عند الله سبحانه . ولا يتجاوز للقائم بها - على هذا الوضع
 ويهده الصورة - وصف العابد إلى وصف الصوف .
 ووصف العابد من غير شك منزلة عظمى . ولكن العبادة على هذا الخط كأنها
 "معاملة ما ١٤١ . والعائد على هذا الوضع ، كأنه يعمل في الدنيا لأجرة يأخذها في
 الآخرة ؛ هي الأجر والثواب ١٤٢
 أما الصوف . فإنه يريد الحق الأول . لالشيء غيره . ولا يؤثر شيئاً على عزمه
 وتعبه له فقط . ولأه مستحق للعبادة . ولأها نسبة شريفة إليه ، لالربة أو
 رعية . وتعب السيدة راسة المدوية عن هذا المعنى فتقول : " بلبي : إذا كنت
 أعبدك رعية من النار . فاحرقني بنار جهنم . وإذا كنت أعبدك رعية في الجنة
 فاحرقني . وأما إذا كنت أعبدك من أهل جهنم . فلا تخموني بالهمي من جهنمك
 الأولى " .
 وتقول رصوان الله عليها : " ما عبيته خرقاً من داره ، وحباً لجنه . فأكون
 كالأحمر السوء . بل عدته حباً وشوقاً إليه " .
 والواقع أن الله سبحانه وتعالى إذا عد رغبة في الجنة ، أو شهيد رعية من النار .
 فإنه سبحانه لا يكون المطلوب الأول ، ولا يكون العاية التي يسعى إليها العابد . وإنما
 يكون سبحانه كأنه واسطة بين العابد وما رعبه . وهو : الجنة أو رعية وهو
 لمار وعدة العباد التي عن هذا الوضع . إذن لا تنتهي هم إلى أن يصبح
 السر مرآة مجلوة يخادى بها شطر الحق .

وسكاناته وأنفاسه . مهاجر إليه بتوبته وصحوه . مهاجر إليه بكل نفس من أنفاسه والمجرة إلى الله والفرار إليه بمعنى واحد . وهو بمعنى مستغرق شامل بشرحه - في عمومته وشموله - قول المصطفى صلوات الله عليه وسلامه بمثلا أمر الله سبحانه بتوجيهه في قوله تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له . وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)

وصلاة الإنسان إذن نسكه . ومحياه ومحاته : إننا نكون - في الوضع الإسلامي السلم - لله سبحانه وحده . حيث لا شريك له : من جيب مدح . أو ثناء . أو زلفى . أو جنة . أو يُمد عن البار : (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والشئ يريدون وجهه . ولا تعمد عيناك عليهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا . واتبع هواه . وكان أمره فُرطًا) .

والرياضة : ذكر دائم ، أي تذكر له سبحانه في كل لحظة ونفس . وهي الجاه بكل الأعمال إلى الله ، وهي هجرة لا تنقطع إليه سبحانه . . . وقد تعدد في البدايات ونشئ في أول الطريق ، فكان لا بد من هيئة الجهد المناسب للمران والتصد فترة من الزمن . وهذه الهيئة تستغل في المظلة ولمدة فترة تطول أو تقصر بحسب طبيعة الإنسان . فقد لا تعدوا أن تكون أسبوعًا . أو ثلاثة أسابيع . أو أربعين يومًا . كأنها إجازة روحية . مثلها في ذلك - بالنسبة للروح - مثل الإجازة الجسمية التي يشتر الإنسان فيها في الصيف ما يقرب من ثلاثة أشهر

على أنه فيما تتكرر الإجازة الجسمية كل عام أكثر من شهر لا تتكرر الإجازة الروحية . اللهم إلا في الاعتكاف في شهر رمضان . عشرة أيام من كل عام اتباعًا لسنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بالنسبة لكل مسلم

والإرادة والرياضة ومع ذلك فإن الأمر - كما يرى الصوفية - مرده الأخير إلى : فضل الله وإحسانه

١٥ - وأن إلى ربك المنتهى :

والصوفى : عابد ، وهو زاهد ، وهو على خلق كريم - ولكنه يتجاوز ذلك كله إلى شيء آخر ، هو هذه الإرادة والريضة ، الإرادة المصممة ، الإرادة التي لا تلين . الإرادة التي تزيل - لقوتها وتصميمها - كل ما يقف أمامها من عقبات في سبيل الوصول إلى الله سبحانه

والرياضة التي تتعهد الله مدهمها ، والتي تستغل - في وضوح - في معاني الهجرة إلى الله . والذهاب إليه سبحانه - والفرار إليه بكل وعلا .

والإرادة والرياضة ، لتحقيق المعنى الجليل للآية القرآنية الكريمة : (وأن إلى ربك المنتهى) .

وتعاون الإرادة والرياضة في الوصول - بتوفيق الله - إلى هذا المنتهى الذي لا بد من الوصول إليه ، لتستقر الإرادة وتستكن .

إن الله سبحانه وتعالى بأمرنا - على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم - بالفرار إليه . (هروا إلى الله . إلى لكم منه ندير مبر)

والإنسان يفر إلى الله من الكفر إلى الإيمان ، ويفر إلى الله من الطاعات إلى القربات ، ويفر من الكون إلى المكون ، ومن النعمة إلى التميم . ومن المثلث إلى الخالق ومن عسبه إلى ربه

إن القرار إلى الله لاهية له . لأن الترقى لاهية له . وكما أن الفرار إلى الله مستمر دائم . فإن الهجرة إليه سبحانه مستمرة دائمة . يقول سيدنا إبراهيم صلوات الله عليه :

(إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم)

إنه صلوات الله عليه مهاجر إلى ربه بكل عمل يعمله . إنه مهاجر إليه بحركاته

الحس والاطلاع على عوالمه من أمر الله . ليس لصاحب الحس بزواك شيء منها والروح من تلك العوالم .

وسبب هذا الكشف : أن الروح إذا رجعت عن هذا الحس الظاهر إلى الماطن : ضقت أحوال الحس . وتقرى الروح وعطب سلطانه وتعد شوه وأعان على ذلك الذكر . فإنه كالماء لتسبب الروح ولا يزال في نحو وتريد إلى أن يصبح شهوداً بعد أن كان ظناً . ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الإدراك . فيعبر عن حجبها للموهاب الربانية . والعلوم اللدنية . والفتح الإلهي . وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها من الأفق الأعلى . ألق الملاحة وهذا الكشف كثيراً ما يمرض لأهل المجاهدة . فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها وتصرفون بهمهم . وتقرى نفوسهم في الموجودات السفلية . فتصير طوع وإرادتهم : فالعظمة منهم لا يمتدرون هذا الكشف . ولا هذا التصرف . ولا يجربون عن حقيقة شيء لم يزعموا بالتكلم به . بل يعلون ما وقع لهم من ذلك محنة ، ويعرفون منه . إذا وقع لهم . ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه المجاهدة . وكان حظهم من هذه الكرامات أمور لخطوط . ولكنهم لم يقع لهم بها عناية . وفي قصائل أبي بكر . وعمر . وعثمان . وعلي - رضي الله عنهم - كثير منها . وتبهم في ذلك أهل الطريقة . من اشتلت رسالة الشيرازي على ذكرهم ومن تبع طريقهم من بعدهم .

وهكذا نرى أن المنهج منج إسلامي . وأن وسيلة المنهج أو طريقة تحقيق المنهج . أو تغيير أوصاف - خطوات المنهج - إنما هي خطوات إسلامية

١١ - صبح التصوف فيما يورى الغزالي وأمين خلدون :

وهذه المعاني يلخصها الإمام الغزالي فيقول :

« إن الطريق إلى ذلك إنما هو تقديم المجاهدة . وهو الصفات المدبومة . وقطع الملاقح كلها . والإقبال بكثرة المحبة على الله تعالى . ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولى لقلب عبده . التكفل له بتزويده بأنوار العلم .

وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة . وأشرف النور في القلب وأشرح الصدر . واكتشف له سر الكوكوت . وانفتح عن وجه القلب حجاب الغرزة بلطف الرحمة . وتلاوات فيه حقائق الأمور الإلهية . فليس على المبدأ إلا الاستعداد بالصعوبة المجرمة . وإحضار المحبة مع الإزادة الصادقة والتعطش التام . والتزهد بعلوم الانظار لما يفصح الله تعالى من الرحمة .

فالأنبياء والأولياء اكتشف لهم الأمر . وقاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكاتب . بل بالرهدة في الدنيا والتبري من علاقتها . وتبريع القلب من شواغلها . والإقبال بكثرة المحبة على الله تعالى « فمن كان لله كان الله له » وهو يفضله هذا . يصير مترضاً لتضحات رحمة الله . وليس له اختيار في استلاب هذه الصفات . وليس له إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة . كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريقة . وإذا صدقت إرادته . وصفت محنته . وحسنت مواظبته . تلصح لواضع الحق في قلبه . ويرتفع الحجاب بلطف خلق من الله تعالى . فيكشف له الغيب . ويحصل على اليقين .

ويلخصها ويحتملها ابن خلدون فيقول :

« ثم إن هذه المجاهدة . والخلوة . والذكر . يتبعها - غالباً - كشف حجاب

وهناك أهل اليمين . هناك القربون ، وهناك الأبرار . والناس منهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله . وتفاوتهم في القوى مرتب على تفاوتهم في التوحيد .

وقه التوحيد : أن يشهد الإنسان أن لا إله إلا الله . وهؤلاء الذين يشهدون أن لا إله إلا الله هم أولو العلم . يقول سبحانه : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم . قائما بالقيسط . لا إله إلا هو العزيز الحكيم) .

هذه الشهادة في قننا ليست مجرد كلمة تقال ، ولا مجرد لفظ يطلق به إنسان من بين شفتيه ، فيبر كما يرى لفظ آخر . إن لكلمة الشهادة معنى محددًا ، هو هذا المعنى الواقعي الذي يحدث حينما يكون هناك شاهد ومشهود . لا بد في الشهادة من شاهد ، ولا بد من مشهود . ولا بد من أن يشاهد الشاهد المشهود . وإلا فهي شهادة . . . تجاوزًا .

ولقد شهد الله على الحقيقة ، وشهد الملائكة على الحقيقة ، ويشهد أولو العلم على الحقيقة : أنه لا إله إلا الله .

ولقد احتض أولو العلم من بين البشر هذه الشهادة ، فسحقوا بها قه التوحيد . وكانوا بسبب ذلك في الذروة من الإكرام الإلهي .

شهدوا مع الله سبحانه ، ومع الملائكة بأنه تعالى : لا إله إلا هو . وشهادة التوحيد هي الغاية في الدين . وهي دعوة الأنبياء جميعًا .

وهذه الغاية قسما هي التي يتسلسلها التصورة بكل وسيلة ، وهي التي يسعون إليها جامعين . إنها أملههم كسب ، وأملههم مصيحين . وهي - لاغيرها - التي تنأى بتخوهم عن المضاجع ، بل تجعل جنوهم قسما تتجاف عن المضاجع ، يدعونهم خوفًا وطسما . خوفًا من الحرمان ، وطسما في القرب .

وغاية الصوف إذن هي الغاية الإسلامية . ويجومر أهدافه هو جومر أهداف

١٢ - ثمرة النجح :
إلام يؤدي هذا النجح ؟

إذا أتينا هذا النجح . وفق الله . فلهي النتيجة ؟ وماهو الهدف الذي يسمى الصوف للوصول إليه ؟
إننا في سبيل الوصول إلى رأى سليم . نبدأ أولاً بتقسيم الإسلام للبشر من ناحية درجاتهم عند الله . والأساس في ذلك إنما هو قوله تعالى :
(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

وطريق التقوى في تزييه ونساميه . لا يكاد يقف عند حد . وإكرام الله للإنسان إذن مستمر كلما زادت التقوى حتى يصل هذا الإكرام إلى درجات لا يكاد يتصورها أحد . ويعبر عنها ويشرحها الحديث القدسي الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه . عن رسول الله ﷺ . عن رب العزة جل وعلا :
« من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب . وما تقرب إلي عبدي بشئ أحب إلي مما افترضته عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به . ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بها . وإن سألني أعطيته . ولن استعاضق لأهينته » .

وأولياء الله هؤلاء . قسّمهم الإسلام - بحسب قريهم من الله - إلى طوائف بعضها أقرب من بعض . وكلها قريبة منه سبحانه . تتم في رضاه . وفي رضوانه . فقال سبحانه : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقًا . ذلك الفضل من الله . وكفى بالله عليماً) .

هناك إذن : أنبياء ، وصديقون ، وشهداء ، وصالحون ، هناك السابقون ،

الإسلام ، إنها الشهادة ، إنها شهادة أن لا إله إلا الله .
إن الطريق إنما هو تركية النفس . والغاية الشهادة ، تشهد أن لا إله إلا الله .
والشهادة على حقيقتها . وهذا هو التصوف طريقاً ، وغاية .

١٣ - تعريف الصوف :

واقعد عبهرا عن ذلك في صراحة لا لبس فيها ، وفي وضوح لا غموض فيه .
وببدأ بذكر أقوالهم في تعريف التصوف منظوراً إليه باعتباره منهجاً .

وهذه التعريفات إما أن تصور المنهج شاملاً ، وإما أن تصور جزءاً منه :

١ - الصوف : من صفا عليه ^(٧) (تركية النفس) .

٢ - الصوف : تمام الأدب ^(٨) (المنهج في جنبه الأخلاق) .

٣ - الصوف : من صفتي ربه قلبه ، فانتلاً قلبه نوراً ، ومن حل في عين اللذة

بذكر الله ^(٩) .

٤ - التصوف : أن يخلصك الله بالصفاء ، فمن اصطفى من كل ملسوى الله فهو

الصوفي ^(١٠) .

٥ - والجنيد بالنسبة لتعريف التصوف أكثر من تعريف ، كل منها يوضح جانباً
من الجوانب ، منهجاً كان أو غاية .

وقد بلغت تعريفاته أكثر من عشرة تعريفات . والتعريف الآتي يصور جوانب
كثيرة ، ولكنه مع ذلك لا يفتي كل الجوانب . يقول :

(٧) بشر الملق : (الطوق ص ٢٢٧ م .)

(٨) أبو نصر لمعاد : (الطوق حوال ٢٦٥ م .)

(٩) أبو سعيد المرزقي : (الطوق قبل ٢٩٧ م .)

(١٠) الجنيد البغدادي : (الطوق ص ٢٩٧ م .)

والتصوف تصفية القلوب حتى لا يماردها ضغها الذاتي ، ومفارقة أخلاق
الطمية ، وإخعاد صفات البشرية ، ومجانبة تزوات النفس ، ومنازلة الصفات
الروحية ، والتعلق بطوم الحقيقة ، وعسل كل عامر خبير إلى الأبد ، والنصح
الحالمس لجميع الأمة ، والإخلاص في مراعاة الحقيقة ، وإتباع النبي ﷺ في
الشريعة .

وهناك بعض تعريفات تتصل بالغاية فقد سئل الشبلي : ما بده هذا الشأن ،
ومالتهاؤه ؟ فقال : بثؤه معرفته والتهاؤه توجيده ، أي نهايته تشهد أن لا إله إلا
الله . يد أن هذه التعريفات كلها تعتبر قاصرة ، وقيمتها الكبرى في أنها تصور جانباً
من الجوانب ، لوزاوة من الزوايا ، وهي حينما تصور المنهج وحسب ، فإنها
لا تصور التصوف كاملاً . وحينما تصور الغاية وحسب ، فإنها لا تصور التصوف
على ما يراه القسام والهدثون . وهؤلاء القسام والهدثون - سواء أكانوا من
الصوفية . أم من مؤرخي التصوف - يتجهون إلى أن التصوف منهج وغاية . إنه
طريقة وحقيقة إنه سلوك ونتيجة .

والصوفية يشيرون الوحدة التي تجمع بين المنهج والغاية بالدائرة ومركزها . ويقول
الشيخ عبد الواحد يحيى : « إن الطريقة هي الخط ، والذاهب من الدائرة إلى المركز .
وكل نقطة على الدائرة هي مبدأ الخط وهذه الخطوط التي لا تحصى - كلها - إلى
المركز إنما طرق ، وهي طرق تختلف تبعاً لاختلاف الطباع البشرية ولهذا يقال :
و الطرق إلى الله كنفوس بني آدم » .

وهما اختلفت فاعلطف واحد ، لأنه لا يوجد إلا مركز واحد . وإلأ حقيقة
واحدة . على أن هذه الاختلافات الموجودة في المبدأ ، تزول شيئاً فشيئاً مع زوال
الآتية ، وذلك حينما يصل السالك إلى درجات عليا . تزول فيها : صفات
المبدء التي ليست إلا سجيناً : والفناء ، فلا تبق إلا الصفات الربانية والبقاء .

والطريقة ، والحقيقة مجتمعان يطلق عليهما : « التصوف » وهو ليس مذهباً
 خاصاً لأنه الحقيقة المطلقة . وليست الطرق مدارس مختلفة ، لأنها طرق ، أى سبيل
 موصلة جميعها إلى الحقيقة المطلقة « التوحيد واحد » .

١٤- تعريف التصوف فيما نرى :

وفى خاتمة ماسبق نقول : إن التعريف الذى نراه ، والذى يجمع جوانب
 التصوف ، إنما هو تعريف الكناى الذى يقول : التصوف : صناء ومشاهدة .
 ونقول فى يقين ناتج من كل ماسبق وهو يقين يبد الطريق فى وجه كل من
 يحاول أن يثير أوهاماً ضد التصوف والصفوية : إن النهج الصوفى ، إنما هو تحقيق
 واقعى لقوله تعالى : (قد أفلح من زكاهما) .
 فتركية النفس هى صفاؤها وتصفيتها إنها الوصول بها إلى الصفاء والنهج محاولة
 للقرب - ما استطاع الإنسان ذلك سبيلاً - من قوله تعالى : (قل إن صلاتى
 ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول
 المسلمين) .

أما الغاية لظنها : الوصول إلى المشاهدة التى يقول الله تعالى فى بيان من حققوها
 وتحققوا بها : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم)
 إن الغاية هى الوصول إلى : أشهد أن لا إله إلا الله .

فهرس

صفحة	مقدمة
١٥	الفصل الأول : العارف بالله أبو الحسن الشاذلى
١٥	١- حياته
٤٢	٢- شخصيته
٧٣	٣- العمل بالكتاب والسنة
٧٦	٤- الاستدلال على وجود الله
٨٤	٥- أجواء فى القرآن الكريم
٩٦	٦- الطريق الصوفى
١١٥	٧- معارج ومراء
١٢١	٨- الذكر والدعاء والأجواب والأوراد
١٦٣	٩- خاتمة واعتذارات
١٧٥	الفصل الثانى : العارف بالله أبى العباس الموسى
١٧٥	١- حياته
١٨٧	٢- المربى
١٩٨	٣- العالم
٢٠٦	٤- المكافح
٢١١	٥- الصوفى

صفحة

٤١٥ مقدمة وخاتمة
٤١٦	١ - ما هو المنهج الملائم؟
٤١٧	٢ - التصوف والعلم
٤١٨	٣ - التصوف والعقل
٤٢٠	٤ - المنهج الصوفي
٤٢٢	٥ - المنهج الصوفي منهج إسلامي
٤٢٤	٦ - لا يكتبب التصوف عن طريق القراءة
٤٢٥	٧ - التصوف والأخلاق
٤٢٧	٨ - التصوف والزهد
٤٢٨	٩ - التصوف والمعبادة
٤٣٠	١٠ - وأن إلى ربك المنتهى
٤٣٢	١١ - منهج التصوف فيما يرى الغزالي وابن خلدون
٤٣٤	١٢ - ثمرة المنهج
٤٣٦	١٣ - تعريف التصوف
٤٣٨	١٤ - تعريف التصوف فيما نرى

AL-MOSTAFA.COM

صفحة

٢٢٠	٦ - المفسر
٢٤٨	٧ - وحدة الوجود عند أبي العباس والصفوية على وجه العموم
٢٥٩	٨ - شخصيات - إلهامات - عادات
٢٦٩	٩ - الأحزاب والأوراد
٢٧٨	١٠ - مسجده وضريحه
٢٨١	الفصل الثالث : العارف بالله الشيخ عبد الواحد يحيى
٢٨١	١ - كيف عرفت عبد الواحد يحيى
٢٨٥	٢ - جيد وجينو
٢٨٨	٣ - حياة جينو
٣٠٥	٤ - دفاعه عن الإسلام
٣١٤	٥ - في المعرفة
٣٦٣	الفصل الرابع : العارف بالله الشيخ عبد الفتاح القاضي
٣٦٣	١ - كيف عرفت الشيخ عبد الفتاح القاضي
٣٧٠	٢ - حياته
٣٨٥	٣ - جهاده
٣٩٢	٤ - إلهامات عن الطريق
٣٩٦	٥ - إلهامات في التفسير
٤٠٧	٦ - واردات